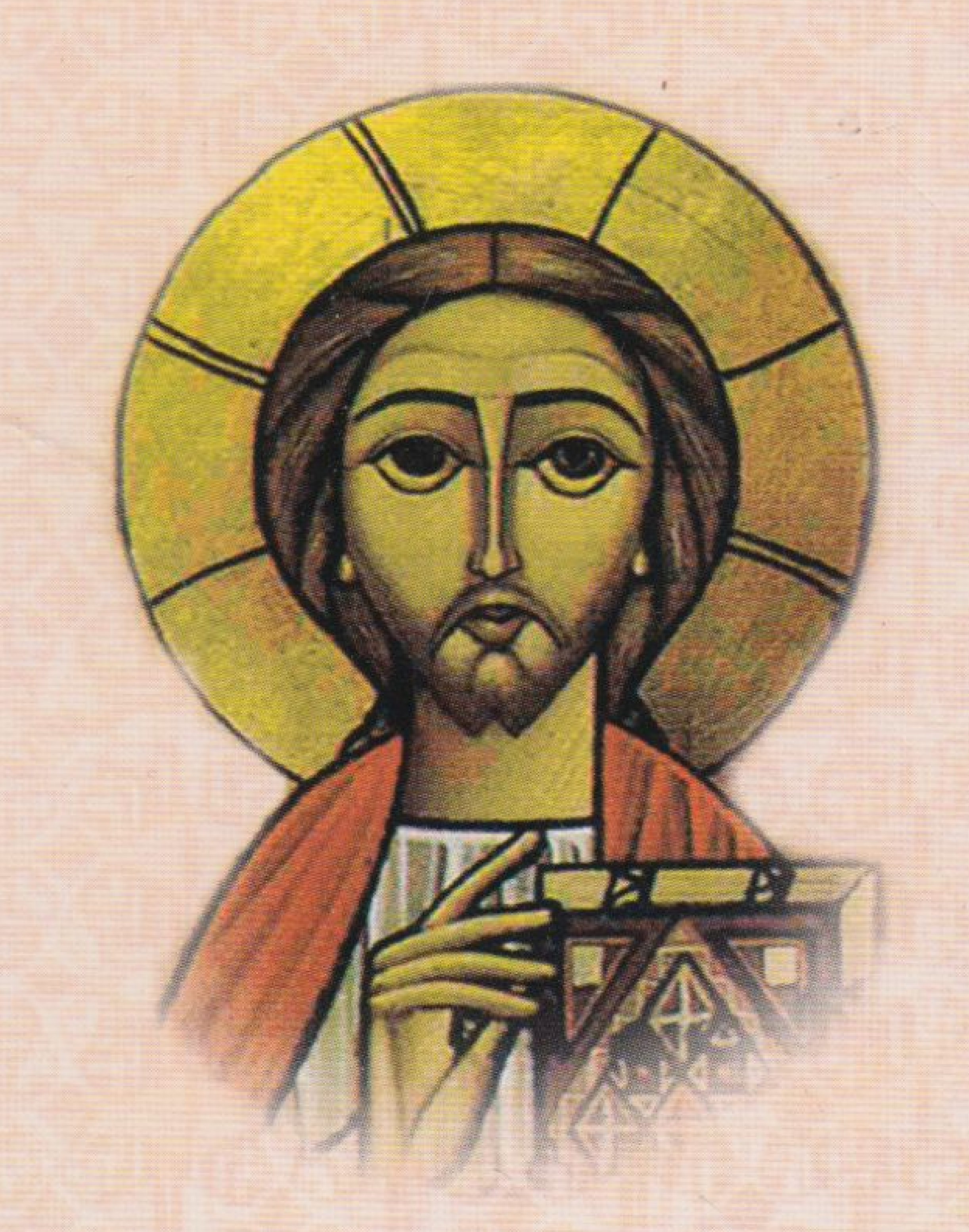
علم الباترولوجي



القديس كيرلس الأورشليمي

الآباء الأولون

١

القديس

كيرلس الأورشليمي

حياته، مقالاته لطالبي العماد، الأسرار

الطبعة الثانية

٢٠٠٦

إعـــداد

القمص تادرس يعقوب ملطي

كنيسة الشهيد مار جرجس إسبورتنج

اســـم الكـــتـــاب : القديس كيرلس الأورشليمي.
المؤلـــــــــــف : القمص تادرس يعقوب ملطي .
الطـــــــبعـــة : الثانية
الناشـــــــــــر : كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس - سبورتنج - الإسكندرية .
المطــــــبعـــة : مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبي بمريوط .
رقـــم الإيـــداع : ٢١٨٥١/ ٢٠٠٥
الترقـيم الدولـي : I.S.B.N. : 977 - 392 - 028 - 3



صاحب الغبطة والقداسة

البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

القديس كيرلس والكنيسة الأولى

ترسم لنا حياة القديس كيرلس رئيس أساقفة أورشليم ومقالاته صورة حيَّة ناطقة للكنيسة في القرن الرابع، خاصة الكنيسة الشرقية.

١. فبالرغم من قلة ما سجّله لنا المؤرخين الأولون عن حياته لكننا خلال ما وصل إلينا من حياته ومقالاته نستطيع أن نستشف بسهولة **واقعية الكنيسة الأولى كما هي**، دون أن تمتد إليها يد لإظهارها في غير ما هي عليه.

حقًا إن محبة الكثيرين للكنيسة الأولى دفعتهم لاشعوريًا بكل أسف أن يحاولوا إبرازها كما هي مرسومة في مخيلاتهم، كنيسة ذات قيادات معصومة من الخطأ، أتعابها كلها من الخارج. وهم بهذا يشوّهون الكنيسة بغير ما يدرون، لأنهم يؤلّهون القديسين والمجاهدين ويصورونهم في غير واقعهم.

وإنني أجد نفسي لست أهلاً لأنحني مطوبًا آبائي القديسين الأولين في الكنيسة الأولى، فإن سيرتهم حلوة وعذبة، تستريح لها النفس وتشتم من خلالها رائحة المسيح الذكيّة. لكن يجدر بنا ألاّ نؤلّههم ولا نعصمهم من الضعف والخطأ، بل نحبهم ونكرمهم ونقتدي بجهادهم ونصادقهم ونطلب صلواتهم عنّا!

إن الكنيسة الأولى أيها العزيز، كما ستلمس بنفسك، كنيسة قويّة خيِّة عاملة عمل عريسها ربنا يسوع الكرازي، تجتذب يهودًا ووثنيين كل يوم إلى الإيمان، دون أن تُحرم من آلام وأتعاب من الخارج وفي الداخل، مملوءة قديسين، وتسلّل إليها أيضًا أُجراء وذئاب!

٢. كذلك من خلال مقالات هذا القديس المتسمة بالبساطة مع الصراحة والانفتاح للناس تتلمس **المبادئ الأساسية التي تغرسها الكنيسة في نفوس الموعوظين** لتبقي أساسًا لهم في حياتهم كل أيام غربتهم. هذه المبادئ يليق بنا أن ندرسها ونحفظها ونرددها ونعيش بها.

٣. خلالها أيضًا تتكشف **مفاهيم الكنيسة الأولى وفكرها** من جهة التوبة والعماد والجهاد والأصوام والصلوات والكرازة والخدمة، في أسلوب بسيط بلا تفلسف ولا تكلف.

٤. أفاض القديس كثيرًا في **الحديث عن الطقوس** في حيويتها ودلالتها، كما تتذوقها الكنيسة الأولى.

الرب قادر أن يستخدم هذا العمل لمجد اسمه، وبركة لنا لنعيش بروح آبائنا. آمين.

القمص تادرس يعقوب ملطي

الإسكندرية في ١٩٧٠ م

الباب الأول

القديس كيرلس الأورشليمي

أولاً: حياته

١. حياته.
٢. كتاباته.
٣. تعليم طالبي العماد.
٤. طقوس عماد الموعوظين.

١

حياته

نشـــأ القـــديس كيـــرلس في وقت تغلغلت فيه الأفكار الأريوسية[١] واقتنصت بعض الأساقفة الذين انحرفوا عن رسالة الكنيسة والإيمان المستقيم.

فـــي وســـط هـــذا الجـــو العاصف وُلد كيرلس من أبوين تقيين مستقيمي الإيمان[٢] فأرضعاه إيّاه. ويمكننا أن نلتمس ذلك من مقالاته حيث يتحدث عن شعوره بالدين تجاه والديه وشوقه إلى رد الجميل لهما[٣].

هذا وإننا لا نجد في مقالاته التي اتسمت بالصراحة أي تلميح من بعيدٍ أو قريبٍ أنه كان يومًا ما هرطوقيًا أو وثنيًا.

أمـــا عـــن عائلته، فلا نعرف منها أحدًا بالاسم اللهم إلاّ ابن أخته الأنبا جلاسيوس أسقف قيصرية، الذي أشار إليه عند موت أكاسيوس[٤] *Acacius* سنة ٣٦٦م.

---

[١] أريوس هو تلميذ ملاتيوس أسقف أسيوط، أنكر الإيمان وسجد للأوثان فحرمه البابا بطرس خاتم الشهداء.

جـــاء أريـــوس إلـــى البابا نادمًا، مظهرًا كل انسحاق قلب حتى رسمه فيما بعد شماسًا فقسًا. لكنه أنكر لاهوت المسيح فحرمه البابا، وقبيل استشهاده حاول أن ينال حلاً منه لكن البابا رأى رؤيا تمنعه من ذلك فاستشهد البابا وهو غاضب عليه.

بعد استشهاد البابا بطرس أظهر ندمًا أمام خلفه البابا أرشلاوس، فقبله كاهنًا على إحدى كنائس الإسكندرية، وبعد انتقال البابا رشح نفسه للبطريركية، فرفضه الشعب وأقاموا البابا الكسندروس.

بـــدأ أريـــوس بـــبث سمومه، فانعقد مجمع مسكوني من ٣١٨ أسقفًا سنة ٣٢٥م حرمه هو وأتباعه، وقد تلألأت غيرة أثناسيوس في هذا المجمع حتى أعجب الكل منه، وصار بطريركًا بعد الكسندروس.

حـــاول أريـــوس استمالته فلم يقبله. التجأ إلى الإمبراطور ليتوسط له لدى بطريرك القسطنطينية ليقبله في الخدمة كاتبًا بخط يده أنه يؤمن بلاهوت المسيح.

لـــم يستطع البطريرك أن يرفضه بعدما اعترف بالإيمان المستقيم كتابة، فطلب مهلة لمدة أسبوع صلى فيها مع كهنته وشـــعبه لكي ينقذ الله كنيسته من خداعات أريوس. وفي يوم الأحد دخل أريوس وأتباعه إلى الكنيسة بعدما أشاعوا الخبر في كـــل القســـطنطينية. دخـــل البطريرك حزينًا، لكن أريوس شعر بمغصٍ حادٍ، فدخل إلى المرحاض، وهناك اندلقت أحشاؤه وصار في خزيٍ عظيمٍ.

[٢] السنكسار اليوناني.

[٣] مقال ٧.

[٤] ذكـــره القديس جيروم في كتابه: "حياة مشاهير الرجال، فصل ٩٨" أنه كان فاقدًا أحد عينيه، كتب ١٧ مجلدًا عن الجامعة Ecclesiastes، ٦ مجلدات في الإجابة عن أسئلة متنوعة، وله عدة مقالات في مواضيع مختلفة.

ويرجح البعض[1] أنه ولد في أورشليم أو على الأقل نشأ فيها وهو طفل، معلّلين ذلك بسببين:

١. عادة لا يُرسم رئيس أساقفة على أورشليم إلاّ من كان قد نشأ فيها وعرفه شعبها معرفة قويه منذ نشأة حياته.

٢. ما أورده بالتفصيل في مقالاته أنه رأى عيانًا الأماكن المقدسة في أورشليم قبل أن تمتد إليها يد الإمبراطور البار قسطنطين والملكة البارة هيلانة سنة ٣٢٦م لإصلاحها وتزيينها، وهذا يعني أنه رآها وهو أقل من ١٠ أو ١٢ سنة.

كيرلس الراهب

جاء في التقليد أنه راهب ناسك، وربما اعتمد في ذلك على ما ورد في مقالاته من عبارات ينسب فيها نفسه إلى فئة المتوحدين. إلا أننا نعلم أن كثيرين لم تتح لهم فرصة الانطلاق إلى البرية أو التمتع بالشركة في دير، فعاشوا في حياة التوحد داخل المدن في بيوت منعزلة، هكذا التهب قلب كيرلس بالحب الإلهي، فعشق الخلوة مع الله، وكرس كل وقته للعبادة والدراسة.

لم يكن يخرج من منزله إلاّ للاشتراك مع المؤمنين في الصلاة مكرسًا نهاره وليله للخلوة مع سيده، حتى قال مختبرًا: [**هل يوجد أنفع من الليل ليصير الإنسان حكيمًا؟!**] فقد اختبر حياة السهر والجهاد في الصلاة مع القراءة والتأمل ليتعلم الحكمة السمائية[2].

كيرلس الكاهن

جاء عرضًا في إحدى ملاحظات **القديس إيرونيموس (جيروم)** أن الأنبا مكاريوس أسقف أورشليم رسمه شماسًا. وغالبًا ما يكون هذا في أواخر حياته على الأرض إذ تنيح حوالي آخر سنة ٣٣٤م، أو على الأكثر بداية سنة ٣٣٥م[3].

---

[1] *Cf. N. & P. N. Fathers Series 2. vol 7.*

[2] القديس كيرلس الأورشليمي، موريس فيرسل، ترجمة القمص سمعان.

[3] ذكر سوزومين في كتابه "التاريخ الكنسي" ٢ : ٢٥ أنه في مجمع صور *Tyre* المنعقد سنة ٣٣٥ كان الأنبا مكسيموس حاضرًا فيه خلفًا للأنبا مكاريوس الأورشليمي.

بعد نياحة الأنبا مكاريوس خلفه الأنبا مكسيموس المعترف[1] أسقفًا على أورشليم، وقد أحب كيرلس جدًا ووثق فيه، فرسمه كاهنًا سنة ٣٤٣م، وأوكل إليه تعليم الموعوظين، وكان ذلك حوالي سنة ٣٤٧م أو ٣٤٨م، والتي تكاد أن تكون كل ما وصل إلينا من مؤلفاته.

كيرلس رئيس أساقفة أورشليم

في أواخر عام ٣٥٠م سيم أسقفًا على أورشليم، وكان ذلك بمساعدة أكاسيوس أسقف قيصرية بفلسطين وبتروفليس اللذين كانت لهما ميول أريوسية ويبغضان الأنبا مكسيموس[2].

إننا لا نعرف ما هو الدافع الذي بعثهما إلى ذلك، إذا كانت رسامته غير واضحة.

وقد بدأ عهده بحادث مفرح، وذلك أنه في ٧ مايو سنة ٣٥١م حوالي التاسعة صباحًا في يوم صحو مشمس، **ظهر صليب منير في السماء** أكثر لمعانًا من الشمس، تعلق فوق جبل الجلجثة، وامتد إلى جبل الزيتون، وبقي ساعات طويلة حتى رآه جميع سكان أورشليم: المواطنون والغرباء، المسيحيون واليهود والوثنيون، الشيوخ والصغار، فتدفق الكل نحو الكنيسة وكانوا يسبحون الله ويمجدونه، إذ تأكد لكثيرين صحة الديانة المسيحية.

ارتجت المدينة كلها لهذا المنظر، وبادر الأنبا كيرلس بكتابة رسالة إلى الإمبراطور يصف له ما حدث. ويُشتم من رسالته أن هذا الأمر كان في بدء أسقفيته.

رعايته

نستطيع أن نلتمس مدى ما اتسمت به شخصية الراعي كيرلس مما ذكره عنه المؤرخ سوزومين[3] Sozomen. إذ حدثت مجاعة في أورشليم والبلاد المجاورة لها، وقد تكدس الفقراء في البطريركية يتضورون جوعًا، رافعين أنظارهم إلى أسقفهم المملوء حبًا. وإذ كان الراعي يعيش في حياة نسكيّة تقشفيّة لا يملك في بطريركيته شيئًا، لم يجد مفرًا من أن يبيع بعض أواني الكنيسة ويوزعها على أولاده الفقراء.

قد يبدو هذا التصرف غريبًا، لكن أمام الحب المتقد في قلب الأب لم يجد سبيلاً آخر غير هذا.

---

[1] اشتهر بغيرته الدينية لذلك أُرسل للعمل في المناجم في أيام اضطهادات الإمبراطور مكسيميانوس، وقد فقد عينيه اليمنى وبُترت ذراعه اليمنى (راجع ثيودورت: التاريخ الكنسي ٢ : ٢٢).

[2] *Socrates: Ecclesiastical History 38.*

[3] *Sozomen: Ecclesiastical History.*

وإنـــنا نجد القديس يوحنا الذهبي الفم يطلب الاهتمام بالفقراء قبل الاهتمام بشراء أوانٍ ثمينة لبيت الرب، إذ يقول[1]: [أتريد أن تكرم جسد يسوع؟! لا تتغافل عنه وهو عريان! فلا تكرمه هنا في الكنيسة بثياب ديباج وفي الخارج تضرب عنه صفحًا وهو يموت من البرد والعري.

إنه غير محتاج إلى كأس ذهبية بل إلى نفس نقية!]

كيرلس والآلام

وقـــع صدام بين كيرلس وأكاسيوس ربما كان سبب رغبة الثاني في خضوع الأول له في آرائه الأريوسية، الأمر الذي جعل كيرلس يقوم بمقاومته علنًا، مفندًا الآراء الأريوسية ومنددًا بها.

ولمـــا كـــان قســـطنس يحتضن الأريوسيين، أسرع أكاسيوس بعقد مجمع اتهم فيه كيـــرلس أنه مبدد لأموال الكنيسة. ولكي يقويّ مركزه أسند الاتهام باتهام لاهوتي مدعيًا أن كيرلس يخلط بين الأقانيم الثلاثة، وبهذا صدر الحكم بتجريده من أسقفيته ونفيه.

لم يبالِ كيرلس بهذا، بل قام من جانبه بعقد مجمع يبرئه من الاتهامات الموجهة ضده.

لكـــن أكاســـيوس المتقرب من الإمبراطور جاء ومعه شرذمة من الجنود، وطردوا كيرلس، وأقام أسقفًا أريوسيًا عوضًا عنه.

نُفي كيرلس إلى أنطاكية، وبعد ذلك إلى طرسوس، فقبله أسقفها سلفانوس كزميلٍ له يشـــاركه أعمـــال أســـقفيته. لكن للأسف كان هذا الأسقف من أتباع الهومائيين[2] الأمر الذي عرض الأنبا كيرلس للنقد.

أسرع أكاسيوس بتحذير سلفانوس ألاّ يشرك كيرلس معه في الخدمة، لكن الثاني لم يبالِ من أجل محبته لكيرلس، ومن ناحية أخرى كان الشعب قد أُعجب بالأسقف الجديد وتعلق به[3].

وفـــي عـــام ٣٥٩م انعقد بسبب أودكسيوس مجمع في سلوكية بـــ *Isauria* غرب أرمينيا. وإذ أثير موضوع نفي الأنبا كيرلس فحدث شقاق حاول البعض إقناعه بالانسحاب[4]،

---

[1] الحب الأخوي طبعه ١٩٦٤ ص ١٧١، ١٧٣.

[2] "الهومائيون" نسبة إلى كلمة "هوميوس" اليونانية، ومعناها "شبيه"، إذ هم يقولون إن الابن شبيه بالآب.

[3] *Theodoret: Eccles. Hist 2 : 22.*

[4] *Ibid 2: 23.*

لكن بفضل الهومائيين بقي وانسحب أكاسيوس. وبانسحابه استطاع هو وأتباعه من الالتقاء بعظماء القسطنطينية المتصلين بالقصر الإمبراطوري، وعن طريقهم توصلوا إلى الإمبراطور حيث أثاروا غضبه ضد مجمع سلوكية، مقدّمين شكوى أكاسيوس ضد كيرلس التي تتلخص في اتهامه أنه باع لإحدى الراقصات الثوب المقدس الذي أهداه قسطنطين إلى الأنبا مكاريوس الأورشليمي تكريمًا لكنيسة أورشليم، لكي ما يلبسه أثناء خدمته طقس العماد المقدس، وهو منسوج بالذهب، وقد اُستخدم في المسارح.

هذا الاتهام كان بمثابة عينة قُدمت للإمبراطور لإثارته ضد كل أعضاء المجمع.

وقد قام رجال البلاط بإقناع الإمبراطور إلاّ يستدعي المجمع كله، بل يكتفي بعشرة من قادته منهم: أوسطاسيوس[1] الأرمني وباسيليوس الغلاطي وسلفانوس الطرسوسي وايليسوس من *Cyzicus*.

نفيه الثاني

مع بداية عام ٣٦٠م انعقد مجمع في القسطنطينية اُتهم فيه كيرلس ودين بسبب مشاركته لأوسطاسيوس الأرمنّي وباسيليوس من أنقرا[2] وجورج من لاودكية[3]. هؤلاء الثلاثة

---

[1] أسطاسيوس أسقف سبسطية في أرمينيا:

اتسم هذا الأب بحياة مقدسة كانت موضع إعجاب وتقدير حتى أعدائه.وقد ألتقي به القديس باسيليوس الكبير، وقامت بينهما صداقة عريقة. ومدحه جدًا بسبب اهتمامه بحياته وتدابير سلوكه (رسائل باسيليوس، ٢٤٤). لكن للأسف لم يكن مستقرًا على مبدأ، يتأرجح من تعليم إلى آخر، ويتقبل مبادئ متضاربة. تقبل هرطقات كثيرة منها ما ذكره عنه المؤرخ سقراط (في ٤٣) وهي:

أ. **تحريم الزواج**، فقد أثار كثيرين على ترك زوجاتهم، ومنع الصلاة في بيوت المتزوجين، ونادى بمقت الكاهن الذي يبقى مع زوجته الشرعية التي تزوجها وهو علماني. وبسبب هذا انعقد مجمع جنجرا في *Paplogania* جاء فيه أن من يمتنع عن الشركة في الخدمة بسبب اشتراك كاهن متزوج فيها يكون محرومًا (٤٨٠).

ب. **الامتناع عن اللحوم** ليس نسكًا بل كشيء دنس.

ج. تشجيع بعض **غير الراغبين في الاجتماع بالكنيسة** أن يجتمعوا في المنازل.

د. تحت دفاع الشفقة **حرض بعض الخدام على سادتهم.**

و. سمح **بالاستهانة بالأصوام المفروضة**، وأباح الصوم الانقطاعي أيام الآحاد.

[2] **باسيليوس من أنقرا**: على درجة كبيرة من الأخلاق والعلم والذكاء. مقاوم للهومائية والأريوسية والأنومانية *Anomoean*.

[3] **جورج من لاودكية**: خليع، على درجة منحطة للغاية في الأخلاق، أريوسي المذهب. جرده البابا الكسندروس من الكهنوت، ولقبه البابا أثناسيوس "أشر كل الأريوسيين" كان ينتهره حتى أتباعه بسبب بشاعة شره، يبغضه أكاسيوس وأودكسيوس ليس غيرة على الحق، بل لدوافع شخصية.

ليسوا على مبدأ واحد، ولا هم متفقين في شيء، بل منهم من هو أريوسي المذهب كأكاسيوس لكنه كان يبغضهم لدوافع شخصية، خاصة بعدما قبلوا كيرلس عدوه.

هـذا وقـد شـهد الـتاريخ الكنسي الأول للقديس كيرلس أنه بالرغم من اختلاطه بهـؤلاء الأسـاقفة وغيـرهم، إلاّ أنـه لـم ينحرف قط عن مبادئه ولا في سلوكه، بل بقي أرثوذكسـي العقـيدة والمسلك. وهذا ما أكده أيضًا مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م في إحدى محاضره.

نعود لنؤكد أن أكاسيوس لم يستطيع أن يثبت عليه أي اتهام، ولم يكن غايته العقيدة الإيمانية، بل كان كل همه الانتقام منه.

انتهـى المجمع بالحكم على الأنبا كيرلس **بالنفي للمرة الثانية**، وإن كنا لا نعلم عن مكان نفيه شيئًا.

كيرلس في عهد يوليانوس

لـم يـبقَ كيرلس في النفي أكثر من سنتين، إذ في ٣ نوفمبر من سنة ٣٦١م مات قنسـطنس *Constantius* وهو يستعد لمحاربة ابن عمه يوليانوس، الذي بعدما تولى الحكم أصـدر أمرًا بعودة جميع الأساقفة المنفيين إلى كراسيهم. ويقول المؤرخ سوزومين[1] إنه لم يكن الدافع هو الإشفاق عليهم ولا حبًا فيهم، لكنه كان يلذ له أن يري الكنيسة منقسمة متنازعة في داخلها.

عاد كيرلس إلى إيبارشيته مارًا على أنطاكية حيث استقبله أسقفها القديس ميليتوس استقبالاً حارًا.

وفي سنة ٣٦٣م قرّب يوليانوس الجاحد جماعة اليهود إليه. لا محبة فيهم بل إثارة للمسـيحيين ولإغاظـتهم. يذكر لنا المؤرخون أنه أمد اليهود بالمال، وساعدهم مشجعًا إياهم علـى بـناء الهيكل تكذيبًا لقول السيد المسيح بخصوص خراب الهيكل. وفعلاً أُعدت جميع أدوات البـناء، وتهيأ العمال للعمل، وكان القديس كيرلس يُطمئن نفوس شعبه أن كلمات ربنا يسوع لن تسقط.

---

[1] *Sozomen: E. H. 5: 5.*

ذكر لنا سقراط ثلاث معجزات حدثت في ذلك الوقت[1].

أ. حدثت بالليل زلزلة عنيفة جدًا أرعبت العمال اليهود.

ب. جاءت نار، أحرقت مواد البناء استمرت من الصباح حتى المساء.

ج. فـــي اللـــيلة التالية ظهرت انطباعات لصلبان منيرة على ثيابهم، باطلاً حاولوا التخلص منها. ومع هذا كله، فقلوبهم الغبية المظلمة لم تقدر أن تؤمن!

وفـــي أيـــام يولـــيانوس الجاحد أيضًا، يذكر لنا المؤرخ ثيؤدورت قصة ابن كاهن وثنـــي مـــن المقـــربين إلـــى البلاط، أخبره الابن بها بنفسه[2]، ملخصها أنه وهو صبي تعلم علـــى يـــدي شمّاســـة صـــديقة حميمة لأمه. آمن بالمسيحية علي يديها، ولما اكتشف أمره هـــرّبته إلـــى الأنـــبا ميليتوس. وإذ بحث عنه والده ووجده جلده كثيرًا وحرق يديه ورجليه وظهـــره بمســـامير محمـــاة، ثـــم حبســـه في حجرة النوم وذهب إلى معبده... فتمكن الابن مـــن الهـــروب والالـــتجاء إلـــى الشمّاســـة التي ألبسته ثوب فتاة وأخذته في عربة مغطاة وأعادتـــه إلـــى القـــديس ميليـــتوس، وهـــو بـــدوره أســـلمه إلـــى القـــديس كيرلس أسقف أورشليم.

وبعد موت يوليانوس قاد الابن أباه طريق الحق.

أما يوليانوس ففي ٢٦ يونيو من ذات العام (٣٦٣) الذي حاول فيه بناء هيكل اليهود قُتل في حربه ضد الفرس وهو يقول: "غلبتني أيها الجليلي!"

نفيه الثالث

بعـــد يولـــيانوس خلفه جوفنيان صاحب الإيمان المستقيم، الذي في عهده استراحت الكنيسة. لكنه لم يبقَ سوى ٧ شهور، إذ مات في فبراير ٣٦٤م، وخلفه فالنتنيان الأرثوذكسي المبدأ في شهر مارس. وقد سلم الولايات الشرقية إلى أخيه فالنز معضّد الأريوسية.

مضي العامان الأولان دون أن نسمع شيئًا عن الأنبا كيرلس، وفي عام ٣٦٦م مات أكاســـيوس، وعلي أثر ذلك قام خلاف بين كيرلس والأريوسيين بخصوص ترشيح خلف له وانتهى الأمر بنفي كيرلس وذلك بمعاونه الإمبراطور الأريوسي.

---

[1] *Socrates: E. H. 3: 10; Rufinius 1: 37.*

[2] *Theodoret: E. H.*

بقـــي كيـــرلس منفـــيًا أحـــد عشر عامًا حيث عاد إلى كرسيه ليرى كنيسته متألمة مجروحة من الأريوسيين وأتباع أبوليناريوس[1].

ويمكننا أن نتلمس مدى ما وصلت إليه الكنيسة في ذلك الوقت من التقرير المحزن الـــذي قدمـــه **القـــديس غريغوريوس النيسي** (٣٣٥-٣٩٤م) بناء على طلب مجمع أنطاكية المنعقد سنة ٣٧٨م لافتقاد كنائس فلسطين والعربية.

علـــى أي الأحوال عاد الراعي إلى رعيته يتفقدها ويهتم بشئونها. وقد اشترك في مجمع القسطنطينية[2] المنعقد سنة ٣٨١م بناء على أمر الإمبراطور ثيؤدوسيوس.

وفـــي عـــام ٣٨٨م تنـــيح القديس كيرلس بعدما قضى ٣٨ عامًا أسقفًا على كرسي أورشليم.

---

[1] **أبوليـــناريوس المبتدع**: درس الفلسفة الأفلاطونية، وسيم أسقفًا على اللاذقية بالشام، وقد دفعته فلسفته إلى الاعتقاد بوجود نفسين في الإنسان نفس حيوانية وأخري عاقلة.

وأن لاهوت المسيح قام مقام الروح الإنسانية، وأن الآلام وقعت عليها أي علي اللاهوت.

وأنه يوجد تمييز بين الثالوث: الروح القدس عظيم، والابن أعظم، والأب الأعظم.

وقد عقد البابا أثناسيوس مجمعًا محليًا سنه ٣٦٢م بالإسكندرية رد فيه على بدعته مظهرًا بطلانها.

هـــذا وقد قام المبتدع ببث كل سمومه في كتاب احتفظ به لدى إحدى النساء في أنطاكية، فقام القديس أفرام السرياني باستعارته ثم رده بعدما لصق كل أوراقه ببعضها البعض، ولما حاول المبتدع استخدامه للجدال ووجده هكذا لم يستطع أن يجادل فتأثر جدًا ومات مغتاظًا.

[2] **مجمـــع القســـطنطينية**: انعقد في عهد الإمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير، وقد حضره ١٥٠ أسقفًا من بينهم البابا تيموثاوس الســـكندري، وميلاتيوس أسقف أنطاكية، وغريغوريوس النزينزي... قام للرد علي مكدونيوس الأريوسي المذهب الذي أنكر لاهوت الروح القدس، وأوسابيوس مجدد بدعة سابيليوس منكر وجود الثلاثة أقانيم، وأبوليناريوس السابق ذكره.

وقد أكمل هذا المجمع قانون الإيمان، خاصًا بالروح القدس فبعد عبارة (نؤمن بالروح القدس) أضاف (الرب المحيي المنبثق من الآب...).

٢
كتاباته[١]

أهم أعماله

١. مقالاته لطالبي العماد

سجلها الأب كيرلس وهو بعد كاهن عندما أنابه الأنبا مكسيموس المعترف لتعليمهم سـنة ٣٤٧ أو ٣٤٨م. وتُعتبر هذه المقالات فريدة في نوعها، إذ هي مجموعة كاملة للتعاليم التي تقدمها الكنيسة الأولى للموعوظين طالبي العماد. يعلق Quasten على هذه المقالات، قـائلاً: "**ألقى أغلبها في كنيسة القبر المقدس، وهي إحدى أعظم الكنوز المسيحية القديمة الثميـنة. توجد ملاحظة مدونة في كثير من المخطوطات، وهي أنها مختزلة، مما يعني أن لدينا نسخة سجلها أحد المستمعين، وليست نسخة الأسقف**[٢]".

حقًا لقد سجل لنا **القديس يوحنا الذهبي الفم** مقالين إلى طالبي العماد[٣]، وكان غاية اهـتمامه أن يكَـرهم في العادات الوثنية الشريرة التي تأصلت فيهم. كما سجل لنا **القديسان غـريغوريوس النيسي وأغسطينوس**[٤] أحاديث وإرشادات موجهة إلى معلمي الموعوظين لا إلـى الموعوظـين أنفسهم. وقد وصلت إلينا مقالات أخرى موجهة إلى الموعوظين، جاءت كمقالات فردية أو بين مجموعة مقالات أو عظات[٥].

٢. مقالاته عن الأسرار للمعمدين حديثًا

وهي خمس مقالات، تُعتبر تكملة للمقالات السابقة، ولها أهمية خاصة، إذ سجلت لنا الكثيـر من طقوس الكنيسة الخاصة بأسرار المعمودية والميرون والإفخارستيا، ومعانيها في القرن الرابع.

---

[1] *Cf. N & P N Fathers. Series 2. vol 7 ; Johannes Quasten: Patrology, vol. III, p.363 ff. (Spectrum Publishers, 1966)*

[2] *; Johannes Quasten: Patrology, vol. III, p.363.*

[3] *Chrysostom: Instructions to Catechumens.*

[4] *Greg. Nez: The great Catechetical Oration. Augustine: De Catech..*

[٥] من هذه المقالات: (أ) مقال للقديس أغسطينوس عن قانون الإيمان ترجم ولم يطبع بعد.

(ب) أربـع عظـات عـن الصلاة الربانية موجهة للمستعدين للعماد، وقد سبق لي ترجمتها وطبعت بالاستنسل: "عظات على فصول منتخبة من العهد الجديد ٦-٩"، الناشر مدارس أحد العذراء محرم بك. وأعادت طبعها بعد دمجها وتبويبها تحت عنوان "الصلاة الربانية" لأغسطينوس.

٣. رسالة إلى الإمبراطور قنسطنس Constantius بمناسبة الظهور العجيب لصليب ضخم من النور في ٧ مايو ٣٥١ م، نظروه في أورشليم فوق جبل الجلجثة المقدس ويمتد حتى جبل الزيتون المقدس.

لم ينظره شخص أو اثنان، وإنما رأته الجماهير كلها في المدينة بكل وضوح، ليس إلى لحظات، بل إلى عدة ساعات. وكان نوره يغطي على نور الشمس. فجأة اندفعت الجماهير إلى الكنيسة في خوفٍ ممتزج بالفرح، وكانوا يسبحون ربنا يسوع المسيح. (رسالة إلى الإمبراطور قنسطنس، ٤)

٤. عظة على مفلوج بركة بيت صيدا (يو ٥:٥).

In paralyticum iuxta piscinam iacentem

غالبًا ألقاها وهو كاهن، إذ أشار إلى الأسقف التابع له.

٥. مقتطفات من عظات على معجزة تحويل الماء خمرًا، وعلى (يو ١٦: ٢٨).

٦. مقال عن حضور المسيح في الهيكل ومقابلته مع سمعان... وينسبها البعض إلى القديس كيرلس السكندري.

٧. رسائل ومقتطفات وردت في الطبعة البندكتية. لم يقم الدليل بعد على صدق نسبتها إليه.

أرثوذكسية إيمانه

إذ قام أكاكيوس مطران قيصرية بسيامته، وهو أريوسي، اتهمه البعض أنه قدم تنازلات للأريوسية مقابل هذه السيامة.

لم يشر القديس إلى الأريوسية أو الأريوسيين بالاسم، كما أشار إلى بعض الهرطقات والهراطقة، لكنه هاجم أفكار الأريوسيين بكل وضوح، نذكر على سبيل المثال العبارات التالية:

[عندما تسمع "ابن" لا تحسبه أنه مُتبنى، بل ابنًا بالطبيعة، الابن الوحيد، ليس له أخ. من أجل هذا دعي "الوحيد الجنس"، إذ ليس له أخ من جهة شرف اللاهوت ونسبته للآب.

ونحـــن لا ندعـــوه "ابن الله" من عندياتنا، بل الآب دعي المسيح (دون غيره) ابنه وما يدعوه الآباء لأبنائهم هو اسم حق.] مقال ١١: ٢.

[مـــرة أخرى أقول **عند سماعك عن الابن لا تفهم هذا في معنى غير لائق بل هو ابـــن بالحق.** أنه ابن بالطبيعة بلا بداية، لم يأتِ من حالة العبودية إلى التبنّي، أي انتقل إلى حالة أعظم، بل هو ابن أبدي مولود بنسب لا يُفحص ولا يدرك.

وبـــنفس الطـــريقة عند سماعك "**البكر**" لا تفكر في هذا الأمر بمستوى بشري، لأن البكر في البشر له إخوة آخرون.] مقال ١١: ٤.

٣

تعليم الموعوظين وطالبي العماد

تــرفع الكنيسة أنظارها إلى عريسها ربنا يسوع لتراه علي الدوام باسطًا يديه ليضم إليه أحباءه كل بني البشر، تراه لا يكف عن مناداة الجميع ليلتقوا معه مهما كلفه الأمر.

هــذا الموضوع هو سرور عريسها أن يجمع الكل في حضنه، "الأثمة والمتمرّدين، الفجــار والخطــاة، الدنســين والمســتبيحين، قاتلــي الآباء وقاتلي الأمهات، قاتلي الناس، الزناة..."[١]، بعدما يقدسهم ويطهرهم ويهيئهم للحياة السمائية الملائكية.

هكــذا أيضًــا تتقدم الكنيسة، كهنتها وشعبها، رجالها ونساؤها، شيوخها وأطفالها، المتــزوجون والبتولــيون والأرامــل. الكل يتقدم بروح عريسهم القدوس ممارسين عملهم، مقدمين له ثمار دمه المسفوك على عود الصليب، نفوسًا عرفته وآمنت به.

لم تكن الكنيسة الأولى تعرف السلبية في العبادة، بل تتقدم كنورٍ حقيقيٍ أمام اليهود غير المؤمنــين والوثنيين الأشرار، فتشهد لعريسها أمامهم بالحياة المقدسة والسلوك الطيب والقلب المنفتح للخطاة والفم المبارك للمضطهدين والصلاة الدائمة من أجل الكل والحديث عن الحق.

هكــذا يقــول **القديس أغسطينوس**[٢]: [ما بين اضطهادات العالم وتعزيات الله تتقدم الكنيسة في سعيها إلى الأمام.]

وإننــي أترك الحديث عن عمل الكنيسة الكرازي للعودة إليه في مجال آخر[٣] مكتفيًا الآن بالقول أنها لا تألو جهدًا عن أن تشرق تلقائيًا بنور المسيح وسط الظلمة فتبددها؛ وتعلن الحــق فيموت الباطل، وتشهد للرب لتكسبهم أبناء له، فمتى تقبل إنسان هذا التعليم أو اشتاق إليه يُدعى موعوظًا حتى لحظة عماده فيُسمى ابنًا.

ولمــا كانت مقالات الأنبا كيرلس الموجهة إلى طالبي العماد تُعتبر من أهم أعماله، لهــذا رأيــت ضرورة التحدث عن تعليم الموعوظين وطالبي العماد وعن طقوس العماد في الكنيسة الأولى[٤].

---

[١] راجع ١ تي ١: ٩.

[٢] الكنيسة الكارزة لأيريس المصري، أخذًا عن *G. Foster; Why Thy Church P.46.*

٣ راجع كتاب الحب الأخوي، ٤ الحب الجامع أو دور الشعب كنسيًا.

[٤] استعنت بما جاء في مجموعة آباء نيقية مجموعة ٢مجلد ٧.

أولاً: الموعوظون *Catechumens*

الموعـوظ الحقيقـي هـو من يتقبل التعليم المسيحي لا لمجرد الدراسة العلمية أو الفلسفية أو بغرض آخر سوى التعرف علي الحق وتقبله. حقًا إن كثيرين دخلوا بين صفوف الموعوظـين خلسة، منهم من دخل إلى المسيحية معجبًا بها كفلسفة أو من أجل البلاغة، كما أعجـب أغسـطينوس بعظات القديس أمبروسيوس أسقف ميلان، فكان يحضر لا ليعيش في شركة مع الرب بل لمجرد الدراسة الفلسفية. ومنهم من دخل بنيّة شريرة، أو حبًا للاستطلاع، أو بقصـد إرضـاء الغيـر، كأن يريد أحد الوثنيين الزواج بفتاة مسيحية أو تريد فتاة وثنية التزوج بمسيحي[1].

هـؤلاء يلـزم علـى الراعي أن يفرزهم، فلا يحرمهم من الحضور للوعظ **لكن لا يقبلهم في المسيحية ما لم يكن من أجل المسيح المصلوب.**

ليس هناك طريق آخر لقبولنا دخول أحد إلى المسيحية سوى قبوله الإيمان بالمسيح، وشوقه لحمل الصليب، والدخول من الباب الضيق للعبور إلى الأبدية. فالكنيسة لا تُسر بالعدد لأنهـا ليسـت حزبًا منافسًا، ولا تنخدع بالمظهر بل تطلب نفوسًا حيَّة مُحبة تود الاتحاد بالله والتمتع بالميراث الأبدي.

والموعوظـون في الكنيسة كانوا ينقسمون إلى أربع درجات حسب درجة تجاوبهم مع التعاليم وغيرتهم وشوقهم للشركة مع الله.

أما عناصر الموعوظين فثلاث:

١. موعوظون من أصل يهودي: تُقدم لهم دراسات في نبوات العهد القديم وتحقيقها في شخص ربنا يسوع، وتكميل المسيحية للناموس الموسوي.

٢. موعوظـون من أصل وثني: تُقدم لهم دراسات تتناسب مع ثقافتهم ودراساتهم، فـلا عجـب إن رأيـنا معلمين تخصصوا في دراسة الفلسفات الوثنية ليجتذبوا الوثنيين إلى الحق.

٣. موعوظون هم أطفال المسيحيين المؤمنين.

---

[1] راجع المقال الافتتاحي.

وقد عُرف **عماد الأطفال في الكنيسة الأولى**[1] بصورة عامة، تحت مسئولية آبائهم أو أشابينهم وفي عهدتهم[2]، إذ تعرف الكنيسة قيمة نفوسهم، وتدرك أهمية عضويتهم في جسد الرب.

يقول **العلامة أوريجينوس**[3]: [تسلَّمت الكنيسة من الرسل تقليد عماد الأطفال أيضًا. فالأطفال يعمدون لمغفرة الخطايا ليُغسلوا من الوسخ الجدي بسرّ المعمودية.]

وقد زعم **بيلاجيوس** (٣٦٠-٤٣٠م) وأتباعه أن خطيئة آدم أصابته وحده دون أن تسري في أولاده. على هذا يُولد الرضيع بغير الخطية الأصلية، ولا يحتاج إلى عماد لأنه كآدم قبل السقوط.

انبرى له **القديس أغسطينوس** (٣٥٤-٤٣٠م) وغيره من الآباء يؤكدون من الكتاب المقدس كيف أنه حبل بنا بالآثام، وتثقَّلت البشرية كلها بالخطية الجدِّية (رو ٥: ١٢). وبهذا يحتاج الطفل كما الكبير إلى صليب ربنا يسوع والتمتع بعمل قيامته. كما أصدر مجمع قرطاجنة[4] (٤١٨-٤٢٤م) قانونًا يوجب عماد الأطفال ليتطهروا من الخطية الجدية.

---

[1] عرفت الكنيسة الأولى عماد أطفال المؤمنين على مسئولية وتحت رعاية أولادها ويظهر ذلك من أقوال الآباء الأولين نذكر منهم: يقول **القديس إيريناؤس تلميذ بوليكاربوس** تلميذ يوحنا الحبيب، من رجال القرن الثاني [أن يسوع المسيح قد أتى ليخلص الجميع بذاته، أعني جميع الذين ولدوا به ثانية سواء كانوا أطفالاً أو شبابًا أو شيوخًا.] ضد الهرطقات ٢: ٩: ٢٢.

يقول **الشهيد كبريانوس** من رجال القرن الثالث [الأطفال الذين ضميرهم غير متفتح ولم يخطئوا في شيء، والذين نظرًا للخطيئة الجدية الكامنة فيهم تدنسوا بها وصاروا مشاركي الموت الآدمي، يحتاجون هم أيضًا إلى المعمودية لأنها شرط لنوال الخلاص والصفح... فالمعمودية للجميع وخصوصًا للأطفال الصغار.] رسالة ٥٩.

[2] "إشبين" كلمة سريانية الأصل، معناها "حارس أو وصي".

[3] من رجال القرنين الثاني والثالث (١٥٨- ٢٥٤) تفسير رو ٥: ٩، مقال ١٤، مقال ٨.

[4] انعقد في قرطاجنة، وهي الآن خربة، من أطلالها وعلى بعد ١٢ ميلاً بنيت مدينة تونس الحالية. انعقد المجمع في زمن الإمبراطورين هونوريوس وثيؤدوسيوس الصغير، عام ٤١٨/٤١٩ من أكثر من مائتي أسقف، برئاسة أوريليوس وقد حضره القديس أغسطينوس أسقف هيبو، واستمر انعقاده ست سنوات كاملة، حيث اختتم أعماله سنة ٤٢٤م. وأصدر ١٤٠ قانونًا هامًا من بينها القانون ١٢١. "يسر المجمع أن يأمر بأن كل من ينكر أن الأطفال المولودين حديثًا من أرحام أمهاتهم يحتاجون إلى المعمودية، أو يزعم أنهم يعتمدون لمغفرة الخطايا لكنهم لم يرثوا من آدم الخطيئة الأصلية التي تضطرهم لأن يتطهروا منها في جرن الولادة الثانية، مما يترتب عليه أن تصير عبارة "لمغفرة الخطايا" المستخدمة في المعمودية، تستعمل بالنسبة لهؤلاء الأطفال لا بمعنى حقيقي بل بمعنى وهمي، فليكن محرومًا". فإن عبارة الرسول: "بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع" (رو ٥: ١٢) يجب ألا تفهم بفهم آخر إلا كما فهمتها دائمًا الكنيسة الجامعة المنتشرة والممتدة في كل مكان. وبناء على قاعدة الإيمان هذه، فحتى الأطفال الذين لم يستطيعوا بذواتهم أن يرتكبوا أية خطيئة من الخطايا تجعلهم مذنبين بها، يعتمدون حقًا لمغفرة الخطايا، حتى تتطهر فيهم بواسطة الولادة الثانية كل خطيئة ورثوها عن طريق الولادة الأولى. راجع سرّ المعمودية لنيافة أنبا غريغوريوس، كتاب *The Rudder, D Cummings (1957) P. 688*، كتاب الأنوار في الأسرار لجراسيموس مسرة بيروت ١٨٨٨ ص ٤٨، ٤٩.

قد يعترض البعض قائلين: "**لا يدرك الأطفال قيمة نعمة المعمودية، ولا يصونونها**"، فيجيب **القديس غريغوريوس النزينزي**[1] بعد أن وبّخ الذين يحجمون عن التمتع بسرّ العماد بدعوى الحرص والحذر لئلا يسقطوا في الخطية بعد العماد، فيقول لهم: إن هذا الحذر في ذاته يحمل عدم حذر، بل هو خداع شيطاني، به تغلق النفس على ذاتها من أن تتمتع بعمل النعمة الإلهية، والتمتع ببركات المعمودية تحت ستار الخوف والحرص... وأخيرًا يوبّخ المُحجمين عن عماد أطفالهم قائلاً:

[هل لديك طفل؟ لا تسمح للخطية أن تجد لها فرصة فيه!

ليتقدس في طفولته، وليتكرس بالروح منذ نعومة أظافره!

لا تخف على "الختم" بسبب ضعف الطبيعة!

أيتها الأم ضعيفة الروح وقليلة الإيمان! لماذا وعدت حنة أن يكون صموئيل للرب من قبل أن تلده (١ صم ١: ١٠)؟! وبعد ميلاده كرسته له في الحال... ولم تخف قط من الضعف البشري بل وثقت في الله...

سلّمي ابنك للثالوث، فإنه حارس عظيم ونبيل!]

هذا وقد فرضت الكنيسة تأديبًا على الوالدين إذا أجلا عماد طفلهما فمات دون عماد، قانونه الصوم والصلاة والحرمان من شركة الأسرار المقدسة لمدة عام كامل[2].

ومن شدة شوقها واهتمامها بعضوية هؤلاء الأطفال فيها فرضت أيضًا عقوبات مختلفة على الوالدين اللذين يمتنعان عن عماد ابنهما بسبب نذر العماد في مكان معين، أو على يد إنسان معين. ومات طفلهما، إذ حرّمت الكنيسة النذر في أمر المعمودية مطلقًا!

ويرى **بنجهام**[3] أن أطفال المؤمنين إذ ينالون سرّ العماد في الطفولة ينضمون إلى صفوف الموعوظين حالما يستطيعون التعليم. غير أننا نجد في كتابات آباء الكنيسة الأولى، ومنهم القديس كيرلس الأورشليمي – كما سنرى – أن مهمة تعليم أطفال المؤمنين غالبًا ما توكل إلى الآب أو الأم أو شماس أو شماسة.

---

[1] *Greg. Nez : On The Holy Baptism 16 &17.*

[2] سرّ المعمودية لنيافة أنبا غريغوريوس، ص ٥٣.

[3] *Bingham: The Antiquities of Christian Church 10: 154.*

يقول **القديس ديونيسيوس الأريوباغي**[1]: [إن هذا الأمر افتكر فيه معلمونا الإلهيون ورأوه موافقًا أن يُقبل الأطفال على هذا الوجه الشريف، أعني أن يُسلم الوالدان الطبيعيّان ولدهما لمربٍ صالح، وأن يبقى الطفل فيما بعد تحت إدارته، كأنه تحت عناية أبٍ إلهي وكفيلٍ لخلاصٍ مقدسٍ، فمتمم السرّ يرفعه وهو معترف إلى الحياة المقدسة، طالبًا جحد الشيطان والإقرار بالإيمان.]

ويقول **القديس أغسطينوس**: [إننا نؤمن ونصدق بتقوى وصواب أن إيمان الوالدين والأشابين يفيد الأطفال، وعلى هذا الإيمان يُعمدون.]

نعود مرة أخرى إلى الموعوظين لنقول إنهم غالبًا ما يبقون في رعاية الكنيسة لمدة سنتين أو ثلاث سنوات، ينتقلون من فئةٍ إلى أخرى، حتى تطمئن الكنيسة على حسن نيتهم وتمسكهم بالإيمان وقبولهم للصليب، وعندئذ ينتقلون إلى آخر درجة من الموعوظين وهي: "طالبو العماد". هذا الانتقال يختلف من شخص إلى آخر حسب غيرته ودراسته الفردية الخاصة قبلما ينضم إلى صفوف الموعوظين أو أثناءها.

ثانيًا: معلمو الموعوظين

إننا نعلم أن الكنيسة كلها منذ نشأتها كانت منطلقة للكرازة، مدركة قول الرب: "من لا يجمع فهو يفرق". فالكل يشعر بمسئوليته نحو الشهادة للرب، إن لم يكن بالكلام فبالقدوة الحسنة... يعمل أعمال المسيح الحي. وكما يقول **العلامة أوريجينوس**[2]: [إن كل تلميذ للمسيح هو صخرة، وفية تكتمل الكنيسة الجاري بناؤها بيد الله.]

ويحمل **القديس كيرلس الأورشليمي** مسؤولية تعليم الموعوظين الأطفال أو الكبار على الآباء والأشابين، إذ يقول[3]: [إن كان لك ابن حسب الجسد أنصحه بهذا، وإن كنت قد ولدت أحدًا خلال التعليم، فتعهده برعايتك.]

إذن كل مؤمن حقيقي يلتزم أن يكون له نصيب في تعليم موعوظ أو موعوظين، بصورة أو أخرى، فماذا نقول عن الكاهن الذي يدعوه **الذهبي الفم** "أب كل البشرية"؟!

---

[1] تلميذ الرسول بولس: الكهنوت ٧: ١١.

[2] *G. Foster ; Why The Church? p 22.*

[3] مقال ١٥: ١٨.

لقـد سـيم القديس **غريغوريوس العجائبي**[1] أسقفًا على قيصرية الجديدة، وكان بها سبعة عشر مسيحيًا فقط، وحين تنيح بسلام لم يكن بها سوى سبعة عشرة وثنيًا.

على أي الأحوال لم يكن يُحرم كاهن ما من خدمة الموعوظين المنظمة في الكنيسة، بـل يقوم كل منهم بنصيبه فيها. أما المرحلة الأخيرة للتعليم، فغالبًا ما كان يقوم بها الأسقف نفسه، أو كاهن يثق فيه من جهة قدرته التعليمية بالنسبة لهم.

غيـر أن الـتاريخ سجل لنا عن أناس تخصَصوا في تعليم الموعوظين، نذكر منهم علـى سبيل المثال أن البابا ديمتريوس سلّم العلامة أوريجينوس مدرسة الإسكندرية التعليمية وهـو بعـد فـي الثامـنة عشر من عمره[2]. وأيضًا كتب **القديس أغسطينوس** إلى الشماس ديوجرانيس بقرطاجنة الذي اتسم بمهارة عظيمة ونجاحٍ في تعليم الموعوظين.

ثالثًا: مادة الوعظ لهم

١. تُقـدم **دراسات خاصة** بالذين كانوا من أصل يهودي تختلف عمن هم من أصل وثني، فيقدم لكل فئة ما يتناسب مع ثقافاتهم ودراستهم السابقة وأفكارهم.

٢. تُقـدم لهم دراسات تأملية لاهوتية مبسطة لأهم العقائد المسيحية، وقد رتبت هذه الدراسـات بعد مجمع نيقية المسكوني في القرن الرابع، **بصدور قانون الإيمان**، الذي يُعتبر ملخصًا شاملاً، يقدم للموعوظين مع شرحه لكي يحفظوه ويفهموه.

ويظهر اهتمام الكنيسة بتسليم قانون الإيمان أن الأسقف بنفسه هو الذي يقوم بذلك إذ نجد **الأسقف أمبروسيوس** يكتب رسالة إلى أخته مرسيلينا قائلاً[3]: [في اليوم التالي إذ كان يوم الـرب، بعد الدروس والعظة – لما خرج الموعوظون– سلمت لطالبي العماد قانون الإيمان في معمودية الباسليكي.]

ويقـول **الأنـبا يوحـنا** خلـف كيرلس الأورشليمي في رسالته إلى جيروم[4]: [إن العـادة عـندنا أن نسـلم تعلـيم الـثالوث القدوس بصورة عامة خلال الأربعين يومًا للذين سيتعمدون.]

[1] مـن رجال القرن الثالث عرف المسيحية على يدي أوريجينوس (موجز تاريخ المسيحية ليسطس الدويرى - الأنبا ديسقورس - ص ١٤٢، ١٤٣، الكنيسة الكارزة لإيريس المصري، ص ١١).

[2] يوسابيوس: التاريخ الكنسي ٦: ٣.

[3] أمبروسيوس: رسالة ٢٠.

[4] *Hieron Ep. 61.*

كـذلك يفتتح **القـديس أغسطينوس**[1] مقاله عن "قانون الإيمان" لطالبي العماد قائلاً: [اسـتلموا يا أولادي دستور الإيمان الذي يُدعى قانون الإيمان، وإذ تتقبلونه اكتبوه في قلوبكم وردِّدوه يوميًا قبل النوم وقبل الخروج، سلِّحوا أنفسكم بقانون إيمانكم. قانون لا يكتبه الإنسان لكي يقرأه، بل كي يردده، حتى لا ينسى ما تسلمه بعناية. سجلوه في ذاكرتم...]

٣. بعـد قانـون الإيمـان يقومـون بشـرح **الصلاة الربانية**، وكما يقول **القديس أغسطينوس**[2]: [بعدما نعرف من نؤمن به نصلي إليه. إذ كيف نصلي لمن لا نعرفه ولا نؤمن به؟!]

٤. فـي الفتـرة الأخيـرة يقوم المعلمون بتحفيظهم بعض التلاوات، أي صلوات قصيرة.

٥. وفـي الأيـام القليلة قبل العماد أو بعده مباشرة تقدم لهم مائدة دسمة عن **شرح تـرتيب العمـاد ومفاهـيمه**، وسرّ المسحة وفاعليتها، وسر التناول وبركاته... الأمور التي لا تجيز الكنيسة الحديث عنها مع المبتدئين.

وأخيرًا يمكننا تقسيم جميع التعاليم السابقة إلى قسمين رئيسيين هما:

١. دراسات بسيطة تقدم المبادئ الأولية للإيمان المسيحي.

٢. دراسات أعمق تقدم شرحًا لأسرار الكنيسة.

يظهر هذا التقسيم بوضوح في مقالات القديس كيرلس، كما تظهر أيضًا في "تعاليم الاثنـى عشر رسولاً"[3]، التي ذكرها البابا أثناسيوس الرسولي[4] أنها ليست من الكتب المقدسة لكن الآباء أشادوا بقراءتها للداخلين إلى الإيمان حديثًا.

هذه التعاليم موجهة على وجه الخصوص إلى الذين هم من أصل وثني حتى دعيت "تعاليم الرب للأمميين خلال الاثني عشر"، وهي تنقسم إلى قسمين:

١. الفصول الست الأولى: تحمل تعاليم أولية للأمميين.

٢. بقـية الفصول تشرح ترتيب العماد الصلاة والصوم وخدمة يوم الرب وتقديس سرّ الإفخارستيا...

---

[1] أغسطينوس: قانون الإيمان (تحت الطبع).

[2] أغسطينوس: الصلاة الربانية.

[3] تسمى الديداكية *Didache* أو تعليم الرسل.

[4] *Festal Ep. 39.*

هذا وإننا نختتم حديثنا عن تعليم الموعوظين بالقول: خصصت الكنيسة الجزء الأول مـن القـداس الإلهي للموعوظين، يحمل قراءات ووعظ يحضرها المؤمنون والموعوظون ليتعـرفوا عـلى الحـق. ولكن قبل البدء في قداس المؤمنين يصرخ الشماس[1] مناديًا بخروج الموعوظين، وتغلق الأبواب، ويقوم الشمامسة بحراستها حتى ينتهي القداس الإلهي!

---

[1] *Const. Apost. 8: 1: 5.*

٤

طقوس عماد الموعوظين

عيد القيامة وطقوس العماد

ارتـــبط عيد القيامة في الكنيسة الأولى بطقس العماد. أما الآن ففي كنيستنا القبطية الأرثوذكسية خُصص يوم الأحد السابق لأحد الشعانين للعماد، ويدعى "أحد التناصير".

ســـرّ ارتباط القيامة بالعماد هو أن عيد قيامة الرب محور حياة الكنيسة ومركزها. قـــيامة الـــرب هي الصخرة التي تتكئ عليها الكنيسة لتعيش مطمئنة وسط دوامة هذا العالم، لا تخـــاف أمـــواجه أو عواصفه أو شروره، تحيا على رجاء القيامة، مرتبطة بعريسها الذي لا يموت، متبررة، متقدسة به.

هذا الرجاء وذلك التبرير والتقديس لا يمكن أن نتمتع به إلاّ خلال المعمودية، التي فـــيها نُدفن مع الرب ونقوم، كقول الرسول: "**أم تجهلـــون أننا كل من اعتمد ليسوع اعتمدنا لموته، فدُفنا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أُقيم المسيح بمجد الآب هكذا نسلك أيضًا في جدة الحياة**" (رو ٦: ٢-٦).

خـــلال المعمـــودية نجتاز مع ربنا يسوع آلامه وموته ودفنه، ونختبر عمل قيامته وأمجادهـــا وقـــوتها في أعماق حياتنا الداخلية. "عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية، كي لا نعود نستعبد للخطية" (رو ٦: ٦).

مـــن أجـــل هـــذا رتـــبت الكنيسة منذ القرون الأولى أن تقوم بعماد عدد كبير من الموعوظـــين ليلة عيد الفصح أو عيد القيامة، حتى يرفع المعمَّدون أنظارهم إلى قيامة الرب علـــى الـــدوام ويعيشون بقوتها. وفي نفس الوقت ترفع أنظار المؤمنين في ليلة عيد القيامة ليذكروا عمادهم، فيعيشوا كأبناء الله مولودين منه بالروح للتمتع بقيامة الرب في حياتهم.

في عيد القيامة تختلط الأفراح وتمتزج المشاعر، إذ تقوم الكنيسة كلها مرتجة متهلّلة بالمعمَّدين حديثًا بصورة علنية، تبعث في كل إنسانٍ ذكريات عماده، ليعيش سالكًا بما يليق به كإنســـانٍ معمد، وفي نفس الوقت تهتز مشاعرهم لأجل هذه الثمار التي هي عمل الرب القائم من الأموات في الكنيسة خلال أعضائها الكهنة والشعب، السادة والعبيد، الشيوخ والأطفال... إنها ثمرة مبهجة، تفرح الرب القائم من الأموات، والنفوس القائمة به!

ويمكننا تلخيص مراسيم العماد في كلمات قليلة:

أولاً: تقديمهم للعماد

مــع بداية صوم الأربعين المقدسة يختار الموعوظون الذين تطمئن الكنيسة لتقبلهم سرّ العماد، وتتعهدهم خلال الأربعين المقدسة بدراسات خاصة كما سبق أن رأينا. غير أنه لا يقف الإعداد لقبولهم في عضوية الكنيسة عند مجرد الاستماع إلى التعاليم أو حفظ التلاوات، بــل كمــا يقــول **العلامــة ترتليان**[1]: [يجدر بالآتين إلى المعمودية أن ينشغلوا على الدوام بالصلوات والأصوام والمطانيات والأسهار، كل هذا مع الاعتراف بالخطايا السابقة.]

هكــذا لا يليق تسليمهم عطية العماد بهدف آخر سوى خلاص نفوسهم، أي تبرئتها مــن خطاياها وتمتعها بالشركة مع الرب. وهذا لن يكون بالنسبة للكبار بغير التوبة الصادقة والاعتراف بالخطايا والضعفات، مع المثابرة في الصلوات والأصوام والمطانيات والأسهار.

لهذا يخصص **القديس كيرلس** مقالاً كاملاً عن "التوبة عن الأخطاء السابقة" وأخرى عن "فاعلية التوبة في غفران الخطية"[2].

ويحدث **القديس يوحنا الذهبي الفم** طالبي العماد قائلاً[3]:

[لذلك يسبق هذا أن نتوب ونرفض أعمالنا السابقة الشريرة، وهكذا نتقدم للنعمة.

اســمع مــا يقــوله يوحــنا، وما يقوله الرسول لمن اقتربوا للعماد. الواحد يقول: "فاصــنعوا ثمــارًا تلــيق بالتوبة. ولا تبتدئوا تقولون في أنفسكم لنا إبراهيم أبًا" (لو ٣: ٨). والآخر يجيب سائليه: "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح" (أع ٢: ٣٨).

ليته لا يرجع أحد فيمس ما قد تاب عنه! على هذا الأساس أمرنا أن نقول: "أجحدك أيها الشيطان"، كي لا نرتد إليه مرة أخرى.]

ثانيًا: فرز طالبي العماد

فــي يوم أحد الشعانين[4] يُفرز طالبو العماد، وقد وصف **العلامة أوريجينوس**[5] دقة الفحص الذي يليق بالكنيسة أن تقوم به من جهة الموعوظين، سواء قبلوا الإيمان بطريقة أو أخرى، **حتى لا يُعمد إنسان دون التأكد من صدق نيته.**

---

[1] *Tert. On Baptism 20.*

[2] المقال ١، ٢.

[3] *Chrysostom: Instructions to Catechumens.*

[4] القديس كيرلس الأورشليمي لموريس فيرسل.

[5] *Cf. Origin: Against Celsum 3: 51.*

ويشبِّههم **القديس كيرلس** بالمنضمِّين إلى صفوف الجندية[1]، إذ يلزم الاهتمام بفحصهم قبل دخول المعركة، فكأعضاء في جيش المسيح الخلاصي، يحاربون الشيطان.

بعد الفرز من وُجد مستحقًا يحضر قدام الأسقف أو الكاهن وعندئذ:

١. يتلو طالب العماد قانون الإيمان علنًا.

٢. يتقبل علامة الصليب من الأسقف.

٣. يصلي الأسقف عليه.

٤. يضع الأسقف عليه الأيدي.

ويعتبر **القديس أغسطينوس** أن تقبلهم علامة الصليب أشبه بالحبل بهم في أحشاء الكنيسة، إذ يقول لهم[2]: [إنكم لم تولدوا بعد بالعماد المقدس، لكنكم بعلامة الصليب قد حُملتم في أحشاء أُمِّكم الكنيسة.]

كما يقول لهم[3]: [إنهم تباركوا بعلامة الصليب، والصلوات ووضع الأيدي، وأنهم وإن كانوا لم يتمتعوا بعد بجسد المسيح، إلاّ أنهم ينالون شيئًا مقدسًا.]

ولعلّه يقصد بالشيء المقدس الخبز المقدس (القربان) الذي يأكلونه. وإن كان بنجهام يرى أنه ملح مقدس، يستخدم كرمزٍ إلى أن المؤمنين ملح الأرض. وقد اعتمد في ذلك على ما ورد في اعترافات أغسطينوس أنه أكل ملحًا.

ومن عادة الكنيسة الأفريقية في أيام أغسطينوس **أن يُدهن طالبو العماد بزيت مصلى عليه قبل عمادهم**[4]. ولا تزال هذه العادة قائمة إلى يومنا هذا في كنيستنا حيث يدهن الكاهن الموعوظ وهو يقول: "أدهنك يا فلان باسم الآب والابن والروح القدس. زيت عظة لفلان في الكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية".

ثالثًا: حمل المشاعل ولبس الثياب البيضاء

يبقى طالبو العماد طول أسبوع الآلام بغير وعظٍ اللهم إلا الاشتراك مع المؤمنين في التأمل حول آلام الرب يسوع وموته. هكذا يتوقف كل عمل للكنيسة في هذا الأسبوع عند شغل كل الأذهان بالرب المتألم من أجل البشرية!

---

[1] مقال ١ :٣، ٣: ٣، ١٣، ٤: ٣٦، ٢١: ٢٤.

[2] *Augustine:. De Symbole Sermon De Catechumens.*

[3] *Augustine: De Paccotrum meities 2: 42.*

[4] *Cf. N & P N Fathers, Series. 2 Vol 7.*

هكـــذا يصــــير أسبوع الآلام فرصة ثمينة لطالبي العماد أن يتفرغوا عن كل عمل، حتــى الاســتماع للتعالــيم، لكي تنطلق نفوسهم مشتاقة للتمتع مع المسيح في آلامه، وتزداد غيرتهم لحمل الصليب معه.

وفي ليلة عيد القيامة التي يسميها **القــديس أغسطينوس**[1] أم جميع الأمسيات، يسهر طالــبو العمــاد طول الليل حاملين مشاعل أو شموع أو مصابيح في أيديهم، لابسين الثياب البيض، لينالوا أسرار العماد والميرون والإفخارستيا.

يــا لها من ليلة سماوية، تمتلئ الكنيسة بالفرح، وتمتزج تسابيح القيامة مع تسابيح البهجة بقبول النفوس الساقطة وإقامتها لتحيا كعروس مقدسة للرب السماوي!

لقد حق **للقديس كيرلس الأورشليمي** أن يدعو المعمودية "حجال العريس الداخلي". ففـــي هذه الليلة يرتدي المعمَّدون ثياب العرس البيضاء، رمزًا لتطهير الرب إيَّانا، وقبوله لنا في السماء الطاهرة، التي كل من يسكنها يلبس ثيابًا بيضاء.

يشـــير الـــثوب الأبيض إلى انعكاسات اشراقات المجد الإلهي على الإنسان، إذ في تجلِّي السيد المسيح "صارت ثيابه بيضاء كالنور" (مت ١٧: ٢). هذا اللون كما يقول **القديس إكليمنضس السكندري**[2]: [لون الحق الطبيعي، إذ يلبسون الحق ويكون مجدهم.]

وتحمل الثياب البيض علامة الطهارة والنقاوة، كما تحمل سمة الغلبة[3].

أما المشاعل أو الشموع التي يحملها المعمَّدون الجدد، فبسبب كثرتها يختفي الليل وظلامه، ولا يميِّز من بداخل الكنيسة الليل من النهار، بل تكون أشبه بسماءٍ منيرةٍ!

ويصـــف **القــديس غريغوريوس النيسي** هذا المنظر البديع فيقول[4]: [في هذا الليل اللامع يختلط لهب المشاعل بأشعة شمس الصباح، فتخلق نهارًا مستمرًا واحدًا بغير انقسام، لا يفصله وجود ظلام.]

وتشير المشاعل إلى:

١. يقول **القديس كيرلس** إنها تشير إلى نور الإيمان الذي يضيء العقل.

---

[1] القديس كيرلس الأورشليمي لموريس فيرسل.

[2] *Clem Alex: Paedagogus.*

[3] راجع: من تفسير وتأملات الآباء – سفر الرؤيا طبعة ٦٩ ص ٩٩ –١٠٠.

[4] *Greg. Nyssa: Oration on Resurrection.*

٢. نـــور المعـــرفة الإلهية، هذه المعرفة التي يقول عنها **القديس مرقس الناسك**[١]: [إنهـــا تحفـــظ النفس في يقظة العقل، وتشددها حتى تبدد ظلام الجهل الخبيث. هذه المعرفة المنيرة لن تتحقق عمليًا في حياتنا إلاّ بالمعمودية.]

حقًا كما يقول **القديس إكليمنضس السكندري**[٢]: [إن التعليم ينير النفس، إذ يكشف لها الأمور الخفيّة.]

وكمـــا يقـــول **القديس الأورشليمي**[٣] لطالبي العماد: [لقد سبق أن استنارت نفوسكم بكلمة التعليم، فإن كل واحدٍ منكم يكتشف شخصيًا عظمة العطايا التي يمتحنكم إيّاها الله.]

إذن يمكننا أن نقول إن الاستنارة تبدأ بالتدريج بتقبل الإنسان التعليم السليم، بكونه إعـــدادًا ضـــروريًا ونيّة عملية للعماد، ولكن لا تتحقق الاستنارة إلاّ في سرّ العماد، ويبقى الروح المنير فينا يضيء لنا مادمنا نقبل استنارته، ولا نطفئ فاعليته في حياتنا.

فطالبو العماد يُحسبون مستنيرين مجازًا من قبل نيتهم الصادقة لقبول "الاستنارة"، إذ ينتقل الإنسان من مملكة الظلمة – مملكة إبليس – إلى مملكة النور الحقيقي.

لهـــذا متى ذكر في كتابات الآباء كلمة "الاستنارة" ندرك في الحال أنه يتحدث عن المعمودية.

يقـــول **القـــديس غـــريغوريوس النزينـــزي**[٤]: [الاستنارة وهي المعمودية... هي معينة الضـــعفاء... مســـاهمة الـــنور... انتفاض الظلمة. الاستنارة مركب يسير تجاه الله، مسايرة المســـيح، أُس الدين، تمام العقل! الاستنارة مفتاح الملكوت، استعادة الحياة!... نحن ندعوها هديـــة، وموهـــبة، ومعمودية، واستنارة، ولباس الخلود، وعدم الفساد، وحميم الميلاد الثاني، وخاتمًا، وكل ما هو كريم...]

ويقول **الشهيد يوستينوس**[٥]: [هذا الاغتسال يُدعى استنارة، لأن الذين يتعلمون هذه الأمور يستنيرون في فهمهم.]

---

[١] الفيلوكاليا ج ١ طبعة ١٩٦٦ ص ٨٨، ٨٩.

[2] *Clem. Alex.: Stromata 5: 2: 15 & 5: 10: 65.*

[٣] مقال ١٨: ٣٢.

[٤] الحب الإلهي طبعة ٦٧ ص ٨٥٥. ٨٥٦.

[٥] يوستينوس: دفاعه الأول ٦١.

ويقــول **القديس إكليمنضس الإسكندري**[1]: [إذ نعتمد نستنير، وإذ نستنير نتبنى، وإذ نتبنى نكمل... ويدعى هذا الفعل بأسماء كثيرة أعني: نعمة واستنارة، وكمالاً، وحميمًا... فهو استنارة، إذ به نرى النور القدوس الخلاصي، أعني أننا به نشخص إلى الله بوضوح.]

٣. إشــارة إلــى مصابيح موكب العرس الأبدي حيث تُزف النفس البشرية عروسًا للمســيح. فخلال المعمودية ننال التبنّي، إذ نتحد به... هذا الاتحاد السري المقدس بين النفس والله يدعى عُرسًا.

لــذلك يحمل المعمَّدون حديثًا مصابيح عرسهم، وذلك كما جاء عن العرس الأبدي، حيث يتم في أكمل صورة. إذ يقول الرب: يشبه ملكوت السماوات عشر عذارى، خمس منهن حكيمات حاملات مصابيح متقدة، مستعدات للدخول مع الخدر السماوي.

هكــذا يقول **القديس غريغوريوس النزينزي**[2]عن هذه المصابيح: [إنها تحمل معنى سري عن عملية الإنارة، حيث تدخل النفوس اللامعة البتول لتقابل العريس بمصابيح الإيمان المتلألئة نورًا.]

رابعًا : جحد الشيطان

عــند جــرن المعمــودية يقف الموعوظ ووجهه إلى الغرب، أو تقف الأم أو الأب أو الإشبين حاملاً على ذراعه الأيسر الطفل، ويعلن جحده لإبليس، ورفضه مملكة الظلمة بجسارة علانية[3].

قــبل أن نُدفن مع المسيح يسوع، النور الحقيقي، يلزمنا أن نعلن جهارًا وبصراحة رفضنا للشيطان وكراهيتنا لأعماله، أي رغبتنا في التحرر من عبوديته.

هــذا الرفض، كما يقول **العلامة ترتليان**[4]: [يتم أولاً في الكنيسة تحت يد الأسقف، ومرة أخرى قبيل الدخول في الماء مباشرة.]

أما مصدر هذا الطقس، فكما يقول **القديس باسيليوس الكبير** هو التقليد، إذ يقول[5]: [إننا نبارك ماء المعمودية وزيت المسحة كما نبارك المعمد نفسه أيضًا.

---

[1] الحب الإلهي ص ٨٥٤ – ٨٥٥.

[2] *Greg Nez. Oration on Baptiosm.*

[3] راجع كيرلس: مقالاته عن الأسرار ١: ٢.

[4] *Tert: The Chaplet 3 & The Shows 4.*

[5] *Basil: The Holy Spirit 27.*

أي وصايا مكتوبة علمتنا أن نفعل هذا؟! أليس من التقليد السري المقدس؟!

وأيضًا الدهن بالزيت، أي كلمة في الإنجيل علمت به؟!

وأين ورد تغطيس الإنسان ثلاث مرات؟

أي كتاب جاء بكل الأمور اللازمة للعماد وجحد الشيطان وملائكته؟! ألم يأتِ إلينا من التعليم السري الذي حافظ عليه آباؤنا في صمت دون أن (يُكتب) كتعليم عام...

إذن لا تبحثوا الأمر بتطفل... لأنه كيف يحق تعميم تعليم الأسرار كتابة، هذه التي لا يُسمح لغير المعمَّدين حتى أن يطلعوا عليها؟!]

خامسًا: الاعتراف بالإيمان

يقول **القديس كيرلس**[1]: [إن طالب العماد يحوّل وجهه من الغرب إلى الشرق مكان النور، معلنًا رفضه مملكة الظلمة وقبوله الانتساب لمملكة النور.

هذا الاعتراف العلني يتم في بعض الكنائس يوم الخميس المبارك حسب قانون ٤٦ لمجمع لادوكية[2]. إلاّ أن قوانين الرسل تطالب بأن يكون ذلك قبل العماد مباشرة. وهذا ما يحدث في كنيستنا إلى يومنا هذا، حيث يوجه الموعوظ وجهه ناحية الشرق، أو يقوم الإشبين بذلك، حاملاً الطفل على يده اليمنى، معلنًا اعترافه بالثالوث القدوس والكنيسة الواحدة.

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**[3]: [إن كان المعمَّدون أطفالاً أو صُمًّا لا يستطيعون استماع التعليم، يجاوب أشابينهم عنهم. وهكذا يُعمَّدون حسب العادة.]

وما يعلنه الموعوظ أو الإشبين من جحد الشيطان والاعتراف بالإيمان هما من ضمن برنامج التلوات *Exorcism* التي يقوم المعلِّمون بتحفيظها لطالبي العماد، كصلوات قصيرة فعّالة، يستخدمها الإنسان كل أيام غربته في محاربته للأفكار والشهوات الخ. وقد تحدث **القديس كيرلس** عن أهميتها[4]. كما تحدث عنها **الذهبي الفم**[5] قائلاً: [بعدما تسمعون

---

[1] الأسرار ١: ٩.

[2] *N. &P. N. Fathers. Seris 2. Vol 7.*

[3] الذهبي الفم: شرح مز ١٤.

[4] المقال الافتتاحي.

[5] *Chrys. Ad Illuminadas 1: 2.*

تعليمنا تخلعون صنادلكم ويعرونكم وتسيرون عراة حفاة الأقدام، مرتدين فقط التنك[1] الذي لكم *Your tunic* لكي تنطلقوا بالتلوات.]

سادسًا: المسح الأول بالزيت

يـــبدو أن كل الخطوات السابقة كانت تمارس في البهو الخارجي للمعمودية، بعدها يعبـــر طالـــب العماد الذي مارس الاعتراف وجحد الشيطان وقبل الشركة مع المسيح، يسير حافـــي القدمـــين عاريًا من كل الملابس ماعدا التنك إشارة إلى خلع الإنسان العتيق وأعماله كقول **القديس كيرلس**[2]: [كما يرى أيضًا أن فيه إقتداء بالسيد المسيح الذي عُلق على الصليب عاريًـــا. وبعريه هذا نتذكر آدم الذي كان في الفردوس عاريًا ولم يخجل. ثم يدهن الشخص بزيت مُصلى عليه من شعر رأسه إلى قدميه[3].]

هـــذا ولـــم يذكـــر **العلامـــة تـــرتليان** شيئًا عن هذه المسحة، لكن ذكرها **الشهيد يوستينوس**[4].

سابعًا: العماد

بعد مسح الشخص بالزيت يُقاد الشخص إلى بركة المعمودية المقدسة المملوءة ماء[5].

وإنـــنا نلاحظ أن جميع المعموديات القديمة معموديات ضخمة. وكثيرًا ما يكون لها سلّمين، ينزل على أحدهما الموعوظون، والثاني يقف عليه الكاهن الذي يتمم مراسيم العماد. وضـــخامة حجم المعموديات جعلت البعض يرى أن الكنيسة الأولى كانت تعمد جماعات معًا في نفس الوقت.

أمـــا عن قداس المعمودية الذي به يتقدس الماء، فإنني أرجو أن يهيئ الله لي مجالاً آخر لشرحه.

---

[1] يطلق التنك على:

أ. رداء كهنوتي ربما "التونية". البيضاء التي يلبسها الكاهن أو الشماس أثناء الخدمة في المذبح.

ب. سترة قصيرة ضيقة كان يرتديها الجنود والشرطة.

ج. رداء إغريقي أو روماني طويل.

[2] الأسرار ٢: ٢.

[3] *Const. Apost. 7: 34.*

[4] *Justin Mart : Responsiones ad Orthodoxos.*

[5] الأسرار ٢: ٤.

لكــن فــي داخل المياه المصلى عليها، المقدسة، يقول **القديس كيرلس**: [إن طالبي العمـــاد يعلــنون مـــا يسمى "بالاعتراف المخلص *The Saving Confession*" وهو يحمل اعتـــرافًا مختصـــرًا جدًا للإيمان المسيحي المستقيم. يُسأل المعمد ثلاث أسئلة: أتؤمن بالآب؟ أتؤمن بالابن؟ أتؤمن بالروح القدس؟ وفي كل مرة يجيب بالإيجاب.]

ويذكـــر **القـــديس كيـــرلس السكندري**[1]، أن الكاهن يسأله ثلاث مرات عن الإيمان بالســـيد المســـيح. أمـــا **العلامة ترتليان**[2] فيقول إن الأسئلة لا تخص إيمانه بالثالوث القدوس فحسب بل والكنيسة أيضًا.

ثامنًا: الغطسات الثلاث

يقـــول **المرحوم حبيب جرجس** في كتابه: "أسرار الكنيسة السبعة"، إنه طبقًا للتسليم الرسولي تمارس الكنيسة سرّ المعمودية بتغطيس المعتمد ثلاث مرات في الماء باسم الثالوث القدوس: الآب والابن، والروح القدس.

ويـــرى **القديس كيرلس الأورشليمي**[3] أن هذه الغطسات الثلاث لا تحمل فقط إشارة إلى الثالوث القدوس، بل وأيضًا هي دفن مع المسيح الذي بقي مدفونًا ثلاثة أيام.

ويقـــول **القـــديس باسيليوس**[4] [بثلاث غطسات ودُعاء مساوٍ لها في العدد يتم سرّ المعمودية العظيم، لكي يتصور رسم الموت، وتستنير نفوس المعمَّدين بتسليم معرفة الله .]

بعـــد الخـــروج من الماء لم يذكر **القديس كيرلس** عما ذكره بنجهام[5] من ممارسة المعمَّدين الجدد قبلة السلام وأكلهم خليطًا من اللبن والعسل.

لقـــد ذكر **ترتليان**[6] عادة أكل اللبن المخلوط بالعسل. ولعل أكلهم اللبن يحمل رمزًا للـــبن النقي غير الفاسد الذي تقدمه الكنيسة لأولادها خلال إيمانها وطقوسها وعباداتها غذاء لنفوســـهم. والعســـل يشـــير إلى وصايا المسيح العذبة في فم أولاده، أحلى من العسل وقطر الشهد.

---

[1] *Bingham: Antiq. 11: 7 & 11*
[2] *Tert.: On Baptism 7.*

[3] الأسرار ٢: ٤.

[4] باسيليوس: الروح القدس ١٥ (راجع الذهبي الفم: إنجيل يوحنا عظة ٢:٢٥؛ أمبروسيوس الأسرار ٢: ٧؛ جيروم ضد لوقيون ٤).

[5] *Bingham: Antiq. 12: 4 & 5 & 6.*
[6] *Tert: The Chaplet 3.*

تاسعًا: المسحة أو التثبيت

ذكر **القديس كيرلس**[1] مقالاً كاملاً بخصوص "المسحة بزيت الميرون" بعد العماد يتم كعمل سري مقدس *Sacremental*، هذا الطقس قديم جدًا في الكنيسة، ويظهر ذلك من أقوال الآباء.

فيقول **الأب ثاوفيلس الأنطاكي**[2] من رجال القرن الثاني (١١٥-١٨١م)، "إننا ندعى مسيحيين لأننا نُدهن بمسحة الله".

وأيضًا **العلامة ترتليان**[3] بعد حديثه عن العماد يقول: [بعد الخروج من الجُرن نُدهن في الحال بمسحة مكرسة.] ويقول: [بعد هذا تُوضع اليد علينا في منح البركة والابتهال، مستدعين الروح القدس.]

كما يقول[4]: [غُسل الجسد لكي تتطهر النفس!

دُهن الجسد لكي تتقدس النفس!

رشم الجسد (بالصليب) لكي تُحفظ النفس!

وُضع اليد عليه لكي تستنير النفس بالروح!]

يقول **الشهيد كبريانوس**[5]: [ينبغي على من اعتمد أن يُمسح أيضًا، لكي يصير بواسطة المسحة ممسوحًا، ويأخذ نعمة المسيح.]

أما عن عمل هذا السرّ في حياتنا وفاعليته فينا، فقد سبق لي شرحه، وقد سبق أن عرضت لبعض أقوال الآباء فيه[6].

وإنما أكتفي هنا بالقول أن هذا الرشم يتم على جميع أعضاء الجسد لكي تصير كل الأعضاء والحواس، وكل طاقات النفس قدس للرب.

بالميرون انتقلنا من ملكيتنا لذواتنا لنصير بكليتنا ملكًا للرب.

وقد شرح **القديس كيرلس** المعنى الرمزي لكل رشم كما سنرى في مقالاته عن الأسرار إن شاء الرب وعشنا.

---

[1] الأسرار ٣: ١.

[2] *Thuf : Ad Antolycum 1*

[3] *Tert: On Baptism 7 & 8.*

[4] *Tert. On resur. Flesh 8.*

[5] كبريانوس رسالة ٧. راجع أقوال الآباء في أسرار الكنيسة السبعة لحبيب جرجس.

[6] الحب الإلهي – الله مقدسي، مقال سر الميرون أو التثبيت.

حقًا لقد اختلفت الكنائس في أماكن الرشم، لكن الجميع اتفق على ضرورتها، خاصة رشم جبهة المعمد بعلامة الصليب. ويسميها **القديس كيرلس** بـ "العلامة الملوكية"، "السمة الملوكية التي تحملها جبهة جنود المسيح"، "ختم التبعية للروح القدس"[1].

عاشرًا: منظر روحي سماوي

بعد إتمام سرَّي العماد والميرون يلبس المعمَّدون الجدد ثيابًا بيضاء، ويحملون المشاعل. في هذه اللحظات تدوي في الكنيسة تسابيح الفرح والتهليل. وكما يقول **القديس كيرلس**[2]: [إن السماء ذاتها تتهلل والملائكة السمائيون يرددون "طوبى للذي غفر إثمه وسترت خطيته".]

وفي طقس الكنيسة إلى اليوم ينشد الشمامسة قائلين للمعمد: "أكسيوس، أكسيوس، أكسيوس"، أي مستحق، مستحق، مستحق. بدم المسيح صار له هذا الاستحقاق أن يدعى ابن الله.

في طقس الكنيسة إلى الآن توجد تسابيح شكر لله من أجل نعمه على بني البشر، كما يلبس المعمَّدون أكاليل، هي رمز لحياة النصرة التي بدأت منذ لحظة العماد، لكنها لا تكمل إلاّ خلال الجهاد ضد إبليس وشروره حتى النفس الأخير، حيث تنطلق النفس إلى الفردوس منتظرة إكليل مجد أبدي في كماله.

ثم يدخل الكل بين صفوف المؤمنين فتمتلئ الكنيسة، ويشترك الكل معًا في التناول من الأسرار المقدسة.

يا لها من فرحة الشعب كله!

يرون كنيسة الله التي لا تشيخ، بل ككرمةٍ مخصبةٍ دائمة الإثمار.

يرونهم لابسين الثياب البيضاء، فيذكر كل منهم ثوبه المقدس الذي تسلّمه يومًا عند عماده، عربونًا للثوب السماوي!

وإذ يتطلعون إلى الشموع، ترتفع أنظارهم إلى النور الحقيقي، ذاكرين أنهم أبناء نور، لا تليق بهم أعمال الظلمة.

يسمعون تسابيح الفرح، فتهتز أصوات الكل: ملائكة السماء، أبناء الفردوس المؤمنون، المعمَّدون حديثًا... بفرح وتسبيح وشكر لله محب البشر!

---

[1] مقال ٤: ١٤، ١٢: ٨، ١٨: ٣٣..

[2] مز ٣٢: ١ - مقال ١.

حادي عشر: أسبوع الثياب البيضاء

بعـد التناول يبقى المعمَّدون الجدد أسبوعًا كاملاً في الكنيسة لا يخلعون فيه ثيابهم البيضاء، أسبوع الفرح بميلادهم الجديد.

وأخيرًا نختتم قولنا بما ذكرته **الراهبة اثيريه الأسبانية**[1] التي جاءت إلى القدس في القرن الرابع [عندما تأتي أيام الفصح ولمدة ثمانية أيام يتوجه المعمَّدون مرتِّلين الأناشيد إلى كنيسة القيامة، وبعد الانتهاء من الطقوس التي بعدها يخرج غير المعمَّدين تُقام صلاة خاصة ويـبارك الأسقف المؤمنين ثم يقف وراء الحاجز الذي يقوم أمام مغارة القيامة ويشرح وهو مستند على هذه المغارة كل ما يُعمل في العماد.

وفـي هذه اللحظة لا يجوز للموعوظين أن يدخلوا كنيسة القيامة، وللمعمدين حديثًا والمؤمنين فقط الذين يريدون سماع العظات عن الأسرار أن يدخلوا وحدهم.

فتغلق الأبواب لكي لا يدخل أحد الموعوظين، بينما الأسقف يشرح كل هذه المسائل، يهتف السامعون له بأصوات قوية بحيث تُسمع في خارج الكنيسة، لأنه يشرح لهم هكذا شرحًا واضحًا وقويًا، حتى أنه لا يستطيع أحد أن يحبس شعوره أمام ما يسمعه!]

---

[1] القديس كيرلس الأورشليمي لموريس فيرسل.

الباب الثاني

القديس كيرلس الأورشليمي

٢

مقالاته لطالبي العماد

مقال افتتاحي

تقديم[1]

هذا المقال الافتتاحي الذي كتبه القديس كيرلس هو بداية الحديث مع طالبي العماد، في اليوم الأول من الأربعاء المقدسة (أربعاء البصخة)، حيث يحدثهم حديثًا مجملاً مختصرًا عن **المعمودية والجهاد**، فيتحدث عن:

أولاً: عدم الدخول في المعمودية بنيّة غير خلاص النفس

أ. فلا يكون بدافع شرير كما فعل سيمون الساحر.

ب. ولا يكون الدافع مجرد حب الاستطلاع ليرى ما يناله المسيحيون.

ج. ولا يكـون الدافـع الـتودد إلـى إنسانٍ، كمن يتعمد لمجرد الزواج من إنسانٍ مسيحي، أو بقصد التودد إلى سيد مسيحي.

ثانيًا: فاعلية النعمة وعملها في حياة المؤمن

ثالثًا: المعمودية كباعثٍ للمثابرة

أ. التلاوات والصلوات.

ب. الجهاد في الحرب الروحية.

ج. مداومة التعليم.

د. مخافة بيت الرب.

---

[1] المترجم.

مقال افتتاحي

البنيان الروحي[1]

١. رائحة المعمودية الذكية[2]

ها هي رائحة السعادة تنبعث منكم يا من تتقبلون الاستنارة!

ها أنتم تستعدون لقطف الأزهار الروحية[3]، لتضفروا منها أكاليل سمائية! إنه يفوح فيكم شذا الروح القدس (نش ٢: ١٢)!

إنكم تجتمعون في بهو قصر الملك[4]، ليت الملك بنفسه يقودكم!

الآن تظهر الأزهار على الأشجار، ليت الثمر يكون كاملاً! إذ صار لكم:

تسجيل أسمائكم (في قوائم طالبي العماد)،

دعوتكم للخدمة (في جيش المسيح)،

حمل مشاعل كوكب العرس،

شوق إلى الوطن السمائي،

نيّة صالحة ورجاء مرافق!...

الله سخي جدًا في هباته، لكنه ينتظر الإرادة الصالحة لكل أحدٍ. لذلك يضيف الرسول قائلاً: "الذين هم مدعون حسب قصده" في قوله الذي لم يكذب فيه "كل الأشياء تعمل معًا للخير للذين يحبون الله" (رو ٨: ٢٨).

إن إخلاص نيّتك يجعلك مدعوًا.

أما إذا كنت ها هنا بجسدك (بين صفوف طالبي العماد) دون ذهنك فلن تنتفع شيئًا.

٢. مثال لمن يعتمد بنيّة شريرة

جاء سيمون الساحر يومًا إلى الجرن (أع ٨: ١٣)، واعتمد دون أن يستنير، فمع أنه غطس بجسده في الماء، لكن قلبه لم يستنر بالروح. لقد نزل بجسده وصعد، أما نفسه فلم تُدفن مع المسيح ولا قامت معه (رو ٦: ٤؛ كو ٢: ١٢).

---

[1] من وضع المترجم.

[2] العناوين الجانبية من وضع المترجم، أما الهوامش فبعضها مترجم عن مجموعة آباء نيقية.

[3] الأزهار الروحية أو العقلية *mental* هي الحقائق الإلهية التي نتنسم فيها عبير الروح القدس.

[4] يقصد به الصالة الخارجية للمعمودية، إذ يقصد بالقصر الإلهي الملكي المعمودية؛ حيث في المعمودية تتحد النفس بالله كعروس الملك عظيم.

هـا أنـا أقدم لكم مثالاً لساقط حتى لا تسقطوا أنتم. فإن ما حدث كان عبرة لأجل تعليم المتقرّبين لهذا اليوم (يوم العماد).

ليـته إذن لا يكـون بينكم من يجرب نعمة الله، لئلا ينبع فيه أصل مرارة ويصنع انزعاجًا! (عب ١٢: ١٥)

ليـته لا يـدخل أحدكم وهو يقول: لأنظر ماذا يعمل المؤمنون! لأدخل وأرى حتى أعرف ماذا يحدث؟! (أي يدخل لمجرد حب الاستطلاع).

أتظن إنك ترى الآخرين وأنت (في نيتك أن) لا ترى؟! أما تعلم أنك وأنت تفحص ما يحدث معهم، يفحص الله قلبك؟!

٣. مثال لإنسان يعتمد لمجرد حب الاستطلاع

جـاء فـي الإنجـيل أن إنسـانًا دخـل مـرة إلى وليمة العرس يستطلعها[١]، وقد ارتـدى ثوبًا غير لائق. دخل وجلس وأكل، إذ سمح له العريس بذلك. كان يليق به لما رأى الكـل لابسـين ثيابًا بيضاء أن يرتدي ثوبًا مثلهم، لكنه اشترك معهم في الطعام دون الهيئة والنيّة.

والعـريس مع سخائه هكذا فهو ليس بعديم الفطنة، إذ بينما كان يسير بين الضيوف ويلاحظهم... رأى إنسانًا غريبًا غير مرتد ثوب العرس، فقال له: "يا صاحب. كيف أتيت إلى هـنا؟ وبأي وجه؟[٢] وبأي ضمير أتيت؟! هل دخلت هكذا لأن الحارس لم يمنعك من الدخول بسبب وجود صاحب الوليمة؟ أم أنك تجهل الزي اللائق بدخولك الوليمة؟! ألم تتعلم هذا مما رأتـه عيـناك حين دخلت ونظرت ثياب الضيوف المتألقة؟! أما كان يليق بك أن ترجع في الـوقت المناسـب لكي تعود وتدخل أيضًا في الوقت المناسب؟! لكن لأنك دخلت بغير لياقة تخـرج". وهكذا أمر عبيده قائلاً: "أوثقوا قدميه اللتين اقتحمتا الموضع بوقاحة. اربطوا يديه اللتـين لم تعرفا كيف تلبسانه الثوب اللامع. اطرحوه في الظلمة الخارجية لأنه غير مستحق لمشاعل العرس".

لقد رأيتم ما حدث مع هذا الرجل، فاسلكوا أنتم في الطريق الآمن.

---

[١] مت ٢٢: ٢ طبق القديس المثل على المعمودية في المقال ٣: ٢.

[٢] الترجمة الحرفية "وبأي لون".

٤. لا تعتمد بنية خاطئة

إننا عبيد نقبل كل من يتقدم إلينا، كبوابين نترك الأبواب مفتوحة.

هل تمكنت من الدخول بنفس ملوثة بالخطايا ونيّة دنسه؟ لقد سُمح لك بذلك، وسُجل اسمك.

أخبرنـــي، هل ترى هيبة اجتماعنا؟! هل ترى نظامه وتدابيره[١]؟! وقراءات الأسفار المقدســـة[٢]، وحضور المكرّسين[٣]، ونظام تعليمنا؟ إذن فلتخزَ في هذا المكان (الذي اقتحمته) وتعلّم مما تراه!

أخـــرج الآن بلـــياقة (أي لا تـــتعجل الدخول في صفوف طالبي العماد وأنت بنيه شريرة)، وادخل غدًا وأنت أكثر استعدادًا.

إن كـــان ثـــوب نفســـك هـــو "الطمـــع"، البس آخر غيره وتعال اخلع ثوبك القديم ولا ترتده.

أرجوك أن تخلع الزنا والنجاسة، وتلبس ثوب النقاوة المتألق.

إنني أوصيك بهذا قبل أن يدخل العريس يسوع ويتطلع إلى ثوبك.

إننـــي اتـــرك لـــك زمانـــا طـــويلاً للتوبة. إنها فرصة كافية لك كي تخلع وتغسل وتلبس وتدخل!

لكنك إن بقيت مقاومًا بنيّة شريرة، فإن المتكلم لا يكون مسئولاً، بل أنت تحرم نفسك من النعمة، إذ تتقبل الماء (ونيّتك شريرة) لا يقبلك الروح[٤].

إن شعر أحد بجرحه فليأخذ المرهم، وإن كان ساقطًا فليقم!

ليته لا يكون بينكم سيمون، ولا رياء، ولا حبًا للاستطلاع مملوء بلادة من جهة هذا الأمر.

---

[١] الكلمـــة اليونانية في معناها العام تعني "المعرفة أو الفهم" لكنها في الكتابات الكنسية تستخدم بمعنى تدبير خدمات الكنيسة بوقار ومهابة.

[٢] مـــنذ القرون الأولى رتبت الكنيسة قراءات معينة متناسبة ومتكاملة معًا كقراءات قداس الموعوظين من بولس وكاثوليكون وإبركسيس وفصل من الإنجيل...

[٣] اللفظ اليوناني يحمل معنى كل فئات كل فئات المكرسين الذين يخدمون في الكنيسة من كهنة وشمامسة وشماسات ورهبان وعذارى وأرامل.

[٤] راجع مقال ١٧: ٣٦.

٥. العماد بقصد التودد للغير[1]

...قد يحدث أن رجلاً يرغب في التودد إلى امرأة، فيأتي بهذا الدافع. ويمكن أن نقول نفس الأمر لامرأة، أو قد يأتي عبد إرضاء لسيده أو صديق ليبهج صديقه.

إنني أقبل هذا كَطُعم الصنارة. أقبلك بالرغم من مجيئك بنيّة غير سليمة، إذ لي وطيد الأمل إنك ستخلص.

ربما لا تعرف إلى أين قد أتيت؟ ولا في أي شبكة أنت تُصطاد؟ إنك أتيت في داخل شباك الكنيسة! (مت ١٣: ٤٧) لقد أُخذت حيًا فلا تهرب، لأن يسوع اصطادك كالسمكة لا لتُقتل بل لتصير بالموت حيًا.

يلزمك أن تموت وتقوم ثانية، إذ تسمع الرسول يقول: "أموت عن الخطية لكن أحيا في البرّ" (راجع رو ٦: ١١، ١٤). مُت عن خطاياك وعش للبرّ. عشْ هكذا اليوم.

٦. يا لعظمة المعمودية!

أرجو أن تتأمل عظمة عطايا المسيح التي يشرّفك بها. لقد كنت تدعى "موعوظًا"، كنت تسمع الكلمة تدوي حولك من الخارج، كنت تسمع الرجاء ولا تدركه، تسمع عن الأسرار ولا تفهمها، تسمع الأسفار المقدسة ولا تلمس أعماقها. هوذا لا يعود الصدى يدوي حولك، بل يكون في داخلك، **لأن الروح الساكن فيك** (رو ٨: ٩، ١١) **يجعل من ذهنك** بيتًا لله.

عندما تقرأ عن الأسرار وتفهم ما لا تفهمه عنها الآن، اعلم أن هذا الأمر ليس بشيء هين. فبالرغم من أنك إنسان بائس **تتقبل أحد ألقاب الله.**

اسمع القديس بولس يقول "أمين هو الله" (١ كو ١: ٩). ويقول سفر آخر: "هو أمين وعادل" (١ يو ١: ٩)، فإذ ينال الإنسان لقب من ألقاب الله، أي "أمين". لهذا تنبأ المرتل في شخص الله قائلاً: "أنا قلت أنكم آلهة وبني العلي تُدعون". لكن أحذر لئلا يكون لك اللقب أنك "أمين" وأنت لك إرادة غير مؤمن "أي غير أمين في إرادتك".

إنك تدخل سباقًا، جاهد فقد لا تجد فرصة أخرى كهذه[2].

---

[1] تحدث أيضًا القديس أمبروسيوس في مز ١١٩ عظة ١٠: ٤٨ كيف يتظاهر البعض باعتناق المسيحية ويكون – للأسف – واقعهم الرغبة في التزوج مسيحية يرفض والدها أن يزوجها لوثني.

[2] راجع مقال ١٧: ٣٦.

إن يــوم زفافــك (عمادك) أمام عينيك، ألاّ تريد أن تترك كل شيءٍ وتتفرغ لإعداد الولــيمة؟! لقــد اقترب يوم تكريس نفسك للعريس السماوي، أما تكف عن الانشغال بالأمور الزمنية حتى تربح الروحية؟!

٧. معمودية واحدة!

إنــنا لا نــنال المعمودية مرتين أو ثلاثًا... لأنه يوجد "رب واحد، وإيمان واحد، ومعمــودية واحــدة" (أف ٤: ٥)، فلا تُعاد المعمودية، إلاّ معمودية الهراطقة، إذ لا تحسب معمودية.

٨. آمن بفاعلية المعمودية

لا يطلب الله منا سوى النيّة الصالحة.

لا تقل كيف تُمحى خطاياي؟ فإنني أقول بواسطة الإرادة[1] والإيمان.

أي طــريق أقصـــر مـــن هذا؟! لكن إن أعلنت شفتاك الإرادة (في التمتع بمغفرة الخطايا) وقلبك صامت، فإن الذي يدينك يعلم قلبك.

مـــن اليوم كف عن كل ما هو رديء! كف لسانك عن أن ينطق بكلمات غير لائقة. أغمض عينك عن التطلع إلى الخطية والتجول فيما لا ينفع.

٩. المعمودية والتلاوات[2]

لتسرع قدماك بشغف إلى التعاليم[3] المستلمة، سواء تلك التي تسمعها أو تتلوها، فإن العمل بالنسبة لكم هو الخلاص.

لـــو كـــان لـــديك ذهـــب خام مخلوط بمواد أخرى مثل النحاس والقصدير والحديد والرصاص، وأنت تطلب ذهبًا نقيًا، فهل يمكن تنقيته بطريق آخر غير النار؟! هكذا لا يمكن للنفس أن تتنقى بدون التلاوات الإلهية المجمعة من الأسفار المقدسة.

---

[1] يقول روفينوس في كتابه "شرح قانون الإيمان" عن غفران الخطايا أن الوثنيين يدعون إننا نخدع أنفسنا بالقول إن الخطايا تُغفــر بالكلام، أي مجرد الإيمان الكلامي بالمسيح الفادي، مع أننا نؤكد أن إيماننا ليس كلامًا بل تصحبه إرادة عملية لعمل الله فينا وتجاوبنا معه.

[2] راجع مفهوم التلوات أو الصلوات القصيرة.

[3] أي التعاليم الدينية الشفهية التي تُلقى على طالبي العماد.

لتستر وجهك[1] لكي يتحرر ذهنك، لئلا تزوغ عيناك، فلا ينضبط قلبك. لكن متى أغمضت عينيك لا يعوق شيء أيضًا أذنيك عن تقبل معاني الخلاص.

وكما أن المهرة في حرفة الصياغة ينفخون النار بأدوات دقيقة فيشعلونها تجاه الذهب الموضوع في البوتقة، وبهذا يبلغون غايتهم، هكذا بنفس الطريقة أصحاب التلاوات يثيرون رعبًا بواسطة روح الرب، وتصير النفس كما لو كانت على نار بوتقة الجسد، فيهرب الخصم الشيطان، ويسكن الخلاص ورجاء الحياة الأبدية، وعندئذ تتنقى النفس من خطاياها ويكون لها خلاص.

يا إخوة، ليتنا نسكن في رجاءٍ، ونسلم أنفسنا للرب ونترجاه، حتى يرى إله الكل غايتنا وينقينا من خطايانا، ويهبنا آمالاً صالحة فيما نحن عليه، ويعطينا توبة تنشئ خلاصًا.

الله يدعو، والدعوة هي لك أنت!

١٠. المعمودية والحرب الروحية

أصغ إلى التعاليم بكل طاقتك[2]. ومع أنه يجدر بنا أن نطيل مقالنا لكنني لا أترك ذهنك يمل، فإنك تتسلم عدة حربية ضد قوة العدو، سلاحًا ضد الهراطقة، ضد اليهود والسامريين[3] والأمم.

إن لك أعداء كثيرين. تسلم سهامًا كثيرة ترشقهم بها، إذ يجدر بك أن تتعلم كيف تنازل اليونانيين[4]، وكيف تصارع الهراطقة وأيضًا اليهود والسامريين.

هوذا السلاح مُعد "سيف الروح" (أف ٦: ١٧) مهيأ. يليق بك أن تبسط يدك اليمنى بطريقة صالحة لكي تحارب حرب الله، وتغلب القوات المقاومة وتصير (حصنًا) منيعًا يصد كل محاولة للهراطقة.

---

[1] ربما يقصد أن الإنسان في أثناء ترديد التلاوات أو الصلوات يغمض عينيه حتى لا ينشغل بشيءٍ مما حوله. ويرى البعض أن الموعوظ كان يستر وجهة أثناء التلاوة، ثم ينزع الغطاء إشارة إلى أن البرقع قد نُزع عن قلبه وذهنه ليدرك المفاهيم الروحية.

[2] الترجمة الحرفية "تماما".

[3] كان ابيفانيوس وغيره من الآباء في القرن الرابع ينظرون إلى السامريين كمقاومين عُنفاء للمسيحية.

[4] أي الأمميين أي الوثنيين... وهنا الحرب ليست حربًا مادية بل حرب روحية أساسها أن يفند المسيحيون مقاومة المناقضين... وإنما نعرف بروح الكتاب وبروح الكنيسة ليس عملنا جرح مشاعر الناس ولا مهاجمتهم بل تقديم الإيمان السليم ومجاوبة الذين يسألوننا.

١١. المعمودية وملازمة التعليم

دعني أقدم لك هذه الوصية أيضًا. اعرف التعاليم[1]، واحفظها إلى الأبد.

لا تظنها عظات عادية، فإن العظات العادية مع كونها صالحة وتستحق المديح، لكننا إن أهملناها اليوم ندرسها غدًا. أما التعاليم بخصوص جرن المعمودية التي نقدمها لك في حلقات مسلسلة إن أهملتها اليوم متى تدرسها كما ينبغي؟!

تصور أن الآن فصل غرس الأشجار، فإننا إن لم نحفر، ونحفر بعمقٍ، كيف نقدر أن نغرس الشجرة بطريقة سليمة إن غرسناها بطريقة خاطئة (وضاع وقت الغرس)؟!

التعليم نوع من البناء، إن لم يرتبط بعضه مع البعض بربطات منتظمة يكون البيت معيبًا، ويصير البناء غير سليمٍ، ويؤول عملنا السابق إلى لا شيء.

إذن يلزمنا أن نُلحق الحجر بحجرٍ، ونزوج الزاوية بأخرى، وخلال اللمسات الأخيرة لإزالة الزيادات يصير البناء منسقًا، هكذا بنفس الطريقة نجلب المعرفة كما لو كانت حجارة، فنُسمعك عن الله الحي، والدينونة، والمسيح، والقيامة... وأمور أخرى كثيرة يلزم تتابع مناقشتها، هذه التي نحبها واحدة فواحدة حتى يتهيأ لنا بناء مترابط متناسق. فإن لم تتهيأ (التعاليم) في وحدة واحدة، ونرتبها كما يليق التعليم الأول فالثاني... فإن البناء يُعد لكنه لا يكون سليمًا.

١٢. نقدم كل تعليمٍ في الوقت المناسب

عندما تتسلم تعليمًا، إن سألك موعوظ من الخارج[2] قائلاً لك: ماذا يقول المعلمون؟ لا تجبه بشيءٍ. إننا نسلمك سرًا ورجاء في الحياة المقبلة، احفظ السرّ لذاك الذي يهبك المكافأة.

لا يقول لك أحد: ماذا يصيبك لو عرفته أنا أيضًا؟ فإنه كالمريض الذي يطلب خمرًا، فإذ يأخذه في وقت غير مناسب يحدث له هذيان، وبهذا يتحقق شران: المريض يموت والطبيب يُلام! هكذا أيضًا متى سمع الموعوظ شيئًا من المؤمن يصير في حالة هذيان (إذ لا يفهم ما يسمعه، ويجد فيه خطأ، ويتهكم على ما يسمعه)، ويُدان المؤمن كخائنٍ.

---

[1] التعاليم التي تقدم خلال الأربعين المقدسة، لا كعظات عادية، بل تعاليم منظمة مدروسة.

[2] الموعوظون الذين لم يقبلوا بعد كطالبي عماد.

أنـت الآن علـى الشـاطئ، احذر من أن تقول شيئًا في الخارج، لا لأن ما تقوله لا يستحق أن يُقال، بل لأن الأذن لم تتهيأ للسماع له.

إكنت يومًا ما موعوظًا، ولم أخبرك بما أعلنه لك الآن.

إنك ستختبر كيف أن أمور تعاليمنا عالية، وعندئذ تدرك أن الموعوظين لم يتأهلوا بعد لسماعها.

١٣. المعمودية والاهتمام بخلاص النفس

أنتم الذين سُجلت أسماؤكم تصيرون أبناء وبنات أم واحدة. عندما تدخلون إلى وقت التلاوات، فليتكلم كل واحدٍ منكم بما هو للصلاح. وإن لم يأتِ أحدكم في دوره فلتبحثوا عنه، لأنـه متـى دعيتم إلى وليمة أما تنتظرون حتى يأتي زميلكم الضعيف؟! إن كان لك أخ أما تطلب خيره؟!

لا تنهمكوا في أمور باطلة، فلا تنشغلوا (في وقت الأربعين المقدسة) بما يحدث في المديـنة أو القرية أو مع الملك أو الأسقف أو الكاهن. انظروا إلى فوق واطلبوا ما تحتاجون إليه في هذه الساعة التي أنتم فيها.

لتصمتوا ولتعرفوا إني أنا الله!

أن رأيتم المؤمنين يخدمون... وهم مطمئنون، فلتعترفوا أنهم في ملكية النعمة... أما أنـتم فإلى الآن على كفة ميزان، قد تقبلون وقد لا تقبلون، **فلا تقلدوا من تحرروا من القلق، إنما اطلبوا المخافة.**

١٤. آدابَ الحضور في الكنيسة

عندما تتم التلاوة، فإلى أن يجيء دور الآخرين يجب أن يبقى الرجال مع الرجال والنساء مع النساء[1].

إنكـم محـتاجون أن أقـدم لكم **فلك نوح كمثالٍ**، إذ كان فيه نوح وبنوه، وزوجته ونسـاء بنـيه. فمـع أن الفلـك واحد والباب مغلق، لكن كل الأمور فيه كانت مرتبة ترتيبًا حسنًا.

[1] جاء في أغسطينوس ٥١:١ *De symbol* أن الموعوظين يحضرون أمام المجمع ويدخلون واحدًا فواحدًا، ليُصلى عليهم. هنا يظهر كيرلس أنه يليق بكل واحدٍ أن ينتظر إخوته.

هكذا متى أغلقت الكنيسة وأنتم في داخلها، لينفصل الرجال مع الرجال، والنساء مع النســاء، لئلا يكون علة خلاصكم فرصة للهلاك. إن وجد عذر مقبول لجلوسكم مع بعضكم البعض (أي جلوس رجل مع امرأة) فلتطرد شهواتكم![1]

بالأحــرى لــيت الــرجال عند جلوسهم يكون معهم كتابًا مفيدًا، واحد يقرأ والآخر يستمع، وإن لم يوجد كتاب فليصل واحد وينطق آخر بكلام نافع.

كــذلك ليت الحدَثات يجلسن معًا بنفس الطريقة، يسبحن أو يقرأن بهدوء، فتتحرك شفاههن دون أن يسمع أحد أصواتهن، إذ لا يُسمح للمرأة أن تتكلم في الكنيسة (١ كو ١٤: ٣٤؛ ١ تى ٢: ١٢).

وليتــبع النســاء المتــزوجات نفس المثال ويصلين. لتتحرك شفاههن دون أن تُسمع أصــواتهن حتى يوهب لهن "صموئيل"[2] - الذي معناه "الله الذي يسمع الصلاة"، إذ هكذا هو تفسير اسم "صموئيل" - وتلد نفوسهن العواقر الخلاص.

١٥. اقبلوا عمل الله

سأرى غيرة كل رجل وتقوى كل امرأة.

لــيت ذهــنكم يتنقى كما بنار في وقار! ليت نفسكم تُصهر كالمعدن! ليت الشوائب تُزال، ويتبقى المعدن خالصًا. لينزع زغل الحديد، ويتبقى المعدن الحقيقي!

ليظهر الله لكم الليلة الظلام الذي يتلألأ كالنهار، إذ قيل عنه: "الظلمة لا تظلم لديك، اللــيل مــثل النهار يضيء" (مز ١٣٩: ١٢). لينفتح باب الفردوس في وجه كل واحد منكم، عندئذ تبتهجون بمياه المسيح[3] التي لها رائحة ذكية.

اقبلوا اسم المسيح[4]، وقوة الأمور الإلهية.

---

[1] يقــول القــديس يوحــنا الذهبي الفم في مت عظة ٧٤: ٣ [يلزم أن يكون في داخلكم حائط يفصلكم عن النساء. ولكن إذ لا تريدون هذا، فكر الآباء في ضرورة فصلكم عن بعض على الأقل بهذه الحواجز "الخارجية"، إذ سمعت من آبائي أنه لم تكن توجد مثل هذه الحواجز في الأيام السابقة.]

هذه الحواجز التي يتحدث عنها القديس يوحنا الذهبي الفم والتي نراها في الكنائس الأثرية لم تكن موجودة في أورشليم حتى أيام كيرلس الاورشليمي كما نري من حديثه المذكور.

[2] ١ صم ١: ١٣، ٢٠ صموئيل أي سمع إيل، أي سمع الله.

[3] النص هو *Christ bearing* في الطبعة البندكتية "عندئذ تبتهجون بالمياه التي تحمل رائحة المسيح".

[4] مقال ٢١: ١ "تكونون شركاء المسيح أنتم الذين بحق تدعون مسحاء".

الآن أرجـوكم أن ترفعوا عيون أذهانكم، فتروا طغمات الملائكة، والله رب الجميع جالسًا مع الآب عن يمينه والروح القدس...، تنظرون العروش والسلاطين يخدمون (الثالوث القدوس)، ترون كل واحدٍ وواحدة منكم سيخلص.

لتنصـت آذانكـم مـن الآن إلـى الصوت المجيد الذي ستتغنى به الملائكة بسبب خلاصـكم قائلـة: "طوبـى للذي غفر إثمه وسُترت خطيته"[1]. وذلك عندما تدخلون ككواكب الكنيسة المتألقة جسدًا، ومتلألئة نفسًا.

عظيم هو العماد الذي يوهب لكم فإنه[2]:

عتق الأسرى،

غفران المعاصي،

موت الخطية،

ميلاد جديد للنفس،

ثوب النور،

ختم مقدس لا ينفيك،

مركبة للسماوات،

بهجة الفردوس،

ترحيب في الملكوت،

عطية التبنّي!

لكـن احـذروا، فإنه توجد حيَّة في الخارج تترقب المارين. احترسوا لئلا تلدغكم بلدغات عدم الإيمان.

إنها إذ ترى كثيرين يقبلون الخلاص تلتمس أن تبتلعه منهم (١ بط ٥: ٨).

إنكم داخلون إلى أب الأرواح، لكنكم ستعبرون على هذه الحيّة.

كـيف تعبرون عليها؟ كونوا "حاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام" (أف ٦: ١٥)، حتـى إذا لدغـتكم لا تؤذيكم. فإذ يكون لكم إيمان حي ورجاء ثابت وصندل قوى تجتازون العدو وتدخلون إلى حضرة الرب.

---

[1] مز ٣٢: ١، لا زالت الكنيسة اليونانية تستخدم هذه التسبحة بعد العماد.

[2] يستخدم القديس باسيليوس الكبير نفس الكلمات والعبارات في مدح المعمودية، إذ يُحتمل أن يكون هو وغيره من الآباء قد اقتبسوها من القديس كيرلس الأورشليمي.

هيئوا قلوبكم لتقبل التعليم من أجل شركة الأسرار المقدسة.

صلوا بأكثر مثابرة، لكي ما يجعلكم الله مستحقين للأسرار السمائية الخالدة. لا تنقطعوا عنها نهارًا وليلاً، بل عندما يُطرد النوم من عيونكم تحرر أذهانكم للصلاة. وإن ثار فيكم أي فكر معيب، حوّلوا أذهانكم إلى التأمل في الدينونة، فتتذكّرون الخلاص.

قدموا أذهانكم كلها للدراسة، حتى تحتقروا الأمور الدنيئة.

وإن قال لكم أحد: "هل أنت داخل لكي تغطس في الماء[1]؟ ألاّ توجد طرق أخرى للمدينة؟" أذكر هذا قول: "التنين الذي في البحر" (إش ٢٧: ١) الذي يبث خداعاته ضدّك، فلا تنصت إلى شفتيه، بل أصغِ إلى الله الذي يعمل فيك.

لاحظوا أنفسكم إلى النهاية، حتى لا تسقطوا في الشباك، فتعيشوا في رجاء، وتصيروا وارثين للخلاص الأبدي.

١٦. أنتم عملنا

نحن نوصيكم ونعلمكم وأنتم كبناء لنا لا تكونوا خشبًا وعشبًا وقشًا حتى لا نفقد بناءنا فيحترق عملنا، بل كونوا ذهبًا وفضة وحجارة كريمة (١ كو ٣: ١٢، ١٥).

مهمتي أن أتكلم، وعملكم أن تصغوا بذهنكم فيما أقول[2]، وتركزوه في الله ليجعلكم كاملين.

لنشدد أذهانكم وننهض نفوسكم على رجاء نوال الأبديات، والله الذي يعرف قلوبكم ويميز الصادق من المرائي قادر أن يحفظ من هو صادق النيّة، ويهب إيمانًا للمرائي، لأنه حتى غير المؤمن متى سلم قلبه لله قادر أن يهبه الإيمان.

ليوف الله الصك الذي عليكم (كو ٢: ١٤) ويهبكم غفران معاصيكم السابقة، ويغرسكم في كنيسته، ويجندكم في خدمته، ويلبسكم سلاح البر (٢ كو ٦: ٧)، ويغمركم بخيرات العهد الجديد السمائية، ويعطيكم ختم الروح القدس الذي لا يمحى على مرِّ الأزمنة، في المسيح يسوع ربنا الذي له المجد إلى الأبد. آمين.

---

[1] أو" تنزل في الماء"

[2] جاءت الكلمة اليونانية في تث ١٣: ٤ (الترجمة السبعينية) بمعنى "التصقوا به" وفي يش ٢٣: ١٢، مز ١١٢: ١٠ بان يقيم الإنسان قلبه عليه.

إلى القارئ[١]

هـــذه المقالات التعليمية موجهة إلى لذين يستنيرون، فتُعطى للموعوظين المتقدمين للعمـــاد وللمؤمنين الذي اعتمدوا فعلاً لكي يقرأوها، لكنها لا تُقدم دفعة واحدة للموعوظين... وإن كتبت نسخة منها فاكتب هذه في المقدمة.

[١] يُشك في أن يكون للقديس كيرلس الأورشليمي هو كاتب هذه الملاحظة.

المقال الأول[1]

اغتسلوا، تنقوا

"اغتسلوا، تنقوا، اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني..." (إش ١: ١٦)

١. السماء تفرح بكم!

يتوق تلاميذ العهد الجديد وشركاء أسرار المسيح أن يكون لهم قلب جديد وروح جديد، ليس بحكم عملهم بل وبالنعمة أيضًا، إذ تعم السعادة سكان السماء. لأنه إن كان كقول الإنجيل: "يكون هناك فرح من أجل خاطئ واحد يتوب" (لو ١٥: ٧)، فكم بالأكثر يسعد سكان السماء بخلاص نفوس كثيرة؟! إذ كما لو كنتم داخلين ممرًا صالحًا مجيدًا، راكضين بوقار في جهادٍ وورعٍ.

إن ابن الله الوحيد حَال هنا، ومستعد على الدوام أن يخلصكم، قائلاً: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (مت ١١: ٢٨).

يا لابسي ثوب المعاصي الدنس، أيها المقيّدون بحبال خطاياكم، أنصتوا إلى صوت النبي القائل: "اغتسلوا، تنقوا، اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني" (إش ١: ١٦)، فإن طغمات الملائكة تترنم بسببكم قائلة: "طوبى لمن غفر إثمه، وسُترت خطيته" (مز ٣٢: ١).

يا من تضيئون مشاعل الإيمان، لا تسمحوا لها أن تنطفئ بين أيديكم حتى يهبكم – ذاك الذي قديمًا على جبل الجلجثة المقدس فتح باب الفردوس للص بسبب إيمانه – أن تسبحوا ترنيمة العرس.

٢. اخلعوا الإنسان العتيق

إن كان بينكم من هو عبد للخطية، فليستعد بالإيمان **استعدادًا تامًا للميلاد الجديد في الحرية والتبني**. وبخلع عبوديته لخطاياه المرذولة وارتدائه عبوديته للرب المطوّبة، يصير أهلاً لميراث ملكوت السماوات.

---

[1] العنوان الأصلي: أول مقال تعليمي لأبينا القديس كيرلس رئيس أساقفة أورشليم إلى الذين يستنيرون، ألقاها ارتجالياً كمقال موجه للمتأهبين لقبول العماد.

اخلعوا "الإنسان العتيق الفاسد حسب شهوات الغرور" (أف ٤: ٢٢) بالاعتراف، حتى تلبسوا "الإنسان الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه" (كو ٣: ١٠).

بالإيمان خذوا "عربون الروح القدس" (٢ كو ١: ٢٢) "لكي يقبلوكم في المظال الأبدية" (راجع لو ١٦: ٩).

تعالوا لتنالوا الختم السري حتى يعرفكم السيد بسهولة، وتكونوا محصيين بين قطيع المسيح المقدس الروحاني، ويكون مكانكم عن يمينه، فترثوا الحياة المعدة لكم. أما هؤلاء اللابسون ثوب خطاياهم الدنس فيبقون عن يساره، إذ لم يقتربوا بالمسيح إلى **نعمة الله في الميلاد الجديد بالمعمودية**. وإنني لا أعني بالميلاد الجديد ميلادًا جسديًا، بل ميلادًا روحيًا جديدًا للنفس، فوالدانا المنظوران يلدوننا حسب الجسد، أما أرواحنا فتُولد ميلادًا جديدًا بالإيمان. إذ "الريح تهب حيث تشاء" (يو ٣: ٨).

عندئذ متى وُجدتم مستحقين، تسمعون الصوت القائل: "نعمًا أيها العبد الصالح والأمين" (مت ٢٥: ٢١)، وذلك إن كان ضميركم غير ملوث بدنس الرياء.

٣. اخلعوا الرياء

إن ظن أحد الحاضرين في نفسه أن يجرب الله، فإنه يخدع نفسه ولا يختبر قوة الله.

تحرر يا إنسان من الرياء، وذلك من أجل فاحص القلوب والكُلى (مز ٧: ٩).

وكما أن الذين يتقدمون للحرب يفحصون أعمار المتقدمين للخدمة العسكرية ويختبرون لياقتهم البدنية، هكذا يختبر الرب نيّات الأرواح المجندة (ضد إبليس)، فإن وُجد في إحداها رياء خفيًا يطردها، إذ لا تصلح لخدمته الحقيقة، أما إن رأى من تستحق فإنه للحال يهبه نعمتها.

إنه لا يعطى القدس للكلاب (مت ٧: ٦)، لكن من رأى فيه ضميرًا صالحًا يهبه ختم الخلاص، الختم الذي يرعب الشياطين وتعرفه الملائكة، يهرب منه الأولون، ويتطلع إليه الآخرون كأقرباء... لذلك يليق بمن يتقبل هذا الختم الروحي المخلص أن تكون له الأخلاق اللائقة به. وكما أن القلم والسهم يحتجان إلى من يستخدمها، هكذا تحتاج الخدمة إلى أذهان مؤمنة تستخدمها.

٤. تأمل عظمة المركز الجديد

إنك لا تتقبل درعًا فاسدًا، بل درعًا روحيًا!

منذ الآن تُزرع في فردوس غير منظور!

إنك تتسلم اسمًا جديدًا لم يكن لك من قبل، إذ كنت تُدعى موعوظًا، أما الآن فمؤمنًا! مـــن الآن فصاعدًا تُطعم في زيتونة روحية (رو ١١: ٢٤)، إذ قُطعت من الزيتونة البرية، وطُعِّمت في الزيتونة الجيدة. نُزعت من الخطايا إلى البرّ، ومن الأدناس إلى النقاوة.

هـــا أنت تصير شريكًا في الكرمة المقدسة! (يو ١٥: ١، ٤، ٥) حسنًا فإن ثبّت في الكرمة تنمو كغصنٍ مثمرٍ، وإن لم تثبت فيها تهلك بالنار.

إذن لـــتحمل ثمرًا باستحقاق! فلا يسمح الله أن يحل بك ما حلّ بشجرة التين العقيمة (مت ٢١: ١٩)، إذ لم يأتِ بعد المسيح (للدينونة)، ولا لعننا بسبب عُقمنا.

لـــتكن لـــنا القـــدرة أن نقول: "أما أنا فمثل زيتونة مثمرة في بيت الله، توكلت على رحمـــة الله إلى الدهر والأبد" (راجع مز ٥٢: ٨)، وهنا لا نفهم الزيتونة بمعناها المادي، بل نفهمها ذهنيًا بكمال النور.

فإن كان الله يزرع ويسقي[1]، فإنه يليق بك أن تأتي بثمار. الله يهب نعمته، وأنت من جانبك تتقبلها وتحافظ عليها.

لا تحتقر النعمة من أجل مجّانيتها بل اقبلها واكتنزها بورع.

٥. جاهد لتنال أكثر

الآن وقـــت للاعتراف. اعترف بما تقترفه بالقول أو بالعمل، نهارًا وليلاً. اعترف في وقت مقبول وفي يوم خلاص (٢ كو ٦: ٢)، فتتسلم الكنز السماوي.

كرّس وقتك للتلاوات، واظب على التعليم، تذكر ما تتلقنه، لأن ما يُقال لك هو ليس لأذنك فحسب، إنما بالإيمان اختمه في ذاكرتك.

أمحِ من ذهنك كل اهتمام أرضي[2]، فإنك تركض من أجل نفسك، إنك تطلب أمور العالم فقط، وهذه قليلة بينما يهبك الله الأمور العظيمة!

أطلب الأمور الحاضرة، لكن لتكن ثقتك في الأمور المقبلة.

العلّك ركضت حلقات من السنين هذا عددها منهمكًا في العمليات الباطلة، ولا تتفرغ في الأربعين يومًا للصلاة[3] من أجل نفسك؟!

---

[1] يقـــول الرسول: "أنا غرست وأبلوس سقى، لكن الله ينمي" (١ كو ٦: ٣). نسب القديس كيرلس الغرس والسقي لله العامل الذي ينمي الزرع.

[2] الترجمة الحرفية "بشري".

[3] محذوفة في بعض النسخ.

يقول الكتاب: "كفوا واعلموا أني أنا الله" (مز ٤٦: ١٠).

اعف نفسك من التفوّه بكلمات كثيرة باطلة، وامتنع عن الوشايات، ولا تمل أذنك إلى النمامين، بل بالأحرى كن متأهبًا للصلاة، وليظهر قلبك متشددًا في التدبير النسكي.

نـقِ كأسـك لتقبل فيضًا أكثر من النعمة! حقًا إن غفران الخطايا يوهب للجميع بالتساوي، لكن شركة الروح القدس تُوهب حسب إيمان كل إنسانٍ. فإن كنت تعمل قليلاً تنال قليلاً، وإن كثيرًا تكسب مكافأة عظيمة.

إذن اركض لأجل نفسك واهتم بها.

٦. نصائح ووصايا

إن كان لك شيء على أحد أصفح عنه. فإذ تأتي هنا لنوال غفران خطاياك يلزمك أن تصفح لمن أخطأ ضدك. وإلا فبأي وجه تقول للرب: "اغفر لي خطاياي الكثيرة"، إن كنت لا تصفح عن أخطاء العبد رفيقك القليلة؟!

واظب على اجتماعات الكنيسة بنشاطٍ، ليس فقط في هذه الوقت حيث يطالبك الكهنة بالمثابـرة علـى الحضـور، بـل وبعد أن تنال النعمة، لأنه إن كنت قبل نوالها تعمل عملاً صالحًا، أفما يليق بالأكثر بعد نوالها؟! إن كنت وأنت لم تُطعم بعد لك فرصة آمنة لكي تُسقى ويُعتنى بك، فكم بالأولى بعد تطعيمك؟!

صـارع من أجل نفسك، خاصة في مثل هذه الأيام. أنعشها بالقراءات المقدسة، إذ يعـد الـرب لك مائدة روحية. عندئذ تقول مع المرتل: "الرب راعيّ فلا يعوزني شيء، في مراعٍ خضرٍ يربضني، إلى مياه الراحة يوردني، يرد نفسي" (مز ٢٣: ١-٣)، حتى الملائكة أيضًا تشاركك فرحتك، والمسيح نفسه رئيس الكهنة الأعظم إذ يتقبل صدق عزيمتك يُحضرك أمام الآب قائلاً: "ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله" (عب ٢: ١٣؛ إش ٨: ١٨).

لـيحفظك الـرب موضع سرور في عينه، هذا الذي له المجد والسلطان إلى دهر الدهور الأبدية. آمين

المقال الثاني

التوبة وغفران الخطية

"بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون، فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها، وحفظ كل فرائضي، وفعل حقًا وعدلاً، فحياة يحيا لا يموت..." (حز ١٨: ٢٠-٢٣).

١. الخطية لهيب نار متقدة!

الخطية مرعبة للغاية، والعصيان مرض النفس الوبيل، إذ يشل طاقاتها خفية، ويجعلها مستحقة للنار الأبدية.

إن الشر الذي يختاره الإنسان بنفسه هو نتاج الإرادة، وتظهر إرادتنا الحرة في ارتكاب الخطية من قول النبي بوضوح: "وأنا قد غرستك كرمة مثمرة، شجرة كاملة، فكيف تحولتِ إلى شجرةٍ بريةٍ وكرمةٍ غريبةٍ؟!" (راجع إر ٢: ٢١) كان الزرع جيدًا ولكن الثمر جاء رديئًا! فالزارع بريء، وأمّا الشجرة فتُحرق بالنار، لأنها زُرعت جيدة وبإرادتها حملت ثمرًا رديئًا. وكما يقول المبشر: "الله صنع الإنسان مستقيمًا، أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة" (جا ٧: ٢٩). ويقول الرسول: "لأننا نحن عمله، مخلوقين... لأعمال صالحة وقد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها" (أف ٢: ١-٢). فالخالق صالح، خلقنا لأعمال صالحة، أما الخليقة فانحرفت إلى الشر بإرادتها الحرة.

إذن الخطية كما قلنا شر مرعب للغاية، لكنها ليست بالمرض المستعصى شفاءه. هي مرعبة لمن يلتصق بها، لكن من يتركها بالتوبة يُشفى منها بسهولة.

تصور إنسانًا يحمل نارًا في يديه، فإنه مادام يحمل الفحم يتأكد احتراقه، وإن ألقاها يلقى اللهيب أيضًا! لكن أن ظن أحد أنه لا يحترق إن أخطأ، فإن الكتاب المقدس يخبره قائلاً: "أيأخذ إنسان نارًا في حضنه ولا تحترق ثيابه؟!" (أم ٦: ٢٧)

الخطية تحرق طاقات النفس (تكسر عظام الذهن الروحية، وتظلم نور القلب)[1].

---

[1] هذه العبارة محذوفة من النسختين البندكتية، وال *Milles* لكنها وردت في الطبعات الحديثة الدقيقة.

٢. اهتم بحياتك الداخلية!

قد يقول قائل: ماذا يمكن أن تكون الخطية؟ هل هي شيء؟ هل هي ملاك؟ هل هي شيطان؟ ما هذه التي تعمل في داخلنا؟ يا إنسان، إنها ليست عدوًا يحاربك من الخارج، بل هي برعم يبزغ في داخلك. (احفظ نفسك[1])، ولا تنشغل بأمر آخر، فستنتهي أعمال اللصوصية[2] (التي للخطية).

تذكر الدينونة، فلا يسيطر عليك الزنا ولا الدعارة ولا القتل ولا عصيان الشريعة، أما إن نسيت الله فالشر يراودك وترتكب المعصية.

٣. الشيطان يخدعنا بأفكاره

لست وحدك صانع الشر، بل يوجد من يدفعك إليه بعنف. إنه الشيطان الذي يقترح عليك الشر دون أن تكون له سيادة إلزامية على من يقبله. لذلك يقول المبشر: "إن صعدَت عليك روح المتسلط فلا تترك مكانك"[3].

أغلق بابك واطرده بعيدًا عنك، فلا يصنع بك سوءًا، أما إن قبلت فكر الشهوة بغير مبالاة، فستتغلغل جذوره فيك، ويُفتن ذهنك بحيله، ويهوي بك في هاوية الشرور.

قد تقول: أنا مؤمن، لا تقدر الشهوة أن تصعد إليّ حتى وإن فكرت فيها كثيرًا! أما تعلم أن جذع الشجرة بالمقاومة المستمرة يستطيع أن يحطم حتى الصخرة؟! فلا تسمح للبذرة أن توجد فيك حتى لا تمزق إيمانك وتحطمه. اقتلع الشر بجذره قبلما يزهر، لئلا بإهمالك في البداية تحتاج بعد ذلك إلى فؤوس ونار.

عالج عينيك في الوقت المناسب عندما يلتهبان، لئلا تصير أعمى، وتحتاج إلى طبيب!

٤. الشيطان يجرف معه البشرية

الشيطان هو المصدر الأول للخطية وأب الأشرار.

هذا القول ليس من عندي، بل هو قول الرب. "لأن إبليس من البدء يخطئ" (١ يو ٣: ٨، يو ٨: ٤٤)، إذًا لم يخطئ أحد من قبله. لكنه لم يخطئ عن إلزام، كأن فيه نزوع طبيعي

---

[1] هذه العبارة حذفت في الطبعات الحديثة الدقيقة.

[2] لعله يقصد إلا ننشغل بالخطية كأمرٍ خارجي، بل نهتم بحياتنا الداخلية فلا تسرق الخطية قلبنا.

[3] جا ١٠: ٤. راجع أيضا أف ٢: ٧. "ولا تعطوا إبليس مكانا".

للخطـــية، وإلا ارتـــدت علة الخطيئة إلى خالقه أيضًا، إنما هو خُلق صالحًا، وبإرادته الحرة صار إبليس، متقبلاً هذا الاسم من عمله.

كـــان رئيس ملائكة، لكنه دُعي "إبليس" بسبب أضاليله. كان خادم الله الصالح، وقد صار مدعوًا شيطانًا بحق، لأن كلمة "شيطان" معناها "خصم".

هـــذا التعليم ليس من عندي، بل هو تعليم حزقيال النبي الموحى به، إذ رفع مرثاة علـــيه قائلاً: "كنت خاتم صورة الله، وتاج البهاء، وُلدت في الفردوس" (راجع حز ٢٨: ١٢-١٧). يعـــود فيقول بعد قليل: "عشت بلا عيب في طرقك من يوم خُلقت حتى وُجد فيك إثم". إنه بحق يقول: "حتى وُجد فيك إثم"، إذ لم يُجلب عليه من الخارج، بل هو جلبه لنفسه.

وللـــتوّ أشار إلى السبب قائلاً: "قد ارتفع قلبك لجمالك بسبب كثرة خطاياك، طعنت فطـــرحت على الأرض". هذا القول يتفق مع قول الرب في الإنجيل: "رأيت الشيطان ساقطًا مثل البرق من السماء" (لو ١٠: ١٨). ها أنت ترى اتفاق العهدين القديم والجديد!

عـــندما طُـــرد ســـحب معه كثيرين، إذ يبث الشهوات فيمن ينصتون إليه. منه تنبع الدعارة والزنا وكل أنواع الشر. خلاله طُرد أبونا بسبب العصيان، وتحول عن الفردوس ذي الثمر العجيب إلى الأرض المنبتة شوكًا.

الرب يردنا ويخلصنا

ماذا إذن؟ قد يقول قائل: لقد سُلبنا وفُقدنا، أما من خلاص لنا؟! لقد سقطنا، أما يمكن أن نقوم؟! صرنا عُمى، أما يمكن أن نشفي؟ وفى كلمة، نحن أموات ألا يمكن أن نقوم؟! الذي أقام لعازر بعد موته بأربعة أيام ونتنه، ألا يقدر بالأكثر أن يقيمك يا إنسان وأنت حي؟!

ليتـــنا لا نستهين بأنفسنا يا إخوة! ليتنا لا نهجر أنفسنا، فنسلك في اليأس. إذ مخيف هـــو عدم الإيمان برجاء التوبة. لأن من لا يتطلع إلى (يرجو) الخلاص لا يكف عن أن يزيد الشر شرًا، أما من يترجى الشفاء بسهولة يقدر أن يعتني بنفسه.

اللص الذي لا يترجى العفو ييأس، أما من يرجوه فغالبًا ما يأتي إلى التوبة.

ماذا إذن؟! هل تنسلخ الأفعى عن جلدها، وأنت لا تخلع خطيتك؟!

إن كانـــت الأرض المملوءة شوكًا متي فُلحّت جيدًا تصير خصبة، أفلا نترجّى نحن الخلاص؟

حاشا! بل بالأحرى طبيعتنا تربة صالحة للخلاص، إنما نحتاج إلى الإرادة!

٦. الله يحبك!

الله محب البشر، لا يحبهم في مقاييس قليلة. لهذا لا تقل إنني ارتكبت الزنا والدعارة وفعلت خطايا فظيعة، ليس مرة بل مرات، فهل يغفر لي؟ هل يهبني عفوًا؟! اسمع ما يقوله المرتل: "ما أعظم جودك الذي ذخرته لخائفيك" (مز ٣١: ١٩)، فإن معاصيك المتراكمة لن تعلو مراحم الله الكثيرة. جراحاتك لن تغلب مهارة الطبيب الفائقة. سلِّم نفسك له بإيمان. أخبر الطبيب عن مرضك المزمن. قل أيضًا مثل داود: "قلت أعترف للرب بذنبي"، فيحدث معك ما قد حدث معه، فتقول للتو "أنت رفعت آثام خطيتي" (مز ٣٢: ٥).

٧. أمثلة عن محبة الله لأناس ساقطين

يا من أتيت لسماع التعاليم متأخرًا، أتريد أن ترى محبة الله المترفقة؟ أتريد أن تنظر حنو الله وغنى طول أناته؟! اسمع ما حدث مع آدم.

آدم – أول خليقة الله البشرية – عصى الله، أما كان يمكن أن يُفرض عليه الموت فورًا؟! لكن أنظر ماذا فعل الله بالإنسان في محبته العظيمة؟ لقد طرده من الفردوس، إذ صار بالخطيئة غير مستحقٍ للعيش هناك، "وأقامه ليسكن مقابل الفردوس"[1] حتى متى تطلع إلى حيث سقط وتأمل ما كان عليه وما بلغ إليه، يخلص بالتوبة.

قايين أول مواليد البشر صار قاتلاً لأخيه، مخترعًا كل الشرور، وأول الحاسدين والقتلة. ومع هذا بماذا حكم الله عليه بعد أن أزال أخيه من الوجود؟ "تكون متنهدًا ومرتعبًا على الأرض" (راجع تك ٤: ١٢). يا لبشاعة الإثم، ويا لخفة الحكم!

٨. وفي الطوفان

هذه الأمور تكشف عن محبة الله المترفقة الحقيقية، لكنها قليلة إن قورنت بما يلي ذلك: تأمل ما حدث في أيام نوح فإن الجبابرة أخطأوا، وانتشر على الأرض شر عظيم بسببه حدث الطوفان. بقى الله يهدد خمسمائه عامًا، وفي المئة السادسة جاء بالطوفان على الأرض.

تأمل مدى اتساع محبة الله المترفقة على مدى هذه المئات من السنوات! أما كان يمكنه أن ينفذ في الحال ما قد صنعه بعد انتظار مئات السنين! لكنه أمد في الزمن لكي يهبهم مهلة للتوبة فلو أنهم تابوا لما أخفقوا في التمتع بمحبة الله المترفقة.

[1] الترجمة السبعينية بدلاً من القول: "وأقامه شرق جنة عدن".

٩. ترفقه براحاب الزانية الوثنية

تعال معي الآن إلى فئة أخرى خلصت بالتوبة.

قــد تقــول امرأة ما: لقد ارتكبت الزنا والدعارة ودنست جسدي بكل أنواع الترف والإفراط فهل لي خلاص؟ حولي عينيك إلى راحاب، وتطلعي أيضًا إلى الخلاص. إن كانت زانية عامة تزني علنًا خلصت بالتوبة، أفما تخلص بالتوبة والصوم من سقطت في الزنا قبل قبولها النعمة؟!

اسألي كيف خلصت؟ إنها فقط قالت: "الرب إلهكم هو الله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت" (يش ٢: ١). إنها تقول: "إلهكم" دون أن تجسر لتنسبه لنفسها بسبب حياتها المملوءة ضلالاً. وإن أردتم التأكد من خلاصها بشهادة من الكتاب المقدس فإنك تجد في سفر المزامير: "أذكر راحاب وبابل بين الذين يعرفونني"[١] (مز ٨٧: ٤).

يــا لعظمــة حنو الله المترفق، فإن الكتاب المقدس يشير حتى إلى الزانيات. إنه لا يقول: "اذكر راحاب وبابل" فقط بل يكمل "بين الذين يعرفونني"، فالخلاص نبلغه بالتوبة سواء كنا رجالاً أو نساء على قدم المساواة.

١٠. أمثلة أخرى

لا، بــل وإن **أخطــأ الشعب كله**. فهذا ليس بكثير على حنو الله المترفق فقد صنع الشعب (القديم) عجلاً، ومع ذلك لم يكف عن محبته[٢]. هم أنكروا الله، أما هو فلم ينكر نفسه...

لــيس فقــط الشعب، بل حتى **هارون رئيس الكهنة أخطاء**، إذ يقول موسى "وعلى هــارون غضب الرب جدًا ليبيده فصليت أيضًا من أجل هارون في ذلك الوقت (فسامحه)". ماذا إذن؟ يصلي موسى من أجل رئيس كهنة مخطئ فيغلب الله (بالمحبة) بينما لا تقبل شفاعة يســوع ابنه الوحيد عند الآب؟! إن كان هرون لم يُمنع من الكهنوت السامي بسبب عصيانه، فهــل تمنع من الدخول إلى الخلاص يا من أتيت من بين الأمم؟! فقط تب يا إنسان هكذا، فلا ترفضك النعمة!

---

[١] في الطابعة البيروتية "راحاب وبابل اللتين تعرفانني".

[٢] لقــد أطال الله أناته كثيرًا على الشعب اليهودي بالرغم من قسوة قلوبهم حتى انتهي الأمر برفضـهم للمسيح وصلبه، فصار دمــه عليهم، وترك بيتهم خرابًا، ونزع عنهم سمة "شعب الله"، وفقدوا في نظر الله اسم "إسرائيل" روحيًا، ولم يعودوا أبناء إبراهيم بالروح.

غـد بـلا خجل إلى طريقك الذي للحياة، فإن الله بحق محب للبشر، ولا تقدر كل الأزمنة[1] أن تخبر عن محبته المترفقة، بل وكل الألسنة إن اجتمعت معًا لا تستطيع أن تخبر بما يليق بها. وإنما نحن نخبركم قليلاً مما ورد بشأن محبته للبشر المتحننة...

١١. ترفقه بداود الساقط

...تعـال إلى **داود الطوباوي** واقبله مثالاً للتوبة. فبقدر ما كان عظيمًا سقط. إذ قام مـن نـومه وأخذ يتمشى على السطح في المساء، تاركًا لنفسه أن ينظر بغير حرص، فشعر بشهوة بشرية. لقد أكمل خطيته لكنه لم يمت بسببها، وذلك بسبب صراحته في الاعتراف بها، عندما جاءه ناثان النبي كمتهم مفاجئ له ليشفي جرحه. إنه يقول له بأن الرب غاضب وأنت تخطيء.

لقـد عُرض الأمر على الملك الحاكم، فلم يتهاون داود الملك، إذ لم يهتم بمن يكلمه بل بالله الذي أرسله. إنه لم يتعجرف بحشود الجند المحيطين به، لأنه تطلع إلى جنود الرب الملائكـية. لقـد ارتعب إذ رأى من لا يُرى (عب ١١: ٧). لهذا قال للرسول بل بالأحرى أجاب الرب مرسله قائلاً: "أخطأت إلى الرب" (١ صم ١٢: ١٣).

أنظـر إلى تواضع الملك! تأمل اعترافه... لقد حدث كل شيء على وجه السرعة، فمـا أن ظهر النبي كمتهم حتى أعترف الخاطئ بخطيئته، وإذ أسرع بالاعتراف نال الشفاء بأقصى سرعة! فناثان الذي هدد هو بنفسه نطق للحال: "الرب أيضًا قد نقل عنك خطيتك". يا لعظمة رقة مراحم الله!...

١٢. هكذا إذن أراحه النبي، لكن الطوباوي داود إذ سمعه يقول: "الرب قد نقل عنك خطيتك"، لم يكف عن التوبة. ومع أنه كان ملكًا، لبس المسموح عوض الأرجوان، وجلس في الـرماد عـوض التاج الملكي... لا بل جعل الرماد طعامه، قائلاً: "إني قد أكلت الرماد مثل الخبز" (مز ١٠٢: ١٠). لقد غسل عينيه الشهوانيتين بالدموع قائلاً: "أعوِّم كل ليلة سريري، وبدموعي أبل فراشي" (مز ١٠٢: ٧).

وعندما سأله موظفوه أن يأكل خبزًا لم يسمع لهم، بل بقي صائمًا سبعة أيام كاملة.

إن كان الملك قد اعترف هكذا، أفما يليق بك أيها الشخص العادي أن تعترف؟

---

[1] الطبعة البندكتية: "لا تقدر كل البشرية أن تخبر..."

أيضـًا عـند عصـيان أبشالوم عليه كان أمامه طرق كثيرة للهروب، أما هو فاختار الهروب خلال جبل الزيتون (٢ صم ١٥: ٢٣)، وكأنه يناشد المخلص إذ من هناك صعد الرب إلى السماوات.

وعندما لعنه شخص بمرارة قال "دعوه" (٢ صم ١٦: ١٠)، عالماً أن من يغفر يُغفر له!

١٣. رحمته مع سليمان وآخاب ملك السامرة

لقد رأيت نفع الاعتراف. لقد أدركت كيف يوجد خلاص للتائبين.

سليمان أيضًا سقط، لكنه قال: "إني تُبت"[1].

أيضـًا **أخـآب ملـك السامرة**، صار أشر عبدة الأوثان. صار إنسانًا وحشيًا قاتلاً للأنبـياء[2]، غـريبًا عن الصلاح، مغتصبًا حقوق الآخرين وكرومهم (١ مل ٢١: ١٩). لكنه عندما قتل نابال مخدوعًا من إيزابيل وجاءه إيليا النبي يهدده خلع ثيابه ولبس المسوح، فماذا قـال الله الرحوم لإيليا؟ "هل رأيت كيف اتَّضع (نُخس في قلبه) أخآب أمامي"؟ (١ مل ٢١: ٢٩) وكان الله يريد أن يهدئ غيرة إيليا المتقدة من جهة التائب ويلطفها، إذ قال له: "لا أجلب الشر في أيامه".

ومـع تأكده أنه لا يترك شره سامحه، ليس جهلاً بما سيكون عليه في المستقبل، بل كـواهبٍ للغفران حسب التوبة المقدمة في ذلك الوقت. فإن عدل الله يقتضيه أن يحكم في كل قضية حسبما هي عليه في حينها.

١٤. ومع يربعام

وأيضـًا **يربعام** كان قائمًا عند المذبح يقدم ضحايا للأوثان، يده ملطخة بالدماء، هذا عـندما قبض على النبي الذي وبخه، بخبرته أدرك قوة الواقف أمامه، فقال له: "تضرع إلى وجه الرب إلهك" (١ مل ١٣: ٦) وبسبب هذا القول رجعت يده مرة أخرى كما كانت.

إن كان النبي شفي يربعام، أفما يستطيع المسيح أن يشفيك وينقذك من خطاياك؟!

---

[1] راجـع أم ٢٤: ٣٢. التـرجمة السبعينية. يرى القديس هيلاري أسقف بواتييه (مز١٢)، وأمبروسيوس (دفاعه ١) وآباء آخرون أن سليمان قد تاب، بينما يقول أغسطينوس إن الكتاب المقدس لم يذكر شيئًا عن توبته (راجع كتابنا عن تفسير سفر الحكمة، ص ٧).

[2] ١ مل ٢١: ٤. *Dantè L'Aradise Canto 10: 109*

١٥. ومع منسى

وأيضًا **منسى** كان شريرًا إلى أبعد حد. لقد نشر إشعياء ومزقه، وتدنس بكل العبادات الوثنية، ولطخ أورشليم بدم الأبرياء، لكنه عندما أُسر استخدم خبرته في محنته مستعينًا بالتوبة كعلاج، إذ يقول الكتاب عنه أنه "تواضع جدًا أمام الرب، وصلى إليه، فاستجاب له، ورده إلى مملكته" (إش ٣٨: ١). فإن كانت التوبة قد أنقذت من نشر النبي ومزقه، أفما تخلصك أنت يا من لم ترتكب مثل هذا الشر العظيم؟!

١٦. ومع حزقيا

أتريد أن تعرف ما هي قوة التوبة؟

أتريد أن تعلم سلاح الخلاص القوي وتدرك قوة الاعتراف؟

حزقيا بالاعتراف ضرب خمسة وثمانين ألفًا ومائة من أعدائه. يا له من أمر عظيم، لكنه يحسب قليلاً بالنسبة لما أذكره لك. إذ بالتوبة استطاع الملك أن يحصل على تغيير في القول الإلهي الذي نطق به فعلاً. إذ لما مرض قال له إشعياء: "أوصِ بيتك، لأنك تموت ولا تعيش". هل يمكن أن يقوم استثناء بعد، أو يوجد رجاء شفاء بعدما قال له النبي: "لأنك تموت"؟!

لكن حزقيا لم يكف عن التوبة. وبتذكره ما هو مكتوب: "متي رجعت وبكيت تخلص" (راجع إش ٣٠: ١٥)، اتجه بوجهه إلى الحائط وهو على سريره، رافعًا ذهنه إلى السماء (حيث لا تعوق الحائط بلوغ الصلوات بورعٍ إلى السماء) وقال: "أذكرني يا رب. يكفي أن تذكرني فأشفي!" (راجع إشعياء ٣٨)

إنك لا تخضع للزمان، بل أنت خالق القانون. أنت واهب قانون الحياة وتدبيرها حسب إرادتك، إذ لا تعتمد حياتنا على يوم ميلادنا، ولا على اقتران النجوم معًا في برجٍ واحد كما يظن البعض في غباوة.

ذاك الذي كان يمكنه إلاّ يرجو الحياة بسبب العبارة النبوية، صار له خمسة عشر عامًا مضافة إلى حياته، وكانت العلامة أن الشمس رجعت إلى خلف عشر درجات.

حسنًا! من أجل حزقيا رجعت، وأمّا من أجل المسيح انكسفت. لم ترجع درجات بل انكسفت معلنة بذلك الفارق بين حزقيا ويسوع!

الأول أبطل قرار الله (بالتوبة)، أفما يقدر يسوع على غفران الخطايا؟!

أرجعوا ونوحوا على أنفسكم! أغلقوا أبوابكم وصلوا لكي يغفر لكم!

صلوا لكي ينزع عنكم النار المحرقة، لأن له السلطان أن يطفئ حتى النار، وله قوة أن يبكم حتى الأسود!

١٧. مع حنانيا وصاحبيه

لكـنك إن كـنت لا تؤمن بهذا، فتأمل ما حدث مع **حنانيا وصاحبيه**، أي عواصف اطفأوهـا[١]؟! كـم من مياه كانت تحتاج إليها النار لإطفاء لهيبها الذي ارتفع تسعة وأربعين ذراعًا إلى فوق[٢]؟! فإذا ارتفع اللهب قليلاً[٣] إلى العُلى، تدفق عليها الإيمان، إذ تكلموا ضد كل الشرور[٤]. إذن توبتهم أطفأت اللهب[٥].

إن كنت لا تؤمن بقدرة التوبة على إطفاء نار جهنم فلتتعلم هذا من حنانيا.

لكن قد يقول أحد السامعين الحاذقين: هؤلاء الفتية خلصهم الله بعدل، إذ هم رفضوا الاشتراك في عبادة الأصنام فوهبهم الله هذا السلطان.

إذ يثور هذا الفكر فإنني أقدم مثلاً آخر بخصوص التوبة[٦]

١٨. ماذا تظن في نبوخذ نصر؟

ألم تسمع عنه في الكتاب المقدس كيف كان متعطشًا لسفك الدماء، وحشًا كالأسد[٧]؟! ألـم تسـمع عنه أنه أخرج إلى النور عظام الملوك من قبورهم (إر ٨: ١، با ٢: ٢٥). ألم تسـمع[٨] أنـه حمـل الشـعب إلى السبي؟ ألم تسمع أنه خلع عيني الملك بعدما أراه أولاده يذبحون؟! (٢ مل ٢٥: ٧)

---

[١] تضيف طبعة *Roe & Casauban* عبارة "في أتون النار".

[٢] تسبحة الثلاثة فتية.

[٣] طبعة *R. & C*. "كثيرًا".

[٤] تسبحة الثلاثة فتية وقد جاءت في طابعة R. & C. "ينابيع التوبة العظيمة قد تدفقت عليهم فقالوا..."

[٥] جاء في الطبعة المذكورة "إذن التوبة تطفئ لهيب الأتون، افما تؤمن إنها قادرة أيضًا على إطفاء نار جهنم؟!".

[٦] جـاء فـي الطبعة المذكورة (إذ هذه القصة لا تتناسب مع الحاضرين، لذلك لأن حنانيا وصاحباه رفضوا عبادة الأوثان، فوهبهم الله سلطانًا عجيبًا)، لذلك أخذت على عاتقي أن أقدم مثلاً آخر نظرا لوجود أمثلة كثيرة...

[٧] جاء في الطبعة المذكورة (قاسيًا متوحشًا في طبعه).

[٨] جاء في الطبعة المذكورة *R. & C*. (أما تعلم...).

ألـم تسمع أنه كسر الشاروبيم إلى أجزاء؟! لست اقصد الشاروبيم غير المنظورين[1] – هذا ما لا يخطر على الفكر قط يا إنسان[2]– بل الصورتين المنحوتتين على غطاء التابوت الذي في وسطه يتكلم الله بصوته[3]، كما داس تحت قدميه حجاب القدس[4]، وأخذ مذبح البخور وحمله إلى مذبح الأوثان؟! (٢ أي ٢٦: ٧) أخذ كل التقدمات، والهيكل حرقه من أساساته![5]

أيـة عقـوبة شديدة يستحقها هذا من أجل ذبحه الملوك وحرقه القدس وسبيه الناس وحمله الأواني المقدسة إلى بيت الأوثان؟! أما يستحق الموت عشرات الألوف؟!

١٩. لقـد رأيـت تفاقم شروره! تعال لترى محبة الله الحانية! لقد تحول إلى وحش بري[6]، وتأدب بالسكنى في البرية لكي يخلص. لقد صارت له مخالب كالأسد[7]، إذ كان زائرًا على القدس. أكل العشب كالثور، إذ كان بهيمي لا يعرف من الذي أعطاه المملكة. تبلل جسده بالندي، لأنه رأى النار تنطفئ بالندي ولم يؤمن[8].

ومـاذا حدث؟ يقول[9]: "بعد هذا أنا نبوخذنصر رفعت عيني إلى السماء... وباركت العلي، وسبحت وحمدت الحي إلى الأبد" (دا ٤: ٣٤).

إذ عرف العلي[10] نطق بالحمد لله، وتاب عن فعله. لقد عرف ضعفه فأعاده الله إلى كرامة ملكه.

٢٠. ماذا إذن؟[11] هل عندما اعترف نبوخذنصر الذي فعل كل هذه الأعمال ردّه إلى الملك وغفر له، وأنت عندما تتوب إلاّ يهبك مغفرة الخطايا وملكوت السماوات متى عشت في حياة بلا لوم؟!

---

[1] جاء في الطبعة المذكورة (السمائين)

[2] محذوفة من الطبعة *R. & C*.

[3] راجع خر ٣٧: ٧ الخ...، ١مل ٦: ٢٣-٢٦، ٨: ٦، ٧، ٢مل ٢٤: ١٣.

[4] الكلمة اليوناني تعني "القداسة".

[5] جاء في طبعة *R. & C*. (حجاب الهيكل مزقه، وعاد إلى المذبح وحمل الأواني إلى هيكل أوثان، والهيكل نفسه حرقه).

[6] جـاء في طبعة *R. & C*. (بعد هذا تحول إلى وحش مفترس هذا الذي كان في تصرفاته كوحش بري. تحول إلى وحش لا لكي يهلك بل لكي بالتوبة يخلص).

[7] الطبعة المذكورة (كالطيور) راجع دا ٤: ٣٣.

[8] الطبعة المذكورة (لأنه رأى حنانيا وأخويه في أتون النار كمن يسمعون صوت الندى ولم يؤمن!).

[9] الطبعة المذكورة "بعد هذا عاد إلى عقله وتاب ثم قال بنفسه...".

[10] الطبعة المذكورة جاءت بأكثر توسع.

[11] الطبعة المذكورة جاءت بأكثر توسع.

الـــرب محب للبشر، مسرع إلى المغفرة، لكنه يظهر العقوبة (التأديب)! إذن ليته لا ييأس أحد من خلاصه.

فبطـــرس الرسول[1] أنكر الرب ثلاث مرات، لكنه تاب وبكي بمرارة. بالبكاء تطهر قلبه، فلم ينل فقط المغفرة عن إنكاره، بل وعاد إلى كرامة الرسولية كما كان.

خاتمة

إذ قدمت لكم يا إخوة أمثلة كثيرة لأناس أخطأوا وتابوا وخلصوا، فهل تعترفون أنتم أيضًا من قلوبكم للرب، حتى يجعلكم مستحقين للعطية السمائية وميراث ملكوت السماوات مع كل القديسين في المسيح يسوع الذي له المجد إلى أبد الأبد، آمين[2].

---

[1] الطبعات الكاثوليكية جاءت "رئيس الرسل وأولهم ".

[2] الطبعة *R. & C*. جاءت بأكثر توسع.

المقال الثالث

في العماد

"أم تجهلـون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدفنا معه بالمعمودية للموت..."

(رو٦: ٣-٤).

١. السماوات تفرح لاتحادكم بالعريس

"لتفـرح السماوات ولتبتهج الأرض" (مز ٩٦: ١١) من أجل أولئك الذين يُنضحون بالـزوفا[١]، ويتطهرون بزوفا روحي[٢] هو قوة ذاك الذي في آلامه قُدم له أن يشرب من زوفا وقصبة[٣].

فإذ تفرح القوات السمائية، ليته تستعد هذه النفوس التي تتحد مع العريس الروحي، فتسمع صوتًا صارخًا في البرية: "أعدوا طريق الرب" (إش ٤٠: ٣).

إنـه ليس أمرًا بسيطًا ولا شيئًا هينًا ولا اتحادًا حسب الجسد، بل هو اختيار الإيمان يقوم به الروح القدس فاحص الكل (١ كو ٢: ٢٠).

إنه حيث توجد ثروة أو جمال يوافق العريس بسرعة، أما هنا فلا يطلب (العريس) جمال الإنسان بل نقاوة ضمير النفس. إنه لا يسعى إلى ماله بل ثروة النفس في الصلاح.

٢. أعدوا طريق الرب

يـا أبـناء البرّ، أنصتوا إلى نصيحة يوحنا، القائل: "اصنعوا طريق الرب مستقيمًا" (يو ١: ٢٣).انزعوا العقبات وكل حجر عثرة لكي تسيروا تجاه الحياة الأبدية باستقامة.

لتكن أواني النفس مستعدة، مطهرة بإيمان ثابت، لكي تتقبل الروح القدس.

ابـدأوا فـورًا في غسل ثيابكم بالتوبة، حتى متى دعيتم إلى حجال العريس يجدكم أنقياء.

---

[١] أو أشنان داود: نبات من الفصيلة الشفوية ذات أوراق عطرة حريفة المذاق.

[٢] الـزوفا الروحـي أو غير المنظور هو قوة الروح القدس المطهرة في المعمودية، كقول المرتل "اغسلني بزوفاك فأطهر" (مز ٥١: ٧).

[٣] يتحدث عن السيد المسيح في آلامه إذ قدم له ليشرب من زوفا (يو ١٩: ٢٩)، ومن قصبة (مت ٢٧: ٤٨).

حقًـا إن العـريس يدعو الجميع بغير تمييز، لأن نعمته غنية، وصوت الرسل يعلو صـارخًا لكـي يجمع الكل. لكن العريس نفسه يقوم بفرز من دخلوا معه في علاقة زوجية رمزية.

آه ليته لا يسمع أحد ممن سُجلت أسماؤهم هذه الكلمات: "يا صاحب كيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس؟" (مت ٢٢: ١٢).

ليتنا نسمع جميعًا: "نعمًا أيها العبد الصالح الأمين، كنت أمينًا في القليل، فأقيمك على الكثير. أدخل إلى فرح سيدك" (مت ٢٥: ٢٣).

فـإذ أنـتم الآن جالسـون خارج الباب، يهبكم الرب أن تقولوا: "أدخلني الملك إلى حجالـه" (نـش ١: ٤)، "لتبـتهج نفسي بالرب، لأنه قد ألبسني ثوب الخلاص. كساني رداء البهجة. توجني بعمامة[1] *garland* كعريس، وزينتني بحلي كعروس" (راجع إش ٦١: ١٠)، وبهذا تكون نفوسكم بلا دنس ولا شيء من هذا القبيل.

لسـت أقصد أن يكون لكم هذا قبل نوالكم النعمة، إذ كيف يمكن أن يتحقق هذا؟! إذ أنـتم مدعـوّون لنوال غفران الخطايا! لكن حين توهبون النعمة يكون ضميركم غير ملوم، منسجمًا مع النعمة.

٣. استعدوا للنعمة العظيمة

يا إخوة، حقًا أنها العماد أمر خطير، يليق بكم أن تقتربوا إليه بكل اهتمام صالح.

لقـد اقترب وقت امتثال كل واحد منكم في حضرة الرب أمام عشرات الألوف من الأجناد الملائكية، والروح القدس يختم نفوسكم.

إنكـم تسـجلون في جيش ملكٍ عظيمٍ. لذلك تزّودوا بارتدائكم ليس لباسًا لامعًا، بل ورع النفس بضمير صالح.

لا تنظـروا إلى الجرن كماء بسيط، بل بالأحرى تطلعوا إلى النعمة الروحية التي توهب مع الماء.

فكمـا أن التقدمات التي ترفع على مذابح الأوثان تتدنس بتكريسها للأصنام بالرغم مـن كـونها بسـيطة في طبيعتها، هكذا على النقيض يحمل الماء البسيط قوة جديدة للقداسة بتكريس الروح القدس والمسيح والآب.

---

[1] الكلمة اليونانية في النص تعني تاج الكاهن أو البرطل الكهنوتي.

٤. تقدسوا بالماء والروح

للإنســـان طبيعة ذات جانبين هما النفس والجسد، هكذا تحمل التنقية جانبين: جانب غيــر مادي من أجل ما هو غير مادي (النفس)، وجانب جسداني من أجل الجسد. الماء ينظف الجســد، والروح يختم النفس. بهذا نقترب إلى الله بقلب مرشوش بالروح، وجسد مغتسل بالماء (عــب ١٠: ٢٢). إذن عــندما تنــزلون في الماء لا تفكروا في المادة المجردة، بل تطلوا إلى الخلاص بقوة الروح القدس. لأن بدونهما – كلاهما – لا يمكن أن تصيروا كاملين.

ومـــا أقوله هذا ليس من عندي، إنما هو كلام الرب يسوع صاحب السلطان في هذا الأمـــر. إنــــه يقـــول: "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (راجع يو ٣: ٣). فمن يعتمد بالماء ولا يكون متأهلاً للروح (بسبب سوء نيته) لا يتقبل نعمة الكمال، كذلك إن كان فاضلاً في أعماله ولم يتقبل الختم بالماء لا يدخل ملكوت السماوات.

هذا القول فيه جسارة، لكنه ليس مني، بل أعلنه يسوع. وفيما يلي برهان على ذلك بشـــهادات مـــن الكتاب المقدس. كان كرنيليوس إنسانًا بارًا، تكرم برؤية ملائكة، وصعدت صـــلواته وصـــدقاته تذكارًا صالحًا أمام الله في السماء. جاءه بطرس وانسكب الروح القدس على المؤمنين، وتكلموا بألسنة وتنبأوا، وبعد نعمة الروح يقول الكتاب إن بطرس أمرهم أن يعـــتمدوا باســـم يســـوع المسيح (راجع أع ١٠: ٤٨) حتى تولد النفس مرة أخرى بالإيمان، ويكون للجسد شركة في النعمة بواسطة الماء.

٥. لماذا اختار الماء للعماد؟

إن أراد أحـــد أن يعرف سبب إعطاء النعمة بواسطة الماء دون سواه، فليتعلم هذا مـــن الكـــتاب المقـــدس. الماء شيء عظيم، وهو ألطف العناصر المنظورة التي يتكون منها العـــالم... فقـــبل الأيام الست التي فيها تكونت الأشياء كان "روح الله يرف على وجه المياه" (تك ١: ٢). **الماء هو بدء العالم، كما أن الأردن هو بداية بشارة الإنجيل.**

خلاص إسرائيل[1] من فرعون كان **خلال البحر**، وخلاص العالم من الخطيئة يتم بغسل المـــاء بكلمة الله (أف ٥: ٢٦). **وحيث يقطع عهد يكون الماء أيضًا.** فبعد الطوفان قطع عهد **مع نوح، ومن جبل سيناء كان هناك عهد بماء** وصوفًا قرمزيًا وزوفا (عب ٩: ١٩)...

---

[1] سبق لي في مواضع كثيرة الإشارة أن ما حدث مع بني إسرائيل لم يكن إلا رمزًا لما يتم مع كنيسة العهد الجديد التي قبلت الإيمان بينما رفضه اليهود وصاروا غير مؤمنين، وانتقت عنهم جميع المواعيد، وخلعوا أنفسهم من دائرة شعب الله.

إيلــيا صعد بوجود الماء، إذ عبر أولاً على الأردن وبعد ذلك ارتفع في مركبة إلى السماء.

رئيس الكهنة كان يلزمه أن يغتسل قبل أن يقدم بخورًا، إذ اغتسل هارون وبعد ذلك صار رئيس كهنة، لأنه كيف يقدر أن يصلي عن الآخرين من لم يتطهر بالماء؟!

كذلك كانت توجد **مرحضة في خيمة الاجتماع** تشير إلى المعمودية.

٦. العماد خاتمة العهد القديم وبداية الجديد

العماد هو خاتمة العهد القديم وبداية العهد الجديد، إذ قام به يوحنا الذي ليس من بين موالــيد النساء من هو أعظم منه. إنه نهاية الأنبياء "لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنــبأوا" (مــت ١١: ١٣). وهو بكر ثمار الإنجيل إذ قيل: "بدء إنجيل يسوع المسيح... كان يوحنا يعمد في البرية" (مر ١: ٤١).

قد تشير إلى إيليا التسبيتي الذي أُخذ إلى السماء، لكنه مع هذا ليس أعظم من يوحنا.

أخنوخ انتقل، ومع ذلك ليس أعظم من يوحنا.

موســى مســتلم الشــريعة العظيم جدًا، وكل الأنبياء نُعجب بهم لكنهم ليسوا أعظم مــن يوحــنا. إننــي لســت أتجاسر فأقارن بين الأنبياء بالأنبياء، لكن سيدهم وسيدنا، الرب يســوع، أعلــن ذلك قائلاً: "الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا" (مــت ١١: ١١). إنــه لم يقل "بين المولودين من العذارى"، بل "بين المولدين من النساء". فالمقارنــة هــنا بــين الخادم العظيم وزملائه من الخدام، أما سموّ الابن ونعمته فيفوقان كل مقارنة...

انظر كيف اختار الله إنسانًا عظيمًا كأول خادم للنعمة؟! اختار إنسانًا لا يملك شيئًا، محــبًا للبــرية، لكنه غير مبغض للبشرية. يأكل الجراد وتطير نفسه تجاه السماويات. يقتات بالعسل، ويتحدث عن أمورٍ أحلى من العسل وأقْيَم منه، يلبس ثوبًا من وبر الإبل، مقدمًا نفسه مثالاً للحياة النسكية. تقدَّس بالروح وهو بعد محمول في أحشاء أمه!

إرمــيا تقــدس، لكــنه لم يتنبأ وهو في الرحم (إر ١: ٥)، إنما يوحنا وحده الذي ركــض بابتهاج وهو محمول في الرحم (لو ١: ٤٤). ومع أنه لم يرَ سيده بعينيه الجسديتين لكــنه عــرفه بالروح. **فــإذ كانت نعمة العماد عظيمة لهذا تطلَّبت أن يكون موجدها عظيمًا أيضًا.**

٧. اعترفوا بخطاياكم

كان هذا الرجل يعمد في الأردن فخرجت كل أورشليم (مت ٣: ٥) لتتمتع ببكورات العماد، إذ يوهب لأورشليم امتياز في كل عملٍ صالحٍ.

تعلمـوا يـا سـكان أورشليم كيف كان يعمد الخارجين إليه، "المعترفين بخطاياهم" (مـت ٣: ٦). لقد كانوا يكشفون له جراحاتهم، ويقدم لهم العلاج، فيخلص الذين يؤمنون من النار الأبدية.

وإن أردت فحـص هـذه الـنقطة، أي أن عماد يوحنا يخلصهم من التهديد بالنار، اسـمعوا قـوله: "يـا أولاد الأفاعـي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي" (مت ٣: ٧). لا تكـن بعـد أفعى. فإذ لك جلد أفعى قديم، أي حياتك الماضية، اخلعه عنك. لأن كل أفعى تـزحف فـي جحر وتتخلص من جلدها القديم، وبهذا يتجدد شباب جسدها. هكذا ادخل أنت أيضًـا مـن الطريق الكرب الضيق (مت ٧: ١٣-١٤)، واخلع القديم بالأصوام، واترك ذاك الذي يهلكك. اخلع الإنسان العتيق مع أعماله (كو ٣: ٩). وقل مع نشيد الأناشيد: "قد خلعت ثوبي فكيف ألبسه؟!"[١].

لكن ربما يكون فيكم مرائي أو من يحب إرضاء الناس، ومن يتظاهر بالتقوى دون أن يكون له إيمان القلب، فيكون له رياء سيمون الساحر، فيأتي لا ليتقبل النعمة بل ليتجسس على ما يُعطى هنا. ليته يتعلم أيضًا من يوحنا "الآن قد وُضعت الفأس علي أصل الشجر، فكل شجرة لا تصنع ثمرًا جيدًا، تُقطع وتلقى في النار" (مت ٣: ١٠).

إن الديّان لا يتهاون، اخلع عنك الرياء!

٨. ثمار التوبة العملية

إذن مـاذا يليق بكم أن تفعلوا؟! وما هي ثمار التوبة؟ "من له ثوبان فليعطِ من ليس له" (لو ٣: ١١).

المعلـم بهذا مستحق للثناء، إذ مارس بنفسه ما علَّم به. لهذا لم يخجل من أن ينطق بهذا، إذ ضميره لم يخالف لسانه.

[١] فـي سفر النشيد (٥: ٣) يشير النص إلى الاعتذار عن عدم القيام من السرير للسير مع الرب، لكن القديس يستخدمه هنا بمعنى مغاير.

"ومـــن له طعام فليفعل هكذا". أتريد أن تتمتع بنعمة الروح القدس، ومع ذلك تحكم بـــأن الفقير غير مستحق للطعام المادي؟! أتطلب الخيرات العظيمة وأنت لا تجود بالخيرات البسيطة؟!

حتـــى إن كنت عشارًا أو زانيًا ترجَ الخلاص، فإن العشارين والزناة يسبقونكم إلى ملكـــوت الله (مـــت ٢١: ٣١). لقـــد شهد بولس بذلك قائلاً: "لا زناة ولا فاسقون... يرثون ملكوت الله، وهكذا **كان أناس منكم**. لكن اغتسلتم بل تقدستم" (١ كو ٦: ٩-١١). إنه لم يقل "هكـــذا فـــيكم أنـــاس" بل "كان أناس منكم". إذ الخطية المرتكبة بجهل يُعفي عنها، أما عناد الشرير فيُدان عنه.

٩. يا لعظمة المسيح واهب العماد

إن كـــان لكم الابن نفسه، ابن الله الوحيد، كمجد العماد فلماذا أتكلم بعد عن إنسان؟! حقًـــا كان يوحنا عظيمًا، لكن ماذا يكون يوحنا بجانب الرب؟! إنه صوت صارخ، لكن ماذا يكون إن قورن الصوت بالكلمة؟! هذا الرسول نبيل جدًا، لكن ماذا يحسب إن قورن بالملك؟!

نبـــيل هـــو هذا الذي عمد بماء، لكن ماذا يكون إن قورن بالذي يعمد بالروح القدس ونـــار؟! (مـــت ٣: ١١) إذ عمـــد المخلص الرسل بالروح القدس ونار عندما "صار بغتة من الســـماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة، وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين. وظهرت لهم ألســـنة منقســـمة كأنها من نار واستقرت على كل واحدٍ منهم، وامتلأ الجميع من الروح القدس" (أع ٢: ٢-٤).

١٠. معمودية الدم

مـــن لا ينال المعمودية لا يتمتع بالخلاص، اللهم إلا الشهداء الذين يتقبلون الملكوت حتى بدون ماء. لأنه عندما طُعن المخلص في جنبه لخلاص العالم بصليبه أفاض دمًا وماء، لكي يتعمد من هم في زمن السلم بالماء، ومن هم في وقت الاستشهاد بدمهم.

اعتاد الرب أن يدعو الاستشهاد عمادًا قائلاً: "أتستطيعان أن تشربا الكأس التي أشربها أنا، وأن تعتمدان (تصطبغان) بالمعمودية (الصبغة) التي اعتمد بها أنا؟! (مر ١٠: ٣٨)...

١١. في المعمودية رضض الرب رؤوس الشيطان

لقد قدس يسوع المعمودية باعتماده بنفسه. إن كان ابن الله قد اعتمد فكيف يمكن أن يكون ورعًا من يحتقر العماد؟!

إنـــه لم يعتمد لينال غفران خطايا، إذ هو بلا خطيته. لكنه إذ هو هكذا بلا خطية اعتمد ليهب المعمَّدين نعمة سماوية علوية. "فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضًا كذلك فيهما" (عب ٢: ١٤)، حتى إذ تشاركنا بحضوره في الجسد نصير شركاء معه في نعمته الإلهية. هكذا اعتمد يسوع لكي بشركتنا معه نتقبل الخلاص والكرامة.

جاء في أيوب أنه كان في المياه الوحش الذي **"اندفـــق الأردن في فمه"** (أي ٤٠: ٢٣)، وكان يلزم تحطيم رؤوسه (مز ٧٤: ١٤)، لهذا نزل (السيد) وربط القوي في المياه، حتى نال قوة فيها إذ يكون لنا سلطان أن ندوس على الحيات والعقارب (لو ١٠: ١٩).

كـــان الـــوحش عظيمًا ومرعبًا، لا يقدر أي قارب صيد أن يقاوم ضربة واحدة من ذيلـــه[1]، ثائرًا على كل من يلتقي به. لقد نزل "الحياة" إليه ليلتقي معه، فيسد فم الموت هناك، عـــندئذ إذ نخلص نقول: "أين شوكتك يا موت؟! أين غلبتك يا قبر؟!" (راجع ١ كو ١٠: ٥٥) لقد نُزعت شوكة الموت بالعماد.

١٢. بالمعمودية ندفن ونقوم في برّ

إنكـــم تدخلـــون المياه حاملين خطاياكم، وبابتهال النعمة التي تختم نفوسكم لا يعود يبتلعكم الوحش المرعب.

إذ تنـــزلون أمواتًا في الخطايا تصعدون أحياء في البرّ. فان كنتم قد صرتم متّحدين مـــع المخلص بشبه موته تصيرون جديرين أيضًا بقيامته (رو ٦: ٥). لأنه كما حمل يسوع خطايا العالم ومات، حتى بإماتته الخطية نقوم في برٍّ، هكذا بنزولكم في الماء إذ تُدفنون فيه، كما دُفن هو في الصخرة، تقومون أيضًا سالكين في جدة الحياة (رو ٦: ٤).

١٣. بالمعمودية ننال سلطانًا لمقاومة إبليس

أضـــف إلى هذا، أنكم إذ تتأهلون للنعمة يهبكم سلطانًا لمحاربة القوات المضادة. فكما جُرب أربعين يومًا بعد عماده، لا لأنه كان عاجزًا عن نوال النصرة قبل ذلك، بل أراد أن يفعل كـــل شـــيءٍ بتـــرتيبٍ حسنٍ وتدبيرٍ صالحٍ، هكذا أنتم أيضًا على نفس المثال بعد نوالكم النعمة تصيرون واثقين في سلاح البرّ (٢ كو ٦: ٧)، فتدخلون المعركة وتكرزون بالإنجيل إن أردتم، أنتم الذين كنتم قبل العماد لا تتجاسرون على الصراع مع المقاومين (الشياطين).

---

[1] الترجمة السبعينية أي ٤٠: ٢٦ عوض أي ٤١: ٧ التي بين أيدينا.

١٤. بالمعمودية ننال التبني

يسوع المسيح هو ابن الله، ومع هذا لم يكرز قبل العماد بالإنجيل (الذي جوهره هو التمتع بالتبني لله خلال السيد المسيح).

إن كان السيد نفسه قد اتبع هذا الوقت المناسب اللائق، فهل يجوز لنا نحن خدامه أن نخالفه النظام؟! إذ "من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز" عندما "نزل عليه الروح القدس بهيئة جسيمة مثل حمامة" (مت ٤: ١٧؛ لو ٣: ٢٢) لا لكي يراه يسوع فيعرفه، إذ هو يعرفه قبلما يأتي عليه على هيئة جسيمة، إنما لكي يراه يوحنا الذي يعمده إذ يقول: "لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلاً ومستقرًا عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس" (يو ١: ٢٣).

إن كنت أنت أيضًا تحمل درعًا قويًا، فإن الروح القدس يحل عليك، والآب يكلمك من فوق من الأعالي ليس قائلاً: "**هذا هو ابني**" بل "**الآن صرت ابني**"، لأن فعل المضارع في "هذا **يكون** ابني" يخص الابن وحده الذي "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله" (يو ١: ١)، فهو وحده الذي يقال له: "هو **يكون** ابني" إذ هو على الدوام ابن الله. أما أنت فيُقال لك: "الآن تكون" إذ **لا تحمل بنوة طبيعية بل تتقبلها بالتبني**. هو ابن سرمدي، أما أنت فتقبل النعمة مؤخرًا.

١٥. استعد مهما بلغت خطاياك

ليكن إناء نفسك مُهيأ لتصير ابن لله ووارث مع المسيح (رو ٨: ١٧).

إن كنت حقًا تُعد نفسك لتقبل هذا، إن كنت بحق تقترب إلى الإيمان لتكون مؤمنًا، إن كنت تخلع الإنسان العتيق من أجل غرض أمامك، فإن كل ما اقترفته يُغفر لك، سواء الزنا أو الدعارة أو أي شكل من أشكال الفسق.

أية خطية أعظم من أن يَصلب الإنسان المسيح، ومع هذا فإن العماد يغسلها! لأنه هكذا تحدث بطرس مع الثلاثة آلاف الذين جاءوا إليه. هؤلاء الذين صلبوا الرب، إذ سألوه قائلين: "ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة؟!" (أع ٢: ٣٧) فإن الجرح عظيم؟! لقد جعلتنا يا بطرس نفكر في خطيتنا بقولك: "رئيس الحياة قتلتموه" (أع ٣: ٥١). فأي تضميد يصلح لجرحٍ عظيمٍ كهذا؟! أي تطهيرٍ يكون لغباوة كهذه؟! أي خلاصٍ لهلاكٍ مثل هذا؟!

إنـــه يقـول: "توبــوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح ربنا لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس" (أع ٢: ٣٨).

يا لحب الله المترفق غير المنطوق به؟! مع أنهم كانوا بلا رجاء من جهة خلاصهم، لكنهم مع ذلك تأهلوا للروح القدس! هل رأيت قوة المعمودية؟!

إن كـــان أحدكم يصلب المسيح بكلمات تجديفه، إن كان أحدكم ينكره في جهلٍ أمام الناس، إن كان أحدكم يجدف على التعاليم بكلمات شريرة، فليتب، وليكن له رجاء صالح، لأن النعمة حاضرة إلى الآن.

١٦. تشجعوا... الرب يطهركم!

"تشــجعي يـــا أورشليم فإن الرب ينزع عنكِ كل آثامك"، "الرب يغسل دنس أبنائه وبـــناته بـــروح القضـــاء وبـــروح الإحراق"، "سيرش عليكم ماء طاهرًا، فيطهركم من كل خطاياكم" (راجع صف ٣: ١٤، ١٥؛ إش ٤: ٤؛ حز ٣٦: ٢٥).

إن الملائكـــة سترقص حولكم قائلة: "من هذه الطالعة في ثوب أبيض مستندة على حبيبها" (راجع نش ٨: ٥).

لأن الـــنفس التـــي كانـــت قبلاً عبدة تبناها سيدها كقريبة له، وإذ يرى أمامه غاية راسخة يجيب: "ها أنت جميلة يا حبيبتي. ها أنت جميلة... أسنانك كقطيع الجزائر الصادرة مـــن الغســـل، وذلك بسبب الاعتراف بضميرٍ صالحٍ، كل واحدة متئم" (نش ٤:١، ٢) وذلك بســـبب الـــنعمة ذات الجانبـــين "أي توأم": أقصد أنها تصير كاملة بالماء والروح، أو النعمة المعلنة في العهدين القديم والجديد.

لـــيت الله يسمح أن تذكروا جميعكم ما أقوله لكم عندما تنهون فترة الصوم، وتأتون بثمـــر أعمـــال صالحة، فتقفوا أمام العريس الروحي بلا لوم وتنالوا غفران خطاياكم من الله الذي له المجد مع الابن والروح القدس إلى الأبد. آمين.

المقال الرابع

في البنود العشر التعليمية[1]

"انظـروا أن لا يكـون أحـد يسبيكم "يفسدكم" بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم..." (كو ٢: ٨).

دعوة للتمتع بروح التمييز

١. الرذيلة تحاكي الفضيلة، وذلك كما يجتهد الزوان أن يبدو قمحًا، فينمو مثله في مظهـره، لكن يكتشفه عارفوه ويميزونه من طعمه. هكذا أيضًا يُغير الشيطان نفسه في شكل مـلاك نـور (كـو ١١: ١٤)، لا لكـي يصـعد مرة أخرى إلى حيث كان، إذ قلبه صلب كالسـنديان[2]، فصارت إرادته عاجزة عن أن تتوب، إنما يفعل هذا بقصد إغراق السالكين في حياة ملائكية في ظلمات العمى والكفر المهلك.

ذئـاب كثيرة تجول في ثياب حملان (مت ٧: ١٥)، نعم ثيابها ثياب حملان وليس أظافـرها أو أسـنانها. وإذ هم يسيرون في الجلد الناعم يخدعون الأبرياء بمظهرهم، فيبثّون فيهم من أنيابهم سم الدنس المهلك.

إذن نحـن نفتقر إلى نعمة إلهية وذهن علوي وبصيرة نفاذة، حتى لا نأكل الزوان علي أنه حنطة، فيصيبنا ضررٌ من الجهل، ونسقط فريسة للذئاب التي نحسبها حملان، ويبيدنا الشـيطان المهلـك الذي نظنه ملاكًا مباركًا. إذ يقول الكتاب: "كأسد زائر يجول ملتمسًا من يبـتلعه هو" (١ بط ٥: ٨). هذا هو السبب لتحذيرات الكنيسة، وهو الدافع لتعليماتنا الحالية، الدروس التي تقرأ الآن.

---

[1] هـذا الـرقم "١٠" لبنود التعليم ذكره المؤرخ ثيؤدورت حين اقتبس بندًا منهم خاص بـ "ميلاد السيد المسيح من عذراء" ذاكرًا أنه مقتطف عن المقال التعليمي الرابع لكيرلس الأورشليمي.

لكن اختلفت المخطوطات في تحديد البنود بين ١٠، ١١. واختلفت أيضًا في العناوين وعملية الترقيم بكل بند على حده.

وأنني في هذا المقال اقتبس التبويب والعناوين عن مجموعة آباء نيقية كما هي.

[2] راجـع أي ٤١: ٢٤ الترجمة السبعينية وقد استخدم هذا النص في الرد على الأفكار الاوريجانية القائلة بان الشيطان يمكن أن يخلص.

الحاجة إلى الإيمان العملي

٢. لأن طريق الصلاح يحمل أمرين: تعاليم ورعة، وتدريب عملي للفضيلة. ولن تكون التعاليم مقبولة لدى الله بعيدًا عن الأعمال، ولا الأعمال دون أن تتكمّل بالتعاليم التقوية. لأنه ما الفائدة إن عرفت التعاليم الخاصة بالله معرفة حسنة ومع ذلك أنت زانٍ دنيء؟! أو أي أنفع أن تكون نبيل الطبع وأنت مجدف جاحد؟! لذلك فإن معرفة التعاليم تُعتبر مقتنيات ثمينة، لكـنها في نفس الوقت تحتاج إلى نفسٍ متيقظةٍ، إذ كثيرون يفسدون بالفلسفة والخداع الباطل (كو ٢: ٨).

فاليونانـيون[1]، من ناحية يسحبون الناس خارجًا بلسانهم اللين، إذ يقطر العسل من شفتي الزانية (أم ٥: ٣). **وأهل الختان**[2]، من ناحية أخرى يخدعون من يلتقون بهم بتفسيرهم الكتاب المقدس تفسيرًا خاطئًا رغم دراستهم له منذ الطفولة حتى الشيخوخة (راجع إش ٤٦: ٣ *LXX*). أما **الهراطقة** فبأعمالهم الصالحة ولسانهم اللين يخدعون قلوب البسطاء (رو ١٦: ١٧) تحت ستار اسم المسيح، إذ يدسون أسهمًا مسمومة هي تعاليمهم المملوءة كفرًا.

عن هؤلاء جميعًا يقول الرب "انظروا لا يضركم أحد" (مت ٢٤: ٤).

لهذا نقوم بتعليم قانون الإيمان وشرحه لكم.

٣. لكننـي أظـن أنه يليق قبل تسليمكم قانون الإيمان أن نقدم لكم ملخصًا مقتضبًا للتعاليم الضرورية حتى لا يسبب كثرة الكلام مع طول فترة أيام الصوم الكبير المقدس نسيانًا فـي أذهـان البسطاء منكم. فأقوم بغرس بعض بذور التعاليم باقتضاب فلا تنسونها، نعالجها بأكثر إسهاب فيما بعد.

لـيت الناضجون ذهنيًا من الحاضرين الآن، والذين "لهم الحواس مدربة على التمييز بـين الخيـر والشـر" (عب ٥: ١٤)، يحتملون بصبر الإنصات إلى أمور تتناسب بالأكثر مع الأطفال، إذ هو حديث افتتاحي يُقدم مثل لبنٍ (للأطفال). بهذا ينتفع المحتاجون إلى التعليم، وفي نفس الوقت يتذكره جيدًا الذين لهم سابق معرفة به.

الله الواحد

٤. أولاً لنلقِ "التعليم عن الله" كأساس في أنفسكم.

---

[1] يقصد باليونانيين الوثنيين الذين عشقوا الفلسفات اليونانية الوثنية.

[2] أي اليهود.

إنه الله (الآب)، واحد وحيد غير مولود، بلا بداية ولا تغيير، ليس فيه تنوع، ليس مولودًا من آخر، ولا يعقبه آخر، لم يبدأ في زمن للحياة ولا ينتهي قط.

إنه صالح وعادل في نفس الوقت، فإن سمعت من هرطوقي ينادي بوجود إله عادل وآخر صالح[1] تذكر في الحال سهام الهراطقة المسمومة. إذ يتجاسر البعض في كفر أن يقسموا الله الواحد. وقال البعض إن واحد خالق للنفس وآخر إله الجسد[2]. وهذا التعليم غامض وشرير. لأنه كيف يمكن لإنسان أن يصير خادمًا للسيدين، بينما يقول ربنا في الإنجيل "لا يقدر أحد أن يخدم سيدين؟!" (مت ٦: ٢٤؛ لو ٦: ١٣)

يوجد الله، واحد وحيد، خالق للنفوس والأجساد، واحد هو خالق السماء والأرض، صانع الملائكة ورؤساء الملائكة.

هو خالق لكثيرين، لكنه أب لواحدٍ وحيد قبل كل الدهور، الابن الواحد الوحيد ربنا يسوع المسيح، الذي به خلق كل شيء، ما يُرى وما لا يُرى (يو ١: ٣؛ كو ١: ١٦).

سمو كمال الله

٥. إن أبا ربنا يسوع المسيح، الذي لا يحده مكان، هو ليس بأقل من السماء، بل هي عمل يديه (مز ٨: ٣)، وكل الأرض في قبضته (إش ٤٠: ١٢). إنه في كل شيء ومحيط بكل شيء!

لا تظن أن الشمس أكثر منه بهاءً، ولا مساوية له في الضياء، بل يليق بموجدها أن يكون أعظم منها وأبهى بما لا يقاس!

لقد سبق فعرف كل شيء قبل كونه. هو أقدر من الكل، عالم بكل شيء. يعمل ما يريده دون أن يخضع إلى حتمية إلزامية، ولا لحركات نجم[3]، ولا لمحض صدفة أو قضاء وقدر. إنه كامل في كل شيءٍ. يملك كل أشكال الفضائل في كمال مطلق متساوٍ، لا ينقص ولا يزيد. بل كما هو بلا تغيير... يُعد العقوبة للخطاة والإكليل للأبرار.

---

[1] ذكر **القديس إيريناؤس** (ضد الهرطقات ١: ٢٧) *أن Cerdo* نادى بأن إله الناموس والأنبياء ليس هو أبًا ربنا يسوع المسيح، بل هو واحد عادل والآخر صالح. كذلك جاء في (ضد الهرطقات ٣: ٢٥: ٣) أن مرقيون قسم الله إلى اثنين الواحد يدعي صالحًا، والآخر عادلاً، وبهذا وضع حدًا للاهوت. راجع أيضًا **العلامة ترتليان** ضد مرقيون ١: ٢، ٦. **والعلامة أوريجينوس** ضد مكسيموس ٤: ٥٤.

[2] من هؤلاء أتباع ماني.

[3] كان كثيرون يؤمنون أن مجريات الأمور تحدث حسب حركات النجوم.

الحفظ من عبادة الأوثان

٦. لقد ضل كثيرون عن الله الواحد بطرقٍ متعددة، فعبد البعض الشمس حتى متى غابــت يســكنون فــي الليل بغير الله. والبعض عبدوا القمر فلا يكون لهم الله في النهار[١]. والبعض عبدوا أجزاء العالم الآخرى[٢]. والبعض عبدوا الفنون[٣].

وعــبدَ البعض أنواع أطعمة مختلفة[٤]، والبعض ملذاتهم[٥]، وسُحر البعض بالنساء، فأقاموا تمثالاً لامرأة عارية ودعوها أفروديت[٦]، وعبدوا شهواتهم بصورة منظورة.

وبُهر البعض ببريق الذهب فعبدوه[٧]، وآخرون عبدوا أنواعًا أخرى من هذه الأمور.

أمــا من ألقى في قلبه تعليم وحدانية الله كأول أساس، ووثق فيه للحال ينزع عنه حصيلة[٨]، شرور عبادة الأصنام وكل أخطاء الهراطقة.

إذن ألقوا بالإيمان بهذا التعليم الديني الأول كأساس في أنفسكم.

المسيح

٧. آمــن أيضًا بابن الله الواحد الوحيد، ربنا يسوع المسيح، المولود، إله من إله، حــياة من حياة، نور من نور، مساوٍ لمن ولده في كل شيء[٩]، لم يتقبل وجوده في زمان، بل هو أزلي قبل كل الدهر، مولود من الآب بطريقة لا تدرك.

إنه حكمة الله وقوته، وبرّه، كائن فيه شخصيًا[١٠].

جــالس عن يمين الآب قبل كل الدهور. لأنه لم يتقبل العرش الذي عن يمين الآب كجزاء لاحتماله بصبرٍ كما يظن البعض، إنما تقبله بوجوده السرمدي...

---

[١] أي ٣١: ٢٦، ٢٧ كان التعبد للشمس والقمر منتشرًا في المسكونة تحت أسماء مختلفة.

[٢] الإله *Gaea* أو *Tellus* هو الأرض، وزيوس أو جوبتر هو السماء. كما عبد البعض الأنهار والينابيع.

[٣] لقــد عُــبدت الموســيقى والطب والصيد والحرب والزراعة والتعدين. وأبولو إله الجمال والرجولة والشعر والموسيقى. واسكولابوس أو عسقولاف إله الطب عند الإغريق. وديانا إله الصيد، ومارس إله الحرب عند الرومان. وفلكان إله النار والمعادن عندهم.

[٤] ذكر هيرودت أن المصريين يتعبدون لطيور معينة وأسماك وبهائم.

[٥] مثل عروس *Eros* إلهة الحب عند الإغريق.

[٦] إلهة العشق والجمال عند الإغريق.

[٧] مثل فلوطس *Blutus* إله الثروة عند الإغريق.

[٨] في بعض النسخ "فساد".

[٩] الكلمــة اليونانية تعني"مشابه". وقد أثار هذا اللفظ مشاكل كثيرة إذ خشي الأرثوذكس أن يُظن وجود إلهين متشابهين، لذلك فالدقة تستلزم القول "واحد مع الآب في كل شيء (في ذات الجوهر)".

[10] *His Righteousness Personally Subsisting.*

هو شريك الآب في عرشه بكونه الله والحكمة والقوة، وكما يقال عنه إنه يملك مع الآب... دون أن ينقص شيئًا من الكرامة الإلهية.

إنه يعرف (الآب) الذي ولده، كما يعرف هو أيضًا أنه مولود منه. وباختصار أذكر ما جاء في الإنجيل: "لا يعرف أحد الابن إلاّ الآب، ولا الآب إلاّ الابن" (مت ١١ :٢٧؛ يو ١٠: ١٥؛ ١٧: ٢٥).

واحد مع الآب

٨. علاوة على هذا، لا تفصل بين الابن والآب[١]. لا تعتقد في ابن شبيه بالآب (*Son - Fatherhood*)... بل آمن أن الله الواحد ابن واحد وحيد، هو كلمة الله من قبل الدهور. ليس كلمة منطوقه[٢] منتشرة في الهواء، ولا شبه الكلمات غير الذاتية، بل هو الكلمة الابن خالق كل المخلوقات العاقلة، يسمع الآب وهو نفسه يتكلم.

ليت الله يسمح فنتكلم عن هذه الأمور بأكثر توسع في الوقت المناسب حتى لا ننسى هدفنا الحالي، أي تقديم تمهيد لعقائد الإيمان باختصار.

ميلاده من عذراء

٩. آمِنْ أن ابن الله الوحيد هذا نزل من السماء إلى الأرض من أجل خطايانا. لبس هذه الطبيعة البشرية وتشبه بنا (أع ١٤: ١٥؛ يع ٥: ١٧)... وولد من العذراء القديسة من الروح القدس، وصار إنسانًا.

لم يكن هذا خيالاً، ولا مجرد مظهر، بل بالحق صار هكذا[٣]، ولا عبر في العذراء كما في قناة[٤] بل صار منها جسدًا فعلاً "وانتعش باللبن فعلاً"[٥]، وأكل مثلنا فعلاً، وبحق شرب، فلو كان التجسد خيالاً لصار الخلاص أيضًا خيالاً...

---

[١] أثارت هذه النقطة اهتمام أساقفة مجمع نيقية، وهو أن الابن، الوحيد واحد مع الآب في الجوهر غير منفصل قط عنه.
Cf: St Athans. De Decrets Syno 20. & Tert : marcion 4: 6 & Ignatius to Trall 6. (نسخة المطولة)

[٢] قال بولس السموساطي إن الكلمة غير شخصية، وإنها مجرد عمل من أعمال الله وليس نطقًا إلهيًا.

[٣] ظهرت بعض الهرطقات لها سمات فارسية، تؤمن بأن المادة ظلمة والجسد من صنع آلهة الشر، لذلك في نظرهم السيد المسيح لم يكن له جسد حقيقي حتى لا تكون فيه ظلمة، بل شُبِّه للناس أنه يحمل جسدًا وأنه جاع وعطش ونما وتألم.

[٤] "علّم فالنتينوس الغنوسي أن الله أوجد ابنًا من طبيعة حيوانية عبر خلال مريم كما تعبر المياه خلال القناة، وان المخلص حل عليه أثناء عماده" (إيريناؤس: ضد الهرطقات ١: ٧: ٢).

[٥] وجدت هذه العبارة في كتابات ثيؤدورت التي نقلها من القديس كيرلس، وقد أخذت بها الطبعات الحديثة.

الصليب

١٠. بحق صُلب عن خطايانا. فإن أردت إنكار هذا يرفضك بطريقة منظورة هذا المكـــان أي الجلجثة المباركة التي نجتمع فيها الآن (من أجل المصلوب هنا. وقد امتلأ العالم بأجزاء من خشبة الصليب)[1].

لكنه لم يُصلب عن خطايا ارتكبها، بل لكي يخلصنا من خطايانا. وفي الوقت الذي فـــيه احتقره البشر فلطموه، كانت الخليقة تعرف أنه ابن الله، فانكسفت الشمس لما رأت ربّها مُهانًا، مرتعبة كيف تحتمل هذا المنظر؟!

دفنه

١١. بحق وُضع في قبرٍ منحوتٍ في الصخر، لكن الصخور تشققت مرتعبة بسببه! لقد نزل إلى أسافل الأرض ليخلص الأبرار[2].

اخبرنـــي، هل ترغب في أن يتمتع الأحياء وحدهم بنعمته ولا ترغب في أن ينالوا حـــريتهم مـــن لهم زمان طويل مسجونون من آدم؟! لقد أعلن إشعياء النبي بصوت عالٍ عن أمورٍ كثيرة تخصه، ألاّ تريد أن ينزل الملك ويخلص رسوله؟!

أيضـًــا داود وصموئيل وكل الأنبياء كانوا هناك، ويوحنا نفسه القائل خلال تلميذيه "أنت هو الآتي أم ننتظر آخر" (مت ١١: ٣)، أفما ترغب أن ينزل ويخلص أمثال هؤلاء؟!

قيامته

١٢. لكن الذي نزل إلى طبقات الأرض السفلي قام أيضًا. يسوع الذي دفن بالحق قام في اليوم الثالث.

وإن ضـــايقك اليهود في هذا اسألهم: هل يخرج يونان من جوف الحوت في اليوم الثالث ولا يقوم المسيح من الأرض في اليوم الثالث؟!

إن كـــان الميت بلمسه عظام أليشع عاد إلى الحياة، أفليس بالأولي جدًا على خالق البشرية أن يقوم بالآب؟!

---

[1] روى سقراط (١: ١٧) قصة اكتشاف الصليب، وأيضًا سوزومين (٢: ١) فقد تركت هيلانة في أورشليم جزءاً منه بعد تغطيته بغطاء فضي، وأرسل جزء إلى مدينة القسطنطينية حيث كساه قسطنطين بطريقة خاصة.
أعطى يوسابيوس اهتمامًا كبيرًا لاكتشاف القبر المقدس (حياة قسطنطين ٣: ٢٥، ٣٠). لكنه لم يشر إلى اكتشاف الصليب.

[2] راجع مقال ١٤: ١٨، ١٩.

حســنًا، إنه قام حقًا، وبعد قيامته رآه التلاميذ، وشهد الاثنا عشر بقيامته[1]، حاملين الشــهادة لا بكلمات مفرحة، بل باحتمال الآلام والموت من أجل حقيقة القيامة. ماذا إذن؟ إن كان "على فم شاهدين أو على فم ثلاثة شهود يقوم الأمر" كقول الكتاب (تث ١٩: ١٥)، فهل لازلت غير مؤمن بقيامة المسيح وها اثنا عشر رسولاً يشهدون؟!

صعوده

١٣. إذ تمــم يســوع نصيبه من الاحتمال بصبرٍ، وخلص البشرية من خطاياها، صعد إلى السماوات مرة أخرى إذ رفعته سحابة، وإذ ارتفع صارت ملائكة بجواره والتلاميذ يتطلعون إليه.

إن كان أحد لا يؤمن بهذه الكلمات التي أنطق بها، فليؤمن بقوة الأمور التي يراها الآن. لأن كل الملوك ينطفئ سلطانهم بموتهم، أي بانتهاء حياتهم، أما المسيح المصلوب فهو معبود من العالم كله. نحن نعلن عن المصلوب، والشياطين ترتعب منه!

كثيــرون صُــلبوا في أزمنة مختلفة، لكن أي شخص آخر مصلوب صنع ابتهالاً يطرد الشياطين!

قوة علامة صليب المسيح

١٤. ليتنا لا نخجل من صليب المسيح. وإن استحى منه البعض، فاطبعه بوضوح على جبهتك، فتهرب منك الشياطين مرتعبة، إذ ترى العلامة الملوكية[2].

اصــنع هذه العلامة عندما تأكل وعندما تشرب، عندما تجلس وعندما تنام وعندما تــنهض، وعندما تتكلم وعندما تسير، وباختصار ارسمها في كل تصرف[3]. لأن الذي صُلب هنا هو في السماوات في الأعالي. لو أنه بقي في القبر بعد صلبه ودفنه لكنا نستحي منه، لكن فــي الواقــع الذي صُلب على الجلجثة صعد إلى السماوات من فوق جبل الزيتون من ناحية

---

[1] ضم للأحد عشر شهادة متياس الذي شهد معهم بقيامته.

[2] يقول **القديس يوستينوس** (ضد تريفو ٢٤٧) "أننا ندعوه معينًا ومخلصًا. إن قوة اسمنا تخيف الشياطين، إذ تنهزم عند ما يتلى اسم يسوع المسيح الذي صلب في عهد بيلاطس بنطس حاكم اليهودية".

[3] تحــدث **القــديس غــريغوريوس النيسي والقديس يوحنا الذهبي الفم** عن عدم الخجل من رسمه. يقول **العلامة ترتليان** (*De Colona 3*): [إنــنا نطبع على جبيننا العلامة في كل خطوة وكل حركة، عند كل دخولنا وخروجنا، عندما نرتدي ملابســنا وأحذيتنا، عندما نستحم وعندما نجلس على المائدة، عندما نشعل مصابيحنا، على السرير وعلى المقعد وفي كل شئون حياتنا اليومية.]

الشـــرق، فإنه بعدما نزل إلى الجحيم وصعد إلينا ارتفع من بيننا إلى السماوات، فيحدثه أبوه قائلاً: "اجلس عن يميني، حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك" (مز ١١٠: ١).

الدينونة المقبلة

١٥. يســوع المسيح الذي صعد يأتي لا من الأرض بل من السماوات، وأنا أقول "لا من الأرض، وذلك لأن مسحاء كذبه كثيرون يأتون في هذا الوقت من الأرض. وقد بدأوا فعـــلاً في المجيء قائلين: "أنا هو المسيح" (مت ٢٤: ٥)، مدعين لأنفسهم باطلاً اسم المسيح، وقد أوشكت "رجسة الخراب" أن تحل (مت ٢٤: ١٥).

لكن تطلع إلى المسيح الحقيقي، ابن الله، الابن الوحيد، إنه لا يأتي بعد من الأرض بـــل من السماوات، ظاهرًا للجميع أكثر لمعانًا من أي نورٍ مبرقٍ، تحيط به الجنود الملائكية، يأتي ليدين الأحياء والأموات ويملك مُلكًا سمائيًا أبديًا لا ينتهي.

أرجوك أن تحتاط في هذا الأمر لأن كثيرين يقولون إن ملكوت المسيح له نهاية[1].

الروح القدس

١٦. آمن أيضًا بالروح القدس، وما تسلمته بخصوص الآب والابن، واقبله بالنسبة للروح القدس. ولا تتبع المعلمين بتجاديف عنه[2].

اعلــم أن هـــذا الـــروح القدس هو واحد غير منقسم، له قوة ذات جوانب متعددة وأعمال كثيرة، أما هو فغير منقسم.

إنـــه يفحص كل شيء حتى أعماق الله (١ كو ٢: ١٠)، نزل على الرب يسوع في شكل حمامة. عمل في الناموس والأنبياء، وهو يختم نفوسكم عند العماد.

تحتاج كل خليقة عاقلة إلى قداسته، ومن يجدف عليه "لن يُغفر له، لا في هذا العالم ولا في الآتي" (مت ١٢: ٣٢).

هو مع الآب والابن[3]، مكرّم بذات اللاهوت.

تحتاج إليه العروش والسيادات والرئاسات والقوات (راجع كو ١: ١٦).

---

[1] راجع مقال ١٥: ٢٧ حيث نادى أتباع مارقليوس الذي من أنقرا بهذا الفكر.

[2] راجع مقال ١٦: ٦-١٠ حيث قدم القديس كيرلس قائمة بالهرطقات التي قامت ضد الروح القدس.

[3] راجع كتابنا: "التجديف على الروح القدس للقديس أغسطينوس"، ٢٠٠٥.

إذ يـوجد الله واحـد، أب المسـيح، رب واحد هو يسوع المسيح الابن الوحيد لله الواحد، روح قدس واحد يقدس الجميع ويتعبدون له، هذا الذي تحدث في الناموس والأنبياء، في العهد القديم والعهد الجديد...

ختم الروح القدس

١٧. هـل تفكـر فـي الختم الذي تلمسته لمسًا خفيفًا خلال مقالي المختصر عنه، والذي أعرضه بمشيئة الرب فيما بعد ببراهين الأسفار المقدسة قدر المستطاع، إذ لا يكفي أن نـتحدث بعـبارات عرضـية فيما يختص بأسرار الإيمان الإلهية دون الرجوع إلى شهادات الأسفار المقدسة؟! حتى بالنسبة لي أنا الذي أخبرك عن هذه الأمور لا أقدم تصديقًا مطلقًا لما أقـوله دون أن اسـتند على الكتب الإلهية. لأن الخلاص الذي نؤمن به لا يعتمد على حذاقة الذهن بل برهان الأسفار المقدسة.

النفس

١٨. بعـد معرفة هذا الإيمان الموقر المجيد الكلّي القداسة يليق بك أن تعرف من أنت. الإنسان له طبيعة ذات جانبين، إذ يتكون من النفس والجسد. وكما سبق أن قلنا منذ قليل أن الله ذاته هو خالق النفس والجسد[1].

اعـرف أيضًـا أن لك نفس سيدة ذاتها، هي أسمى أعمال الله، خُلقت على صورة خالقها. خالدة إذ وهبها الله الخلود. إنها كائن حيّ عاقل غير فاسد، إذ وهبها الله هذه النعم.

لها سلطان أن تفعل في حرية ما تشاء[2]، فأنت لا تخطئ حسب (تاريخ) ميلادك، أو تـرتكب الزنا بمحض الصدفة، ولا تُجبر على ارتكاب الفجور حسب سير النجوم كما ينطق البعض بكلمات فارغة[3].

لماذا تُحجم عن الاعتراف بأفعالك الشريرة، ناسبًا اللوم إلى النجوم البريئة؟!

أرجـوك إلاّ تعطـي اهـتمامًا للمنجمـين، إذ يقول الكتاب المقدس الإلهي "ليقف الراصدون النجوم يخلصوك"، ثم يكمل: "ها إنهم قد صاروا كالقش. أحرقَتهم النار. لا ينجّون أنفسهم من يد اللهيب" (إش ٤٧: ١٣، ١٤).

---

[1] مقال ٤: ٤.

[2] يقـول العلامـة ترتليان (ضد مرقيون ٢: ٦) إنه يليق بالذي يتمتع بكونه على صورة الله ومثاله أن تكون له إرادة حرة وسيادة على نفسه، إذ بحرية الإرادة والسيادة الذاتية يكون على صورة الله ومثاله.

[3] القديس أغسطينوس (مدينة الله ٥: ١) يذكر أن المنجمين يقولون بأن تحركات معينه لكوكب المريخ تجعل الإنسان قاتلاً.

مسؤولية النفس وحرية إرادتها

١٩. إننا نعلم أيضًا أن **النفس لم ترتكب خطيئة قبل مجيئها**[1]، بل جاءت بلا خطية[2]، إنما أخطأنا بإرادتنا الحرة.

أرجوك إلاّ تجوي وراء من يفسر الكلمات التالية تفسيرًا خاطئًا "إن كنت أفعل ما لست أريده" (رو ٧: ١٦)، بل تذكر القائل: "إن **شئتم** وسمعتم تأكلون خير الأرض، وإن أبيتم وتحررتم تأكلون بالسيف" (إش ١: ١٩-٢٠). وأيضًا "كما **قدّمتم** أعضاءكم عبيدًا للنجاسة والإثم، هكذا الآن **قدّموا** أعضاءكم عبيدًا للبرّ للقداسة" (رو ٦: ١٩). تذكر أيضًا الكتاب المقدس القائل: "وكما لم **يستحسنوا** أن يبقوا الله في معرفتهم" (رو ١: ٢٨). وأيضًا "إذ معرفة الله ظاهرة فيهم" (رو ١: ١٩). وأيضًا "غمضوا عيونهم" (مت ١٣: ١٥).

تذكر أيضًا كيف اتهمهم الله مرة أخرى قائلاً: "أنا قد غرستك أفضل كرمة (سورق)، زرع حق كلها، فكيف تحولتِ إلى مرارة أيتها الكرمة الغريبة؟!" (راجع إر ٢: ٢١)

نفوس الرجال والنساء متشابهة

٢٠. النفس خالدة. **وكل نفوس الرجال والنساء متشابهة**، إنما التمييز هو في أعضاء الجسد[3]. **لا يوجد أنواع معينة في النفوس**، نوع يخطئ بالطبيعة، وآخر يمارس البرّ بالطبيعة[4]. بل كلها تعمل بحريتها. فمادة النفوس واحدة، جميعها متشابهة.

---

[1] نادى أفلاطون بأن النفس أخطأت فجاءت إلى الجسد كحبس للتأديب.

Plato, Cralyl 400 & Clem. Alex.: Stromata 3: 3.17

[2] إيماننا المسيحي أن النفس في طبيعتها الأصلية كما الجسد بلا خطية، أي صالحين، لكن منذ سقوط آدم تسربت الخطية إلينا، فبالآثام حبل بينا وبالخطية ولدتنا أمنا. لكننا لا نعتقد بان النفس أخطأت فلبست الجسد تأديبًا لها.

[3] نسب *Apelles* الهرطوقي اختلاف الجنس إلى النفس التي هي موجودة قبل الجسد، والتي تؤثر عليه حسب جنسها (ترتليان: النفس ٣٦).

[4] كثيرًا ما كان **القديس أغسطينوس** يرد على أتباع ماني في عظاته ومقالاته، إذ يقولون بوجود صنفين من البشر، أبرار بطبعهم لا يخطئون، وأشرار بطبعهم لا يتغيرون. يقول **العلامة أوريجينوس** في تفسيره رومية مقال ٨: ١٠ "لست اعرف كيف يظن المتخرجون من مدرسة أتباع فالنتينوس وباسيليوس أنه يوجد نفوس من طبيعة دائمًا آمنة لن تهلك، وأخرى دائمًا تهلك لن تخلص؟!"

ويقول **القديس ايريناؤس** (١: ٧: ٥) عن أتباع فلانتينوس إنهم يعرفون ٣ أنوع من البشر: روحي ومادي وحيواني. هذه الطبائع الثلاث لا توجد في شخص واحد بل هي أنواع مختلفة من البشر... وفي إعادة تقسيمهم للنفوس الحيوانية يقولون إن البعض بالطبيعة صالحون والأخر بالطبيعة أشرار.

على أي الأحوال أنني أدرك أنني تكلمت كثيرًا، وأن الوقت فعلاً قد طال، لكن أي شيء أهم من الخلاص؟

أما تريد أن تتعب في الحصول على إمدادات في الطريق ضد الهراطقة؟!

ألا تشـــاء أن تعرف الممرات الجانبية التي للطريق حتى لا تسقط في هوةٍ بسبب الجهل؟!

إن كـــان معلموك يحسبون تعليم مثل هذه الأمور شيئًا نافعًا ليس بقليل، أما تتقبل بفرح ما نحدثك به ونحن مسرورون؟!

حرية إرادة النفس والمكافأة

٢١. تتمتع النفس بحرية الإرادة. ومع أن الشيطان يقدر أن يقترح عليها، لكنه ليس له سلطان يلزمها بشيء بغير إرادتها. إنه يصور لك فكر الزنا، فإن أردت قبلته، وإن لم ترد تحتقـره. لأنـك لو كنت زانيًا قهرًا لما أعد الله جهنم؟! وإن كنت صانع بر بالطبيعة وليس بإرادتك لما أعد الله أكاليل مجد لا يُنطق بها؟!

الغنم وديع، لكنه لا يكلل على وداعته، لأنها ليست باختياره بل بحكم الطبيعة.

جمال الجسم البشري

٢٢. لقد تعلمت أيها الحبيب عن طبيعة النفس قدر ما سمح الوقت، اجتهد أن تقبل التعليم الخاص بالجسد أيضًا.

لا تقبل القائلين أن هذا الجسد ليس من عمل الله[1]. لأن الذين يعتقدون بأن الجسد لا يعتمد على الله وأن النفس تسكن فيه كما في وعاءٍ غريبٍ، هؤلاء يدنسونه بالزنا.

ومع هذا أي خطأ يجدونه في هذا الجسد العجيب؟!

ماذا ينقصه في كماله؟!

أما يحمل تكوينه مهارة كاملة؟!

ألا يلزمهم أن يتأملوا تكوين العينين المضيئتين؟! وكيف توضع الإذن بميل لتستقبل الصوت بغير عائق؟! وكيف يميز الشم الروائح؟! وكيف يخدم اللسان غرضين: حاسة التذوق وقوة الكلام؟! وكيف تستنشق الرئتان غير المنظورتين استنشاق الهواء بغير انقطاع؟!

---

[1] مقال ٤: ١٨.

من الذي جعل نبضات القلب غير منقطعة؟!

ترى من الذي وزع (الدورة الدموية) بين أوردة وشرايين هذا عددها؟!

من الذي ربط بمهارة بين العظام والعضلات؟

من الذي يحول جزء من الأطعمة إلى طبيعتنا وآخر إلى عصارات مناسبة؟!.

من الذي وهب البشرية أن تبقى خلال الاتصال الجسدي البسيط، مع أنها كانت ستنتهي وتموت؟!

النفس هو وراء الخطية

٢٣. لا تقل لي إن هذا الجسد هو علّة الخطية[1]. فلو كان الجسد سبب الخطية، فلماذا لا تخطئ الجثة الميتة؟ ضع سيفًا في يمين إنسان مات حالاً، فإنه لا يرتكب جريمة قتل! ليقترب جمال ما من كل نوع نحو شاب ميت حالاً، فإنه لا تثور فيه شهوة دنسة. لماذا؟ لأن الجسد لا يخطئ بذاته، بل النفس تخطئ خلال الجسد.

الجسد هو آلة، إنه بالنسبة للنفس بمثابة ثوب أو رداء لها. فإن غلبته بالزنا تدنس، وإن قطنت فيه نفسًا مقدسة يصير هيكلاً للروح القدس.

لست أنا القائل بهذا، بل الرسول بولس الذي قال: "أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم؟!" (١ كو ٦: ١٩).

إذن اهتم بجسدك بكونه هيكل للروح القدس. لا تفسده بالزنا، ولا توسّخ ثوبك الجميل. وإن كنت دنسته فأغسله الآن بالتوبة. اغسله جيدًا إذ سمح الوقت.

دعوة إلى البتولية

٢٤. أما بخصوص **التعليم عن العفة**، فلنهتم أولاً بخصوص نظام المتوحدين والعذارى الذين يمارسون الحياة الملائكية في العالم. ليت بقية شعب الكنيسة يتمثل بهم. لأنه قد أعد لكم أيها الإخوة إكليل عظيم، فلا تستبدلوا شرفًا عظيمًا مقابل لذة زهيدة. اسمعوا قول الرسول: "لئلا يكون أحد زانيًا أو مستبيحًا كعيسو الذي لأجل أكلة واحدة باع باكوريته" (عب ١٢: ١٦).

ليسجل (اسمك) هنا في الكتب الملائكية من أجل عمل العفة، ناظرًا أنك تمسحه مرة أخرى بارتكابك الزنا.

---

[1] عالج القديس أغسطينوس هذا الأمر في مقاله العفة *Continence*، ١٩٦٨.

كرامة الزواج

٢٥. مـــن ناحـــية أخرى لا تنتفخ بسبب عفتك (بتوليتك) أمام السالكين في طريق الزواج الذي هي أقل. إذ يقول الرسول: "ليكن الزواج مكرمًا عند كل أحدٍ، والمضطجع غير دنـــس" (عب ١٣: ٤). ألم تولد من أناس متزوجين أيها المحافظ على عفتك (بتوليتك)؟! فإن كـــنت تملك ذهبًا، فلماذا تحتقر الفضة؟ بل ليكن المتزوجون منبسطي السريرة، هؤلاء الذين يســـتخدمون الـــزواج حســـب الشريعة، حسب أقوال الله، وليس للفجور، طالبين شهوات بلا ضـــابط. هـــؤلاء الـــذين يعـــرفون أوقـــاتً للامتناع ليتفرغوا للصلاة (١ كو ٧: ٥)، الذين يحضـــرون اجتماعاتـــنا في الكنيسة بأجساد طاهرة وثياب نقية، إذ دخلوا قصدوا من الزواج إنجاب الأطفال لا للانغماس في متعة اللذة.

شرعية الزواج

٢٦. أيضـًـــا لا يحتقر المتزوجون مرة واحدة الذين قبلوا الزواج الثاني (بعد وفاة الطـــرف الأول). فمـــع أن ضـــبط النفس أمر نبيل وعجيب، لكن الزواج الثاني مسموح به للضـــعيف كي لا يسقط في الزنا. يقول الرسول: "إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا، ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا، لأن التزوج أفضل من التحرق" (١ كو ٧: ٨، ٩).

اترك جميع الممارسات الأخرى من زنا ودعارة وكل أنواع الفسق. احفظ جسدك طاهرًا للرب فيكرم الرب في جسدك.

لتنعش جسدك بالطعام لكي يعيش ويخدم دون أي عائق وليس لكي تدفعه للذات.

الطعام

٢٧. أمـــا مـــن جهـــة الطعام، فلتكن هذه هي قوانينك، إذ توجد عثرات كثيرة من جهته. فالبعض لا يبالي بما يقدم للأوثان. بينما يدرب البعض نفسه (على عدم أكله) لكنهم في نفـــس الـــوقت يديـــنون من يأكلون منه. وهكذا بطرق متنوعة تتدنس نفوس البشر في أمر الأطعمة بسبب جهلهم الأسباب المعقولة النافعة للأكل أو الامتناع عنه.

فنحن نصوم ممتنعين عن الخمر واللحوم، ليس احتقارًا لهما كأشياء دنسة، بل أملاً فـــي المكافـــأة. فنستهين بالأمور المادية لكي نتمتع بالوليمة الروحية العقلية، وإذ نزرع الآن بالدموع نحصد في العالم الآتي بالفرح (مز ١٢٦: ٥).

إذن لا تـدنْ مـن يأكل، إذ بسبب ضعف جسده يشترك في الطعام (رو ١٤: ٣). وأيضـا لا تلـم مـن يستخدم قليل خمر من أجل معدته وأمراضه الكثيرة (١ تي ٥: ٢٣)، لا تحسـبهم خطاة، ولا تبغض اللحم كطعام غريب، فإن الرسول عرف أناسًا من هذا النوع عندما قال: "مانعين عن الزواج وآمرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين" (١ تي ٤: ٣).

فالامتناع لا يكون بالنظر إليها على أنها أمور دنسة[1] بل من أجل المكافأة. فنترك أمورًا صالحة بسبب تطلعك إلى أمور روحية أفضل.

عدم الأكل مما يقدم الأوثان

٢٨. احفـظ نفسـك في أمان فلا تأكل مما يقدم الأوثان... فإن هذا الأمر لست أنا وحدي أمنعك عنه، بل والرسل ويعقوب أسقف هذه الكنيسة كان مملوء غيرة من جهته. فلقد كتب الرسل والشيوخ رسالة جامعة لكل الأمم أنه ينبغي أن يمتنعوا أولاً عما ذبح للأصنام ثم عـن الدم والمخنوق (راجع أع ١٥: ٢٠، ٢٩). لأن كثيرين يشربون الدم بصورة وحشية، سـالكين مثل الكلاب. وأيضًا يتمثلون بالحيوانات المفترسة التي تفترس المخنوق. أما أنت يا خادم المسيح فاحترس في الأكل مراعيًا أن تأكل بوقار...

ما قلته هذا يكفي بخصوص الأطعمة.

الكساء

٢٩. ليكن لباسك بسيطًا، لا للزينة، بل للسترة للضرورة، لا لكي تخدم غرورك بل لتدفئـتك في الشتاء وإخفاء ما هو غير لائق من جسدك، لئلا في إخفاء ما هو غير لائق من جسدك تسقط في أمر غير لائق بملبسك المغالي فيه.

القيامة

٣٠. أتوسـل إلـيك أن تهـتم بهذا الجسد، فإنك ستقوم من الأموات لتدان به. إن ساورك بعض الشك باستحالة هذا الأمر، تأمل بنفسك على ما تراه من الأحداث.

اخبرنـي أين كنت منذ مائة عام ونيف؟ ومن أية مادة حقيرة جدًا وصغيرة للغاية أخـذت هـذه القامـة العظيمة وصار لك هذا الجمال؟ ماذا إذن؟ الذي أوجدك من العدم أما يستطيع أن يقيمك مرة أخرى بعدما صرت موجودًا الآن وتفسد؟!

---

[1] قامت جماعات كثيرة مثل الغنوسيين والمانيين تنادي بتحريم الزواج والامتناع عن بعض الأطعمة كأمور دنسة.
Cf. Iren. Hoer 1: 8. & Clem Poed 2: 2 & Aug. Hoer 46.

الـــذي يقـــيم المحصول الذي يُزرع من أجلنا عامًا بعد عامٍ[1]، هل يجد صعوبة في إقامتنا نحن؟!...

هـــا أنـــت ترى كيف تتجرد الأشجار من الثمار والأوراق شهورًا كثيرة، وإذ يعبر الشتاء تحيا من جديد كما من الموت! أو ليس بالأحرى والأسهل جدًا أن نعود نحن إلى الحياة؟!

لقـــد تحولت عصا موسى بإرادة الله إلى طبيعة غير طبيعتها، إلى حية، فالإنسان الذي مات أما يمكن أن يُعاد إلى ما هو عليه مرة أخرى؟

٣١. لا تهـــتم بالقائلين إن هذا الجسد لا يقوم، فقد شهد إشعياء قائلاً: "تحيا أمواتك تقـــوم الجـــثث" (إش ٢٦: ٩). ودانـــيال يقـــول: "وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي" (دا ١٢: ٢).

ومـــع أن القـــيامة عامة للجميع لكنها ليست متشابهة بالنسبة للجميع. جميعًا يستلم أجسادًا أبدية، لكنها ليست متشابهة. فالبعض يتقبلها خلال الأبدية مرتبطين بجوقات الملائكة، وأمّا الأشرار فيتقبلونها لاحتمال عذابات خطاياهم.

جرن المعمودية

٣٢. لهذا السبب وهبنا الرب حسب محبته المترفقة التوبة عند العماد لحمايتنا.

فننـــبذ الخطايـــا الرئيسية، بل بالأحرى نترك كل ثقل خطايانا، ونتقبل ختم الروح القدس لنكون ورثة الحياة الأبدية. وإذ تكلمنا بالأمس عن جرن المعمودية بما فيه الكفاية. ليتنا نعود الآن، فنثبت المواضيع التي ذكرناها في افتتاحية تعليمنا.

الأسفار المقدسة

٣٣. الأسفار المقدسة الإلهية الموحى بها: كل العهد القديم والعهد الجديد، هي التي تعلمـــنا. فـــإن إله العهدين هو واحد، فقد أخبرنا في العهد القديم عن المسيح، الذي يظهر في العهـــد الجديد، والذي قادنا خلال الشريعة والأنبياء إلى مدرسة المسيح... إذ "كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح" (غل ٣: ٢٤).

إن سمعت أحد الهراطقة ينطق بشرٍ على الناموس والأنبياء أجبه بكلمات المخلص إذ جاء يسوع "لا لينقض الناموس بل ليكمله" (راجع مت ٥: ١٧).

---

[1] راجـــع يـــو ١٢: ٢٤ "إن لـــم تقـــع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها، ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير"، ١ كو ١٥: ٣٦ "يا غبي الذي تزرعه لا يحيا أن لم يمت!".

اعــرف أيضًا بمثابرة من الكنيسة ما هي أسفار العهد القديم وما هي أسفار العهد الجديــد. ولا تقــرأ مــن كتابات الأبوكريفا[1]، لأنه ما الداعي أن تتعب نفسك باطلاً في كتب مُتنازع فيها يا من لم تعرف بعد ما هو معروف للجميع.

اقــرأ الأسفار الإلهية الاثنين وعشرين سفرًا للعهد القديم التي قام بترجمتها اثنان وسبعون مفسرًا.

تاريخ الترجمة السبعينية

٣٤. فإنه بعد موت الإسكندر ملك مكدونية وتقسيم مملكته إلى أربعة أقسام بابليون ومكدونــية، وآسيا، ومصر، فإن أحد الذين ملكوا مصر هو بطليموس الفيلادلفي كان مغرمًا بالقراءة، يجمع الكتب من كل بقعة، فسمع من أمين مكتبته ديمتريوس فيلادلفيوس عن الكتاب المقــدس الــذي يحوى الشريعة والأنبياء، وإذ يرى أنه من الأفضل جدًا إلاّ يأخذ الكتب من أصحابها عنوة بل خلال تقديم الهدايا والصداقات، إذ يعلم إن ما يؤخذ عنوة غالبًا ما لا يُسلم كما هو، أما ما يُقدم إليه بطيب خاطر فإنه يُقدم بإخلاص بغير تغيير. لهذا أرسل إلى اليعازر رئــيس الكهنة هدايا كثيرة عظيمة للهيكل في أورشليم، وطلب منه أن يرسل عشرة مفسرين من كل سبط من أسباط إسرائيل الاثنى عشر للترجمة[2].

---

[1] ربما اخذ كلمة" ابو كريفا" هنا عن روفينوس الذي يقسم الكتب إلى ثلاثة أصناف:

أ. كتب قانونية في العهد القديم والعهد الجديد.

ب. كتب كنسية تقرأ في الكنيسة. ويسميها بعض الآباء الأولون كتب من الدرجة الثانية (وهي كتب قانونية وجدت في أقــدم النسخ السبعينية المشهورة: السينائية، الإسكندارنية، الفاتيكانية... راجع المقدمة الواردة في الأسفار القانونية الثانية التي حذفها البروتستانت المرحوم يسى عبد المسيح والدكتور مراد كامل).

ج. كتب الابركريفا أي المزيفة والتي لا تقرأ في الكنائس...

[2] إلى هذه النقطة يعتمد القديس كيرلس على العبارات *Pseudo - Aristeas* والوزير الموثوق فيه لدى فيلادلفيوس. أما ما جاء بعد ذلك من أقوال بخصوص الحجرات المستقلة، وأنه قام كل واحد منهم بترجمة كاملة للأسفار، وأن جميع الترجمات تشابهت حرفيًا فهذا مأخوذ عن فليون اليهودي (حياة موسى ٢: ٧).

وان إيماننا المسيحي لا يطلب فكرة الترجمة أنها جاءت في كل النسخ حرفية، لأننا لا نفكر أن الروح القدس هو الذي أوحــي بالكــتاب وهو الذي أعان المترجمين، لكنه لا يهتم أن تكون جميع الترجمات متشابهة حرفيًا... فالكتاب المقدس روح وحياة.

وقــد تتبع يوسيفوس المؤرخ (*Antiquities* 12: 2. ٣-١٤) رسالة *Aristeas* مقدمًا وصفًا مطولاً عن الهدايا العجيبة التــي أرسلها فيلادلفيوس إلى أورشليم وعظمة سخائه علي المترجمين، لكنه لم يذكر الحجر المنفصلة ولا اتفاق الترجمة فــي الكلمــات والحروف، بل بالعكس يقول أن الــ ٧٢ مترجمًا جلسوا معًا في النهاية وراجعوا النصوص مع بعضهم البعض واكملوا عملهم المشترك في ٧٢ يومًا.

والمحــتمل أن يكــون فعلاً قد قام بفصلهم فرادي أو كما يقول لنا التاريخ الكنسي أنه عزلهم اثنين اثنين لما عرف عن الــيهود انهــم مخادعــون ولا يردون ترجمة الكتاب المقدس إلى غير العبرية.... وفي نهاية المدة رجع هذه النصوص المترجمة وبعد التأكد من أنها جميعًا تمثل كتابًا واحدًا اجتمعوا معًا واتفقوا علي ترجمة واحدة.

وقـــد صنع تجربة لمعرفة أنه الكتاب الإلهي (أي لئلا يكونوا قد خدعوه)، فمن حذّره مـــنع القادمين إليه من الاجتماع معًا بل جعل لكل واحد منهم حجرة مستقلة منفصلة في جزيرة فاروس مقابل الإسكندرية. وأمر كل واحد منهم أن يقدم ترجمة للكتب المقدسة. ولما انتهوا من العمـــل في اثنين وسبعين يومًا أحضر جميع الترجمات التي تمت في حجرات مختلفة، دون أن يرسل الواحدة إلى الأخرى فوجدها متشابهة لا في المعنى فقط، بل وفي الكلمات، لأن الترجمة لم تكن وسيلة لإبراز بلاغة بشرية، بل نطق بها الروح القدس وتمت به...

أسفار العهد القديم

٣٥. من هذه الترجمة اقرأ الاثنين وعشرين سفرًا...

ادرس بشغف الأسفار التي تقرأ علانية في الكنيسة، لأن الرسل والأساقفة الأولون ورؤساء الكنيسة الذين سلمونا هذه الأسفار هم أكثر منك حكمة وتقوى....

فبخصـــوص العهـــد القديم – كما نقول – ادرس الاثنين وعشرين سفرًا التي متى كنت مشتاقًا للتعليم تحفظ أسماءها كما أتلوها لك:

- ❖ الشريعة، أي أسفار موسى، الأسفار الخمس الأولى: التكوين والخروج واللاويين والعدد وتثنية.
- ❖ بعد ذلك يشوع بن نون *Nave*[1]
- ❖ سفر القضاة شاملاً راعوث محسوبًا السفر السابع.
- ❖ الكـــتب التاريخـــية الأخـــرى: ملوك الأول والثاني[2]، وهما عند العبرانيين سفر واحد. والثالث والرابع سفر واحد. وبنفس الطريقة أخبار الأيام الأول والثاني سفر واحد. وأيضًا *Esdras* الأول والثاني (عزرا ونحميا) سفر واحد. أستير هو الكتاب الثاني عشر. هذه هي الكتب التاريخية.
- ❖ أما الكتب الشعرية فهي خمسة: أيوب، المزامير، الأمثال، الجامعة، نشيد الأناشيد. وبهذا يكون العدد سبعة عشر سفرًا.
- ❖ يأتي بعد هذا الكتب الخمس للأنبياء وهى:

أ. الاثنا عشر نبيًا وهي تكوّن سفرًا واحد.

---

[1] حسب الترجمة السبعينية.

[2] أي صموئيل الأول والثاني.

ب. إشعياء.

ج. إرميا ويحوى باروخ ومراثي إرميا والرسالة[1].

د. حزقيال.

هـــ. دانيال.

هذه هي أسفار العهد القديم الاثنان وعشرون[2].

أسفار العهد الجديد

٣٦. يحوى العهد الجديد أربعة أناجيل فقط، أما بقية الأناجيل مزورة...

فقد كتب أتباع ماني إنجيلاً دعوه "حسب توما" وقد أعطوه اسم الرسول لكي يفسدوا أرواح البسطاء.

بعد ذلك سفر أعمال الرسول ومعه سبعة رسائل الجامعة ليعقوب وبطرس ويوحنا ويهوذا.

وكخاتم لهذه كلها أخرى أعمال التلاميذ الأربعة عشر رسالة لبولس[3].

أمّا ما تبقّى فهو من الدرجة الثاني.

الأسفار التي لا تقرأها الكنيسة لا تقرأها أنت أيضًا، بل اقرأ ما تسمعه...

حياة المسيحي في المسيح

٣٧. ابطــل كل عمل شيطاني ولا تصدق "الحية" المقاومة التي تغيرت عن طبعها الأصلي بإرادتها الحرة. والتي تستطيع أن تغري الإرادة دون أن تلزمها بشيء.

أيضًــا لا تنصت إلى أقوال التنجيم والعرافة والتكهنات ولا إلى خرافات الإغريق في الإلهيات[4]. فإن العرافة والسحر واستحضار الأرواح لا تستحق حتى سماعها.

---

[1] وهي الأصحاح الأخير من سفر باروخ.

[2] لــم يذكــر القديس كيرلس الأسفار الأخرى، وهو في هذا اختلف مع سائر الآباء فيما عدا البابا اثناسيوس الذي دعي بقية الأسفار أنها هامة وضرورية لكنها ليست جزءا من الكتاب المقدس....أما بقية الآباء فحسبوها جزء منه..."أرجو أن يهبني الله لي عرض بحث عنها".

[3] لــم يذكــر ســفر الرؤيا وقد رأينا في سلسلة "من تفسير وتأملات الآباء - رؤيا يوحنا اللاهوتي" طبعة ١٩٦٩ أهمية هذا السفر في الكنيسة الأولي. وكيف اهتمت بشرحه وإلقاء محاضرات عنه.

[4] راجع مقال ١٩: ٨ حيث يشير إلى أعمال خرافية تقدم لخدمة الشيطان.

ابـــتعد عن كل نوع من الإفراط ولا تنسق إلى النهم ولا إلى الفسق، ولتكن ساميًا فوق كل طمع وربا فاحش.

لا تهلـــك نفســـك بحضـــورك اجتماعات الوثنين في مشاهدهم العامة ولا تستخدم الاحجبة عند المرض

أبطل أيضًا كل فظاظة...

لا تتزلق في مذهب السامريين أو اليهودية، لأن يسوع المسيح فاديك.

ابتعد عن ملاحظة السبوت (غل ٤: ١٠)، ولا تدع أطعمة ما أنها دنسة.

علـــى وجه الخصوص أبغض كل اجتماعات الهراطقة الأشرار. وفي كل طريق أمّن نفسك بالأصوام والصلوات والصدقات والقراءة في أقوال الله، فإذ تعيش بقية حياتك في الجسد في تعقل متمسكًا بالتعاليم الصادقة تتمتع بالخلاص الواحد الذي يفيض من العماد. بهذا تُحسب عضوًا في جيوش السماء بواسطة الله الآب، وتستحق أكاليل سمائية في المسيح يسوع ربنا الذي له المجد إلى أبد الأبد آمين.

المقال الخامس

الإيمان

"وأمـــا الإيمـــان، فهو الثقة بما يُرجى والإيقان بأمـــور لا تُـــرى. فإنـــه في هذا شُهد للقدماء" (عب ١١: ١-٢)

١. يا لعظمة لقبك: "مؤمن"!

أظهر الرسول بولس عظمة الشرف الذي يهبه لك الله بانتقالك من نظام الموعوظين إلـــى جماعـــة المؤمنين، مؤكدًا "**أمـــين** هو الله الذي به دُعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح" (١ كـــو ١: ٩). فـــإذ يُدعى "أمينًا *Faithful*"، هكذا أنت أيضًا تُدعى بنفس اللقب (أمينًا أو مؤمنًا *faithful*)، فتتقبل كرامة عظيمة.

فكمـــا يدعى الله صالحًا وعادلاً وقديرًا وخالق المسكونة، هكذا هو آمين. تأمل إذن أية كرامة ارتفعتَ إليها إذ صرت شريكًا في لقب يخص الله!

٢. لتكن أمينًا أو مؤمنًا بالعمل

بالأحـــرى يلـــيق بكل واحدٍ منكم أن يكون أمينًا (مؤمنًا) في ضميره. "أما الرجل الأمـــين فمـــن يجده؟!" (أم ٢٠: ٦) أظهر صدق إيمانك (أمانتك) لله فاحص الكُلى والقلوب (مـــز ٧: ٩)، والعـــارف بأفكـــار البشر (مز ٩٤: ١١)، ولا تكشف ضميرك لي أنا، لأنك لا تُدان بحسب حكم إنسان (١ كو ٤: ٣-٥).

عظيم هو الإنسان المؤمن، وأغنى من جميع الأغنياء، لأن المؤمن يملك العالم بكل ثـــروته، إذ يستهين به ويطأه. أما الغني في المظهر صاحب الممتلكات الكثيرة فهو فقير في نفسه، إذ قدر ما يجمع يُنخس بالشوق إلى ما لم ينله بعد.

يحمـــل المـــؤمن نقيضين غريبين. إنه غني وهو فقير، إذ يعلم أنه إن كان له قوت وكسوة فليكتف بهما (١ تى ٦: ٨)، وبهذا يطأ الغنى تحت قدميه.

٣. أهمية الإيمان حتى في الأمور الزمنية بين غير المؤمنين

ليس وحدنا نحن الذين نحمل اسم المسيح نعرف كرامة الإيمان العظيمة أن كل ما يجري في العالم – حتى ما يتم على أيدي الغرباء عن الكنيسة[١]– يحدث بإيمان[٢].

فبالإيمان تُربط شرائع الزوجية بين أطراف غرباء معًا، فيصير الغريب شريكًا لغريب عنه من جهة شخصه وممتلكاته...

بالإيمان تقوم الزراعة أيضًا، فمن لا يؤمن أنه ينال محصولاً لا يتحمل المشاق.

بالإيمان يثق البحارة في قطعة خشب رقيقة ويستبدلون الأرض الصلبة جدًا بأمواج لا تهدأ، معتمدين على آمال غير أكيدة، حاملين معهم إيمانًا أقوى من كل مرساة.

إذن بالإيمان تتم أغلب شؤون البشر فيما بينهم، ليس بيننا نحن وحدنا بل كما أقول حتى بالنسبة للذين هم من خارج... فإن كانوا لا يقبلون الأسفار المقدسة، لكنهم تعلموا هذا من ذواتهم وقبلوها بإيمان...

٤. بالإيمان نتحصن ضد إبليس

القراءة التي تُتلى عليكم اليوم تدعوكم إلى الإيمان الحقيقي، فتقدم لكم الطريق الذي فيه يُسر الله بك إذ قد تؤكد أنه بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه (عب ١١: ٦).

كيف يُقبل إنسان على خدمة الله إن لم يؤمن أنه واهب المكافأة؟!

كيف تختار شابة حياة العذراوية أو يعيش شاب في تعقل ما لم يؤمن أن للعفة إكليلاً لا يفنى؟! (١ بط ٥: ٤)

الإيمان بمثابة عين تنير كل ضمير وتهب الفهم، إذ يقول النبي: "إن لم تؤمنوا لا تفهموا" (إش ٧: ٩ *LXX*). الإيمان يسد أفواه الأسود (عب ١١: ٣٤)، كما حدث مع دانيال، إذ يقول الكتاب عنه: "فاصعد دانيال من الجب، ولم يوجد فيه ضرر، لأنه آمن بإلهه" (دا ٦: ٢٣).

هل يوجد ما هو مرعب أكثر من الشيطان؟ نعم، فإننا في مقاومته لا نجد درعًا سوى الإيمان (١ بط ١: ٩)، إذ هو ترس خفي ضد عدو غير منظور، يرشق سهامًا متنوعة

---

[١] يقصد بالغرباء عن الكنيسة أو الذين في الخارج الأمم الوثنيين (ترتليان: العماد ١٤) أو الهراطقة (ترتليان: العماد ١٥).

[٢] من الاعتراضات العامة التي كان الوثنيون يوجهونها ضد المسيحية أنها لا تقوم على المنطق والعقل، بل على الإيمان وحده. وهنا يظهر القديس كيرلس لزوم الإيمان حتى في شئون الحياة العادية. هذا ما قاله أيضًا العلامة أوريجينوس ضد صلسس اليهودي ١: ١١، وأرنوبياس ضد الأمم ٢: ٨.

في ليلٍ بهيم (مز ١١: ٢) تجاه غير المتيقظين. فإذ لنا عدو غير منظور يلزمنا الإيمان كعدة حربية قوية، إذ يقول الرسول: "حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة" (أف ٦: ١٦). فإذ يصوب إبليس سهم الشهوة الدنس الملتهب، يُقدم الإيمان صورة الدينونة، فيبرد الذهن وينطفئ السهم.

٥. مثال من العهد القديم: إبراهيم

إن لي كثيرًا أقوله عن الإيمان، ولا يكفيني اليوم كله لوصفه كما ينبغي. إنما لنكتفِ بإبراهيم كمثال من العهد القديم، ناظرين أننا قد صرنا أبناءه بالإيمان. لقد تبرر ليس فقط بالأعمال[1]، بل وأيضًا بالإيمان. فمع أنه صنع أعمالاً صالحة كثيرة، لكنه لم يُدع خليل الله إلاّ عندما آمن. وهكذا كما تبرر هو تتبرر أنت أيضًا.

لقد مات جسده فعلاً من جهة النسل، وشاخت سارة، ولم يوجد بعد أي رجاء لهما لإنجاب أبناء. وإذ وعد الله الشيخ بابن، فإن إبراهيم "إذ لم يكن ضعيفًا في الإيمان لم يعتبر جسده وهو صار مماتًا" (رو ٤: ١٩) إذ لم يتطلع إلى ضعف جسده، بل إلى قوة من وعده، إذ حسب الذي وعده صادقًا (عب ١١: ١١). هكذا بغير تردد اقتنى ابنه من الجسدين اللذين ماتا فعلاً.

وعندما اقتنى ابنه أُمر أن يقدمه ذبيحة، ومع أنه سمع الكلمة "بإسحق يُدعى لك نسل" (تك ٢١: ١٢؛ ٢٢: ٢)، قدم ابنه الوحيد لله مؤمنًا أنه قادر أن يقيمه من الأموات (عب ١١: ١٩). وإذ ربط ابنه ووضعه على الحطب، قدمه فعلاً بالنيّة، لكن خلال صلاح الله الذي أعطاه حملاً عوض ابنه، تقبّل (إبراهيم) ابنه حيًا.

وإذ آمن إبراهيم في هذه الأمور ختم بره "وأخذ علامة الختان ختمًا لبرّ الإيمان الذي كان في الغرلة" آخذًا وعدًا أن يكون "أبًا لجمهور من الأمم" (رو ٤: ١١؛ تك ١٧: ٥).

إبراهيم أب لأمم كثيرة

٦. إذن ليتنا نرى كيف صار إبراهيم أبًا لأمم كثيرة؟ (رو ٤: ١٧، ١٨) فبالنسبة لليهود هو أب لهم كما هو معروف، إذ هم نسله حسب الجسد.

لكننا إن أخذنا بالنسل حسب الجسد تكون الأقوال باطلة. لأنه حسب الجسد إبراهيم ليس أبًا لجميعنا، إنما نحن صرنا أبناء لإبراهيم على مثال إيمانه. كيف؟ وبأية طريقة؟ إنه

---

[1] حذفها *Casauban* في طبعته مع أنها موجودة في بقية الطبعات وفي المخطوطات.

بحسب البشر لا يُعقل قيامة إنسان من الأموات، ولا يُصدق أن يأتي نسل من شيخين متقدمين في السن كالأموات. هكذا أيضًا عندما كُرز بالمسيح أنه صُلب على شجرة، وإنه مات وقام آمنا نحن. فعلى مثال إبراهيم، بإيماننا صرنا أبناء له.

ويتبع إيماننا أننا نتقبل مثله الختم الروحي، إذ نُختن بالروح القدس خلال المعمودية، ليس في غرلة الجسد بل في القلب، كقول إرميا: "اختتنوا للرب في غرلة قلوبكم" (راجع إر ٤: ٤). وقول الرسول "بختان المسيح مدفونين معه في المعمودية..." (كو ٢: ١١، ١٢).

٧. مثال من العهد الجديد: بطرس على المياه

إن حفظنا هذا الإيمان نتحرر من الدينونة ونتزين بكل أنواع الفضائل.

عظيم هو السير على البحر فبطرس إذ كان إنسانًا مثلنا له جسد ودم ويقتات بطعام، عندما قال له يسوع: "تعال" (مت ١٤: ٢٩) آمن وسار على المياه في أمان أكثر مما لو كان على الأرض، وارتفع جسده بفعل سمو إيمانه. ومع أن سيره على المياه كان فيه أمان طالما هو مؤمن، فإنه عندما شكّ في الحال بدأ يغرق. وعندما رأى يسوع – مخفف الآلام – هلاكه قال له: "يا قليل الإيمان لماذا شككت؟" (مت ١٤: ٣١) وإذ تقوّى من جديد بالذي أمسكه بيمينه. وعاد إليه إيمانه وهو ممسك بيد السيد، عاد إلى سيره على المياه. وقد أُشير إلى هذا بطريق غير مباشر إذ يقول: "ولما دخل السفينة" (مت ١٤: ٣٦)، إذ لم يذكر أن بطرس سبح وعبر، بل نفهم أنه رجع إلى السفينة مرة أخرى نفس المسافة التي جاءها ليقابل يسوع.

٨. بالإيمان يخلص الغير أيضًا

نعم، الإيمان هكذا هو قدير، حتى أنه ليس فقط المؤمن وحده هو الذي يخلص، بل ويخلص البعض بإيمان الآخرين. فالمفلوج بكفر ناحوم لم يكن مؤمنًا، لكن الذين أحضروه كانوا مؤمنين ودلّوه من السقف (مر ٢: ٤)، إذ كان مرض نفسه مشتركًا في مرض جسده.

لا تظن أنني أتهمه باطلاً، فإن الإنجيل نفسه يقول: "ولما رأى يسوع إيمانهم – وليس إيمانه– قال للمفلوج: قم" (مت ٩: ٢، ٦).

الحاملون آمنوا والمريض بالفالج انتفع ببركة الشفاء!

أختنا لعازر

٩. أتريد دليلاً أقوى على أن البعض يخلص بإيمان آخرون؟! لعازر مات (يو ١١: ١٤–٤٤). ومضى عليه يوم واثنان وثلاثة، وانحلت عضلاته، ودّب الفساد فعلاً في جسده. كيف يمكن لميت له أربعة أيام أن يؤمن، ويطلب بنفسه من المخلص؟

ولكن ما نقص عند الميت، وُجد عند أختيه الحقيقيتين، فعندما أتى الرب سجدت الأخت أمامـــه. وعـــندما قال: "أين وضعتموه؟" أجابته: "يا سيد قد أنتن، لأن له أربعة أيام". فأجابها: "إن آمنتِ ترين مجد الله". كأنه يقول لها: ليكن عندك الإيمان الذي يقيم جثة الميت.

كـــان لإيمان الأختين قوة عظيمة هكذا حتى أعاد الميت من أبواب الجحيم! إن كان للبشر بالإيمان – واحد لحساب الآخر – يمكن أن يقوم الميت، أما يكون النفع أعظم إن كان لك إيمان خالص لأجل نفسك؟! بلى، حتى وإن كنت غير مؤمن أو قليل الإيمان فإن الله محب البشـــر يـــتعطف عليك عند توبتك.فمن جانبك يليق بك أن تقول بذهن أمين: "أؤمن يا سيد، فأعن عدم إيماني" (مر ٩: ٢٤).

أما إذا حسبت أنك مؤمن بحق، لكنك لست في كمال الإيمان، فإنك محتاج أن تقول مثل الرسل: "يا رب زد إيماننا" (راجع لو ١٧: ٥). فإذ لك نصيب من جانبك، تتقبل النصيب الأعظم من الله.

الإيمان العقائدي

١٠. كلمة "الإيمان" من جهة اللفظ واحدة، لكنها تحمل معنيين متمايزين. يوجد نوع من **الإيمان عقائدي** *dogmatic* يحمل قبول النفس لأمورٍ معينة. وهو مفيد للنفس كقول الرب: "إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة" (يو ٥: ٣٤). وأيضًا من "يؤمن بالابن لا يدان بل انتقل من الموت إلى الحياة" (يو ٣: ١٨، ٥: ٢٤).

يا لمحبة الله المتحننة! لأنه كان الأبرار لسنوات طويلة موضع سروره، وما اقتنوه خـــلال السنوات العديدة لإرضائه يمنحه لك يسوع في ساعة واحدة. فإنك إن آمنت أن يسوع المسيح رب، وأن الله أقامه من الأموات تخلص، وينقلك في الفردوس الذي أدخل فيه اللص.

لا تشـــك فـــي إمكانية هذا، لأن الذي خلص اللص على هذه الجلجثة المقدسة بعد ساعة واحدة من إيمانه هو بنفسه يخلصك بإيمانك (لو ٢٣: ٢٤).

الإيمان بحسب النعمة من الروح القدس

١١. يـــوجد نـــوع آخر من الإيمان يمنحه المسيح كهبة للنعمة، "فإنه لواحد يُعطى بالـــروح كـــلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر إيمان بالروح الواحد، ولآخـــر مواهب شفاء" (١ كو ١٢: ٨، ٩). هذا الإيمان المُعطى هو نعمة من الروح القدس ولـــيس مجرد إيمان تعليمي، إنما يعمل أعمالاً فوق طاقة الإنسان. فمن له هذا الإيمان ويقول

لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك ينتقل (راجع مر ١١: ٢٣). من يقول هذا بإيمان أنه يكون ولا يشك في قلبه يتقبل نعمة.

وقد قيل عن هذا الإيمان: "لو كان لكم إيمان مثل **حبة الخردل**" (مت ١٧: ٢٠). وحبة الخردل صغيرة الحجم لكنها متقدة في عملها حتى أنه وإن كانت تُزرع في موضع صغير لكن بنموها يصير لها مجموعة أغصان عظيمة تؤوي الطيور (مت ١٣: ٣٢).

هكذا أيضًا للإيمان فاعلية عظيمة في النفس في لحظة سريعة، فعندما تستنير تتمتع برؤى خاصة بالله، إذ تراه قدر ما تستطيع، وتهيم فوق رباطات العالم، وترى الدينونة ونوال المكافأة الموعود بها قبل نهاية هذا العالم. ألك الإيمان في الله الذي من جانبك[1] حتى تتقبل منه ذاك الإيمان الذي يعمل ما هو فوق حدود البشر؟![2]

أهمية قانون الإيمان الكنسي

١٢. عندما تتعلم "الإيمان" والاعتراف به، أطلب هذا الإيمان وحده الذي تسلمه لك الكنيسة الآن[3]، واحتفظ به، هذا المشيّد من كل الكتاب المقدس تشييدًا قويًا.

فإذ لا يستطيع الكل أن يقرأ الكتاب المقدس (بكامله)، فلكي لا تهلك النفس بسبب الجهل لحرمانها من المعرفة بسبب نقص تعلمها... نلخص كل تعليم الإيمان في سطورٍ قليلة.

هذا الملخص أريد منك أن تتذكره عندما أتلوه عليك، وتردده أنت بكل اجتهاد. فلا تكتبه على ورق، بل انقشه بذاكرتك في قلبك، واحذر لئلا يسمعه أحد الموعوظين[4]...

إنني أرغب في تقديمه لك كعونٍ يسندك كل أيام حياتك، لا تطلب آخر سواه حتى إن تغيّرنا نحن أنفسنا ونقضنا هذا التعليم الحالي، أو جاءكم ملاك مقاوم مغيرًا شكله إلى ملاك نوراني (٢ كو ١١: ١٤) لكي يضللكم. "ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما" (غل ١: ٨-٩).

أنصت الآن إذا حدثك ببساطة ناطقًا قانون الإيمان.

---

[1] لا يمكن إنكار معونة الله حتى في هذا النوع من الإيمان الذي من جانبنا. هذا ما نادى به القديس نفسه (بند ١٠).

[2] ميّز أيضا القديس يوحنا الذهبي الفم بين الإيمان الذي العقائدي والإيمان الذي هو "أم المعجزات". عظاته على كورنثوس الأولى، ٢٩.

[3] إذ جاء المقال بعد شرح مختصر لقانون الإيمان.

[4] لكي يتسلمه الموعوظون بالتدريج قدر استطاعته.

أودعـــه فـــي ذاكـــرتك، وفي الوقت المناسب سأثبت كل بند من بنوده ببراهين من الأســـفار المقدسة، لأن بنود الإيمان لم تُجمع حسبما يبدو صالحًا في عيني إنسان، بل جمعت البنود الهامة الواردة في الكتاب المقدس كله مكونة تعليمًا للإيمان واحدًا كاملاً.

وكمـــا تحمـــل حـــبة الخردل أغصانًا كثيرة في حبة واحدة صغيرة، هكذا يحتضن الإيمان كل معرفة الصلاح الواردة في العهد القديم والعهد الجديد مسطرًا في كلمات قليلة...

يا إخوة، انظروا وتمسكوا بالتقاليد[1] التي تتسلمونها الآن. اكتبوها على ألواح قلوبكم.

الإيمان كوديعة

١٣. كـــرموها (التقالـــيد) لـــئلا يُهلـــك العدو من يتراخى، أو يشوّه أحد الهراطقة إحـــدى الحقائق المسلمة إليكم. فإن الإيمان يشبه إيداع الأموال في مصرف (مت ٢٥: ٢٧، لو ١٩: ٢٣) كما نفعل نحن الآن، لكن اطلبوا الحسابات المودعة من الله.

وكمـــا يقول الرسول: "أوصيك أمام الله الذي يحي الكل، والمسيح يسوع الذي شهد لدى بيلاطس بنطس بالاعتراف الحسن أن تحفظ هذا الإيمان المسلم إليك بلا دنس إلى ظهور ربنا يسوع المسيح" (راجع ١ تي ١٣: ١٤).

لقد تسلمت الآن كنز الحياة، ويطلب السيد منك أن تودعه إلى مجيئه، "الذي سيبينه فـــي أوقاته، المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب، الذي وحده له عدم الموت، ساكنًا في نور لا يُدنى منه، الذي لم يره أحد من الناس، ولا يقدر أن يراه، الذي له (المجد) والكرامة والقدرة" (١ تي ٦: ١٥-١٦) إلى الأبد. آمين.

[1] ٢ تي ٢: ١٥. راجع مقال ٢٣: ٢٣.

المقال السادس

وحدانية الله

"أؤمن بإله واحد"، وبخصوص "الهراطقة"

"أمـــا إســـرائيل، فيخلص بالرب خلاصًا أبديًا، لا تخـــزون ولا تخجلـــون إلى الأبد. لأنه هكذا قـــال خالـــق السماوات...أنا الرب وليس آخر" (إش ٤٥: ١٧-١٨).

١. وحدانية المجد للآب والابن

"مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح" (٢ كو ١: ٣). مبارك أيضًا ابنه الوحيد[1].

إذ نفكر في الله، فلنفكر في الحال في الآب دون أن نجزئ مجد الآب عن الابن، لأنه ليس للآب مجد والابن مجد آخر، بل هو مجد واحد بذاته، إذ هو أب الابن الوحيد.

إذ يتمجد الآب يشاركه الابن مجده، لأن مجد الابن من كرامة الآب!

وأيضًا عندما يتمجد الابن يُكرم الآب – الذي له بركة عظيمة – بكرامة علوية!

٢. مجد الله لا يُنطق به!

إن كان الذهن يستوعب أفكاره في غاية السرعة، لكن اللسان يتطلب كلمات وإبراز حديث طويل كوسيط (للتعبير عما يجول في الذهن).

العين تدرك عددًا من مجموعات الكواكب في لحظة واحدة، لكن متى رغب الإنسان فـــي وصـــفها واحـــدة فواحدة، ليصف كوكب الصباح وكوكب المساء... يحتاج إلى كلمات كثيرة!

---

[1] حذفت هذه العبارة من بعض الطبعات.

لقـــد أخـــذت تسابيح الحمد لله في أيام القديس كيرلس الأورشليمي أشكالاً متنوعة، فتتبنى كل جماعة صيغة متمايزة. وقد أشار المؤرخ ثيؤدورت (٢: ١٩) إلى أن الأب لينتوس أسقف أنطاكية (٣٤٨-٣٥٧م) إذ لاحظ انقسام الكهنة والمجمع إلى جماعتين، جماعة تستخدم صيغة "المجد للآب والابن والروح القدس"، والأخرى"المجد للآب بالابن في الروح القدس" اعتاد أن يكـــرر تســـبحة الحمد هذه بصمت حتى لا تُسمع إلا نهايتها "إلى دهر الدهور آمين". أما الصيغة التي استخدمها غالبية الأرثـــونكس وتبنتها الليتورجيات فهي "المجد للآب والابن والروح القدس، الآن وكل أوان وإلى الأبد وإلى دهر الدهور". (عن مجموعة آباء نيقية وما بعد نقية).

وهكذا أيضًا في لحظة خاطفة يستوعب الذهن الأرض والبحر وكل أفق المسكونة، وما يدركه في لحظة يستلزم الكثير من الكلمات لوصفه[1].

هــذا المثال الذي قدمته قوي، لكنه أيضًا ضعيف وغير لائق، لأننا لا نتكلم عن الله كل ما ينبغي الحديث به (إذ لا يعرفه إلاّ الله وحده)، وإنما نتكلم حسبما تسعفنا الطاقة البشرية قدر ما يحتمل ضعفنا. إننا لا نشرح الله كما هو، بل في صراحة أقول إننا نشهد بأن معرفتنا لله كما هو غير دقيقة!

إن أفضل معرفة هي اعترافنا بجهلنا فيما يخص الله![2]

إذن "عظمــوا الــرب معــي ولنُعلِّ اسمه معًا" (مز ٣٤: ٣). لنجتمع كلنا معًا في مجموعنا، لأن الإنسان ضعيف بمفرده. لا بل بالأحرى وإن اتحدنا جميعًا معًا لا نقوم بالعمل (تعظيم الله وتسبيحه) كما ينبغي!

إنني لا أقصدكم أنتم فقط الحاضرين هنا، بل ولو اجتمع كل أبناء الكنيسة في العالم، ســواء الموجــودين الآن أو الــذين سيكونون فيما بعد، فإن الجميع معًا يعجزون عن الترنم بتسابيح راعيهم!

٣. إبراهيم أدرك عجزه أمام الله!

إبراهيم رجل عظيم ومكرم بمقارنته بالبشر فقط، لكنه متى امتثل أمام الله تكلم بحق قــائلاً في صراحة: "أنا أرض ورماد" (تك ١٧: ٢٧). إنه لا يقف عند حد قوله "أنا أرض" لئلا يكون قد لقب نفسه بعنصر عظيم بل أكمل "ورماد" معلنًا طبيعته الواهية. هل يوجد شيء أقــل مــن الــرماد وأهــون منه؟ فلنقارن الرماد بالبيت، والبيت بالمدينة، والمدينة بمقاطعة الإمبــراطورية الرومانية، والإمبراطورية الرومانية بكل الأرض، وكل الأرض بالسماوات التي تحيط بها...

---

[1] يقول القديس ايريناؤس (٢: ٢٨: ٤): (حيث أن الله هو كل الذهن وكل العقل وكل الروح العامل وكل النور ودائمًا يوجد كمــا هو بذاته... فإن مثل هذا لا يُمكن وصفه كما ينبغي. لأن لساننا الجسدي يعجز عن خدمة أحاسيس الإنسان التي هي مــن طبــيعة روحــية. لذلك يقف الحديث عنها معوقًا في داخلنا نعجز عن التعبير عنه كما يدركه الذهن، إنما ننطق في أحاديث متتالية قدر ما يستطيع اللسان أن يسعفنا).

[2] يقــول العلامة ترتليان في دفاعه (٧) (غير المحدود لا يعرفه غير نفسه) هو يقدم عقيدة بخصوص الله الذي هو فوق كل إدراكنا وكل طاقتنا بكاملها لنتزود بفكرة عن الله في حقيقته. (إنه يقدم لأذهاننا في عظمة فائقة الحد فيظهر لنا أنه معروف وغير معروف في نفس الوقت).

وعندما تستوعب بالفكر السماوات بأجمعها، ومع هذا فإن السماوات أيضًا لا تستطيع تمجيد الله كما يستحق، حتى ولو كانت أصواتها أقوى من الرعد. إن كانت هذه القوات السمائية العظيمة لا تقدر أن تتغنى بتسابيح الله كما ينبغي، فهل يقدر "الأرض والرماد" الذي هو أقل الأشياء وأصغرها أن يقدم التسبيح لله، أو يستحق الحديث عن "الجالس على كرة الأرض و(الممسك) سكانها كالجندب (نوع من الجراد)" (إش ٤٠: ٢٢).

٤. من يدرك الله في كماله؟!

إن حاول أحد الحديث عن الله، فليبدأ أولاً بالحديث عن الأرض، فإن كنتَ وأنت تسكن الأرض لا تعرف حدودها... كيف تقدر أن تشكل فكرًا سليمًا عن خالقها؟!

إنك تنظر الكواكب ولا ترى خالقها، أحصِ هذه الكواكب المنظورة، وبعد ذلك صف ذاك الغير منظور، إذ هو "يحصي عدد الكواكب، يدعو كلها بأسماء" (مز ٤٧: ٤).

منذ فترة قليلة اجتاحتنا السيول متأخرًا وأهلكتنا. أحصِ قطرات الأمطار التي سقطت على هذه المدينة وحدها، لا بل أقول إن استطعت فأحصِ فقط القطرات التي سقطت على منزلك – وليس على المدينة– لمدة ساعة واحدة! إنك لا تستطيع!

إذن، فلتعرف ضعفك ولتعلم من هذه اللحظة قدرة الله "المحصي قطرات الأمطار" (راجع أي ٣٦: ٢٧) على المسكونة كلها، ليس الآن فقط بل خلال كل الأزمنة.

والشمس هي من صنع الله. ومع عظمتها فهي أشبه بنقطة وسط السماء. تأمل الشمس وبعد ذلك تفرّس في رب الشمس مندهشًا. "لا تطلب ما يعييك نيله، ولا تبحث عما يتجاوز قدرتك، لكن ما أمرك الله به فيه تأمل" (ابن سيراخ ٣: ٢٢).

٥. إذن، كيف نتكلم عن الله؟!

رب قائل يعترض: إن كان جوهر اللاهوت لا يقع تحت الحواس، فلماذا نتحدث في هذه الأمور؟ نعم، هل لأني لا أستطيع أن أشرب النهر كله يكون هذا سببًا في ألاّ أستقي منه باعتدال قدر ما يناسبني؟! هل لأن عينيَّ تعجزان عن استيعاب أشعة الشمس في كمالها ألاّ أنظر إليها قدر ما احتاج؟! وإذا دخلت حديقة عظيمة ولم أقدر أن آكل كل ثمارها هل تريد مني أن أخرج منها جائعًا؟! إذن لأسبح الله خالقنا وأمجده، إذ وُهبت لنا وصية إلهيه تقول: "كل نسمة فلتسبح الرب" (مز ٥٠: ٦).

إنني أسعى الآن، أقوم بتمجيده دون أن أصفه، عالمًا أنه بالرغم من عجزي عن القيام بتمجيده حسبما يستحق، لكن حتى مجرد السعي هو من الأعمال التقوية. ويشجع الرب يسوع ضعفي بقوله: "الله لم يره أحد في أي زمان" (يو ١: ١٨).

٦. الملائكة ترى الله قدر احتمالها!

رب قائل يعترض: ماذا إذن، ألم يُكتب: "إن ملائكة الصغار كل حين ينظرون وجه أبي الذي في السماوات؟" (أنظر مت ١٨: ١٠). نعم لكن الملائكة ترى الله ليس كما هو، بل قدر ما تحتمل. إذ يقول يسوع المسيح: "ليس أن أحدًا رأى الآب إلاّ الذي من الله، هذا قد رأى الآب" (يو ٦: ٤٦).

لذلك فالملائكة ترى الله قدر ما تحتمل، ورؤساء الملائكة يرون قدر ما يحتملون، والعروش والسلاطين يرون أكثر من السابقين، لكنها لا ترى كما يستحق الله[1].

فالابن – مع الروح القدس – هو وحده الذي يقدر أن يراه بحق كما هو، لأنه: "يفحص كل شيء حتى أعماق الله" (١كو ٢: ١٠). هكذا الابن الوحيد مع الروح القدس يدركان الآب في كماله، إذ قيل: "لا أحد يعرف الآب إلاّ الابن، ومن أراد الابن أن يُعلن له" (مت ١١: ٢٧).

إذ يري الكل حسب احتمالهم، لذلك فهو يرى الآب بكماله، معلنًا الله (الآب) خلال الروح، إذ الابن مع الروح شريك (واحد) مع الآب في اللاهوت.

المولود يعرف الوالد، والوالد يعرف المولود.

إن كان الملائكة جاهلين (بمعرفة الله في كماله)، فلا يخجل أحدكم من الاعتراف بجهله.

حقًا إنني أتكلم الآن كما يتكلم أي إنسان في مناسبة ما، أما كيفية الكلام فلست أعرفه. إذن كيف أستطيع أن أخبركم عن واهب الكلام نفسه؟!

وإذ لي نفس لا أقدر أن أخبركم عن سماتها المميزة لها، فكيف أصف واهب النفس؟!

---

[1] تحدث القديس يوحنا الذهبي الفم في مقاله عن "العناية الإلهية" ترجمة الأخت عايدة حنا (فصل ٣) عن "قصر حكمة السمائيين في التعرف على الله كما هو ولا أحكامه بكمالها". إذ يقول: "حقا أن الله حتى بالنسبة لهذه الطغمات غير مدرك، ولا يقدرون على الدنو منه، لهذا يتنازل بالطريقة التي جاءت في الرؤيا، لأن الله لا يحده مكان ولا يجلس على عرش... وأمّا جلوسه على عرش واحاطته بالقوات السمائية إنما هو من قبل حبه لهم" كما تحدث في شيء من التفصيل في مقاله: "عدم إدراك الله".

٧. كماله مطلق!

مـــن أجل التقديس يكفينا أن ندرك في بساطة أن لنا إله، هذا الإله واحد حي، حيّ إلى الأبد، يشبه ذاته على الدوام "بلا تغيير"، ليس له أب غيره ولا أحد أقوى منه، لي ينازعه خليفة مملكته. له أسماء متعددة، سلطانه بلا حدود، جوهره بلا تغيير.

وإذ يدعى صالحًا وعادلاً وقديرًا وصباؤوت[١]، فلا يفهم من ذلك أي تنوع أو أنه أخذ أشكالاً متغايرة. إنما هو واحد، يقوم بأعمالٍ كثيرة بفعل لاهوته دون زيادة أو نقص، بل في كل شيء شبيه بذاته بلا تغيير.

إنـــه لـــيس عظـــيمًا فـــي حبه المترفق وقليلاً في الحكمة، بل له قوة متساوية في الحكمـــة والحـــب المترفق. لا يُرى من ناحية معينة فيه دون أخرى، بل كله عين وكله إذن وكلـــه ذهن[٢]. إنه ليس مثلنا يُدرك من جانب دون آخر. فإن مثل هذا تجديف لا يليق بجوهر الله الذي يعرف الأمور قبل كونها. قدوس وقدير، يفوق الكل في الصلاح والعظمة والحكمة. لا يمكنـــنا أن نخبر عن بداية له أو شكل أو مظهر، إذ يقول الكتاب: "لم تسمعوا صوته قط، ولا أبصـــرتم هيئـــته" (يو ٥: ٣٧). وكما قال موسى: "احتفظوا جدًا لأنفسكم، فإنكم لم تروا صـــورة مـــا (يـــوم كلمـــتكم)"[٣].فإذ يستحيل تمامًا رؤية شكله، كيف تفكر في الاقتراب من جوهره؟!

٨. لا تتصور اللاهوت بشكلٍ!

كثيرون قدموا تصورات لله، وجميعهم فشلوا. فالبعض تخيلوه **نارًا**، وآخرون حسبوه **إنســـانًا مجنحًا**، إذ أساءوا فهم العبارة الحقانية القائلة: "بظل جناحيك استرني" (مز ١٧: ٨). لقد نسوا قول ربنا يسوع المسيح في حديثه إلى أورشليم عن نفسه: "كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا" (مت ٢٣: ٣٧).

---

[١] يدعوه الكتاب المقدس والكنيسة: "رب الصباؤوت" أي "رب الجنود" السمائية.

[٢] راجع القديس إيريناؤس ٢: ٣٥: ٣، ٤، ٧.

[٣] يحدثـــنا القـــديس أغســـطينوس في هذا الشأن قائلاً: [لا تستسلموا للتفكير بأنكم ترون لله وجهًا جسديًا، لئلا بتفكيركم هذا تهيـــئون أعينكم الجسدية لرؤيته فتبحثون عن وجه مادي لله... تنبهوا من هو هذا الذي نقول له بإخلاص: "لك قال قلبي... وجهـــك يا رب أطلب" (١ كو ٣: ١٧)... لتبحثوا عنه بقلوبكم. يتحدث الكتاب المقدس عن وجه الله وذراعه ويديه وقدميه وكرســـيه وموطئ قدميه... لكن لا تحسبوا أنه يقصد بها أعضاء بشرية. فإن أردتم أن تكونوا هيكل الله، فلتكسروا تمثال البهتان هذا]. عظات على فصول منتخبة من العهد الجديد، ٣.

إنـــه يــتطلع إلـــى قوة حماية الله كأجنحة، أما هم ففشلوا في فهم هذا، ساقطين في إدراكات بشرية (حسِّية)، ظانين غير المفحوص على شكل إنسان!

كـــذلك تجاســـر البعض قائلين إن له **سبع أعين**، إذ مكتوب "إنما هي (سبع) أعين الـــرب الجائلة في الأرض" (زك ٤: ١٠). فإن وضعت حوله سبع أعين منفصلة، يكون بهذا نظره منفصل وغير كامل. وفي هذا القول عن الله تجديف، إذ يليق بنا أن نعتقد في كمال الله في كل شيء، كقول المخلص: "إن أباكم الذي في السماوات هو كامل" (مت ٥: ٤٨).

إنه كامل في النظر، وكامل في القوة، وكامل في العظمة، وكامل في العدل، وكامل فـــي المحـــبة المتـــرفقة. ليس بمحصور بفراغ، بل هو خالق كل الفراغ، موجود في الكل، لا يحـــدّه شـــيء. حقًـــا "الســـماء كرسيه"، لكن ليس بجالسٍ عليها، "والأرض موطئ قدميه" (راجع إش ٦٦: ٨٠)، لكن قوته تبلغ إلى ما تحت الأرض...

١٠. تركوا الله الحقيقي وعبدوا الخليقة!

الله عظـــيم هكـــذا بـــل وأعظم (لأنه وإن تحول كل كياني إلى لسان لما استطعت التحدث عن سموّه. بلى ولو اجتمعت كل الملائكة معًا لما قدرت أن تتحدث عنه كما يستحق).

ومع أنه عظيم هكذا في صلاحه وجلاله لكن الإنسان تجاسر وقال للحجر الذي نحته "لأنـــك أنـــت إلهـــي" (إش ٤٤: ١٧). يا للعمى المريع، إذ نهوي من عظمة هذا قدرها إلى انحطاط هذا عمقه! الشجرة التي أوجدها الله وتعهدها بالأمطار، التي ستحرق وتصير رمادًا تُدعى الله، والله الحقيقي يُزدرى به!

بل انتشر شر الوثنية بأكثر إسراف، فعُبدت القطة والكلب والذئب عوض الله![1] عُبد الأسد مفترس الإنسان بدل الله صديق الإنسان المحب له إلى الغاية! عُبد الثعبان والحية[2] التي خدعته، وأخرجته من الفردوس، ومستهينًا بالذي غرس له الفردوس!

---

[1] عـــبد الإغريق القطة ودعوها *Bubastis* وقد حققها هيرودت المؤرخ (٢: ١٣٧) بـــ *Artemis* أو ديانا هي إلهة الصيد. كانـــت القطـــط بعد موتها تُحنط إذ وجدت لها موميات في أماكن كثيرة خاصة في بوباستس (هيرودت ٢: ٦٧). أما عن الكلاب فيقول عنها هيرودت (٢: ٦٧) إنها كانت تعبد خاصة في مدينة *Cynopolis* أي مدينة الكلاب، إذ عبد المصريون الإلـــه "انوبيس" وهو إله رأسه رأس كلب. كما وجدت مومياء للذئاب في حجرات نقبت في صخور ليكوبوليس حيث كانوا يعبدون الإله أوزوريس. عُبد الأسد في لينوتوبوليس.

[2] نكـــر المؤرخ هيرودت (٢: ٧٤) [تُوجد بجوار طيبة حيات مقدسة، لا تضر الإنسان قط. هذه يدفنونها في معبد زيوس، الإله الذي يقدسونه.]

إنني أخجل أن أقول، لكنني أقول إنهم عبدوا حتى البصل!

لقـد أُعطى الخمر ليبهج قلب الإنسان (مز ١٠٤: ١٠)، لكن ديوناسيوس (باخوس) عـبده عوض الله (لأجل البهجة)! خلق الله القمح بقوله "لتنبت الأرض عشبًا" (تك ١: ١١)، وتأتي البذور كل بنوعها، وبهذا يتقوّت قلب الإنسان بالخبز، فلماذا يعبده ديميتر *Demeter*!

إلـى يومـنا هـذا تـتولد النار من احتكاك الحجارة معًا، فكيف يكون هيفاستوس (فولكان) خالق النار؟ (مز ١٠٤: ١٥)

تعدد الآلهة يدعو إلى مجيء الابن

١١. كـيف جـاء الشـرك بالله عند اليونانيين؟ الله ليس له جسد، فكيف وُجد بين المدعـوين آلهة زناة؟! إنني لست أتكلم بخصوص تحول زيوس إلى خنزير. إنني أخجل من التحدث عن تحوله إلى ثور، لأن النعير لا يليق بإله!

لقـد وُجد عند الإغريق إلهًا زانيًا، وهم لا يخجلون من هذا، إذ كيف يدعى إلهًا من كان زانيًا؟! يتحدثون عن آلهة سقطوا في ميتات[1] وسقطات[2] وانحطاط. انظروا كيف سقطوا من علوّ شاهق هكذا إلى انحطاط شديد.

إذن هل جاء ابن الله من السماء باطلاً؟! ألم يأتِ ليشفي جرحًا كان عظيمًا هكذا؟!

هل جاء الابن باطلاً؟ أم جاء لكي يخبر عن الآب؟! لقد عرفت ما هو الدافع لمجيء الابن الوحيد من العرش عن يمين الآب فإذ هم احتقروا الآب جاء الابن يصلح الأمر.

إذ به خُلق كل شيء التزم أن يحضر "الخليقة" بأسرها كتقدمة لرب الكون!

لاق به أن يضمد الجراح، لأنه أي جرح أشر من أن يُعبد الحجر عوض الله؟!

الهرطقات

١٢. لهم اسم المسيح وهم أعداء له!

لا يصـنع الشـيطان هذه الحروب بين الوثنيين وحدهم، بل حتى بين كثيرين من المدعوين مسيحيين باطلاً، هؤلاء الذين ينتسبون خطأ إلى اسم المسيح العذب، إذ يخطئون في

---

[1] اقتبس القديس إكليمنضس السكندري (*Exhort* 2: 37) عبارة عن تسبحة كليماخوس بخصوص موت الإله زيوس. وجاء عن الإله أدونيس أنه عاش ومات مرات كثيرة.

[2] يشير إلى السقطات الواردة في قصة هيفاستوس.

كُفر متجاسرين أن يُبعدوا الله عن خليقته. أقصد بذلك جماعة الهراطقة، أشر الناس، أصحاب الاسم الرديء، يتظاهرون بالصداقة مع المسيح، وهم مبغضون له تمامًا. إذ من يجدف على أبي المسيح يكون عدوًا للابن.

لقــد تجاســروا فنادوا بوجود إلهين: واحد صالح والآخر شرير. يا للعمى المريع! كــيف ندعــو من هو غير صالح إلهًا! الله بالتأكيد صالح؟! يُحسب الصلاح هكذا إذ هو من خصــائص الله، فــالله وحــده يخصــه الحب المترفق والبركة والقدرة والسلطان. فلهم أحد اختيارين، إما يربطون الاسم بالعمل لمن يدعونه الله، أو لا يعطونه الاسم مجردًا بغير عمل.

سخافة الثنائية

١٣. يتجاســر الهراطقة فينادون بوجود إلهين: مصدرين للخير والشر، وهما غير مولودين. فإن كانا غير مولودين، فهما متساويان وقديران، فكيف يبدد النور الظلمة؟! ثم هل يــتواجدان معًــا أم همــا منفصــلان عن بعضهما البعض؟ لا يمكن أن يكونا معًا، إذ يقول الرسول: "أية شركة للنور مع الظلمة؟!"[1]

وإن كان أحدهما منفصلاً عن الآخر فبلا شك يحتل كل منهما مكانًا مستقلاً. وعلى هذا نكون تحت سيادة أحدهما، وبالتالي نعبد إلهًا واحدًا.

إذن ننتهي إلى أننا حتى إن قبلنا غباوتهم نلتزم بالتعبد لله الواحد[2].

لنسألهم عما يقولون في صدد الإله الصالح: هل هو قدير أم غير قدير؟

إن كان قديرًا، فكيف لا يستطيع أن يسحق الشر؟ وكيف يتأتى الشر على الرغم من إرادته؟

فــإن كــان يراه ولا يستطيع منعه، بهذا ينسبون إليه العجز. وإن كان يستطيع أن يمنعه ولا يفعل ذلك، فيُحسب غير صالح. أُنظر إذن إلى جنونهم؛ فإنهم يدّعون أحيانًا أنه إله الشر، لا علاقة له بإله الخير فيما يختص بالخليقة.

يقولون أحيانًا إن له رُبع العالم.

ويقولون أيضًا إن الإله الصالح هو أبو المسيح، ويُسمون المسيح بالشمس. فإن كان العالم – حسب عقيدتهم – من صنع إله الشر؛ وإذا كانت الشمس في العالم، فكيف يمكن لابن الله الصالح أن يخدم إله اشر مُكرها؟

---

[1] ٢ كو ٦: ١٤. يتحدث القديس كيرلس الأورشليمي على وجه الخصوص ضد هرطقة ماني.

[2] في تكملة هذا البند استعنت بالتعريب الذي قام به الأب جورج نصور، في سلسلة النصوص الليتورجية.

إنــنا نــتلوث بالحــديث عن هذه الأمور، لكننا نتحدث عنها حتى لا يسقط أحد من الحاضرين في حمأة الهراطقة عن جهلٍ.

أنــا أعلم أن فمي قد تلوث، وكذلك آذان السامعين. لكن الأمر لا يخلو من فائدة، إذ من الأفضل أن نحتكم عن عقائد الآخرين الخاطئة، عن أن نترككم تسقطون فيها عن جهلٍ.

عقــيدة الهراطقة الشريرة متشعبة، وعندما يضل أحد عن طريق التقوى ينساق إلى إحدى شُعبها.

١٤. سيمون الساحر مصدر كل هرطقة

مصــدر كــل هــرطقة هو سيمون الساحر[١]، هذا الذي جاء عنه في سفر أعمال الرســل أنــه فكّــر أن يشتري بمال نعمة الروح القدس، فسمع القول: "ليس لك نصيب في هــذا الأمــر" (أع ٨ :١٨-٢١)... وعــنه أيضًــا كُتب: "منا خرجوا، لكنهم لم يكونوا منا، لأنهــم لــو كانوا منا لبقوا معنا" (١ يو ٢: ١٩). هذا الإنسان بعدما طرده الرسل جاء إلى رومــا حيث استمال إليه زانية تدعى هيلين *Helene*[٢]. وقد تجاسر بفمه المملوء تجديفًا أن يدعي أنه هو الذي ظهر على جبل سيناء كالآب، وظهر كيسوع المسيح بين اليهود، ليس في جســد حقيقــيٍ، بل كان يبدو هكذا[٣]، وبعد ذلك كالروح القدس الذي وعد المسيح أن يرسله كمعزٍ[٤].

لقــد خــدع مديــنة روما حتى أقام له كلوديوس تمثالاً، نُقش عليه من أسفل بلغة الرومان: *Simoni Deo Sancto* وهى تعني "إلى سيمون الله القدوس"[٥].

---

[١] نادى القديس إيريناؤس بهذا الرأي (ضد الهرطقات ١: ٢٣).

[٢] قال القديس إيريناؤس (إذ اشترى من *Tyre* صور وهي مدينة فينيقية، زانية معينة تدعى *Helene* أعتاد أن يأخذها معه، معلنًا أن هذه المرأة أول ادراكات ذهنية، وهي أم الجميع، وبواسطتها أدرك منذ البداية خلقة الملائكة ورؤساء الملائكة).

[٣] ابيفان (هراطقة ص ٥٥) (قال عن نفسه إنه الابن، وإنه لم يتألم حقيقة بل بدى لهم هكذا).

[٤] جــاء في القديس ايريناؤس ٢٣:١ : ١ علم سيمون أنه جاء بين اليهود بكونه الابن، وبين السامريين كالآب، ولبقية الأمم بكونه الروح القدس.

[٥] الشهيد يوستينوس في دفاعه الموجه إلى أنطونيوس بيوس ٢٦، كتب قائلاً: [كان يوجد سيمون السامري من قرية تدعى *gitton* في أيام حكم كلاديوس قيصر في روما مدينتكم الملكية، هذا صنع أعمالاً وسحرًا، وذلك بواسطة الشياطين العاملة فــيه. لقد حسبوه إلهًا وكرم بينكم بعمل تمثال له، حيث أقيم في نهر التيبر بين جسرين وحمل هذا النقش " *Simoni Deo Sanceto*" أي "سيمون الله القدوس".] كرر إيريناؤس هذه القصة (ضــد الهراطقة ١: ٢٣: ١)، وترتليان (دفاع ١٣).

وضع بطرس وبولس نهاية لخطأ سيمون

١٥. وإذ كـان الضـلال سينتشـر لهـذا وضع النبيلان - بطرس وبولس - من قـادة الكنيسة[١] نهاية لهذا الخطأ. وعندما أراد سيمون مُدعي الألوهية أن يظهر نفسه أظهراه كجـيفة ميـتة، إذ وعـد سـيمون أنه يرتفع إلى السماوات ويأتي على مركبة شيطانية في الهواء...

هـذان طـرحا إلى الأرض الإله المزعوم أنه من السماء، حتى يُحمل إلى طبقات الأرض السفلى. لقد ظهرت حيَّة الشر في هذا الرجل، وإذ قُطع رأس كل منها وُجدت جذور الشر برؤوس أخرى عديدة...

ضلال الأبيونيين ومرقيون

١٦. صـنع كيـرنثوس[٢] خرابًا في الكنيسة. وأيضًا *Menander* [٣] وكربوقراط[٤] وأبيونـيت[٥] ومرقيون فم الشر، لأنه أعلن عن وجود إلهين مختلفين، واحد صالح والآخر عادل، يناقض الابن القائل "أيها الآب البار" (يو ١٧: ٢٥).

---

[١] جاء في النسخ الكاثوليكية: "رئيسنا قادة الكنيسة".

[٢] كيـرنثوس: من مبتدعي القرن الأول نادى بأن العالم لم يخلقة الله العلي، بل خلقته قوة منفصلة يجهلها الله. وإذ علم الإله الأعظـم بخلقة العالم، أرسل أحد الأرواح الخالدة (الأيونين) وهو المسيح، نزل واتحد بيسوع البار ابن يوسف ومريم أثناء عماده من يوحنا، إذ نزل عليه بصورة حمامة، ولما اعتمد هجم على إله اليهود لينتقم منه، غير أن إله اليهود حرض عليه شعبه فأمسكوه وسمروه على الصليب، وللحال طار المسيح إلى السماء وصلب يسوع. على هذا نادى هذا الهرطوقي بعبادة الإلـه الأعظـم أو المسيح أحد الأرواح الخالدة دون إله اليهود. كما نادى بأن الأجساد تقوم وتعيش مع المسيح المزمع أن يملك في هذا العالم ألف سنة.

[٣] ميناندر *Menander* : ذكره الشهيد يوستينوس (دفاعه ١: ٢٦)، وهو سامري تلميذ لسيمون. خدع كثيرين في أنطاكية بفـنون سـحره. واقـنع الملتصقين به أنهم لن يموتوا (إيريناؤس ١: ٢٣: ٥). وأعلن أنه المخلص، مرسل من قبل غير المرئيين. ونادى بأن العالم من صنع الملائكة (*Tert: Anima 50*).

[٤] كربوقـراط *Carpocrates* فيلسوف أفلاطوني، علم في الإسكندرية (سنة ١٢٥م) وقال إن العالم وكل ما فيه من صنع الملائكـة (راجع ايريناؤس ١: ٢٥: ١، ترتليان: ضد الهراطقة ٥) وإن العالم مخلوق من مادة خبيثة، والأنفس خلقت قبل الأجساد وحبست فيها للقصاص. علم بالسحر وأنكر القيامة وأباح الشهوات.

[٥] أبـيون: عاش في القرن الأول بعد خراب أورشليم وقد ذكر ايريناؤس (١: ٢٦) عن الأبيونيين *Ebionites* أنهم يتفقون فـي أن العالم من صنع الله. وقد ارتأى أن السيد المسيح ولد من يوسف ومريم ولادة طبيعية، وامتاز عن الناس بالفضيلة والطهـارة. ولا يكفـي الإيمان به للخلاص بل ينبغي أن يتحد بإتمام الختان وحفظ السبت موجز تاريخ المسيحية (يسطس الدويرى ص١٥١) وقد نقض تعليمه ثم علم بخلافه وسار إلى روما وكان يقدم في سر الافخرستيا الخمر الصرف والفطير (الخريدة النفيسة ج١ ص٩٤).

وأيضًا من يقول إن الآب غير خالق المسكونة يناقض الابن القائل: "فإن كان العشب الذي يوجد اليوم في الحقل ويُطرح غدًا في التنور يلبسه الله"، "ويشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين" (لو ١٢: ٢٨؛ مت ٥: ٤٥).

كـذلك يُعتبـر **مرقيون**[1] مصدر ثانٍ لضرر أعظم. وقد دُحض بإبراز شهادات من العهد القديم اقتبست في العهد الجديد، إذ تجاسر وعزل العهدين عن بعضهما، تاركًا الكرازة بكلمة الإيمان بغير شاهدٍ، نازعًا الإله الحقيقي، طالبًا تخريب إيمان الكنيسة كأنّ لا بشائر لها.

١٧. باسيليدس وفالنتينوس

هـذا تـبعه آخـر هـو باسيليدس[2] الشرير صاحب الشخصية الخطيرة، والكارز بالأدناس.

وجـاء أيضًا **فالنتينوس**[3] معينًا للشر، هذا الذي نادى بوجود ثلاثين إلهًا. لقد تحدث الإغـريق عـن آلهـة قليلة، أما هذا الإنسان الذي ادعى المسيحية باطلاً فقد بالغ في الفساد

[1] **مرقيون**: من سوريا، حاول التوفيق بين المبادئ المسيحية والفارسية فانجرف في الشرك بالله والكفر بعيدًا عن كل مفهوم مسيحي. لم يقبل من البشائر سوى إنجيل لوقا. أساء إلى الكتاب المقدس... اعتقد بوجود ثلاثة مبادئ: أ. الأول طاهر وهو أبـو المسيح. ب. الثاني شرير وهو إله الشر. ج. الثالث متوسط بينهما وهو إله اليهود، مهندس العالم. كان إله الشر على الدوام في حرب مع إله اليهود، فلكي ينهي الإله الطاهر النزاع أرسل ابنه المسيح لابسًا هيئة جسد لكي يخرب المملكتين.

[2] **باسيليدس**: سبق مرقيون، أنشأ الغنوسية في الإسكندرية في عهد هدريان (١١٧-١٣٨م) اعتقد بمبدأ واحد انبثق منه سبعة أشـخاص مـنهم الحكمة والقوة اللتان ولدتا رتبة الملائكة التي ابتنت السماء الأولى، وولدتا ملائكة آخرين ابتنت السماء الثانـية وهكذا صارت عدد السماوات ورتب الملائكة معادلاً لعدد أيام السنة. ثم أن سكان السماء الأخيرة خلقوا هذا العالم وكونوا أناسًا استحسنهم الله ومنحهم عقولاً. فاتخذ أحد هذه طغمة اليهود له شعبًا وسن لهم شرائع، بينما تسلط باقي الطغمة علـى الأمـم وتعظمـوا ونزعوا منهم معرفة الله. فلكي يخلص الله البشر من عبوديتهم أرسل ابنه "نوس" أي العقل وهو المسيح، فاتحد بالإنسان يسوع وإذ لحظ إله اليهود تجسد المسيح حرض شعبة على قتله فقبضوا على يسوع وقتلوه، لكنهم لم يقدروا على المسيح.

[3] **فالنتينوس**: ظهر في القرن الثاني، نادى بان مسكن الله فيه ثلاثون أيونًا، نصفها ذكورًا والنصف الآخر إناث.

كـذلك يـوجد أربعة هم: أ. أروس حافظ حدود مسكن الإله الأعظم. ب. المسيح. ج. الروح القدس. د. يسوع الذي ساعد الفلسفة، ابنة الحكمة، حتى ولدت خالق هذا العالم. وما أن خلق حتى ادعى الإلوهية واتخذ اليهود له شعبًا. لذلك نزل المسيح لكي يبطل قوته ويهدى اليهود والأمم إلى معرفة الإله الأعظم، وقد زعم أن المسيح نزل من السماء بجسد واجتاز من العذراء كما يجتاز الماء في قناة. وقد ذكر إيريناؤس (١: ١) تعاليمه.

وقـد ذكـر ثـيؤدورت (رسالة ٤٥) بأن فالنتينوس وباسيليدس وبارديسيانيس وهارمونيس وجماعاتهم قالوا بالحبل بالمسيح وميلاده من عذراء، لكنهم قالوا إن الله الكلمة لم يتقبل شيئًا من العذراء، بل عبر عبورًا خلالها كما في قناة، وكان خيالاً في ظهوره للبشر.

فجعلهم ثلاثين إلهًا. لقد قال أيضًا أن بيثوس *Bythus* الذي من الهاوية وُلد صامتًا والصمت ولد الكلمة...

البيتوس هذا أشر من زيوس الذي للإغريق، هذا الذي اتحد بأخته...

أما ترى السخافات التي اقترحها متسترًا تحت المسيحية؟!

انتظـــر قليلاً فستصعق من شره، إذ يؤكد أن بيثوس هذا ولد ثمانية أيونات، ومنهم وُلد عشرة، كما ولد اثنا عشر ذكرًا وأنثى (٨ +١٠ + ١٢=٣٠) من أين يدلل على هذا!؟

من أين جاء بالثلاثين أيونا؟؟

إنه يجيب: مكتوب عن يسوع أنه اعتمد وهو في الثلاثين من عمره (لو ٣: ٢٣).

إن كـــان قد اعتمد في الثلاثين من عمره، فهل في هذا دليل؟! هل يوجد خمسة آلهة لأنـــه كســـر خمسة أرغفة لخمسة آلاف رجل؟! أو هل يلزم وجود اثني عشر إلهًا لأنه كان تلاميذه اثني عشر؟!

المسيح حسب فالنتينوس

١٨. حتـــى هــذه الأقوال لا تزال أقل شرًا من غيرها، فقد تجاسر قائلاً: إن آخر الآلهـــة الكائـــنة هو ذكر وأنثى، وهذا الإله يدعى الحكمة[١]. أي شر هذا، فإنه حقّر حكمة الله (١ كو ١: ٢٤)، أي المسيح الابن الوحيد، فدعاه أنثى، وجعله أحد ثلاثين (أيونا)، وآخر خالق!

كـــذلك يقـــول إن الحكمة سعت لترى الإله الأول، وإذ لم تحتمل بهاءه سقطت من الســـماء وُطـــردت في ثلاثين، فتنهدت، ومن تنهدها وُلد الشيطان، ومن بكائها على سقوطها صـــنعت دموعها البحر. يا له من كفرٍ! كيف تخلق الحكمة الشيطان، والتعقل والشر، والنور والظلمة؟!

كـــذلك قال إن إبليس ولد آخرين، ومن هؤلاء خلق العالم. وقد نزل المسيح لكي ما يُعّصي البشرية ضد خالق العالم.

اهرب من الهراطقة

١٩. لكـــن اسمع ماذا يقولون عن شخص يسوع المسيح، إذ يشوّهون أنفسهم أكثر بقـــولهم إن الحكمـــة بعـــدما انطرحت أسفل، فلكي لا يكون العدد ثلاثين كاملاً، فإن التسعة

---

[١] إيريناؤس ١: ٢: ٢.

وعشرين أيونًا ساهم كل منهم بنصيبٍ قليلٍ وتكوّن المسيح[1]. قد قالوا إنه ذكر وأنثى في نفس الوقت. هل يوجد كفر أشر من هذا؟! هل يوجد بؤس أكثر منه؟!

إننـــي أصف لك ضلالهم حتى تمقتهم أكثر. ارفض كفرهم، ولا تسلم على من كان هذا حالهم (٢ يو ١٠: ١١)، لئلا تشترك معهم في أعمال الظلمة. لا تسألهم ولا تجاملهم[2].

المبتدع ماني

٢٠. أمقـــت كل الهراطقة، خاصة ذاك الذي يدعى بحق "ماني"، الذي قام من زمن لـــيس ببعيد في أيام حكم بروبس *Probus*. لقد بدأ ضلاله منذ تمام سبعين عامًا[3]، ولا يزال إلى يومنا هذا، أحياء رأوه بأعينهم...

---

[1] اختلف عما ذكره عن **إيريناؤس** ١: ٢: ٦.

[2] لمـــا كان فالنتينوس أحد أصحاب المذاهب الغنوسية لذلك أذكر فكرة عن الغنوسية مختصرة عن كتاب "الفلسفة المسيحية" لنيافة الأنبا غريغوريوس أسقف الدراسات القبطية (بالاستنسل).

[الغنوسية بمثابة ملتقى أو مصب هائل لعناصر مختلفة: يهودية، مسيحية، يونانية، وشرقية...

وهي تنادي بالمعرفة بدلا من الإيمان. ولها مذهب خاص فيما يتصل بالله والخلق وأصل الشر والخلاص، تقدمه للذين يميلون إلى أن ينظروا إلى أنفسهم وكأنهم أشخاص أرفع وأفضل من غيرهم من المسيحيين العاديين.

والعناصـــر الشـــرقية والهلينية فمن الواضح بمكان بحيث لا يمكن معها أن تكون الغنوسية هرطقة مسيحية بالمعنى العـــادي للكلمـــة، ولـــو أنها كانت تشكل خطرًا حقيقيًا في القرن الثاني للميلاد، وقد أضلت بالفعل أولئك المسيحيين الذين جذبتهم التأملات الثيوصوفية (أي الباطنية) الغريبة التي قدمتها الغنوسية على أنها معرفة.

ومن أهم خصائص الغنوسية بصفة عامة، قولهم بثنائية بين الله والمادة، وان لم تكن ثنائيتهم هذه مطلقة لكنها على أي الأحوال تذكرنا بمذهب ماني. وأمّا الهوة الناشئة بين الله والمادة، فقد ملأها الغنوسيون بسلسلة من الصدورات أو الكائنات المتوسطة التي يحتل المسيح مكانًا بينها، وتكمل عملية الصدور بالعودة إلى الله عن طريق الخلاص.

ولم تكن الخاصية العامة الرئيسية التي يتميز بها الغنوسيون هي ميلهم إلى الثنائية بقدر ما هو الإصرار على الغنوسية أنها سبيل الخلاص.

أما سبب تبينهم بعض العناصر المسيحية فهو رغبتهم في امتصاص المسيحية وإحلال المعرفة محل الإيمان.

والـــذي ســـاعد علـــى قبولها أنها ظهرت في وقت كانت فيه المدارس الفلسفية والديانات السرية مع انتشار المذاهب الباطنية والثيوصوفية التي يحيط بها السحر الكاذب...

وفي الواقع كان هناك كثير من المذاهب الغنوسية منها:

أ. مذهب كيرنثوس. ب. مذهب مرقيون: كان مسيحًا صدر ضده حكم بالحرمان من الكنيسة وقد نادى بأن إله العهد القديم أقـــل من إله العهد الجديد الذي ظل مجهولاً إلى أن أعلن نفسه في يسوع المسيح. ج. مذهب عبدة الحياة The Ophites ربمـــا كانوا من أصل يهودي إسكندري. د. مذهب باسيليوس. هـــ. مذهب فالنتينوس وهو السابق لم يكونا مسيحيين يومًا ولم يحملا في مذهبيهما عناصر مسيحية هامة.

[3] وصل *Routh* إلى هذه النتيجة: وهي أن الضلال والجدل الذي حدث بين ماني وأرشلاوس كان بين يوليو وديسمبر ٢٧٧م، وبهذا تكون هذه المحاضرات بعد تمام سبعين عامًا كاملة أي قبل ربيع ٣٤٨م.

لقـد طمـح في أن يصير أول الأشرار، فأخذ بتعاليم الكل وربط بينها في هرطقة واحدة مملوءة تجاديف وكل شرور، وضع رمادًا في الكنيسة، بل بالأحرى أهلك الذين هم في الخارج، إذ كان زائرًا كالأسد مفترسًا من يجده (١ بط ٥: ٨).

لا تُـبالِ بكلمـاتهم الـرقيقة، ولا بتواضـعهم المزعوم، فإنهم حيات أولاد أفاعي (مت ٣: ٧). لقد قال يهوذا وهو يخون سيده "السلام يا سيدي" (مت ٢٦: ٤٩)، هكذا لا تهتم بقبلاتهم، بل أحذر خبثهم.

٢١. نشأة ماني ومعلموه

ولئلا أبدو لك إنني اتهمه باطلاً، اسمح لي أن أميل وأخبرك من هو ماني؟ وأُحدثك قليلاً عمـا علِم به، وإن كان الوقت لا يسمح بالحديث عن كل تعاليمه الغبية بما فيه الكفاية. ولكن "لكي تجـد عونًا في حينه" (عب ٤: ١٦) تذكر ما سبق أن أخبرت به من قبل، وأكرره الآن حتى يعرفه من لم يسبق لهم معرفته، ويتذكره من سبق لهم معرفته.

ماني ليس من أصل مسيحي. حاشا! ولا هو كسيمون محروم من الكنيسة، ليس هو هكذا ولا معلموه. إنما هو سرق شر الآخرين ونسب شرورهم إلى نفسه...

سيتيانوس (سكيثيانوس) وتريبنثوس أصل المانية

٢٢. لقد كان في مصر إنسان يدعى سيتيانوس (سكيثيانوس) *Scythianus* عربي المـولد[١]، لا علاقة له لا بالمسيحية ولا اليهودية. سكن في الإسكندرية وتمثل بحياة أرسطو، وصـنف أربعـة كتب[٢]، ودعى أحدها إنجيلاً دون أن تحمل أعمال المسيح إنما حمل مجرد الاسـم. والثانـي دُعي "الفصول Chapters" والثالث "الأسرار" والأخير هو المتداول اليوم ويدعى "الكنز".

ولما قصد سكيثيانوس الذهاب إلى اليهودية ليصنع فسادًا (بتعاليمه الوثنية) ضربه الرب بمرضٍ خطيرٍ موقفًا سمومه، وقد كان له تلميذ يدعى تريبنثوس *Terebinthus*.

---

[١] *Soracen by birth*" وبلا شك كان وثنيًا.

[٢] ذكر أرشلاوس (*acta 3*) هذه الكتب الأربعة التي كتبها ماني بواسطة تلميذة تريبنفوس.

موت تريبنثوس *Terebinthus*

٢٣. ورث تلميذه خطأه الشرير كما ورث ماله وكتبه وهرطقته. فذهب إلى فلسطين، وهناك اشتهر، وقد أدين في اليهودية، لذلك وضع في نفسه أن يذهب إلى بلاد فارس، ولكي لا تُعرف شخصيته هناك استبدل اسمه مدعيًا أنه بيداس *Buddas*[1].

على أي الأحوال صنع قلاقل بين كهنة ميثراس *Mithras*، وإذ دخلوا معه في نقاش وفنّدوا أقواله ببراهين كثيرة ومجادلات، التجأ إلى أرملة معينة لتحميه. وإذ صعد إلى سطح بيتها استدعى شياطين الهواء، الذين لا يزال يستخدمهم أتباع ماني إلى اليوم، الذين صنعوا محفلاً تافهًا ممقوتًا، فضربه الله وسقط من السطح وأماته، وهكذا انقطع الوحش الثاني.

كوبريكوس *Cubricus* يخلفه باسم ماني

٢٤. بقيت الكتب المسجلة لكفره، إذ ورثتها الأرملة مع أمواله، وإذ لم يكن لها قريب أو صديق قررت أن تشتري ولدًا يدعى كوبريكوس *Cubricus*[2]، تبنته وعلمته التعاليم الفارسية، فاستل سيفًا شريرًا أشهره ضد البشرية.

نشأ العبد كوبريكوس بين الفلاسفة، وعند موت الأرملة ورث الكتب والمال. ولكي يخفي اسم العبودية دعى نفسه "ماني" التي تعني في الفارسية "مجادل"... إذ حسب نفسه باحثًا.

لقب نفسه "ماني" كما لو كان سيدًا ممتازًا في الجدال. ومع أنه نسب لنفسه اسمًا مكرمًا في لغة الفارسيين، لكن عناية الله اتهمته، إذ هو ديان نفسه بغير إرادته، فإذ يظن أنه مُكرم عند الفرس إذ يدعى مانيا "Manioe" عند اليونان، ومعناها "**الجنون**".

ادعى أنه الروح القدس "المعزي"

٢٥. لقد تجاسر فادعى أنه "المعزي" بالرغم مما كتب: "أما من جدف على الروح القدس فلا يُغفر له" (مز ٣: ٢٩). لقد ارتكب تجديفًا بادعائه أنه الروح القدس. ليت هؤلاء الهراطقة ينظرون في اجتماعاتهم إلى ما ادعاه لنفسه!...

لقد اشتهر فبدأ يتحدث بأمورٍ فوق طاقة الشر.

---

[1] ذكر القديس إكليمنضس السكندري *Stromata 1: 15* [أطاع بعض الهنود وصايا بوتا *Butta* وكرسوه كإله من أجل تقديسه العجيب].

[2] كان عمره حوالي ٧ سنوات.

حدث أن مرض ابن ملك الفرس، فوعد ماني أنه كإنسان إلهي يشفيه طالبًا الاستغناء عن الأطباء الذين يرعونه، وهنا انفضح كفره، وصار الفيلسوف سجينًا.

لم يسجن من أجل انتهاره الملك لأجل الحق، ولا لرغبته في إبادة الأوثان، إنما سُجن بسبب كذبه وادعائه أنه يخلص، مع أنه كان يليق به أن يقول الحق ولا يرتكب جريمة، إذ قتل الطفل بحرمانه من الأطباء الذين كان يمكن أن ينقذوه بالعلاج.

ماني بعد فشله

٢٦. هنا ظهرت شرور كثيرة أخبرك بها:

أولاً: تذكر تجديفه.

ثانيًا: عبوديته (إذ حسبها عارًا، فتنكر لها).

ثالثًا: بطلان وعده.

رابعًا: قتله الطفل.

خامسًا: عار سجنه. ولم يقف الأمر عند عار السجن بل هرب منه، هرب الذي ادعى أنه "الباراكليت" و"قائد الحق". إنه لم يتبع يسوع الذي ذهب إلى الصليب، بل على العكس هرب.

سادسًا: علاوة على هذا أمر ملك الفرس بعقاب حراس السجن. وهكذا كان سببًا في موت الطفل خلال عجرفته الباطلة، وسببًا في موت الحراس بسبب هروبه.

فهل يُعبد من ساهم في جريمة قتل؟! أما كان يليق به أن يقتفي مثال يسوع القائل: "فإنْ كنتم تطلبونني، فدعوا هؤلاء يذهبون؟!" (يو ١٨: ٨) أما كان يلزمه أن يقول مع يونان "خذوني واطرحوني في البحر... أنه بسببي هذا النوء العظيم عليكم؟!" (يونان ١: ١٢)

٢٧. جدال بين الأسقف أرشلاوس وماني

لقد هرب إلى ما بين النهرين[1] وهناك تدرع الأسقف أرشلاوس بالبرّ واصطدم به. لقد جمع محفلاً من الأمم، واتهم ماني في حضرة الفلاسفة كقضاة، إذ خشي أن يصدر عليه المسيحيون حكمًا فلا يبالي به القضاة.

قال أرشلاوس لماني: أخبرنا بماذا تبشر؟

---

[1] *Mestopetamia.*

تكلم ذاك الذي فمه مثل قبرٍ مفتوحٍ (مز ٥: ٩) بتجاديف ضد خالق الكل، إذ قال إنه إله العهد القديم مصدر الشرور، مدللاً بذلك أنه قال عن نفسه أنه "نار آكلة" (تث ٤: ٢٤).

أفســد الحكيم أرشلاوس برهانه المملوء تجديفًا بقوله: إن كان إله العهد القديم كما تقــول أنه يدعو نفسه نار آكلة، فإن ابنه أيضًا قال "جئت لألقي نارًا على الأرض" (لو ١٢: ٤٩). وإن كنت تُخطّئ القائل: "الرب يحيي ويميت" (١ صم ٢: ٦) فلماذا تكرم بطرس الذي أقام طابيثا وجعل سفيره تموت (أع ٥: ١٠). وإن كنت تجد فيه شرًا لأنه أعد نارًا، فلماذا لا تجد ذلك في (المسيح) "اذهبوا عني إلى النار الأبدية؟" (مت ٢٥: ٤١).

إن كــنت تجــد خطأ في القائل: "أنا الله، مبلغ السلام وموجد الشر" (إش ٤٥: ٧) فكيف تفسر قول يسوع: "ما جئت لألقي سلامًا بل سيفًا؟!" (مت ١٠: ٣٤)

فإن كان الاثنان تحدثا بكلام مشابه، بل الاثنان هما واحد. فإما أنهما صالحان، وإلا فلماذا لا تلوم يسوع على حديث نطق به، بينما تلوم ذات الحديث إن ورد في العهد القديم؟

تابع الجدال حول إله العهد القديم ويسوع المسيح

٢٨. عندئذ أجابه ماني: "أي إله هذا الذي يسبب العمى"، إذ يقول بولس: "الذين فيهم إلــه هــذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين، لئلا يضيء لهم إنارة إنجيل (مجد المسيح)" (٢ كو ٤: ٤).

لكن أرشلاوس قدم إجابة مفحمة صالحة بقوله اقرأ ما جاء قبل هذا بقليل: "ولكن إن كــان إنجيلــنا مكــتومًا، فإنما مكتوم في الهالكين" (٢ كو ٤: ٣). أنظر إذن، أنه مكتوم في الهالكين. فليس من الحق أن يُقدم القدس للكلاب (مت ٧: ٦).

ثــم هل إله العهد القديم وحده هو الذي أعمى أذهان غير المؤمنين؟ ألم يقل المسيح نفســه: "مــن أجــل هــذا أكلمكم بأمثال، حتى لا يبصروا (لأنهم مبصرين لا يبصرون)؟" (مــت ١٣: ١٣) هــل بدافــع البغضة يريدهم إلاّ يبصروا؟ أم بسبب عدم استحقاقهم إذ هم "غمّضوا عيونهم؟!" (مت ١٣: ١٥)، فإذ يوجد شر إرادي، تُحجز النعمة عنهم، "لأن كل من له يُعطى فيزاد، ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه" (مت ٢٥: ٢٩؛ لو ٨: ١٨).

لماذا تُعمى بصيرة غير المؤمنين؟

٢٩. هــذا والــبعض يفســره تفسيرًا محقًا يليق بنا أن نأخذ به. إن كان حقًا هو أعمى أذهــانهم لكي لا يؤمنوا، فقد أعماهم من أجل غاية صالحة. إذ لم يقل: "أعمى أنفسهم" بل "أذهان

غيـــر المؤمنـــين" (٢ كـــو ٤: ٤). وهـــذا معناه أنه يعمي الشهوانيين في ذهنهم الشهواني لكي يخلصوا، ويعمى خبث اللصوصية المستحوذ على أذهان السالبين لكي يخلص الإنسان نفسه.

وإن كنت لا تقبل هذا التفسير، فإنه يوجد تفسير آخر.

الشـــمس تعمـــي من كان ضعيف البصر. فمن كانت أعينهم متوعكة يؤذيهم النور ويصيبهم العمى. **فليست طبيعة الشمس أن تعمي، بل العين غير قادرة على النظر.**

هكذا أيضًا غير المؤمنين كمرضى القلوب لا يستطيعون التطلع إلى بهاء اللاهوت. وإذ لم يقل: "قد أعمى أذهانكم لكي لا يسمعوا الإنجيل"، بل "لئلا يضيء لهم إنارة إنجيل مجد المســـيح..." لـــذلك فـــإن سمـــاع الإنجيل مكفول للجميع، أما مجده فمحفوظ لأولاد المسيح الحقيقيين وحدهم.

من أجل هذا تحدث الرب بأمثال مع الذين لم يقدروا أن يسمعوا (مت ١٣: ٣)، أما التلامـــيذ ففسّـــر لهم الأمثال على وجه الخصوص (مز ٤: ٣٤)، لأن ضياء المجد هو للذين يستنيرون، والعمى للذين لا يؤمنون[١].

هـــذه الأســـرار التـــي تشرحها الكنيسة الآن يا من تعبر من فصل الموعوظين لم تشـــرحها للوثنيين. فلا نشرح للوثني الأسرار الخاصة بالآب والابن والروح القدس، وحتى أمام الموعوظين لا نتكلم عن الأسرار بوضوح، إنما نتحدث عن أمورٍ كثيرة بطريقة محجبة، يفهمها المؤمنون العارفون بها، ولا يتأذى منها غير العارفين.

إعدام ماني

٣٠. بمـــثل هذه البراهين وغيرها تُطرح الحيّة خارجًا. هكذا قاوم أرشلاوس ماني وطـــرحه. فهرب من هذا المكان ذاك الذي سبق فهرب من السجن، وذهب إلى قرية صغيرة جدًا، متشبهًا بالحيّة التي في الفردوس، تركت آدم وذهبت إلى حواء.

لكـــن الراعـــي الصالح أرشلاوس المهتم بقطيعه، ما أن سمع بهروبه حتى أسرع بالبحث عن الذئب. وإذ فوجئ ماني برؤية خصمه اندفع هاربًا، وكان ذلك آخر هروب له، إذ بحث عنه أتباع ملك الفرس في كل مكان، وقبضوا على الشارد. وهكذا إذ كان يلزم أن يحكم عليه أرشلاوس تم ذلك بواسطة اتباع الملك.

---

[١] إلى هنا انتهى حديث أرشلاوس.

مانـــي هذا الذي عبده تلاميذه أُلقي القبض عليه، وأُحضر أمام الملك. وبّخه الملك علـــى بطـــلان ادعائه وهروبه، موبخًا إياه بعبوديته، ومنتقمًا لقتله ابنه، كما أدانه بسبب قتل الحراس، فأمر بسلخ جلده على النظام الفارسي، وقدّم جسده طعامًا للوحوش، أما جلده فعلق على الأبواب كما لو كان كيسًا (جرابًا).

ذاك الـــذي ادعى أنه الباراكليت، وأنه عالم بالمستقبل، لم يكن يعرف بأنه سيهرب وسيُقبض عليه.

تلاميذ ماني والتقمص

٣١. كان لهذا الرجل ثلاثة تلاميذ هم: توماس وباداس وهرماس.

ليته لا يَقرأ أحد إنجيل توماس، فإنه ليس من عمل أحد الاثنى عشر رسولاً، بل أحد تلاميذ ماني الثلاثة الأشرار.

ليته لا يجتمع أحد مع أتباع ماني مهلكي النفوس... الذين يتكلمون بشرٍ على خالق الأطعمـــة، وهم يبتلعون ما لذّ وطاب بنهمٍ. إنهم يُعلمون أن من يقطع عشبًا من نوعٍ أو آخر يـــتحول نفسه إلى ذات العشب. فإن كان أحد يجمع عشبًا أو أي نوع من الخضروات يتحول إليه. فإلى كم نوع يتحول المزارعون وأصحاب الحدائق؟!

يستخدم البستاني منجله ليحصد أنواعًا كثيرة، فإلى أي نوع يتحول؟!

راعي القطيع يصير قطيعًا، فإن قتل ذئبًا فإلى ماذا يتحول؟!

كثيرون اصطادوا سمكًا وطيورًا فإلى أيهما يتحولون؟!

أتباع ماني يلعن بدلاً من أن يبارك

٣٢. فليـــرد أبناء الكسل أتباع ماني الذين يأكلون من تعب العاملين. إنهم يرحبون ببشاشة بالذين يحضرون لهم أطعمة، ثم يعودون فيلعنوهم...

فإذ يأتيهم أحد بسيط بشيء ما يقولون له: قف خارجًا إلى حين ونحن نباركك. وإذ يأخـــذ أحد أتباع ماني الخبز على يديه يقول: "أنا لم أصنعك"، ثم يصب اللعنات على العليّ، ويلعن خالق الخبز، وبعد هذا يأكل ما قد خلقه الخالق.

إن كنت تبغض الطعام، فلماذا تبتسم لمن يقدمه لك؟!

وإن كنت تشكر من أحضره لك، فلماذا تجدف على خالق الطعام وموجده؟!

كـــذلك يقـــول: "أنـــا لم أزرعك، ليُزرع من زرعك! أنا لم أحصدك، ليُحصد من حصدك. أنا لم أخبزك، ليُخبز بالنار من خبزك..."

تصرفات أتباع ماني الشنيعة

٣٣. هـذه أخطــاء شنيعة لكنها ليست بشيء إن قورنت بما تبقى. إنني لا أتجاسر فأصــف لكـم استحمامهم أمام الرجال والنساء. لا أجسر فأقول ماذا يحدث عندما يغطسون، وأيــة قباحات يتعاطون! فليُفهم بالتلميح ما أقوله... فإنه بالحق ندنس فمنا إن تحدثنا عن هذه الأمور المخزية.

ألعل الوثنيين يستحقون أن يُمقتوا أكثر من هؤلاء؟!

ألعل السامريين أكثر بؤسًا منهم؟!

ألعل اليهود أكثر جحودًا منهم؟!

ألعل الزناة أكثر دنسًا منهم؟!

لأن الــذي يستسلم للفسق، إنما يفعل ذلك للذة لمدة ساعة، لكنه يعود ويدين عمله، ويقــر بأنــه تـنجس، ويشعر بالحاجة إلى التطهير، ويعترف بقباحة فعله. لكن الماني يقيم مذبحه[1] وسط الأدناس ويلوث فمه ولسانه. وأنت يا إنسان، أتقبل تعليمًا من فم كهذا؟ هل تسلم على إنسان كهذا بقبلة متى اجتمعت معه؟

وإنـــي إذ لا أقــول شــيئًا عن شرهم الآخر، أما تهرب من دنسهم، إذ هم أشر من الفاجرين، تمجهم النفس أكثر من العاهرات؟!

تحذير من المانيين

٣٤. هــوذا الكنيســة تنصــحك وتخبرك عن هذه الأمور المملوءة وحلاً حتى لا تتوحّل.

تحدثك عن الجراحات لكي لا تُجرح.

يكفيك أن تعرف ما قلته لك دون أن تمارسه.

الله يرعد وكلنا نرتعب، أما هم فيجدفون.

الله ينير وجميعنا ننحني حتى الأرض، وهم يجدفون على السماوات.

لقد كُتبت هذه في كتب أتباع ماني. ونحن نقرأها بأنفسنا، إذ لا يمكننا أن نصدق من يرويها لنا. نعم من أجل خلاصكم نحن استقصينا بتدقيق عن هلاكهم...

---

[1] يفتخــر أتــباع ماني بسموهم على الوثنيين أنهم يعبدون الله بلا مذابح ولا هياكل ولا صور ولا ذبائح ولا بخور مع أنهم يستخدمونها (*Augustine: Contra Faultum 20: 15*).

٣٥. ليخلصنا الله من ضلال كهذا، ويعطيكم كراهية للحية، إذ هم يرقدون منتظرين عقبكم، فلتدوسوا أنتم على رأسهم.

تذكــروا مـــا أقــوله: أي اتفاق يمكن أن يقوم بيننا وبينهم؟! أية شركة بين النور والظلمة؟! بين سمو الكنيسة ودنس أتباع ماني؟!

هــنا يــوجد ترتيب ويقوم النظام، هنا السمو، هنا النقاوة، هنا من ينظر إلى امرأة ليشتهيها يُدان (مت ٥: ٢٨).

هنا الزواج المقدس، والعفة ثابتة.

هنا تُكرم البتولية كما بين الملائكة.

هنا يؤخذ الطعام بشكرٍ.

هنا يُحمد خالق العالم.

هنا يُعبد أب المسيح.

هنا نتعلم المخافة والخشوع أمام مرسل الأمطار.

هنا نمجد صانع الرعد والبرق.

٣٦. لترع مع القطيع، ولتهرب من الذئاب

لا تنفصل عن الكنيسة. ولتمقت الذين يشككون في هذه الأمور (أتباع بدعة ماني). وإن لم تدرك توبتهم، فلا تثق فيهم، مندفعًا بنفسك في وسطهم.

إنه يُسلم إليك وحدانية الله. فتعلم أن تميز مراعي التعليم.

كــن صـــرافًا مزكي. "تمسك بالحسن، وامتنع عن كل شبه شر" (راجع ١ تس ٥: ٢١، ٢٢).

إن كنت تحبهم اعرف ضلالهم وأبغضه.

إنـــه يوجد طريق الخلاص، إن ازدريت بالقيء ومقتهم من قلبك، وانفصلت عنهم بنفســك لا بشــفتيك، إن تعــبدت لأب المسيح إله الشريعة والأنبياء، إن عرفت أن الصالح والعادل إله واحد بنفسه.

وإذ هو حافظكم كلكم، يحفظكم من السقوط والتعثر ويقيمكم في الإيمان في المسيح يسوع ربنا الذي له المجد إلى أبد الأبد.آمين.

المقال السابع

في الله الآب

"بســبب هــذا أحني ركبتيّ لدى الآب الذي منه تســمى كــل أبوة في السماوات وعلى الأرض" (راجع أف ٣: ١٤-١٥).

مقدمة

١. تحدثــنا بالأمس عن الله العلة الوحيدة بما فيه الكفاية. وإني لا أقصد بــ "ما فيه الكفاية" من حيث استحقاق الموضوع، لكن حسبما وُهب لضعفنا. كذلك فندت عرضًا أخطاء الهراطقة الأشرار المتعددة الجوانب. والآن ليتنا ننفض عنا غباوتهم وتعاليمهم السامة للنفس. وإذ نتذكــر ما يخصهم، لا لكي يصيبنا ضرر، إنما لكي نمقت خطأهم بمرارة، ونرجع إلى أنفســنا متقبلين تعاليم الإيمان الحقيقي المخلصة. فنرتبط خلال الأبوة التي للوحدانية، ونؤمن بــالله الآب الــواحد، إذ يلــيق بنا لا أن نؤمن بإله واحد فحسب، بل بخشوع نتقبله أبًا للابن الوحيد ربنا يسوع المسيح.

اليهود رافضو المسيح

٢. لنسمو بأفكارنا على اليهود، فإنهم حقًا يقرون بتعاليمهم بالله الواحد، (ولكن ماذا يكون هذا وهم ينكرونه خلال عبادتهم للأصنام؟!) لكنهم يرفضون أنه أبو ربنا يسوع المسيح. وهــم بهذا ينقضون أنبياءهم الذين يؤكدون هذا في الأسفار المقدسة، إذ جاء فيها "الرب قال لي: أنت ابني وأنا اليوم ولدتك" (مز ٢: ٧).

إنهم إلى يومنا هذا يرتجون مجتمعين على الرب ومسيحه (مز ٢: ٢)، حاسبين أنهم قــادرون أن يكونوا أصدقاء للآب وهم منفصلون عن تعبدهم للابن، جاهلين أنه لا يأتي أحد إلــى الآب إلاّ بــالابن، القائل: "أنا هو الباب والطريق" (يو ١٤: ٦؛ ١٠: ٩). فمن يرفض الطريق الذي يقود إلى الآب وينكر الباب، كيف يتأهل للدخول لدى الله (الآب)؟!

إنهــم يناقضون ما جاء في المزمور الثامن والثمانين: "هو يدعوني أبي. أنت إلهي وصخرة خلاصي. أنا أيضًا أجعله بكرًا أعلى من ملوك الأرض" (مز ٨٩: ٢٦-٢٧).

فلــو أصــروا أن هذا قيل عن داود أو سليمان أو واحدٍ من نسلهم، فليظهروا كيف يكــون عرشــه حسبما وُصف في النبوة، كأيام السماء وكالشمس قدام الله وكالقمر يقوم إلى

الأبــد؟ كــيف يكون هذا ولا يخجلون مما كتب: "قبل كوكب الصبح أنا ولدتك"[1]. وأيضًا أنه "يثبت مع الشمس وقدام القمر إلى دور فدور"[2].

الإيمان بالآب يمهد للإيمان بالابن

٣. علـــى أي الأحوال، لقد بقي اليهود في جحودهم الشرير كعادتهم، سواء في تفسيرهم لهـــذه العبارات أو غيرها... أما نحن فلنتقبل تعاليم إيماننا الورعة، متعبدين لله الواحد، أبي المسيح (لأن تجريده من مثل هذه الكرامة، ذاك الذي يهب الكل نعمة البنوة يكون جاحدًا).

لنؤمن بالله الآب الواحد، حتى أننا قبل أن نتعرض لتعليمنا بخصوص المسيح يزرع الإيمان بالابن الوحيد في نفوس السامعين دون أن يحدث ارتباك في تعاليمنا بخصوص الآب.

عدم الفصل بين الآب والابن

٤. فـــإذ ننطق باللقب "الآب" يوحي لنا ضمنًا أن نفكر في "الابن". وهكذا من يدعو "الابن" يفكر ضمنًا في "الآب"[3]. لأنه إن كان الآب فهو أب الابن، بالتأكيد الابن هو ابن الآب. لذلك في حديثنا في قانون الإيمان نقول "نؤمن بإله واحد، الآب القدير خالق السماء والأرض ما يرى"، نكمل "نؤمن بربنا يسوع"، قد يظن أحد في سخافة أن الابن يأتي في المرتبة الثانية فـــي الســـماء وعلى الأرض، لهذا قبلما نبدأ بدعوتهما نقول: "نؤمن بالله **الآب**"، فإذ نفكر في "الآب" للحال نفكر في الابن، إذ لا يوجد فاصل بين الآب والابن.

أبوة طبيعية

٥. إذن يقـــال أن الله أب لكثيـــرين في معنى غير لائق (غير طبيعي)، أما بحسب الطبـــيعة وبالحق فهو أب لواحد وحده، الابن الوحيد، ربنا يسوع المسيح. لم يوجد في زمن ليصير فيه أبًا بل منذ الأزل هو أب الابن الوحيد[4].

---

[1] مز ١١٠: ٣ "من رحم الفجر لك كل حداثتك".

[2] مز ٧٢: ٥ "يخشونك مادامت الشمس وقدام القمر إلى دور فدور".

[3] يقول البابا أثناسيوس: "كل اسم منهما، اللذين أشرت إليهما، غير منفصل عن الآخر ولا منقسم عليه. إذ تكلمت عن الآب فإنـــه قبلما أتحدث عن الابن أكون قد أشرت إليه ضمنًا في الآب. وإن قدمت لكم الابن، فإنني أكون بهذا قد أشرت إلى الآب حتى ولم أكن قد سبق لي الحديث عنه". *De Sentia Dionysii 17*.

[4] يقول البابا أثناسيوس: "من جهة اللاهوت، فإن الآب وحده هو أب بحق، الابن ابن بحق... وفيهما وحدهما نجد الآب أب على الدوام، والابن ابن على الدوام". عظة على الأريوسيين ١: ٢١.

لـــم يكن قبلاً بدون الابن، ولا بتغيير في قصده صار أبًا. إنما قبل وجود أية مادة وأي فهم، وقبل الزمان والدهور كان للآب الأبوة، ممجدًا نفسه في هذا أكثر من كل الكرامات الأخرى التي له.

إنـــه لـــيس أبًـــا خلال شهوة، ولا باتحاد، ولا في جهلٍ، ولا بحدوث زيادةٍ فيه أو إصابته بنقصٍ، ولا في تعاقب زمني، إذ "كل عطية صالحة وموهبة تامة هي من فوق نازلة من عند أبي الأنوار الذي **ليس عنده تغيير ولا ظل دوران**" (يع ١: ١٧).

أب كامل ولد ابنًا كاملاً، وسلم كل شيء للمولود، إذ قال: "كل شيء قد دُفع لي من أبي" (مت ١١: ٢٧)، وتمجد بواسطة الابن الوحيد، إذ يقول الابن: "أكرم أبي" (يو ٨: ٤٩)، وأيضًا: "كما إني أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته" (يو ١٥: ١٠).

لذلك فنحن نقول مع الرسول: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح أبو الرأفة وإله كل تعزية" (٢ كو ١: ٣). ونحني ركبنا لدى الآب الذي منه تسمى كل أبوة ما في السماوات وما علـــى الأرض (أف ٣: ١٤-١٥). فـــنمجده مع الابن الوحيد، لأن "الذي ينكر الابن ليس له الآب أيضـًــا ومن يعترف بالابن، فله الآب أيضًا" (١ يو ٢: ٢٣)، عالمين أن "يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (في ٢: ١١).

رد على أتباع ماني المسيئين إلى إله العهد القديم[١]

٦. لذلك فنحن نعبد الله بكونه أب المسيح، خالق السماء والأرض، "إله إبراهيم وإله اســـحق وإله يعقوب" (خر ٣: ٦)، الذي من أجل تكريمه بني الهيكل القديم، الذي هو ضدنا الآن (إذ صار اليهود أصحاب الهيكل القديم ضد المسيحيين).

إننا لا نسكت على الهراطقة الذين يفصلون العهد القديم عن العهد الجديد. إنما نؤمن بالمسيح القائل عن الهيكل: "أما تعلمان أنه ينبغي أن أكون في بيت أبي" (راجع لو ٢: ٤٩). وأيضـًــا: "ارفعـــوا هذه من ههنا، لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة" (يو ٢: ١٦). هنا يعترف بأكثر وضوح أن الهيكل السابق في أورشليم هو بيت أبيه.

ولكـــن إن طلب أحد في جحود براهين أخرى على أن أب المسيح هو خالق العالم. فليســـمع ما قاله أيضًا: "أليس عصفوران يباعان بفلسٍ وواحدٍ منهما لا يسقط بدون أبي الذي

---

[١] راجع المقال السابق في اتهامهم إله العهد القديم كخالق للعالم والمادة إله الظلمة في نظرهم وهو إله عادل وقاسي وشرير.

في السماوات؟!"[1] وأيضًا قوله: "انظروا إلى طيور السماء، أنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن. وأبوكم السماوي يقوتها" (مت ٦: ٢٦). وأيضًا قوله: "أبي يعمل حتى الآن وأنا أيضًا أعمل" (يو ٥: ٧).

أبي وأبيكم

٧. ولئلا يظن أحد في بساطة أو عن سرعة خاطر مع عنادٍ أن في قول المسيح: "أصعد إلى أبي وأبيكم" (يو ٢٠: ١٧) أنه مساوٍ في الكرامة مع الأبرار، لهذا يجدر بنا أن نصنع تمييزًا. وهو أن اسم "الآب" هو واحد (أي أب لابن واحد)، أما عمله متعدد (أي يعطى البنوة بالتبني لكثيرين). وإذ يعلم المسيح نفسه هذا قال في عصمة عن الخطأ: "أصعد إلى أبي وأبيكم"، ولم يقل: "أبينا"، بل مميزًا بينهما. فقال أولاً بما يليق به "إلى أبي" الذي هو بالطبيعة، وبعد ذلك أضاف: "وأبيكم" الذي هو بالبنوة. لأنه مهما بلغ سمو الامتياز الذي تقبلناه بقولنا في صلواتنا: "أبانا الذي في السماوات"، إلاّ أن العطية هي من قبيل محبة الله المترفقة. فنحن ندعوه أبًا ليس لأننا ولدنا بالطبيعة من أبينا السماوي، بل انتقلنا من حالة العبودية إلى البنوة بنعمة الآب خلال الابن والروح القدس.

لقد سمح لنا أن ننطق بهذا من قبيل محبة الله المترفقة غير المنطوق بها.

بنوتنا له بالتبني

٨. لكن إن أراد أحد أن يتعلم كيف ندعو الله "أبًا" فليصغِ إلى موسى المعلم الممتاز، إذ يقول "أليس هذا هو أباك ومقتنيك، هو عملك وأنشأك؟!" (تث ٣٢: ٦) وأيضًا إشعياء النبي يقول: "والآن يا رب أنت أبونا نحن الطين... وكلنا عمل يديك" (إش ٦٤: ٨).

لقد أعلنت العطية البنوية في أكثر وضوح أننا ندعوه أبًا ليس حسب الطبيعة، بل بعمل نعمة الله بالتبني.

العهد الجديد يعلن عن بنوتنا له بالتبني

٩. ولكي تتعلم بأكثر تدقيق من الكتاب المقدس الإلهي أنه ليس فقط يُدعى "أبًا" من هو أب طبيعي بل وغيره أيضًا، اسمع ماذا يقول الرسول؟ "لأنه وإن كان لكم ربوات من

[1] مت ١٠: ٢٩. استعاض القديس كيرلس وكذلك العلامة أوريجينوس والبابا أثناسيوس كلمة أبي عوض "أبيكم".

المرشـــدين فـــي المســـيح لكن ليس آباء كثيرون، لأني ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل" (١ كـــو ٤: ١٥). كان بولس أبًا للكورنثويين، ليس لأنه ولدهم حسب الجسد، بل خلال التعليم، وولدهم مرة أخرى حسب الروح. اسمع أيضًا أيوب: "أب أنا للفقراء". لقد دعا نفسه أبًا، ليس لأنه ولدهم جميعًا، بل من أجل اهتمامه بهم.

وابـــن الله الوحيد نفسه عندما سُمر على الشجرة وقت الصلب، لما نظر مريم أمه حســـب الجسد ويوحنا تلميذه المحبوب جدًا من تلاميذه، قال له: "هوذا أمك". وقال لها: "هوذا ابنك" (يو ١٩: ٢٦، ٢٧)، معلمًا إياها أن تصب حبها الأبوي "الأموي"[1] فيه، شارحًا بطريقة غيـــر مباشـــرة ما قيل في لوقا: "وكان أباه وأمه يتعجبان منه"[2] هذه الكلمات التي يتصيدها الهراطقة قائلين أنه وُلد من رجل وامرأة.

فكمـــا دعيت مريم أمًّا ليوحنا من أجل حبها الأموي وليس لأنها أنجبته، هكذا دُعي يوســـف أبًـــا للمسيح من أجل عنايته بتربيته، وليس لأنه أنجبه. إذ يقول الإنجيل: "لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر" (مت ١: ٢٥).

أبوة بالطبيعة وأبوة بالتبني

١٠. وهكـــذا يمكننـــي أن أذكـــركم بأمور كثيرة الآن بطرق مغايرة، لكن على أي الأحـــوال أقدم لكم شهادة أخرى حتى تتأكدوا أن الله يدعى "أبًا للبشر" في معنى غير مناسب (أي لـــيس بالطبيعة). هكذا خوطب الله في إشعياء: "فإنك أنت أبونا، وإن لم يعرفنا إبراهيم" و"سارة لم تتمخض بنا" (إش ٦٣: ٦).

وإن كـــان المـــرتل يقول "ليضطربوا من هيئته، أب لليتامى (للذين بلا أب) قاضي الأرامـــل" (مز ٦٨: ٥ *LXX*)، أليس من الواضح للجميع أنه يدعو الله أبًا للذين فقدوا آباءهم متأخرًا، ليس لأنه ولدهمK بل من أجل اهتمامه بهم وحمايته لهم؟!

ولكـــن بينما نحن ندعو الله أبًا للبشر في معنى غير مناسب، فهو أب المسيح وحده بالطبيعة لا بالتبني.

---

[1] الكلمـــة اليونانـــية تســـتخدم عـــن الحب الذي للأم أو الأب تجاه الابن، أو العكس حب الابن لوالديه. ولكن يظهر هنا أنه يستخدمها بمعنى الحب الوالدي تجاه الابن.

[2] لو ٢: ٣٣ "وكان يوسف وأمه يتعجبان مما قيل فيه".

فبالنسبة للبشر هو أب في زمان، أما بالنسبة للمسيح أب قبل كل زمان، إذ يقول: "والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك، بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" (يو ١٧: ٥).

الابن يرى الآب في كماله

١١. إذن نحن نؤمن بإلهٍ واحدٍ، الآب غير المفحوص، غير المنطوق به، الذي "لم يره أحد من الناس" (١ تى ٦: ١٦)، بل "الابن الوحيد هو خبر" (يو ١: ٢٨)، لأن "الذي من الله يرى الآب" (يو ٦: ٤٦)، هذا الذي ترى الملائكة وجهه على الدوام في السماوات (مت ١٨: ١٠) حسب درجة كل منهم. أما استنارة وجه الآب (في كماله) فتبقى في نقاوتها للابن مع الروح القدس.

لنطلب أبانا السماوي

١٢. إذ أبلغ هذه النقطة في حديثي، متذكرًا العبارات التي سبق لي الإشارة إليها حالاً، والتي فيها خوطب الله كأب للبشر اندهش للغاية أمام جمود البشر. إن الله بحنوه المترفق غير المنطوق به تلطف، فدُعي "أب للبشر" مع أنه في السماء وهم على الأرض. هو خالق سرمدي وهم خُلقوا في زمان، هو الممسك الأرض في قبضة يده، وهم في الأرض كالعشب والجندب[١]. ومع هذا فإن الإنسان يبحث عن أبيه السماوي، قائلاً: للعود "أنت أبي وللحجر أنت ولدتني" (إر ٢: ٢٧). لهذا السبب أظن أن النبي يخاطب البشرية قائلاً: "انسي شعبك وبيت أبيك" (مز ٤٥: ١٠) أي انسي من اخترتيه أبًا لك، الذي تطلبه نفسك لأجل هلاكك.

الأشرار يطلبون أبوة إبليس

١٣. لا يقف الأمر عند العود والحجارة بل اختار الإنسان حتى الشيطان مهلك النفوس ليكون أبًا له. لهذا انتهر الرب قائلاً: "أنتم تعملون أعمال أبيكم" (يو ٨: ٤١، ٤٤) أي الشيطان، أب البشر بالخداع لا بالطبيعة.

فكما صار بولس بتعليمه الصالح أبًا للكورنثيين (١ كو ٤: ١٥)، هكذا دُعي الشيطان أبًا للذين وافقوه بإرادتهم الحرة.

---

[١] إش ٤٠: ١٢، ٢٢ الجندب نوع من الجراد.

إنــنا لا نقبل الشرح الخاطئ للعبارة: "أولاد الله ظاهرون، وأولاد إبليس" (١ يو ٣: ١٠)، قائلــين أنه بالطبيعة يخلص البعض وبالطبيعة يهلك آخرون. إنما نحن ندخل في بنوة مقدسة كهذه ليس عن إلزام بل باختيار، كما لم يكن يهوذا الخائن ملزمًا أن يكون ابنًا للشيطان والهلاك، وإلا ما كان يمكنه أن يُخرج الشياطين باسم المسيح، لأن الشيطان لا يخرج شيطانًا" (مر ٣: ٢٣).

ومن جانب آخر ما كان لبولس أن يتحول من الاضطهاد ليكون مبشرًا. لكن التبني فــي قوتنا "أي بإرادتنا"، إذ يقول يوحنا إن كثيرين "قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنــين باسمه" (يو ١: ١٢)، أي لم يكونوا قبل الإيمان أولاد الله، إنما باختيارهم بالإيمان تأهلوا لذلك.

لنسلك كما يليق بالبنوة

١٤. إذ نعــرف هــذا، فلــيكن حديثنا روحيًا حتى نحسب مستحقين لبنوتنا لله، إذ كثيرون "ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله" (رو ٨: ١٤). إننا لا ننتفع شيئًا من دعوتنا مسيحيين دون أن تكون لنا أعمال لائقة. إنه يقال "لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبــراهيم"، "وإن كنتم تدعون أبًا الذي يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحدٍ، فسيروا زمان غــربتكم بخوف"، "لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب" (يو ٨: ٣٩؛ ١ بط ١: ١٧؛ ١ يو ٢: ١٥).

إذن ليتــنا أيهــا الأبــناء الأحباء نمجد أبانا السماوي بأعمالنا الصالحة. "لكي يروا أعمالــنا الحسنة ويمجدوا أبانا الذي في السماوات"، "ملقين كل همنا على أبينا، لأنه يعلم ما نحتاج إليه" (مت ٥: ١٦؛ ١ بط ٥: ٧؛ مت ٦: ٨).

بنوتنا لله لا تنفي بنوتنا لوالدينا

١٥. لكن ليتنا ونحن نمجد أبانا السماوي، نمجد أيضًا "آباء أجسادنا" (عب ١٢: ٩). وقد أشار الرب بنفسه بوضوح إلى هذا الأمر في الناموس والأنبياء قائلاً: "أكرم أباك وأمك لكــي يكــون لــك الخيــر، وتطول أيام حياتك على الأرض" (راجع تث ٥: ١٦). ليلاحظ الحاضــرون هــذه الوصــية باهتمام... "أيها الأولاد أطيعوا والديكم في كل شيء لأن هذا مرضي في الرب" (كو ٣: ٢٠).

فلـــم يقـــل الرب: "من أحب أبًا أو أمًّا فلا يستحقني" لكي بجهلك تخطيء معاندًا ما كُـــتب بحـــق، بـــل أضاف: "أكثر مني" (راجع مت ١٠: ٣٧). فمتى كان آباؤنا الأرضيون مضادين في الفكر لأبينا السماوي عندئذ نلتزم بالطاعة للمسيح.

أمـــا إن وضـــعنا عائقًا لصنع البرّ بجحودنا، ناسين بركاتهم علينا، مستهينين بهم، عـــندئذ تجـــد الوصـــية التالية مكانًا: "من يلعن أبًا أو أمًّا موتًا يموت" (راجع خر ٢١: ١٧؛ لا ٢٠: ٩؛ مت ١٥: ٤).

إكرام الوالدين

١٦. فضـــيلة المســـيحيين الأولـــى هـــي إكرام الوالدين ومكافأتهم عن متاعب من أنجـــبوهم، مقدمين لهم كل راحة قدر ما يستطيعون... فيستريحون بالراحة التي نقدمها لهم، وعندئذ يثبتون لنا البركات التي نالها يعقوب بمكرٍ عوض أخيه، ويتقبل أبونا السماوي هدفنا الصالح، ويحكم علينا باستحقاق أن "يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم" (مت ١٣: ٤٣)، الذي له المجد مع الابن الوحيد مخلصنا يسوع المسيح ومع الروح القدس المحيى الآن والي الأبد والي أبد الأبد. آمين.

المقال الثامن

القدير

"الله العظـيم القـوي، رب المشورة العظيمة، القديـر في أعماله، الله العظيم، الرب القدير ذو اسم عظيم" (إر ١٩: ١٨-١٩ *LXX*).

مقدمة

١. بإيماننا بالله الواحد نهدم كل اعتقاد شرير في آلهة كثيرة، مستخدمين ذلك كدرع ضد اليونانيين وكل قوة الهراطقة المقاومين.

وإذ نضيف "نؤمن بإله واحد الله الآب" نناقض أهل الختان الذين ينكرون ابن الله الوحيد، إذ كما تحدثنا بالأمس أن بقولنا "الآب" نوضح ضمنا الحقائق الخاصة بربنا يسوع المسيح قبل أن نشرحها، إذ هو أب للابن، حتى حيث ندرك وجود الله ندرك ضمنا "الابن".

ونضيف إلى ذلك أنه "قدير (ضابط الكل)" مؤكدين هذا بسبب اليونانيين واليهود[١] معًا وكل الهراطقة.

قدرته وسلطانه على السماء والأرض

٢. فمن جهة اليونانيين يقول البعض إن الله نفس (Soul) العالم[٢]. وآخرون قالوا إن سلطانه يسود السماء وحدها دون الأرض. ويشترك البعض معهم في خطأهم مسيئين استخدام العبارة القائلة "حقك إلى السحاب"[٣]، فتجاسروا بتحديد عناية الله بالسحب والسماوات، عازلين الله عن شؤون الأرض، ناسين المزمور القائل: "إن صعدت إلى السماوات، فأنت

---

[١] كثيرًا ما أنكر اليهود قدرة الله خلال انحرافهم في الإيمان وعبادتهم للأوثان. هذا ونسب الفريسيون أعمال الخطاة إلى الحظ والقدر، وينكر الـ *Basmcntheans* العناية الإلهية قائلين إن العالم قد وجد خلال حركة تلقائية ذاتية (قوانين الرسل ٦: ٦).

[٢] ذكر شيشرون أن فيثاغورس قال بأن الله هو نفس العالم الذي يخترق كل الطبيعة. *Cicero, De Natura Deorm.* كما قيل إن هذا الفكر نادى به الرواقيون والأفلاطونيون وصار تعليمًا عامًا.

[٣] مز ٣٦: ٥. "أمانتك إلى الغمام" يبدو أن القديس كيرلس استعار هذه العبارة عن القديس **إكليمنضس السكندري** الذي قال إن البعض فهم من هذا المزمور بأن العناية الإلهية تنزل من القمر كقول أرسطو *Stromata 14: 9* .

هـناك، وإن نـزلت إلـى الجحـيم، فأنت هناك" (مز ١٣٩: ٨). فإن كان ليس شيء أعلى مـن السماوات والجحيم أدنى من الأرض، فإن من يدير أمور الجحيم السفلي يهتم بالأرض أيضًا.

قدرته وسلطانه على النفس والجسد

٣. سبق أن قلت أن الهراطقة لا يعرفون إلهًا واحدًا قديرًا، فإنه يُحسب قدير إن كان يدبر كل الأمور وله سلطان على كل شيء. أما القائلون بوجود إله هو رب النفس وآخر رب الجسد، فإنهم يجعلون منهما إلهين غير كاملين، يحتاج كل منهما للآخر.

كـيف يكـون قديـرًا من كان له سلطان على النفس دون الجسد، أو الجسد دون الـنفس؟! لكن الرب يدحض هؤلاء بقوله: "بل خافوا بالأحرى من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم" (مت ١٠: ٢٨). فلو لم يكن لأبي ربنا يسوع المسيح سلطان عليهم أما كان يخضعهما للعقاب؟! إذ كيف يأخذ الجسد الذي تحت سلطان آخر ويلقيه في جهنم "إن لم يربط القوى أولاً وحينئذ ينهب بيته؟!" (مت ١٢: ٢٩)

بين قدرة الله وطول أناته

٤. تعرفنا الأسفار المقدسة وتعاليم الحق بإله واحد وحده، مدبر كل الأمور بقدرته، يتحمل كثيرًا بإرادته. إنه صاحب سلطان على الوثنيين وبطول أناته يحتملهم. له سلطان على الهـراطقة الـذين لا يقـيمونه عليهم إلهًا، وبطول أناته يحتملهم. له سلطان على الشياطين وبطول أناته يحتملهم، ليس لأنه محتاج إلى سلطان كمن هو ضعيف... لقد سمح للشياطين أن تعيش لغرضين:

١. لكي تخزى نفسها بنفسها بالأكثر في حربها.

٢. لكي يتكلل البشر بالنصرة.

يا لعناية الله الحكيمة! التي تستخدم نيّة الشرير كأساس لخلاص المؤمنين!

فكما استخدم نيّة إخوة يوسف التي لا تحمل أخوّة كأساس لتدبيره، وإذ سمح لهم ببيع أخيهم بدافع الكراهية، وجعلها فرصة ليقيمه ملكًا، الأمر الذي يريده الله.

هكـذا سمح الشيطان أن يصارع لكي يتكلل المنتصرون. وإذ تتحقق النصرة يخزى هـو بالأكثر إذ هزمه الضعفاء، ويُكَرم البشر بالأكثر بالنصرة على من كان يومًا ما رئيس ملائكة.

لا يفلت شيء من سلطان الله

٥. إذن لا شيء يفلت من سلطان الله، إذ يقول الكتاب: "لأن الكل عبيدك" (مز ١١٩: ٩١). الكل سواء كخدم لله، لكن من هذه الأشياء كلها فقط واحد وحده هو ابنه الوحيد، وواحد هـو روحـه القـدوس، كلاهما مستثنيان. أما الباقي فجميعهم يخدمون الله بالابن الوحيد في الروح القدس.

إذن الله يحكم الكل، وبطول أناته يحتمل حتى المجرمين واللصوص والزناة، محددًا وقـتًا معيـنًا لمجازاة كل أحد، لكن إن أصر من يحذرهم على عدم التوبة من القلب ينالون دينونة عظيمة.

الغنى والذهب لله القدير

٦. الغنى والذهب والفضة لا تخص الشيطان كما يظن البعض[١]، بل "كل غنى العالم هـو للمـؤمن، وأمّا الكافر فليس له فلس" (أم ١٧: ٦ *LXX*). ليس أحد كافر مثل الشيطان، ويقول الله بوضوح: "لي الذهب ولي الفضة لمن أعطيها؟!" (راجع حجي ٢: ٨)

فإذ تُستخدم هذه الأمور حسنًا لا تخطيء عندما تمتلكها، لكنك إذ تسيء استخدام ما هـو صالح فلكي لا تلم تدبيرك في جسارة تلقي باللوم على الخالق[٢]. إذن يمكن للإنسان أن يتبرر بواسطة المال، إذ يسمع القول: "كنت جوعانًا، فأطعمتموني" (مت ٢٥: ٣٥، ٣٦)، وهذا يتحقق بالمال. وأيضًا قوله: "كنت عريانًا فكسوتموني" يتحقق أيضًا بالمال.

أتريد أن تتعلم أن المال يمكن أن يكون بابًا للدخول في ملكوت السماوات؟!

إنه يقول "بع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء" (مت ١٩: ٢١).

الغنى ليس خاصًا بالشيطان

٧. لقـد ذكـرت هذه الملاحظات بسبب الهراطقة الذين يحسبون الممتلكات والمال وأجسـاد البشـر ملعونة. فإنني لا أريدك عبدًا للمال، ولا تنظر إلى ما وهبك الله لاستخدامه كعـدو لك. ليس لك أن تقول عن الغنى إنه خاص بالشيطان، لأنه وإن قال لك: "أعطيك هذه جمـيعها، لأنه قد دفع إلي" (مت ٤: ٩، لو ٤: ٨) فلتحتقر كلامه إذ لسنا محتاجين لتصديق

---

[١] نادى بهذا أتباع ماني (راجع الأب ارشلاوس *Disputatio 42*، وأبيفانيوس عن الهراطقة ٦٦: ٨١).

[٢] راجع أغسطينوس: عظات علي فصول المنتخبة من العهد الجديد.

الكذاب. فإنه وإن التزم أن ينطق بالصدق إنما لحضور الله، إذ لم يقل: "أعطيك هذه جميعها"، بكـونها ملـك له، بل "قد دفع إليّ" أي ليس له سلطان عليها، بل يعترف أنه عُهد إليه بها، وصـار واهـبًا لها إلى زمانٍ، وفي نفس الوقت يتساءل المفسرون ما إذا كان قوله باطلاً أم صادقًا؟!

تجديف الهراطقة

٨. إذن الله واحد، الآب القدير، الذي تجاسر الهراطقة بالتجديف عليه. نعم تجاسروا بالتجديف على رب الصباؤوت[١]، الجالس على الشاروبيم (مز ٨٠: ١).

تجاسروا أن يجدفوا على أدوناى[٢].

تجاسـروا بالتجديف على من أعلن عنه الأنبياء أنه الله القدير. أما أنتم فاعبدوا الله الواحد القدير، أبا ربنا يسوع المسيح.

اهربوا من خطأ الإيمان بآلهة كثيرة.

اهـربوا من كل هرطقة، وقولوا مع أيوب: "اطلب من الرب القدير، الفاعل عظائم لا تُفحص، وعجائب لا تُعد" (راجع أي ٥: ٨، ٩)... الذي له المجد إلى أبد الأبد. آمين.

---

[١] أي الجلود.

[٢] أي "الرب" وهو اسم قديم يحمل العظمة والجلال، ويخص الله وحده.

المقال التاسع

خالق السماء والأرض

ما يُري وما لا يُرى

"مــن هو هذا الذي يخفي مشورة عني، ويحفظ كلمــات فــي قلــبه، ويظن أنه يخفيها عني؟!" (أي ٣٨: ٢-٣ *LXX*).

لا يراني أحد ويعيش!

١. يســتحيل علينا أن نتطلع إلى الله بأعين بشرية، لأن غير الجسدي لا يقع تحت الأعــين الجســدية. وقد شهد الابن الوحيد - ابن الله نفسه - قائلاً: "الله لم يره أحد في أي زمان" (يو ١: ١٨). فإن فهم أحد مما ورد في **حزقيال** (حز ١: ٢٨) إنه رأى الله، فإنه ماذا يقول الكتاب المقدس؟ إنه رأى "شبه مجد الله"، وليس الرب ذاته كما هو في حقيقته، بل شبه مجده. وبمجرد رؤيته شبه مجد الله، وليس المجد ذاته، سقط على الأرض مرتعدًا. فإن كانت رؤيــة شــبه المجد تملأ الأنبياء رعدة، فبالتأكيد إن حاول أحد رؤية الله ذاته يموت، وذلك كالقول: "الإنسان لا يرى وجهي ويعيش" (خر ٣٣: ٢٠).

مــن أجل هذا فإن الله بحنو رحمته بسط السماوات أمام لاهوته لكيلا نموت. لست أقــول هذا من عندي بل هو قول النبي: "ليتك تشق السماوات وتنزل من حضرتك، تتزلزل الجبال (وتذوب) (إش ٦٤: ١).

لمــاذا تــتعجب من سقوط دانيال عند رؤيته شبه المجد، إن كان دانيال عند رؤيته جبــرائيل - الذي هو ليس إلا مجرد خادم الله - ارتعب للحال وسقط على وجهه ولم يجسر النبــي أن يجيــبه بالرغم من أن الملاك نفسه، جاء على شبه ابن بشر؟! (راجع دا ١٠: ٩، ١٦، ١٨) إن كــان ظهــور جبــرائيل أرعــب الأنبــياء، فهــل يرى الإنسان الله كما هو ولا يموت؟!

نراه خلال أعماله

٢. يســتحيل على الأعين البشرية أن ترى الطبيعة الإلهية، إنما تدرك قوتها بعض الإدراك خــلال أعمالــه الإلهية. يقول سليمان: "بعظم جمال المبروءات يبصر ناظرها على

طريق المقايسة"[1]. لم يقل إن الخالق يُرى خلال خليقته، بل أوضح أن ذلك يكون "تسبيًا". فإن الله أعظـم ممـا يدركـه أي إنسان خلال معاينته عظمة الخليقة. وإذ يرتفع قلبه أكثر بمعاينته أكثر (لعظمة الخليقة) ينال إدراكًا أعظم نحو الله.

إن كنا لا نفهم عرشه، فكيف ندرك طبيعته؟

٣. أتريد أن تتعلم استحالة فهم طبيعة الله؟ يقول الثلاثة فتية في أتون النار بتسبيحه مقدمـين المجد لله: "مبارك أنت يا من ترى الأعماق وتجلس على الشاروبيم" (تسبحة الثلاثة فتية ٣٢).

أخبرنـي مـا هي طبيعة الشاروبيم وبعد ذلك تطلع إلى الجالس عليه؟ قدم حزقيال وصـفًا لهم قدر ما يستطيع قائلاً إن لكل واحد منهم أربعة أوجه: فشبه وجوهها وجه إنسان، ووجه أسد، ووجه ثور، ووجه نسر، ولكل واحد منها ستة أجنحة[2]، لهم أعين من كل جانب، وتحت كل واحد فواحد عجلة ذات أربعة جوانب. وبالرغم مما أوضحه لنا النبي، إلاّ أننا عند قـراءته لا نستطيع أن نفهم. فإن كنا نعجز عن فهم العرش الموصوف، فكيف نفهم الجالس علـيه غير المنظور ولا منطوق به؟! إذن يستحيل علينا أن نتحرى عن طبيعة الله، إنما في مقدورنا أن نقدم تسابيح لمجده من أجل أعماله المنظورة.

خالق السماء والأرض

٤. نقول في قانون إيماننا "(نؤمن) بإله واحد. الآب القدير، خالق السماء والأرض، مـا يُرى وما لا يُرى"، متذكرين أن أبا ربنا يسوع المسيح هو نفسه خالق السماء والأرض. وبهذا نُحفظ من أخطاء الهراطقة الأشرار الذين يتجاسرون فيقولون شرًا على خالق هذا العالم كلي الحكمة، إذ لهم عيون جسدية، أما عيون قلوبهم فأظلمت.

---

[1] حـك ١٣: ٥. يقـول الأب ثاوفيلس الأنطاكي *Autolycus 1: 5 & 6* "حقًا لا يمكن أن يُرى الله بأعين بشرية، بل تنظر وتدرك عنايته وأعماله... غير المدرك لا تنظره أعين الجسد".

[2] ذكـر حزقيال (١: ٦-١١) أن عدد الأجنحة للمخلوقات الأربعة الحيّة أربعة، كما جاء في النسخة العبرية (١٠: ٢١). أما السبعينية فقالت ٨ أجنحة. ويبدو أن القديس كيرلس خلط ما هو جاء في حزقيال مع ما جاء في إشعياء ٦: ٢ أن الساروفيم لكل منهم ٦ أجنحة.

حكمة الله خالق الجلد

٥. لأنــه أي خطــأ يجدونه في خليقة الله المتسعة؟! هؤلاء الذين كان يليق بهم أن يــتأملوا اتســاع الســماوات مندهشين... ويتعبدوا لخالق السماء كقبة، وموجد مادة السماء (السحب) من الماء، إذ "قال الله ليكن جلد في وسط المياه" (تك ١: ٦).

تكلم مرة فتحقق قوله وبقي دون أن يسقط[1]...

جمال الخليقة يتحدث عن الله

٦. ولكن ماذا؟ أما ندهش معجبين من بنيان الشمس؟ فإنها تبدو للنظر جسمًا صغيرًا لكــنها تحمــل قوة جبارة. تشرق من المشارق، وترسل أشعتها حتى المغارب. وكما وصف المرتل شروقها عند الفجر قائلاً: "مثل العريس الخارج من خدره" (مز ١٩: ٥).

لقــد رسم لنا بهاءها وخفة حرارتها عند بداية شروقها للبشر حتى إذا ما جاء وقت الظهيرة غالبًا ما نهرب من التطلع إليها. فشروقها متعة للجميع، إنها شبيهة بالعريس!

تأمل أيضًا تدابيرها (بل بالأحرى تدابير الله موجد عملها)، كيف تظهر في الصيف مرتفعة حيث يطول فيه النهار، فتعطي للبشر فرصة للعمل، وفي الشتاء يزداد البرد ويطول الليل لأجل راحة البشر... كما تساهم في أثمار منتجات الأرض!

تأمــل كيف تتوالى الأيام، وتتوافق مع بعضها البعض، في نظامٍ لائقٍ. في الصيف يطول النهار وفي الشتاء يقصر، وأمّا في الربيع والخريف فيتساوى كل منهما مع الآخر.

وهكذا يحمل الليل نظامًا مشابهًا، إذ يقول المرتل: "يوم إلى يوم يبدي قولاً، وليل إلى ليل يُظهر علمًا" (مز ١٩: ٢).

يا للهراطقة الصم، إذ تصرخ هذه جميعها مدوية بصوتٍ عالٍ خلال نظامها المبدع، قائلة: "ليس إله آخر سوى الخالق، موجد هذه النظم ومدبر نظام المسكونة!"

موجد النور والظلمة

٧. لا تسمح لأحد أن يقول إن خالق النور غير خالق الظلمة، بل تذكر ما جاء في إشعياء! أنا الله "مصور النور وخالق الظلمة" (إش ٤٥: ٧).

لماذا تتكدر من هذا يا إنسان؟ لماذا تستاء من الفرصة المعطاة لك للراحة؟!

---

[1] تأمل القديس في الشمس والقمر والنجوم قدر ما كانت توحي إليه علوم الفلك في أيامه.

هل الخادم يسمح له سيده بالراحة لو لم تحتم الظلمة عليه بضرورة الراحة؟!

فبعد إرهاق النهار ننتعش ليلاً، فنقوم في الصباح، وقد تجددت قوانا بعد أثقال أتعاب النهار وذلك بفضل راحة الليل.

أي شيء أنفع للإنسان من الليل لبلوغ الحكمة؟! ففيه غالبًا ما نتأمل أعمال الله، وفيه نقرأ الأقوال الإلهية ونتفهمها، وفيه نضبط أذهاننا بالأكثر لنترنم بالأبصلمودية *Psalmody* والصلاة! أما يحدث هذا بالليل؟!

متى نتذكر خطايانا؟ أما يكون ذلك في الليل غالبًا؟!

إذن ليتنا لا نقبل فكرًا شريرًا ينادي بأن إلهًا آخر هو صانع الظلمة، إذ نحن ندرك بخبرتنا أنها صالحة ونافعة[1].

مدبر الكون!

٨. كان يليق بهم بالأحرى أن يندهشوا متعجبين لا من نظام الشمس والقمر فحسب بل ونظم النجوم الدقيق وظهور كل كوكب في حينه. ومن ظهورها يعرف الصيف والشتاء، وبعضها يُعلن وقت الغرس وغيرها تعلن عن بداية الإبحار[2].

فالإنسان وهو جالس في سفينته يبحر بين أمواج بلا حدود، موجهًا سفينته بتطلعه إلى النجوم. وكما يقول الكتاب المقدس عن هذه الأمور "وتكون لآيات وأوقات... وسنين" (تك ١: ١٤)، وليس لأجل التنجيم والخزعبلات...

تأمل كيف وهبنا بنعمته أن يزداد نور النهار تدريجيًا، فلا نرى (الشمس) مشرقة دفعة واحدة، بل تبدأ بنور بسيط حتى تقدر العين أن تتطلع إليه إلى أن تبلغ الشعاع القوي.

تأمل كيف تسعف أشعة القمر ظلام الليل؟!

المهتم بالمياه والأمطار!

٩. "من هو أب للمطر؟! ومن ولد مآجل الطل؟!" (أي ٣٨: ٢٨)

من اكتنز الهواء في السحب، وربطها ليحمل مياه الأمطار، فتأتي ذهبية اللون (أي ٣٧: ٢٢) من الجنوب، بنظامٍ واحدٍ تارة، وفي شكل دوائر متعددة وأشكال متباينة تارة أخرى؟!

---

[1] أفاض **القديس يوحنا الذهبي الفم** في الحديث عن فائدة الليل للإنسان والحيوان في مقاله "عناية الله".

[2] في المرجع السابق تحدث **القديس يوحنا الذهبي الفم** عن استخدام حركات النجوم في معرفة اتجاه الرياح وسرعتها وتوقيت الميعاد المناسب للإبحار، كما تستخدم في معرفة اتجاه السفينة وهو في وسط البحر.

مـن يحصـي الغـيوم بالحكمة (أي ٣٨ :٣٧)، إذ قيل في أيوب: "يعرف انفصال السحاب؟!" (أي ٣٧: ١٦ LXX)

مـن هـو "المخـرج الريح من خزائنه" (مز ١٣٥: ٧)، وكما قلنا قبل: "من ولد قطـرات الندى ومن بطن من خرج الثلج؟!" (راجع مز ١٣٥: ٧؛ أي ٣٨: ٢٨) فإن مادتها مـاء، وقـوتها كالحجـر! في وقت ما يصير الماء ثلجًا كالصوف (راجع مز ١٤٧: ١٦)، وأخـرى يذريه صقيعًا كالرماد، وثالثة يصير مادة حجرية. إنه يحكم الماء كما يريد. طبيعة المـاء واحـدة لكن عمله متعدد في القوة، فيعمل في الكرمة خمرًا يفرح قلب الإنسان، وفي الـزيتونة زيـتًا يلمع وجهه، وفي الخبز يسند قلب الإنسان (مز ١٠٤: ١٥)، ويوجد في كل أنواع الفاكهة التي خلقها الله[1].

ما أعجب أعمالك يا رب!

١٠. مـا هي فاعلية هذه العجائب؟! هل تجدف على الله أم تتعبد له؟ هذا وإنني لم أتكلم شيئًا عن أعمال حكمته المنظورة. تأمل معي في الربيع وفي الزهور المختلفة، تجد لكل واحدةٍ طابعها الخاص، فمن وردة قرمزية اللون، وزنبقة ناصعة البياض، وكلتاهما وُجدتا من أرض واحدة، وارتوتا من مياه واحدة؟! ومن الذي خلقهما هكذا؟!

تأمـل معي في عنايته الدقيقة، ففي الشجرة ذاتها تجد ما هو للمأوى، وأجزاء منها عبارة عن ثمارٍ متنوعة، والخالق واحد. وعلى نفس الكرمة نجد منها ما هو للحرق، وما هو للنمو (البراعم)، وما هو أوراق وما هو حالق[2] وعناقيد.

تعجب أيضًا من كثرة العقد التي تتخلل قصبة الغاب لأنها من صنع الخالق!

مـن أرض واحـدة تخـرج الزحافات والوحوش المفترسة والقطيع، وعليها تثبت الأشجار، وتوجد الأطعمة والذهب والفضة والنحاس والحديد والحجر!

طبـيعة المـياه واحـدة فيها يسبح سمك، وبها ترتوي الطيور، الأولى تسبح فيها، والثانية تهيم في الجو.

---

[1] راجع مقال ١٦: ١٢، والقديس الذهبي الفم *Statues 12: 2*.

[2] الحالق أو المحلاق هو جزء لولبي رفيع من النبتة المعترشة، يساعدها على التعلق بسنادها.

تأمل عظمة البحر!

١١. في هذا البحر العظيم المتسع تعيش كائنات بلا عدد (مز ١٠٤: ٢٥)، من يقدر أن يصف روعة الأسماك التي تعيش فيه؟! من يقدر أن يتصور عظمة الحيتان وطبيعة الحيوانات البرمائية: كيف تعيش تارة على أرض صماء وأخرى وسط المياه؟!

من يستطيع أن يخبر عن أعماق البحار وسعتها وقوة أمواجها الهائلة؟! ومع هذا فهي تقف عند حدود مرسومة لها، إذ قيل: "إلى هنا تأتي ولا تتعدى، وهنا تتخم كبرياء لُججك" (أي ٣٨: ١١) فيُظهر البحر الطاعة بوضوح، إذ يجرى ليقف عند حدود الشاطئ في خط واضح صنعته الأمواج، معلناً لناظريه أنه لا يتعدى الحدود المرسومة له.

تأمل جمال الطيور!

١٢. من يقدر أن يميز طبيعة طيور السماء؟! كيف يتمتع بعضها بأصوات ملحنة، وآخر مزرقش بكل الألوان في أجنحتها، والبعض يهيم في الهواء كأنه بلا حراك مثل النسر. فإنه بأمر إلهي "ينشر العقاب (أو الصقر *hawk*) جناحيه نحو الجنوب" (أي ٣٩: ٢٦).

من يقدر أن يرى الارتفاع الشامخ للصقر؟!... فكيف تريد أن تفهم خالق الكل؟!

تأمل عجائب الحيوانات!

١٣. مَنْ من البشر يعرف حتى أسماء كل الحيوانات المفترسة؟! أو من يقدر أن يميز فسيولوجية كل منها بتدقيق؟! فإن كنت لا تعرف عن الوحوش المفترسة مجرد أسمائها فكيف تفهم خالقها؟!

لقد أصدر الله أمرًا واحدًا قائلاً: لتُخرج الأرض وحوشاً وبهائم وزحافات كأجناسها (راجع تك ١: ٢٤). من أرضٍ واحدة، وبأمرٍ واحدٍ خرجت طبائع متنوعة: الحمل الوديع والأسد الكاسر، ولكل منها غرائز متنوعة... تحمل صورًا لشخصيات متنوعة من البشر. فالثعلب يعلن لنا عن الخداع في الإنسان، والحية خيانة الأصدقاء، والحصان في صهيله جموح شهوات الشبان (إر ٥: ٨)، والنملة النشيطة توقظ الكسلان والخامل. فإن قضى الإنسان حياته في كسلٍ تعلمه الحيوانات غير العاقلة، إذ يوبخه الكتاب المقدس قائلاً: "اذهب إلى النملة أيها الإنسان، وكن أحكم منها" (أم ٦: ٧ *LXX*). فإذ تتأملها وهي تخزن طعامها في الوقت المناسب تمثل بها لتحزن نفسك ثمار أعمال صالحة للعالم الآتي.

أيضـًـا "اذهــب إلى النحلة وتعلم منها مقدار نشاطها" (أم ٨: ٨ *LXX*). تأمل كيف تنتقل بين كل أنواع الزهور المختلفة لتجمع لك عسلها. هكذا لتنتقل أنت بين الأسفار المقدسة، وتتمســك بخــلاص نفسك، وإذ تشبع منها تقول: "وجدت كلامك حلوًا في حلقي، أحلى من العسل والشهد في فمي" (مز ١١٩: ١٠٣).

تمجيد الخالق مانح الخليقة فاعليتها

١٤. ألا يلــيق بــنا بالأحرى أن نمجد الخالق؟! لأنه إن كنت لا تعرف طبائع كل الأشــياء فهل خُلقت بلا نفع؟! أما تعرف فعالية كل الأعشاب؟! أما تعلم الفوائد التي تستفيدها من كل حيوان؟! إنه حتى الأفاعي السامة نأخذ منها ترياقها لحفظ البشر.

لكنك تقول "الحيّة مرعبة"، خف الرب فلا تؤذيك!

"العقرب يلدغ"، خف الرب وهو لا يلدغك!

"الأسد مفترس"، خف الرب، فيرقد بجوارك كما حدث مع دانيال!

عجيبة حقًا هي الحيوانات: فالبعض عنيف في لدغاته كالعقرب، والبعض قوته في أسنانه، والآخر يحارب بمخالبه بينما تكون قوة الأفاعي في تفرسها.

من هذه الأعمال كلها افهم قوة الأفاعي.

تأمل داخلك

١٥. ربما لا تعرف هذه الأمور، وإذ ليس لك شيء مشترك مع الخليقة الخارجية. ادخل إلى ذاتك، ومن خلال طبيعتك تأمل خالقها.

أي خطأ تجد في تكوين جسدك؟! كن سيدًا لنفسك فلا تخرج شرًا من أعضائك!

آدم في البداية كان في الفردوس بلا ملابس، فليس بسبب أعضائه طُرد، لأنها ليست هي سبب الخطية، بل من يستخدمها استخدامًا خاطئًا.

الصانع حكيم، من الذي أعد الرحم ليحمل الجنين؟!

من يهب الحياة الأشياء التي بلا حياة في داخلك؟!

من الذي ربطنا بعضلات وعظام، وكسانا بجلد ولحم (راجع أي ١٠: ١١)، وما أن يولد الطفل حتى يفيض اللبن من الثديين؟!

كيف ينمو الطفل ليكون صبيًا فشابًا فرجلاً، ويبقى هكذا حتى يعبر إلى الشيخوخة، دون أن يلاحظ أحد هذا التحول الدقيق من يومٍ إلى يوم؟!

أيضًا بالنسبة للطعام، كيف يتحول جزء منه إلى دم، وآخر يخرج كإفرازات، وآخر يتحول إلى لحم؟!

من يعطي القلب نبضاته غير المنقطعة؟!

من يحرس ليونة العينين بسور الجفنين؟!

فإن تكوين العينين معقد وعجيب، بصعوبة تقدم مجلدات الأطباء شرحًا له.

من يوزع النفس خلال الجسد كله؟!

ها أنت ترى الصانع، تأمل الخالق الحكيم!

ما أعظم أعمالك يا رب!

١٦. وإن كنت قد عالجت هذه النقاط في مقالي هذا، إلاّ إنني تركت وراءها الكثير. نعم تركت عشرات الألوف من الأشياء الأخرى، خاصة ما هو غير محسوس ولا منظور.

لتدحض المجدفين على الخالق الحكيم الصالح، ولتدرك مما تسمعه وما تقراه وما تكتشفه أن "من عظمة الخليقة وجمالها يُعرف صناعها إدراكًا نسبيًا" (راجع حك ١٣: ٥).

وإذ نحني رُكبنا بوقار صالح أمام صانع العوالم، أقصد عالم الحس والفكر، ما يُرى وما لا يُرى، فإنك تمجد الله بلسان مقدس، يلهج بالمعروف، وشفتان لا تسكتان، وقلب لا يمل، قائلاً: "ما أعظم أعمالك يا رب. كلها بحكمة صنَعْتَ" (مز ١٠٤: ٢٤)، يليق بك الإكرام والمجد والجلال من الآن خلال كل الدهور. آمين.

المقال العاشر

نؤمن برب واحد

يسوع المسيح

"لأنـــه وإن وجد ما يسمى آلهة، سواء كان في السماء أو على الأرض. لكن لنا إله واحد الآب الذي منه جميع الأشياء، ونحن له، ورب واحد يســوع المسيح. الذي به جميع الأشياء ونحن به" (١ كو ٨: ٥-٦).

مقدمة

١. من يتعلم أن يؤمن "بإله واحد، الله الآب القدير"، يلتزم بالإيمان بابنه الوحيد لأن كـــل من ينكر الابن ليس له الآب أيضًا (١ يو ٢: ٢٣). يقول يسوع: "أنا هو الباب"، "ليس أحـــد يأتي إلى الآب إلاَّ بي" (يو ١٤: ٦؛ ١٠: ٩)، "لا أحد يعرف الآب إلاَّ الابن، ومن أراد الابن أن يعلن له" (مت ١١: ٢٧)، فإن أنكرت من يعلن لك تبقى في جهلٍ.

لقد جاءت العبارة التالية في الإنجيل: "الذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة، بل يمكث عليه غضب الله" (يو ٣: ٣٦). فالآب يغضب عندما يُستهان بالابن الوحيد. فإن الملك يحزن لمجرد إهانة أحد جنوده. أما إن احتقر أحد ابنه الوحيد، فمن يقدر أن يطفئ غضب الأب من أجل ابنه الوحيد؟!

الآب يوصينا بالابن

٢. فإن رغب أحد في إظهار ورع لله فليعبد الابن، عندئذ يتقبل الله خدمته. لقد نادى الآب بصوتٍ عالٍ قائلاً: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت" (مت ٣: ١٧). لقد سُر الآب به، فإن لم تكن أنت موضع سروره في الابن لا تكون لك حياة. لا يخدعنك اليهود بقولهم في مكـــر "يوجد إله واحد وحده" لكن لتعرف أن الله واحد، ولتعلم أن ابن الله وحيد. لا أقول هذا مني بل هو قول المرتل في شخص الابن: "الرب قال لي: أنت ابني" (مز ٢: ٧).

إذن لا تبالِ بما يقوله اليهود بل اهتم بقول الأنبياء.

هل تتعجب من ازدرائهم بكلمات الأنبياء، هؤلاء الذين رجموا الأنبياء وقتلوهم!

رب واحد، يسوع المسيح

٣. آمــن بــربٍ واحــدٍ، يسوع المسيح ابن الله الوحيد إذ نقول: "نؤمن برب واحد يســوع المســيح". بــنوته فريدة لهذا نقول عنه: "واحد" حتى لا نفكر في آخر غيره. ندعوه "واحــدًا" حتــى لا تسقط في الضلال المنتشر بطلب أسماء كثيرة بسبب أعماله تجاه الأبناء الكثيرين (البشر).

إنـــه يُدعى "**الباب**" (يو ١٠: ٧، ٩). لا تأخذ المعنى الحرفي للكلمة كمادة خشبية، بل المعنى الروحي. إنه "باب حيّ" يميز الداخلين فيه.

يُدعى "**الطريق**" (يو ١٤: ٦) لا أن يُداس بالأقدام، بل يقودنا للآب السماوي.

يُدعى "**الحمل**" (يو ١: ٢٩؛ إش ٥٣: ٧، ٨؛ أع ٨: ٣٢) لا كغير عاقلٍ، بل لأن بدمه الثمين يطهر العالم من خطاياه، ويقف صامتًا أمام جازيه.

هذا الحمل دُعي مرة بـــ "**الراعي**" إذ يقول: "أنا هو الراعي الصالح" (لو ١٠: ١١). هـــو حمل من جهة ناسوته، وراعٍ بالحب المترفق الذي للاهوته. هل تريد أن تعرف حملان عاقلة؟ اسمع المخلص يقول للرسل: "ها أنا أرسلكم كحملانٍ بين ذئاب" (مت ١٠: ١٠، ١٦).

إنـــه يُدعى "**أسدًا**" (تك ٤٩: ٩؛ رؤ ٥: ٥)، ليس مفترسًا للبشر، بل كرامة شخصه الملكـــية وثـــباته وقوته. لقد دعي أسدًا، لأنه يقف قبالة الأسد المقاوم الذي يزأر ملتمسًا أن يفترس من يخدعهم (١ بط ٥: ٨). لأن المخلص في مجيئه لم يغير وداعة طبيعته، بل بكونه "الأسد الخارج من سبط يهوذا" (مز ١١٨: ٢٢) يخلص المؤمنين ويطأ على المقاوم.

يُدعـــى "**حجـــرًا**"، لـــيس بلا حياة، مقطوع بيدٍ بشرية، بل "حجر الزاوية الرئيسي" (إش ٢٨: ١٦)، من يؤمن به لن يخزى.

تبع أسماء المسيح

٤. يُدعـــى "**المســـيح**"، لـــيس ممسوحًا بيد بشرية، بل سرمديًا، ممسوح من الآب لكهنوته العلوي من أجل البشر.

دُعي "**ميتًا**"، لا كمن هو بين الأموات الذين في الجحيم جميعهم، بل وحده الحر بين الأموات (مز ٨٨: ٢٥).

يُدعـــى "**ابن الإنسان**"، ليس لأنه من أصل أرضي مثلنا جميعًا، إنما لأنه آتٍ على السحاب ليدين الأحياء والأموات (يو ٥: ٢٧).

يدعى "ربًا" ليس عن عدم لياقة مثل أولئك الذين يدعوهم البشر هكذا، إنما هو رب من أجل طبيعته الإلهية السرمدية.

يدعى "**يسوع**" باسم لائق، إذ دُعي هكذا من أجل العلاج (الخلاص) الثمين الذي يقدمه.

إنه يدعى "**ابنًا**"، ليس لأنه نال البنوة بالتبني، بل هو مولود طبيعيًا.

كثيـرة هي ألقاب مخلصنا، لكن لا تظن بسبب كثرة أسمائه أنه يوجد أبناء كثيرون، كما ظـن بعـض الهراطقة الذين قالوا أن يسوع غير المسيح، وآخر هو "الباب"[1] وهكذا. فإن قانون الإيمان يؤكد أنه هو "يسوع المسيح". فالألقاب كثيرة لكن موضوعها شخص واحد.

المسيح رب حقيقي

٥. يظهـر المسـيح لكـل واحـد حسب احتياجه[2]. فالمحتاجون إلى البهجة يتقدم إلـيهم ككرمة، والمحتاجون إلى الوجود في حضرة الآب يأتيهم كباب، والمحتاجون إلى من يقـدم صـلواتهم يجدونـه الشـفيع فيهم الكاهن العلي، وللخطاة هو الحمل (المذبوح) لأجل تقديسهم.

إنه كل شيءٍ لكل واحد (١ كو ٩: ٢٢) دون أن تتغير طبيعته بل يبقى كما هو. هو بـاقٍ، وعمـل بنوته لن يتغير، لكنه يكيف نفسه حسب ضعفنا، بكونه طبيبًا ممتازًا أو معلمًا مملوء حنوًا.

إنه الرب نفسه، لم يقبل الربوبية عن تقدم[3]، إنما عمل بنوته طبيعي.

---

[1] أشار **القديس إيريناؤس** (٣: ١٦: ٨) أن أتباع كيرنثوس وأبيون وفالنتينوس يفصلون بين المسيح ويسوع.

[2] قـال **البابا أثناسيوس الرسولي** في رسالته ١٠ "إذ هو غني له جوانب متعددة، فيقدم نفسه لكل إنسان حسب طاقة نفسه".

راجع أيضًا أقوال **الذهبي الفم** "الكنيسة تحبك": مقالتيه عن انروبياس طبعة ٦٩.

[3] يقـول **البابا أثناسيوس الرسولي** (ضد الأريوسيين ١: ٣٧، ٣٨) إن الأريوسيين يدعون أن المسيح تقبل كرامة اللاهوت كابن لله ورب من أجل طاعته لله بكونه إنسانًا، وليس بكونه ابن الله... وقد اعتمدوا في ذلك على العبارات التالية:

"لذلك رفعه الله أيضًا" أف ٢: ٩.

"أحببت البرّ، وأبغضت الظلم، لذلك مسحك الله إلهك بزيت البهجة أفضل من رفقائك" مز ٤٥: ٧.

وقـد أجـاب البابا في فصل ٤٠ قائلاً: "إنه لم يرفعه في مقامه من حالة أدنى، بل بكونه الله، أخذ شكل العبد وهو في هذا وضع نفسه ولم يتقدم. فأين هنا المكافأة عن فضيلة قدمها أو أي تقدم أو ترقى إذ اتضع؟!"

وقد نادى تلاميذ بولس السمسطائى قائلين إن المسيح لم يكن أصلاً ربًا، بل بعد التجسد، وتقدم وصار الله بعدما كان مجرد إنسانًا.

لم يُدعَ ربًا بغير لياقة مثلنا[1]، بل بالحقيقة هو هكذا... فنحن نُدعى أرباب على أناس مثلـــنا، لهم ذات الحقوق وفيهم نفس العواطف. وأحيانًا ندعى أربابًا على شيوخ، إذ كثيرًا ما يحكم سيد شاب على خدم مسنين.

أمـــا ربوبـــية يسوع المسيح فهي ليست هكذا بل هو خالق فرب[2]، خلق كل الأشياء بإرادة الآب...

الابن في العهد القديم (سفر التكوين)

٦. المسيح الرب هو ذاك الذي وُلد في مدينة داود (لو ٢: ١١). أتريد أن تعرف أن المســـيح هو رب مع الآب قبل تجسده حتى تتقبل العبارة ليس فقط بالإيمان وإنما ببرهان من العهد القديم؟

عـــد إلـــى أول سفر "التكوين" يقول الله "نعمل الإنسان" لا على صورتي بل "على صـــورتنا" (تـــك ١: ٢٦). وبعـــد خلقـــة آدم يقول الكتاب المقدس، "فخلق الله الإنسان على صـــورته. علـــى صورة الله خلقه" (زك ١: ٢٧). فإنه لم يقصر شرف اللاهوت على الآب وحـــده بل شمل الابن أيضًا، مظهرًا أن الإنسان ليس من عمل الله (الآب) وحده بل أيضًا هو عمل ربنا يسوع المسيح الذي هو الله نفسه.

هذا الرب الذي يعمل مع الآب، عمل معه في حالة سدوم أيضًا إذ يقول الكتاب المقدس "فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتًا ونارًا من عند الرب من السماء" (تك ١٩: ٢٤).

هـــذا الـــرب هو الذي رآه موسى قدر ما يستطيع أن يرى. لأن الرب محب البشر ينزل إلينا حسب ضعفاتنا.

الابن في العهد القديم (سفر الخروج)

٧. علاوة على هذا، فلكي تتأكد أنه هو بنفسه الذي رآه موسى، اسمع شهادة بولس القائل: "لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح"(١ كو ١٠: ٤).

---

[1] الكلمة اليوناني تعني "ثانويًا" أو"مجازيًا".

[2] ســـقط العلامـــة أوريجينوس في كتابة (*De Brincipiis 1: 2: 10 & 2: 1: 4*) في هذا الخطأ، وهو أن العالم يلزم أن يكـــون أزليًا وإلا ما دعي الله بـــ "كلي القدرة *Omnipotent*"، إذ هو منذ الأزل معتنى بخليقته. وقد تصدى له الآباء ورد عليه الأب ميثوديوس.

ويرى البعض أن القديس كيرلس هنا يميز بين الله كرب وكقدير، وأنه خلق فدعي ربًا لعنايته بخليقته.

وأيضــا قال: "بالإيمان موسى ترك مصر"، وبعد ذلك بقليل يقول: "حاسبًا عار المسيح غنى أعظــم من خزائن مصر"[1]. موسى هذا قال له: "أرني ذاتك". إنك ترى أن الأنبياء أيضًا في ذلك الإيمان رأوا المسيح بمعنى أن كلاً منهم رآه قدر ما يحتمل (خلال الأنبياء).

"أرني ذاتك لكي أعرفك بفهم" (خر ٣٣: ١٣). لكن الله قال: "الإنسان لا يرى وجهي ويعيش" (خر ٣٣: ٢٠). لهذا السبب إذن، إذ لا يستطيع أحد أن يرى وجه لاهوته ويعيش.

أخذ الرب وجه الطبيعة البشرية حتى نراه ونعيش. لكن حتى عندما أراد أن يظهر بــأن هــذه عظمــة قليلة، فإن التلاميذ إذ رأوا وجهه يضيء كالشمس (مت ١٧: ٢) سقطوا مــرتعبين. فإن كانت هيئته الجسدية (الناسوتية) تضيء، ليس في كمال قوته بل حسب طاقة التلاميذ، ومع ذلك ارتعبوا غير محتملين هذا، فكيف يقدر أحد أن يحملق في جلال لاهوته؟!

يقــول الــرب: إنـــه لأمر عظيم الذي تطلبه يا موسى، وأنا أحقق لك رغبتك التي لا تُشــبع. مــا أفعــل لك هذا الأمر، ولكن قدر احتمالك. "إني أضعك في نُقرة من الصخرة (تك ٣٣: ٢٢)، فإذ أنت صغير أن أحميك في موضع صغير".

الابن في العهد القديم (تبع سفر الخروج)

٨. ...عندئذ قال الرب لموسى: "حتى أجتاز بك بمجدي، وأنادي اسم **الرب** قدامك". وإذ هو **الرب**، أي رب هو ينادي؟ أنظر، فإنه يتحدث بطريقة خفية عن التعليم بالآب والابن.

مرة أخرى انظر ما جاء بعد ذلك كلمة فكلمة "فنزل **الرب** في السحاب فوقف عنده هناك، ونادى **باسم الرب**. فاجتاز الرب قدامه ونادي الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء. حافظ الإحسان إلى ألوف. غافر الإثم والمعصية والخطية" (تك ٣٤: ٥-٧). وبعــد ذلــك "فأسرع موسى وخرّ إلى الأرض وسجد"[2] أمام الرب الذي نادى الآب، وقال "ليَسِر الرب (السيد) في وسطنا"[3].

الابن في العهد القديم (سفر المزامير)

٩. هــذا برهان أول، تقبل برهانًا آخر واضحًا. "قال **الرب لربي** أجلس عن يميني" (مز ١١٠: ١). قال الرب هذا للرب، لا لعبدٍ، بل لرب الكل، ابنه الذي أخضع كل شيء له.

---

[1] عب ١١: ٢٦، تشير مصر في العهد القديم إلى كثرة الخيرات، وبالتالي إلى محبة العالم.

[2] ترجمة النص: "أحنى موسى رأسه وسجد".

[3] المتحدث هنا موسى، وليس الرب.

"ولكن حينما يقول إن كل شيء قد أُخضع، فواضح أنه غير الذي أخضع له الكل". وماذا يلي هذا؟ "كي يكون الله الكل في الكل".

الابن الوحيد هو رب الكل، لكن ابن الآب المطيع لم ينل لاهوته (كأمرٍ جديدٍ)، بل هو ابن بالطبيعة حسب إرادة الآب. فليس الابن ناله، ولا الآب حسده لكي يغتصبه. فالابن يقول: "كل شيء قد دُفع إليّ من أبي" (مت ١١: ٢٧؛ لو ١٠: ٢٢). "دفع إليّ" ليس كما لو كان ليست لي من قبل. وأنا احفظه حسنًا ولا أسلبه من الذي أعطاه لي.

الابن في العهد الجديد

١٠. **ابن الله هو الرب**: إنه الرب الذي وُلد في بيت لحم اليهودية، كقول الملاك للرعاة: "ها أنا أبشركم بفرحٍ عظيمٍ، إنه ولد لكم اليوم في مدينة داود المسيح الرب" (لو ٢: ١٠، ١١). وفي موضع آخر يقول عنه الرسول: "الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل يبشر بالسلام بيسوع المسيح، هذا هو رب الكل" (أع ١٠: ٣٦).

ولكن عندما يقول "**الكل**" هل تُستثنى ربوبيته على أحد، لأنه سواء ملائكة أو رؤساء ملائكة أو رؤساء أو سلاطين أو أي مخلوق آخر دعاه الرسول، يخضع الكل لربوبية الابن...

مقارنة بين يسوع وكل من هارون ويشوع

١١. يحمل يسوع المسيح اسمين: يسوع لأنه يخلص، والمسيح لأنه كاهن.

إذ عرف موسى النبي المُلهم هذا، دعى اللقبين على شخصين ساميين اختارهما من جميع الشعب، فدعا الذي يخلفه في الحكم *Auses* "يسوع (بن نون)"، ودعا أخاه "مسيحًا". وخلال هذين الرجلين المزكين تمامًا يقدم لنا في وقت واحد الكهنوت العلوي والمملكة، كرمز للواحد يسوع المسيح الآتي.

فالمسيح هو كاهن مثل هارون، إذ "لم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة، بل الذي قال له أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق" (عب ٥: ٥-٦).

وكان يشوع بن نون رمزًا له في أمور كثيرة لأنه عندما بدأ يحكم على الشعب بدأ من الأردن (يش ٣: ١)، وبدأ المسيح أيضًا الكرازة بالإنجيل بعد العماد.

ويشوع بن نون **عين اثنى عشر** ليقسموا الميراث (يش ١٤: ١)، وأرسل المسيح اثنى عشر رسولاً كرسل للحق في كل العالم.

أنقــذ يشوع الرمز راحاب الزانية عندما آمنت، ويسوع الحقيقي قال: "إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله" (مت ٢١: ٣١).

فــي أيام الرمز **بمجرد التصويت بالبوق تهدمت حصون أريحا،** لأن المسيح قال: "لا يُتــرك حجر على حجرٍ إلاَّ وينقض" (مت ٢٤: ٢) سقط الهيكل اليهودي أمامنا، والسبب في ذلك هو عصيانهم.

إشعياء يدعو يسوع مخلصًا

١٢. يوجد رب واحد يسوع المسيح، اسم عجيب، سبق أن أخبر به الأنبياء بطريقة خفية. إذ يقول إشعياء النبي: "يأتي **المخلص،** ومعه مكافأته" (إش ٦٢: ١١).

كلمة "يسوع" في العبرية معناها "مخلص". فإن العطية النبوية، إذ سبق فرأت روح القتل عند اليهود وأنهم ضد الرب، حجب اسمه عنهم، لئلا إذا عرفوه من قبل يتدبرون ضده فورًا. لكنه دُعي صراحة "يسوع"، ليس فقط من الناس بل ومن الملاك الذي لم يأتِ من ذاته، بل بسلطان الله. قال ليوسف: "لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك، لأن الذي حُبل به فيها هو من الــروح القدس، فستلد ابنًا، وتدعو اسمه يسوع" (مت ١: ٢٠). وفي الحال ذكر سبب اسمه قائلاً: "لأنه يخلص شعبه من خطاياهم"...

اليونانيون يدعون يسوع طبيبًا

١٣. "يســوع" في العبرية معناها "**مخلص**"، أما في اليونانية فتعني "الشافي"، إذ هو طبــيب الأنفــس والأجساد. هو شافي الأرواح، فتح عيني المولود أعمى، وقاد الأذهان إلى النور. يشفي العرج المنظورين، ويقود الخطاة في طريق التوبة. يقول للمفلوج: "لا تخطئ"، وأيضًا: "احمل سريرك وامشِ" (يو ٥: ١٤، ٨)، لأن الجسد كان مفلوجًا بسبب خطية النفس. شفى النفس أولاً حتى يمتد بالشفاء إلى الجسد.

لــذلك إن كــان أحــدكم متألمًا في نفسه من خطايا، فإنك تجده طبيبًا لك. وإن كان أحدكم قليل الإيمان، فليقل له: "أعن عدم إيماني" (مر ٩: ٢٤).

وإن أصـــابت أحدكم آلام جسدية، فلا يكن غير مؤمنٍ، بل يقترب، فإن يسوع يعالج مثل هذه الأمراض، وليعلم أن يسوع هو المسيح.

اليهود يرفضون المسيح

١٤. يقبله اليهود على أنه يسوع. لكنهم يرفضون كونه المسيح. لهذا يقول الرسول: "من هو الكذاب إلاّ الذي ينكر أن يسوع هو المسيح" (١ يو ٢: ٢٢).

لكن المسيح هو كاهن عليّ، "له كهنوت لا يزول" (عب ٧: ٢٤). لم يبدأ كهنوته في زمــان، إذ لــيس له سلف في كهنوته العلوي، وذلك كما سمعت في يوم الرب عندما ناقشنا عبارة "على رتبة ملكي صادق" في المجمع[1].

لم يتسلم كهنوته عن سلف بشري، ولا مُسح بزيت أعدّه إنسان، بل هو ممسوح من الآب قبل كل الدهور.

هكــذا هــو يعلــو على غيره، فقد صار كاهنًا بقسمٍ (عب ٧: ٢١)، أما هم فبغير قســم... إن هدف الآب المجرد كان كافيًا ليكون مؤكدًا، لكن استخدم وسيلة مضاعفة للتأكيد، إذ تــبع الهــدف قســم أيضًا، "حتى بأمرين عديمي التغير لا يمكن أن الله يكذب فيهما تكون تعزية قوية" (عب ٦: ١٨) في إيماننا الذي هو أن يسوع المسيح ابن الله.

رفض اليهود له

١٥. عندما جاء المسيح رفضه اليهود، بينما اعترفت به الشياطين.

داود جده لم يجهله عندما قال: "رتبت سراجًا لمسيحي" (مز ١٣٢: ٧)، هذا السراج الذي فسره البعض أنه بهاء النبوة (٢ بط ١: ١٩)، وفسره البعض أنه الجسد الذي أخذه من العذراء...

لــم يجهــل **النبــي** أمر المسيح إذ قال: "وأعلن بين البشر بمسيحه *His Anointed*" (عا ٤: ١٣ *LXX*).

موسى أيضًا عرفه، وإشعياء، وإرميا. لم يجهله أحد من الأنبياء، بل حتى الشياطين عرفته إذ انتهرها...

رئيس الكهنة لم يعرفه، والشياطين اعترفت به.

رئيس الكهنة لم يعرفه، والسامرية أعلنت عنه قائلة: "انظروا إنسانًا قال لي كل ما فعلت، ألعل هذا هو المسيح؟!" (يو ٤: ٢٩)

---

[1] دعــا المســيحيون الأولــون اجتماعاتهم *Synaxis* لتميزها عن اجتماعات اليهود المسماة *Syngoge* وهي مشتقة منها. والأولى تستخدم بالأكثر على وجه الخصوص في تقديس سرّ الشكر.

اسم جديد يبارك الأرض

١٦. هذا هو يسوع المسيح الذي جاء "رئيس كهنة للخيرات العتيدة" (عب ٩: ١١)، الذي من أجل غنى لاهوته وهبنا نحن جميعًا لقبه الخاص به. فالملوك بين البشر لهم طابعهم الملكي الذي لا يشاركهم فيه أحد غيرهم، أما يسوع المسيح فكابن الله أعطانا كرامة أن ندعى "مسيحيين".

قد يقول قائل إن اسم مسيحيين هو اسم جديد لم يستخدم من قبل والعبارات ذات الطابع الجديد غالبًا ما تدعى كعلامة على أن الإنسان غريب.

لقد سبق أن أشار النبي إلى هذا من قبل، إذ قال: "ويسمى عبيده **اسمًا آخر (جديدًا) يبارك في كل الأرض**" (إش ٦٥: ١٥-١٦ *LXX*).

لنسأل اليهود: هل أنتم عبيد الرب أم لا؟ أين اسمكم الجديد.

لقد دُعيتم يهودًا وإسرائيليين في أيام موسى وبقية الأنبياء، وأيضًا بعد الرجوع من سبي بابل إلى يومنا هذا، فأين هو اسمكم الجديد؟ أما نحن فقد صرنا عبيد الرب، ونحمل اسمًا جديدًا حقًا يبارك الأرض...

بولس مضطهد الكنيسة يشهد لها

١٧. لكن هل تريد أن تعرف أن الرسل عرفوا اسم "المسيح" وبشروا به أو بالأحرى كان المسيح فيهم؟ يقول بولس: "أم تطلبون برهان المسيح المتكلم فيّ" (٢ كو ١٣: ٣). ويعلن بولس عن المسيح قائلاً: "فإننا لسنا نكرز بأنفسنا، بل بالمسيح يسوع ربًا، ولكن بأنفسنا عبيدًا" (٢ كو ٤: ٥)...

من هو هذا المتكلم؟ إنه المضطهد السابق! يا للقدرة العجيبة! المضطهد السابق يكرز بالمسيح! لكن لماذا؟ هل كان مرتشيًا؟ لا بل لم يكن من يستخدم هذه الوسيلة للإغراء هل رآه وهو على الأرض...؟ لقد ذهب ليضطهد وبعد ثلاثة أيام صار مبشرًا في دمشق، بأية قوة؟ الآخرون يأتون بأصدقائهم كشهود، أما أنا فأقدم لكم عدوًا سابقًا كشاهد.

إن شهادة بطرس ويوحنا بالرغم من قوتها لكن قد تجد بابًا للشك، لأنه صديقه، أما ذاك الذي كان قبلاً عدوًا، فيقبل بعد ذلك أن يموت من أجله، من يقدر أن يشك في الحق بعد ذلك؟!

المضطهد يكتب أربع عشرة رسالة

١٨. فـي هـذه النقطة امتلئ دهشة من تدبير الروح القدس الحكيم، كيف قلل عدد رسـائل الباقين، بينما أعطى لبولس المضطهد السابق الامتياز ليكتب أربع عشرة رسالة... لـنكون نحـن جميعًا هكذا مؤمنين، إذ الجميع اندهشوا منه قائلين: أليس هذا هو المضطهد السابق؟! (راجع أع ٩: ٢١) ألم يأتِ إلى هنا لكي يقودنا مقيدين إلى أورشليم؟!

يقـول بولس: لا تندهشوا، فإنني اعلم أنه صعب عليّ أن أرفس مناخس. إنني أعلم إننـي لست أهلاً أن أُدعى رسولاً لأنني اضطهد كنيسة الله (١ كو ١٥: ٩)، لكنني فعلت هذا فـي جهـلٍ (١ تي ١: ١٣). إذ ظننت أن التبشير بالمسيح يحطم الشريعة، وأعرف أنه جاء ليكمل الناموس لا لينقضه (مت ٥: ١٧)، لكن "تفاضلت نعمة ربنا جدًا في" (١ تى ١: ١٤).

الكل يشهد للمسيح

١٩. كثيرون يا أحبائي كانوا شهودًا حقيقيين للمسيح.

الآب حمل شهادة من السماء لابنه.

والروح القدس شهد بنزوله في هيئة جسمانية على شكل حمامة.

ورئيس الملائكة جبرائيل شهد، جالبًا بشائر صالحة للعذراء.

والعذراء والدة الإله (ثيؤتوكوس) تحمل شهادة.

وموضع المزود المقدس يحمل شهادة.

مصر تشهد له، حيث استقبلت الرب وهو بعد صغير في الجسد.

سـمعان حمـل شهادة له إذ حمله على ذراعيه، وقال: "الآن يا سيدي تطلق عبدك بسـلام حسـب قـولك، لأن عينيّ قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته قدام وجه كل الشعب" (لو ٢: ٢٩-٣٠).

حنة النبية، الأرملة الورعة للغاية في حياة طاهرة شهدت له.

يوحنا المعمدان حمل شهادة، العظيم في الأنبياء وقائد العهد الجديد، الذي بطريقةٍ ما وحّد بين العهدين في نفسه.

الأردن شاهد له بين الأنهار، وبحيرة طبرية بين البحار.

العمي والعرج شهدوا له، **والأموات** الذين قاموا، **والشياطين** التي قالت: "ما لنا ولك يا يسوع، نحن نعرفك، أنت قدوس الله" (مز ١: ٢٤).

الرياح شهدت له بصمتها كأمره، و**الخمس خبزات** تزايدت لتشبع خمسة آلاف...

خشـــبة الصليب المقدسة تحمل شهادة، هذا الذي يُرى بيننا إلى اليوم. ويمتلئ هذا الموضع وافدون من كل بقاع العالم ليأخذ الكل بإيمان نصيبًا منه[1]...

[1] ذكر شجرة التين وبستان جثماني وجبل الزيتون وتحول الأمم وعمل المعجزات إلى يومنا هذا كشهادة للمسيح يسوع ربنا.

المقال الحادي عشر

ابن الله الوحيد

المولود من الآب قبل كل الدهور، به كان كل شيء

"الله بعـدما كلم الآباء بالأنبياء قديمًا في أزمنة متـنوعة وطـرق مختلفة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه" (عب ١: ١-٢).

يسوع هو المسيح الوحيد

١. قدمنا لكم بالأمس، مظهرين لكم بما فيه الكفاية، قدر استطاعتنا، أن رجاءنا هو في يسوع المسيح. لكن يليق بنا ألاّ نؤمن به ولا نقبله كواحدٍ من مسحاء كثيرين يدعون هكذا بلا لياقة. فإن هؤلاء المسحاء رمزيّون، أما هو فالمسيح الحقيقي، لم يرتفع إلى الكهنوت عن تقـدم[1] بين صفوف البشر، بل له شرف الكهنوت من الآب. من أجل هذا فإن قانون الإيمان يرشدنا مقدمًا حتى لا نظنه واحدًا من المسحاء العاديين، فيضيف الاعتراف بهذا الإيمان **أننا نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد.**

الابن الوحيد الجنس

٢. وأيضًـا عندما تسمع "**ابن**" لا تحسبه أنه مُتبنى، بل ابنًا بالطبيعة، الابن الوحيد، لـيس لـه أخ. مـن أجل هذا دعي "الوحيد الجنس"، إذ ليس له أخ من جهة شرف اللاهوت ونسبته للآب[2]. ونحن لا ندعوه "ابن الله" من عندياتنا، بل الآب دعي المسيح (دون غيره) ابنه وما يدعوه الآباء لأبنائهم هو اسم حق.

الابن المتأنس

٣. ربـنا يسـوع صار إنسانًا، لكن كثيرين لم يعرفوه. وإذ رغب في تعليم من لم يكونـوا قد عرفوه دعا تلاميذه وسألهم: "من يقول الناس إني أنا ابن الإنسان؟! (مت ١٣: ٦)

---

[1] راجع مقال ١٠: ٥ "الهامش "... أن المسيح لم ينل كرامة كمكافأة لجهادٍ أو تقدمٍ لم يكن له من قبل.

[2] يقول القديس أثناسيوس (ضد الأريوسيين ٣: ١٩) [إنه الله الحقيقي والحياة الأبدية، وقد صرنا أبناء بالتبني والنعمة.]

لـــم يسأل حبًا في المجد الباطل، إنما بقصد إظهار الحق لهم، لئلا بإمعان النظر في الله وابن الله يظنون بخفة أنه مجرد إنسان عادي.

وعندما أجابوه أن البعض قالوا بأنه إيليا وآخرون إرميا، أجابهم أنهم معذورون في إجابـــتهم من أجل عدم معرفتهم، أما أنتم – يا رسلي – يا من باسمي تطهرون البرص وتخرجون الشياطين وتقيمون الموتى، فيلزمكم ألاّ تجهلوا (اسمي) الذي خلاله تفعلون هذه العجائب.

وعـــندما صـــمت الكـــل (إذ كان الأمر أعظم من أن يتعلمه إنسان) أجاب بطرس الرســـول[1]... دون أن يرشده كشف بارع ولا فكرٍ بشري، إنما أضاء الآب ذهنه، فقال: "**أنت هو المسيح**"، بل وأيضًا قال: "**ابن الله الحي**" وقد تبع هذا تطويب من أجل حديثه كختم على أن ما قاله هو إعلان من الآب. إذ قال المخلص: "طوباك يا سمعان بن يونا، فإن لحمًا ودمًا لـــم يُعلـــن لـــك، بل أبي الذي في السماوات" (مت ١٦: ١٧). لذلك فمن يعرف ربنا يسوع المسيح أنه ابن الله يشترك في هذا التطويب، أما من ينكر ابن الله فهو فقير وبائس!

نور سرمدي من نور سرمدي

٤. مرة أخرى أقول **عند سماعك عن الابن لا تفهم هذا في معنى غير لائق بل هو ابـــن بالحق.** أنه ابن بالطبيعة بلا بداية، لم يأتِ من حالة العبودية إلى التبنّي، أي انتقل إلى حالة أعظم، بل هو ابن أبدي مولود بنسب لا يُفحص ولا يدرك.

وبـــنفس الطـــريقة عند سماعك "**البكر**" لا تفكر في هذا الأمر بمستوى بشري، لأن البكر في البشر له إخوة آخرون.

لقـــد قـــيل "إسرائيل ابني البكر" (خر ٤: ٢٢) لكن إسرائيل كان مثل رأوبين الذي صـــعد إلى مخدع أبيه "**أي كان خائنًا**"، فقد طرد إسرائيل ابن الآب خارج الكرم (وصلبوه). قـــيل عـــن آخرين: "أنتم أبناء الرب إلهكم" (تث ١٤: ١). وقيل في موضع آخر "أنتم آلهة، وكلكم بني العلي تُدعون" (مز ٧٢: ٦). هؤلاء عندما يقول لهم الله هكذا إنما يتقبلون بنوّة لم تكـــن لهم من قبل. أما هو فلم يولد ليصير على حال لم يكن عليه من قبل، بل هو مولود من البدء ابن الآب. هو فوق كل بداية وكل العصور، ابن الآب مشابهًا[2] للآب الذي ولده في كل

---

[1] تضيف النسخ الكاثوليكية: "رئيس الرسل".

[2] يـــرفض البابا **أثناسيوس** كلمة "مشابهًا" بل كما سبق رأينا أن إيماننا الأرثوذكسي يستخدم لفظًا دقيقًا وهو" واحد مع الآب" أو مسوي للآب في ذات الجوهر" ".

شـــيء، أبدي من أب أبدي، حياة من حياة، نور من نور، حق من حق، حكمة من الحكيم، ملك من ملك، الله من الله، قوة من قوة.**

تقبل البنوة حسب الجسد "لداود"

٥. فــإن ســمعت الإنجــيل يقول: "كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم" (مت ١: ١) حسب الجسد. فهو ابن داود "في ملء الأزمنة" (عب ٩: ٢٦)، ولكنه ابن الله قبل الدهور بلا بداية. قد تقبل البنوة "لداود" إذ لم تكن له، أما البنوة للآب فهي له سرمديًا.

إن له أبين، داود حسب الجسد، والآخر أي الله أباه في اللاهوت.

بكونه ابن داود يخضع للزمن وللتدبير والتنازل النسبي، لكن من جهة اللاهوت فلا يخضـــع لا لــزمانٍ ولا لمكانٍ. "جيله من يعلنه؟ الله روح" (راجع إش ٥٣: ٨؛ يو ٤: ٢٤). فذاك الذي هو روح قد وُلد روحيًا بكونه غير جسدي بنسب غير مدرك ولا مفحوص. الابن نفســـه يقول للآب: "قال الرب لي: أنت ابني، وأنا اليوم ولدتك" (مز ٢: ٧) هذا "اليوم" ليس زمنـــيًا بل سرمديًا. اليوم هنا غير زمني، بل قبل كل الدهور. "من الرحم قبل كوكب الصبح ولدتك"[1].

آمن بيسوع المسيح

٦. إذن آمـــن بيســـوع المسيح، ابن الله الحي، الابن الوحيد. حسب الإنجيل القائل: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية (يو ٣: ١٦؛ يو ٣: ١٨؛ ٥: ٢٤؛ يو ٣: ٣٦؛ يو ١: ١٤؛ لو ٤: ٣٤). وأيضًا: "الذي يؤمن به لا يُدان، إذ يعبر من الموت إلى الحياة". وأمّا الذي لا يؤمن به فلن يرى الحياة بل يمكث عليه غضب الله". ويشهد يوحنا عنه قائلاً: "ورأينا مجده مثل مجد ابن وحيد للآب. مملوء نعمة وحقا". إذ ترتعب منه الشياطين وتقول "ما لنا ولك يا يسوع. أنت ابن الله الحي".

ابن الله بالطبيعة وليس بالتبنّي

٧. إذن هو ابن الله بالطبيعة وليس بالتبنّي، مولود من الآب، "وكل من يحب الوالد يحـــب المولود منه" (١ يو ٥: ١)، ومن يحتقر المولود يسيء إلى الوالد. عندما تسمع عن الله "الوالد" (يو ٤: ٢٤) لا تفكر في أمور جسدية، ليس في توالد فاسد حتى لا تسقط في خطأ الكفر.

---

[1] مز ١١٠: ٣ "من رحم الفجر لك كل حداثتك".

"الله روح"، نسبه روحي، لأن الأجساد تلد أجسادًا، وولادة الأجساد تحتاج إلى زمان، أما ولادة الابن من الآب فلم يدخل فيها زمن.

في حالتنا نحن ما يولد، إنما يولد غير كامل، أما ولادة الابن من الآب فهي ولادة كاملة، لأن ما هو الآن كان منذ البدء، إذ هو مولود بلا بداية.

نحن مولودون هكذا لنعبر من جهل الطفولية إلى التعقل. مولدك يا إنسان غير كامل ونموك يزداد. لكن لا تفكر هكذا في حالة الابن، ولا تنسب الضعف إلى الوالد، لأنه إن كان الذي ولد غير كامل ويحتاج كماله إلى زمان، فإنك بهذا تنسب ضعفًا إلى الوالد...

ولادة غير بشرية

٨. لهذا لا تفكر في هذه الولادة على أنها بشرية، ولا كما ولد إبراهيم إسحق، لأنه في ميلاد إسحق لم يلد إبراهيم حسب إرادته، بل ولد ما قد منحه له غيره. أما الله، فإن ما ولده الآب لم يكن عن جهلٍ ولا احتاج إلى وسيطٍ[1]. لأن القول بأنه كان يجهل ما كان يفعله هو كفر. والقول بأنه أصبح أبًا خلال أزمنة، هو أيضًا كفر. لأن الله لم يكن قط بدون الابن، وقد أصبح أبًا مع الزمن. إنما كان له الابن أزليًا، ولده ليس كما يلد البشر بشرًا، بل كما هو وحده يعرف، ولده قبل كل الدهر، إلهًا حقًا.

البنوة بالتلمذة

٩. فالآب، إذ هو الله ذاته ولد الابن شبهه[2]، الله ذاته، إذ لم يلد كما يلد المعلمون تلاميذ، ولا كما يقول بولس للبعض: "لأني أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل" (١ كو ٤: ١٥). إذ لا يكون في هذه الحالة ابنًا بالطبيعة بل بالتلمذة. أما في الحالة السابقة فهو أب بالطبيعة لابن حقيقي.

إنه ليس مثلكم أنتم الذين تستنيرون، فتصيرون أبناء الله... إذ أنتم أبناء بالتبنّي، كما هو مكتوب: "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه، الذين ولدوا ليس من دمٍ ولا من مشيئة جسدٍ، ولا من مشيئة رجلٍ، بل من الله" (يو ١: ١٢، ١٣).

---

[1] في تكملة هذا البند استعنت بالتعريب الذي قام به الأب جورج نصور، في سلسلة النصوص الليتورجية.

[2] سبق الحديث عن "شبهه" أنه تعبير غير دقيق، رفضه البابا أثانسيوس إنما الأصح" واحد معه في ذبت الجوهر".

حقًا إننا نولد من الماء والروح، لكن المسيح لم يُولد من الآب هكذا. إذ في وقت عماد خاطبه قائلاً: "هذا هو ابني" (مت ٣: ١٧). لم يقل "صار ابني"، بل "هذا هو ابني"، معلنًا أنه "ابن" حتى قبل العماد.

١٠. المسيح كلمة الله

ولد من الآب "الابن" ليس كما بين البشر يلد الذهن كلمة. لأن الذهن موجود فينا جوهريًا، أما الكلمة فتنتشر في الهواء عندما ننطق بها وتنتهي"[1]. لكننا نعلم أن المسيح لم يولد كمثل كلمة منطوق بها، بل هو كلمة جوهرية حية، لا تُنطق بشفتين، ولا تنتشر فتبدد، بل هو مولود من الآب أبديًا، لا يُوصف في الجوهر. إذ "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله" (يو ١: ١).

إنه جالس عن يمين الله،

الكلمة فاهم إرادة الآب،

خالد،

كل الأشياء كائنة بأمره.

الكلمة الذي نزل وصعد، أما الكلمة التي ننطق نحن بها فإنها تنزل ولا تصعد.

"الكلمة" ينطق قائلاً: "أنا أتكلم بما رأيت عند أبي" (يو ٨: ٣٨).

الكلمة له سلطان، يملك على كل شيءٍ، إذ أعطى الآب كل شيء للابن (مت ١١: ٢٧؛ يو ٥: ٢٢).

من يقدر أن يعرف كيفية الولادة الأزلية؟

١١. الآب الذي ولد ليس بطريقة يُمكن لإنسانٍ أن يفهمها، بل يقدر وحده أن يفهمها. فإننا نعرف ألاّ نخبر عن الطريقة التي ولده بها، بل نصر أنها ليست بهذه الكيفية وليس فقط نحن نجهل مولد الابن من الآب، بل نجهل حتى كل طبيعة مخلوقة.

"أو كلم الأرض فتعلمك" (أي ١٢: ٨). وبالرغم من أنك تسأل كل الأشياء التي على الأرض، فإنها تعجز عن أن تخبرك. لأن الأرض لا تقدر أن تخبر عن جوهر الذي شكّلها

---

[1] البابا أثناسيوس *De Sentenia Dionysst* [الذهن يخلق الكلمة بكونه يعلن فيها. والكلمة تظهر الذهن، إذ تأخذ أصلها منه].

كخـــزاف صـــنعها. ولـــيس فقط الأرض بل الشمس أيضًا... والسماء أيضًا لا تعلن ذلك... ولا سماء السماوات...

إذن هل تنحط يا إنسان، إن كنت تجهل ما لا تعرفه حتى السماوات؟! لا. ليس فقط السـماوات تجهـل طبيعة هذه الولادة بل وكل الطبائع الملائكية. فلو صعد أحد إلى السماء الأولــى، وأدرك الرتب الملائكية، وسألهم:" كيف ولد الآب الابن؟" ربما يجيبونه؟ "إن هناك مــن هــم أعظــم منا وأسمى، اسألهم". أذهب إلى السماء الثانية والثالثة. ابلغ إن أمكنك إلى العــروش والسلاطين والرئاسات والقوات، فإنه حتى أن وصل أحد إليهم - وهذا مستحيل - فإنهم يمتنعون عن الإجابة لعدم معرفتهم.

جسارة الذين يحاولون أن يفحصوا الخالق ذاته

١٢. فمــن جهتــي أنا دائمًا أعجب على جرأة المتجاسرين الذين بوقارهم المتخيل يســقطون في الكفر. فإذ لا يعرفون شيئًا عن العروش والسلاطين والقوات وأعمال المسيح، يحاولون أن يفحصوا الخالق ذاته!

أخبرني أولاً أيها الإنسان الجسور: ما هو الاختلاف بين العروش والسلاطين وبعد ذلك افحص ما يخص المسيح!

اخبرنــي: مــا هي الرئاسات وما هي القوات وما هي الفضيلة[1] Virtue، وما هو الملاك، وعندئذ ابحث في خالقهم الذي "به كان كل شيء" (يو ١: ٣)...

من يعرف "أعماق الله" (١ كو ٢: ١٠، ١١)، إلاّ الروح القدس الذي تكلم به الكتاب المقــدس؟ بــل حتى الروح القدس لم يتحدث في الأسفار المقدسة بخصوص ميلاد الابن من الآب، فلماذا تشغل نفسك بالأمور التي لم يكتبها الروح القدس في الكتاب المقدس؟!

هــناك أمــور كثيرة وردت في الكتب الإلهية، منها ما لا نفهم كنهه، فلماذا نشغل أنفسنا بما لم يُكتب؟!

إنه يكفينا أن نعرف أن الله ولد الابن الواحد الوحيد.

لا تخجل من الاعتراف بجهلك

١٣. لا تخجــل مــن الاعتراف بجهلك مادمت تشترك في هذا مع الملائكة. الوالد وحده هو الذي يعرف المولود، والمولود يعرف الوالد. ويشهد الكتاب المقدس أن المولود هو

[1] الفضيلة *Virtue* كطغمة سمائية ذكرها القديس كيرلس أكثر من مرة.

الله. "لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أيضًا أن تكون له حياة في ذاته" و"لكـي يكـرم الجميع الابن كما يكرمون الآب" و"كما أن الآب يُقيم (من يشاء) كذلك الابن أيضًا يحيـى من يشاء" (يو ٥: ٢٦، ٢٣، ٢١). فالذي ولَد لم يحدث له نقصان، ولا ينقص المولود شيئًا[1]...

ميلاد أزلي

١٤. إذن نحـن نـؤمن بـابن الله الوحيد المولود من الآب الله ذاته. نقول إن الله الحقيقـي لا يلد إلهًا باطلاً، ولا هو تمعن في الأمر وبعد ذلك ولد، بل ولد أزليًا بأكثر سرعة عـن ولادة كلماتنا وأفكارنا. إذ نحن نتكلم في زمان، ونخضع للزمان، لكن بخصوص القوة الإلهـية، فالمـيلاد يتم خارج الزمن[2]. وكما قلت مرارًا أن الابن لم يأتِ من عدم إلى التبني الإلهي. ولكن كما أن الآب أزلي، فقد وُلد الابن منه منذ الأزل، بطريقة لا توصـف...

نبوات عن التجسد

١٥. أتريد أن تعرف أن المولود من الآب وقد صار إنسانًا هو الله؟ اسمع النبي يقول: "هـذا هـو إلهـنا ولا يعتبر حذاءه آخر. هو وجد طريق التأديب (المعرفة) بكماله، وجعله لـيعقوب عـبده... وبعد ذلك تراءى على الأرض، وتردد بين البشر" (با ٣: ٣٦-٣٨). أما ترى هنا أن الله صار إنسانًا بعد أن قدم الشريعة بواسطة موسى؟

اسـمع أيضًـا شهادة أخرى عن لاهوت المسيح، إذ قُرأ الآن حالاً "كرسيك يا الله إلـى دهـر الدهور" (عب ١: ٨). ولئلا بسبب حضوره هنا بالجسد قد يُظن أنه ارتقى إلى اللاهوت، يوضح الكتاب المقدس بجلاء "مسـحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك" (عب ١: ٩). أما ترى المسيح أنه الله ممسوحًا بواسطة الله الآب؟!

شهادة إشعياء عن لاهوت المسيح

١٦. أتـريد شـهادة ثالـثة عن لاهوت المسيح؟! اسمع إشعياء يقول: "تعب مصر وتجارة كوش (إثيوبيا)" وبعد ذلك "إليك يتضرعون قائلين: فيك وحدك الله وليس آخر سواك. أنت هو الله ولم نعرف... المخلص" (إش ٤٥: ١٤، ١٥). إنك ترى أن الابن هو الله، فيه الله

---

[1] إذ كرر الكثير من العبارات في بقية المقال لأنه يحدث موعوظين، آثرت حذف بعض العبارات.

[2] في تكملة هذا البند استعنت بالتعريب الذي قام به الأب جورج نصور، في سلسلة النصوص الليتورجية.

الآب، إذ يقول نفس العبارة التي وردت في الإنجيل "إني في الآب والآب فيَّ" (يو ١٤: ١١). إنه لم يقل: "أنا هو الآب"، بل "الآب فيّ وأنا في الآب". أيضًا لم يقل: "الآب وأنا هما أنا"، بل "أنا والآب واحد"، حتى لا نفصل بينهما دون أن نضع خلطًا في ابن الآب.

إنهما واحد من جهة **شرف وحدة اللاهوت**، إذ ولد الله الله. هما واحد **في ملكوتهما** لأن الآب لا يملك على هؤلاء، والابن على أولئك، متكبرًا على أبيه كما فعل أبشالوم، إنما ملكوت الآب هو ملكوت الابن.

إنهما واحد، إذ لا يوجد بينهما اختلاف ولا انقسام، بل **ما يريده الآب** يريده الابن.

إنهما واحد، لأن أعمال الخلقة التي للمسيح ليست غير ما للآب، إنما خالق كل الأشياء هو واحد، خلقها الآب خلال الابن. وكما يقول المرتل: "هو قال فكانوا. هو أمر فخلقوا" (مز ٣٣: ٩، ١٤٨:٥).

تمايز بين الآب والابن لا انفصال

١٧. الابن هو الله بعينه *Very God*، له الآب فيه، دون أن يصير هو الآب، لأن الآب لم يتجسد بل الابن...

الآب لم يتألم من أجلنا بل أرسل من يتألم...

فليس بقصد تكريم الابن ندعوه "الآب"، ولا لتكريم الآب نتصور الابن أحد خلائقه. إنما هو آب واحد نعبده خلال ابن واحد دون أن نفصل العبادة بينهما.

ليعلن عن الابن الواحد، جالسًا عن يمين الآب قبل كل الدهور في العرش ليس عن تقدم ناله في زمان بعد الآلام بل منذ الأزل.

لا تفصلهما، ولا تصنع تشويشًا

١٨. "الذي رآني فقد رأى الآب" (يو ١٤: ٩). لأنه في كل شيء الابن شبيه (واحد مع) من ولده. مولود حياة من حياة، نور من نور، قوة من قوة، إله من إله، وسمات اللاهوت غير متغيرة في الابن.

من يتأهل للتطلع إلى ربوبية الابن ينعم بربوبية الآب.

هذا الكلام ليس من عندي، بل هي كلمات الابن الوحيد القائل: "أنا معكم زمانًا هذه مدته ولم تعرفني يا فيلبس؟ الذي رآني فقد رأى الآب".

وباختصار لا تفصلهما، ولا تصنع تشويشًا.

لا تقــل قــط إن الابن غريب عن الآب، ولا تقبل القائلين أن الآب في وقت ما هو الآب وفــي وقت آخر هو الابن. فإن هذه العبارة غريبة وجاحدة وليست من تعاليم الكنيسة. لكن الآب بولادته الابن بقي الآب ولم يتغير، ولد الحكمة ولم يفقد الحكمة. ولد القوة دون أن يصير ضعيفًا. ولد الله ولم يخسر ربوبيته. لم يفقد شيئًا بالنقص أو التغير، ولا المولود ناقص فــي شيء. **كامل هو الوالد، وكامل هو المولود.** الله هو الوالد، الله هو المولود، الله من الله، ولكــنه يُدعــى الآب إلهــه دون أن يخجل من القول: "اصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" (يو ٢٠: ١٧).

تفسير: "أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم"

١٩. ولكن لئلا يُظن أنه من جانب ما هو أب للابن وللخليقة معًا صنع المسيح تميزًا كما يلي: إنه لم يقل: "اصعد إلى أبينا"، لئلا تصير الخليقة شريكة للابن الوحيد (على مستواه الطبيعي)، بل قال: "أبي وأبيكم" أي هو أبي بالطبيعة وأبوكم بالتبنّي.

مــرة أخرى يقول: "إلهي وإلهكم"، فمن ناحية هو إلهه بكونه ابنه الوحيد الحقيقي[1]، وبطريقة أخرى هو إلههم بكونهم عمل يديه...

آمــن أن الله له ابن، لكن ليس في تطفل (لإدراك هذا)، إذ بالبحث لا تبلغ شيئًا. لا تنتفخ لئلا تسقط. "لا تبحث عما يتجاوز قدرتك لكن ما أمرك الله به" (ابن سيراخ ٣: ٢١)...

مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل

٢٠. يكفيك من أجل الصلاح أن تعرف، كما قلنا، إن الله له ابن واحد وحيد مولود طبيعــيًا. الذي لم يبدأ وجوده عندما وُلد في بيت لحم، بل قبل كل الدهور. اسمع النبي ميخا يقول: "أما أنتِ يا بيت لحم أفراته، وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمنكِ يخرج لي الذي يكون متسلطًا على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل" (مي ٥: ٢).

إذن لا تفكــر فــي ذاك الذي هو خارج الآن من بيت لحم (ولا تحسبه حديثًا)، بل اعبده، إذ هو مولود من الآب أزليًا.

لا تسمح لأحد أن يقول إن للابن بداية في زمان...

---

[1] ربمــا يقصــد القــديس أنه كابن... إله من إله يرى في الآب أنه "الله"، فيدعوه إلهه ليس بمعنى أنه يتعبد له، إذ ليس هو مخلوقًا... إنما تحمل الأبوة السامية جدًا الإلهية.

أتريد أن تعرف أن ربنا يسوع المسيح هو ملك أزلي؟ اسمعه يقول: "أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي، فرأى وتهلل" (يو ٨: ٥٦). وعندما استصعب اليهود قبول هذا، قال لهم إن هذا ليس بصعب، فإنه "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" (يو ٨: ٥٨).

مـرة أخـرى يقول: "والآن مجدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عـندك قـبل كون العالم" (يو ١٧: ٥). قال بوضوح: "بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العـالم". وأيضـًا عندما قال "لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم" (يو ١٧: ٢٤)، معلنًا أن مجده أزلي.

خالق الكل

٢١. إذن نحـن نؤمن بربنا يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من أبيه الله عينه قـبل كل الدهور، الذي به كان كل شيء لأن "فيه خلق الكل... سواء كان عروشًا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين" (كو ١: ١٦). ولم تفلت خليقة ما من سلطانه.

لتصمت كل هرطقة بخصوص الخالق

٢٢. لتصمت كل هرطقة تنادى بآلهة مختلفة وصانعين للعالم. ليصمت كل لسان يجدف على المسيح ابن الله. ليصمت القائلون إن الشمس هي المسيح، وإنه شمس الخالق[١]...

ليصمت القائلون إن العالم هو من عمل الملائكة لكي يلبسوا كرامة الابن الوحيد، إذ كـل شيء، ما يرى وما لا يرى سواء كان عروشًا أو رئاسات أو أي شيء هكذا يدعى إنما كان بالمسيح[٢]...

عمل الآب والابن في الخلق

٢٣. لكن دعنا نسترجع اعترافنا بقانون الإيمان لننهي مقالنا.

المسـيح صـنع كـل الأشياء... لا بمعنى أن الآب تنقصه قوة لخلق أعماله إنما لأنه أراد أن يحكـم الابـن على أعماله، فأعطاه الله رسم الأمور المخلوقة، إذ يقول الابن مكرمًا أبيه: "لا يقـدر الابن أن يعمل شيئًا إلا ما ينظر الآب يعمل. لأنه مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كـذلك" (يـو ٥: ١٩). وأيضـًا: "أبـي يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يو ٥: ١٧). فلا يوجد

---

[١] يقول أتباع ماني أن الأنوار هي آلهة، وأن الشمس التي ستظلم هي السيد المسيح...

[٢] بقية البند ٢١، والبند ٢٢ تكرار آثرت حذفهما.

تعـــارض فـــي العمـــل إذ يقول الرب في الأناجيل: "كل ما هو لي فهو لك. وما هو لك فهو لي" (يو ١٧: ١٠).

هـــذا نعلمه بالتأكيد من العهدين القديم والجديد، لأن الذي قال: "نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (تك ١: ٢٦) بالتأكيد تكلم مع أقنوم معه.

وأوضح من هذا كلمات المرتل: "هو قال فكانت، وهو أمر فخُلقت" (مز ١٤٨: ٥). فكما لو أن الآب أمر وتكلم والابن صنع كل شيء كأمر الآب...

يسوع المسيح خالق الكل بأمر الآب

٢٤. إذن المســـيح هو ابن الله الوحيد. خالق العالم لأنه "كان في العالم، والعالم به كونّ" و"إلى خاصته جاء" كما علمنا الإنجيل (يو ١: ١٠، ١١). لقد خلق المسيح كأمر الآب لـــيس فقـــط الأشياء التي تُرى بل وما لا يُرى، إذ يقول الرسول: "فإن فيه خلق الكل ما في السماوات وما على الأرض ما يُرى وما لا يرى سواء كان عروشًا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكل به وله قد خلق. الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل" (كو ١: ١٦، ١٧).

حتـــى إن تحـــدثت عن العوالم، فإن يسوع المسيح أيضًا هو خالقها بأمر الآب، إذ "كلمـــنا فـــي هـــذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثًا لكي شيء، الذي به أيضًا عمل العالمين" (عب ١: ٢)، هذا الذي له المجد والإكرام والقدرة الآن وإلى أبد الأبد آمين.

المقال الثاني عشر[1]

تجسد وتأنس

"ثم عاد الرب فكلم آحاز قائلاً: "اطلب لنفسك آيه... ها العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه عمانوئيل" (إش ٧: ١٠-١٤).

إن قلنا إنه لم يأخذ الطبيعة البشرية يصير الخلاص غريبًا عنا

١. بشفاهٍ مملوءة طهرًا، وبفكرٍ عفيفٍ ننشد تسبيحنا للإله ابن البتول. لنستحق أن ننال الشركة في جسد الحمَل الروحي: لنشترك في الرأس مع القدمين[2]، مدركين أن الرأس هو لاهوت المسيح والقدمان تعنيان ناسوته.

لنصغ أيها المستمعون إلى الأناجيل المقدسة، إلى يوحنا اللاهوتي، إذ يقول: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله" (يو ١: ١.)، ويكمل قائلاً: "والكلمة صار جسدًا". لأنه ليس حسنًا أن نتعبد لإنسان عادي، ولا أن نقول إن المسيح إله فقط ناكرين ناسوته. لأنه إن كان المسيح هو الله فهذا حق، لكن **إن قلنا إنه لم يأخذ الطبيعة البشرية يصير الخلاص غريبًا عنا.**

إذن لنتعبد له بكونه إله مؤمنين بتأنسه، لأنه لا نفع من القول عنه إنه إنسان وليس الله، أو أي خلاص لنا إن رفضنا الاعتراف ببشريته مع ألوهيته. لنعترف بحضوره إذ هو ملك وطبيب. لأن يسوع الملك، إذ صار طبيبًا، اتزر بكتان ناسوتنا، وشفى من كان مريضًا.

المعلم الكامل للرُضع، صار رضيعًا بينهم (رو ٢: ٢٠)، لكي يعطى حكمة للجهلاء. خبز السماء نزل إلى الأرض لكي يُطعم الجياع!

احتقر اليهود المسيح الحقيقي

٢. لكن أولاد اليهود الذين لم يبالوا بالذي جاء، متطلعين إليه كبشرٍ، احتقروا المسيح الحقيقي وانتظروا المخادع فخدعوا أنفسهم. يقول المخلص الحقيقي: "أنا أتيت باسم أبي ولستم تقبلونني. إن أتى آخر باسم نفسه تقبلونه" (يو ٥: ٤٣).

---

[1] ترجمة الأخ فارس.

[2] خر ١٢: ٩ "رأسه مع أكارعه".

حســنًا! لنسأل اليهود: هل كان النبي إشعياء الذي قال إن عمانوئيل يولد من عذراء صـــادق أم كـــاذب؟ فـــإن وسموه بالكذب فلا تعجب، لأنهم قد اعتادوا لا أن يزيفوا الأقوال فحســب، بل ويرجموا الأنبياء. أما إن قالوا إنه صادق، فأشر إلى عمانوئيل وقل: هل الذي يأتـــي وتقبلونه يكون مولودًا من عذراء أم لا؟! فإن قلتم إنه لا يولد من عذراء تتهمون النبي بالكذب، وأمّا إن كنتم تتوقعون فيه هذا، فلماذا رفضتم من جاء فعلاً؟!

مغالطات الهراطقه

٣. ليضـــل الـــيهود إذ هـــم أرادوا هـــذا، ولتتمجد الكنيسة. فقد قبلنا الرب الكلمة الـــذي صار إنسانًا حقيقيًا، وهو لم يأتِ عن مشيئة رجل وامرأة كما يدعى الهراطقه، بل من العـــذراء والروح القدس. ويقول الإنجيل إنه "صار جسدًا" حقيقيًا وليس خيالاً. أما عن كونه إنســـانًا حقيقيًا من عذراء ففي الوقت المناسب أقدم الأدلة في هذا المقال إذ أخطاء الهراطقه متعددة.

فالبعض يدعي أنه لم يُولد من عذراء قط.

والبعض يدعي أنه وُلد ليس من عذراء بل من امرأة تقطن مع زوج.

وآخـــرون ادعـــوا أن المســـيح ليس إلهًا متأنسًا، بل إنسان متأله، فيقولون إنه ليس "الكلمة الأزلي" قد صار جسدًا بل إنسان تقدم فنال إكليلاً.

لنتذكر ما قيل بالأمس عن ربوبيته

٤. آمن أنه ابن الله الوحيد، هو هو بنفسه الذي عاد فولد من العذراء. صدق يوحنا الإنجيلي القائل: "والكلمة صار جسدًا وحلّ بيننا". ذلك لأن الكلمة أبدي، مولود من الآب قبل كل الدهور، وقد أخذ حديثًا جسدًا من أجلنا.

كثيـــرون يعترضـــون متشككين، قائلين: ما هو السبب العظيم الذي يدعو أن يصير الله إنسانًا وأن تكون للطبيعة الإلهية علاقات مع البشرية! هل يمكن لعذراء أن تحبل بدون رجل!

ولمـــا كانت الاعتراضات كثيرة، والمعركة متعددة الجوانب، لهذا فإنني أجيب على كل سؤال بنعمة المسيح وصلوات الحاضرين.

لماذا تجسد المسيح؟

٥. دعـــنا أولاً نبحث عن سبب مجيء المسيح. لا تبالِ ببراهين من عندي كي لا تضل الطـــريق، بـــل إن لم تتقبل شهادة الأنبياء فلا تصدقني. ما لم تتعلم من الكتاب المقدس بخصوص

البتول وعن مكان الميلاد وزمانه وطريقته، فلا تقبل شهادة إنسان (يو ٥: ٣٤). لأن تعليم إنسان قد يؤدى إلى الشك، لكن كيف يشك أحد في نبوات أعلنت منذ حوالي ألف سنة ونيف؟!

إن أردت أن تعرف عن سبب مجيء المسيح ارجع إلى أول أسفار الكتاب المقدس.

فـــي ســـتة أيـــام صـــنع الله العـــالم. بَيد أن العالم كان من أجل الإنسان، الشمس تبـــرق بضـــيائها لكـــي تنيـــر لـــه، وكل الخليقة وُجدت من أجل خدمتنا. العشب والشجر لكـــي نســـتمتع به. كل أعمال الخليقة صالحة، لكن لم يُخلق على صورة الله سوى الإنسان وحده.

الشـــمس وُجدت بمجرد أمر، أما الإنسان فإنه عمل يديّ الله، إذ قال "**لنعمل** الإنسان علـــى صـــورتنا ومثالـــنا". إن كانت قطعة خشب منحوتة على صورة ملك تنال شرفًا، فكم بالحري صورة الله العاقلة؟!

لكن إذ وُضع هذا المخلوق العظيم في الفردوس سرعان ما طرده حسد إبليس.

ابتهج العدو بسقوطه، فهل يُترك العدو مستمرًا في بهجته؟! هذا العدو الذي لم يجسر أن يـــتكلم مع الرجل بقوته فاستضعف حواء التي كانت لا تزال عذراء، إذ عرف آدم حواء امرأته بعد الطرد من الفردوس.

فساد اليهود وشرهم

٦. جاء قايين وهابيل في الجيل الثاني للبشرية، وكان قايين القاتل الأول. وبعد ذلك غمرت آثام البشر الأرض. فنزلت نار من السماء على شعب سدوم بسبب تعدياتهم.

وبعد زمن اختار الله شعب إسرائيل، لكن إسرائيل حاد عن الطريق، وصار الشعب المختارجـــريحًا. إذ بينما كان موسى يقف أمام الله على الجبل إذا بالشعب يعبد ثورًا عوض الـــرب. وفي أثناء حياة موسى مستلم الشريعة القائل "لا تزن"، تجاسر الإنسان ودخل أماكن الخلاعة مرتكبًا الإثم.

وبعـــد موســـى جاء الأنبياء لشفاء إسرائيل، وإذ بهم يولولون ويندبون عدم قدرتهم علـــى التغلب على الأمراض حتى قال فيهم أحدهم" ويل لي... لأنه قد باد التقي من الأرض ولـــيس مســـتقيم بـــين الـــناس" (مي ٧: ٢). وأيضًا "الكل قد زاغوا وفسدوا ليس من يعمل صـــلاحًا لـــيس ولا واحد" (مز ١٤: ٣؛ رو ٣: ١٢). وأيضًا "لعن وسرقة وفسق وقتل غمر الأرض" (هـــو ٤: ٢)... "كانوا يقدسون أولادهم وبناتهم قرابين للشياطين فاستخدموا السحر

والجـــان" (٢ أي ٣١: ٦). وأيضًا "يتمدّدون على ثياب مرهونة بجانب كل مذبحٍ، ويشربون خمر المغرمين في بيت إلههم"[١].

انحطاط البشرية

٧. مـــا أعمـــق جرح الطبيعة البشرية "من القدم إلى الرأس. ليس فيه صحة، ليس مـــن يقـــدر أن يســـتخدم دهـــنًا أو زيتًا أو عصائب" (راجع إش ١: ٦). لذلك ولول الأنبياء قائلـــين: "هـــل من صهيون خلاص إسرائيل؟!"[٢]... كما يتضرع أحد الأنبياء فيقول: "يا رب طأطـــئ ســـماواتك وانـــزل" (مـــز ١٤٤: ٥). إن جروح الطبيعة البشرية لا تلتئم. "نقضوا مـــذابحك، وقتلوا أنبياءك" (١ مل ١٩: ١٠)، وصرنا عاجزين عن إصلاح الشر، محتاجين إليك لتصلحه.

رفض اليهود المسيح

٨. ســـمع الـــرب صـــلوات الأنبـــياء واهتم الآب ألاّ يهلك جنسنا، فأرسل ابنه من السماء كشافٍ. يقول أحد الأنبياء: "يأتي بغتة السيد الذي تطلبونه" (مل ٣: ١) إلى أين؟ "إلى هيكله"!

يقول نبي آخر عند سماعه هذا: "على جبلٍ عالٍ اصعدي يا مبشرة صهيون... قولي لمدن يهوذا". ماذا أقول؟ "هوذا إلهك. هوذا السيد الرب بقوة يأتي" (إش ٤٠: ٩، ١٠).

والرب نفسه يقول: "هأنذا آتي وأسكن في وسطكم" (زك ٢: ١٠).

لكـــن الإســـرائيليين رفضـــوا الخـــلاص، لهـــذا "جئت لأجمع كل الأمم والألسنة" (إش ٦٦: ١٨). إذ "جاء إلى خاصته، وخاصته لم تقبله" (يو ١: ٢).

إنـــك تجـــيء، فماذا تهب الأمم؟ "جئت لأجمع كل الأمم والألسنة وأجعل فيهم آية" (إش ٦٦: ١٩).لأنه متى علقت على الصليب أعطي جميع جنودي ختمًا على جباههم.

يقـــول نبي آخر "طأطأ السماوات ونزل، (ضباب) تحت رجليه" (مز ١٨: ٩)، لأن نزوله من السماء لم يكن معروفًا من البشر.

---

[١] عا ٢: ٨ النص الوارد في كيرلس: *They fastened their garments with cords and made hangings attached to the alter.*

[٢] مز ١٤: ٧ هنا السؤال يحمل فساد الشعب اليهودي فيسأل النبي طالبًا خلاصًا.

سليمان يتنبأ عن مجيئه

٩. إذ يسمع سليمان أباه داود ينطق بهذه الأمور، ويبني بيتًا عجيبًا، في دهشة يتساءل: هل يسكن الله حقًا على الأرض مع الإنسان؟! (١ مل ٨: ٢٧) بلى، يجيب داود متنبأ في المزمور المنسوب لسليمان "ينزل مثل المطر على الجزة" (مز ٧١: ٥).

"**مثل المطر**" لطبيعته السمائية، و"**على الجزة**" لناسوته. ولأن المطر ينزل على الجزاز بغير ضوضاء. لهذا فإن المجوس وهم لا يدركون سرّ الميلاد يتساءلون: أين هو المولود ملك اليهود؟ وإذ سمع هيرودس ذلك اضطرب، وأراد أن يعرف من هو هذا المولود فسأل: أين يولد المسيح؟!

شهادة الأنبياء

١٠. لكن من هذا الذي ينزل؟ "إنه يدوم مع الشمس، وقبل القمر بأجيال الأجيال" (مز ٧١: ٤). ويقول نبي آخر: "ابتهجي جدًا يا ابنة صهيون. اهتفي يا بنت أورشليم. هوذا ملكك يأتي إليك عادل ومعه الخلاص" (زك ٩: ٩).

ما أكثر الملوك، فعن من تتكلم أيها النبي؟ لتعطنا علامة ينفرد بها عن باقي الملوك. إن قلت إنه مكسو بالأرجوان لا يكون فريدًا، وإن قلت إنه محاط بحاملي السلاح، أو يجلس على مركبة ذهبية، فإن هذا يتميز به باقي الملوك. إذا فلتعطنا علامة ينفرد بها ذلك الملك الآتي، الذي تخبرنا عنه؟ يجيب النبي "هوذا ملكك يأتي إليك، عادل ومعه الخلاص وديع وراكب على جحش ابن أتان" وليس على مركبة. إنه يسوع الوحيد بين الملوك، يجلس على أتان بغير سرج، ويدخل أورشليم بحفاوة كملك.

وعندما يأتي هذا الملك ماذا يفعل؟ "وأنت أيضًا فإني بدم عهدك قد أطلقت أسراكِ من الجيب الذي ليس له ماء" (زك ٩: ١١).

أورشليم عاصمة مملكته

١١. لكن ربما حدث هذا مصادفة أن الملك ركب أتانا؟ اعطنا علامة أخرى. أين يحل هذا الملك! ولتكن هذه العلامة داخل المدينة ذاتها، ولتكن العلامة معلومة لدينا، ولتكن واضحة أمام عيوننا حتى نتعرف عليها؟ يجيب النبي: "**وقفت قدماه في ذلك اليوم على جبل الزيتون الذي قدام أورشليم من الشرق**" (زك ١٤: ٤). هل يصعب على أي إنسان في داخل المدينة أن يتطلع إلى الموضع؟!

يفتح عيون العميان

١٢. لدينا علامتان ونريد أن نعرف علامة ثالثة. أخبرنا ماذا يفعل الرب عند مجيئه؟ يقول نبي آخر "هوذا إلهنا يأتي ويخلصنا حينئذ تتفتح عيون العمي، وتسمع آذان الصم، حينئذ يقفز الأعرج كالإيل، ويترنم لسان الأخرس" (إش ٣٥: ٤-٦).

لنأخذ شهادة أخرى. إنك تقول أيها النبي أنه سيأتي ويعمل ما لم يعمله آخر، وماذا أيضًا!" **الرب يدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم**" (إش ٣: ١٤). يا لها من علامة جديرة بالأهمية. فإن السيد حاكمه خدامه الشيوخ وخضع لهم!

لماذا لم ينصت اليهود الأشرار لأنبيائهم؟

١٣. هذه الأمور قرأها اليهود ولكنهم لم يعوها، إذ سدوا آذان قلوبهم كي لا تسمع. أما نحن فلنؤمن بيسوع المسيح أنه جاء في الجسد وتأنس، لأننا لا نقدر أن نقبله بغير ذلك فإن لم يكن في استطاعتنا أن نتطلع إليه كما هو، ولا نتمتع به، صار واحدًا منا حتى نتمتع به. لأنه إن كنا لا نستطيع أن نمعن النظر تمامًا في الشمس المخلوقة في اليوم الرابع فكيف نستطيع إمعان النظر في الله خالقها؟!

لقد نزل الرب في لهيب نار على جبل سيناء، فلم يستطع الشعب أن يتحملوا ذلك، وطلبوا من موسى: تكلم أنت معنا ونحن نسمع، "ولا تجعل الله يكلمنا لئلا نموت" (خر ٢٠: ١٩). "لأنه من هو من البشر الذي سمع صوت الله الحي يتكلم من وسط النار مثلنا وعاش" (تث ٥: ٦). فإن كان سماع صوت الله يُميت أفلا تدفع رؤية الله إلى الموت؟! وأي عجب، فإن موسى نفسه يقول: "أنا مرتعد ومرتعب" (عب ١٢: ٢١).

دانيال لم يحتمل رؤية ملاك

١٤. ماذا تريد إذن! الذي جاء إلى خلاصنا يصير خادم هلاك، لأن الناس لا يحتملونه! أو يحد نعمته لقياسنا! دانيال لم يحتمل رؤية ملاك، فهل تقدر أنت أن تحتمل رؤية رب الملائكة؟ عندما ظهر جبرائيل سقط دانيال.

في أية طبيعة أو مظهر ظهر؟ لقد كان على شكل نور (دا ٥: ٦). لكن ليس كالشمس. عيناه مثل مصباح نور، لكنهما ليسا كشعلة لهيب. صوته كصوت جمهور، لكن ليس كصوت اثنى عشر ربوة من الملائكة، ومع ذلك سقط النبي فجاءه الملاك قائلاً: "لا تخف يا دانيال، قم وتشجع فقد سمعت كلماتك".

قـال دانـيال: "قد وقفت مرتعدًا"، بل حتى هذه الكلمات لم ينطق بها إلى أن لمسته يـد تشـبه اليد البشرية، ولما تحوّل ذاك الذي ظهر له إلى صورة إنسان عندئذ تكلم دانيال. مـاذا قـال؟ يـا سيدي، بالرؤيا "انقلبت عليّ أوجاعي لم تثبت فيّ قوة، ولم تبقَ فيّ نسمة" (دا ١٠: ١٦، ١٧).

إن كان مجرد ظهور ملاك لنبي لم يبقِ فيه صورة ولا قوة، فهل ظهور الله بنفسه سيبقي له نسمة؟! يقول الكتاب المقدس: "فعاد ولمسني **كمنظر إنسان**" وإلى أن لمسني الملاك لـم تلازم الشجاعة دانيال قط. هكذا رأى الرب أنه لكي يمكن للإنسان أن يسمع له يتعين له أن يكـون في طلعة الإنسان وملامحه، لذلك أخذ المخلص الطبيعة البشرية بانفعالاتها حتى يمكن أن يرشد بأكثر سهولة.

خلّصنا الرب بنفس الأسلحة التي أراد إبليس أن يهزمنا بها

١٥. لنـتعلم أيضًا علة أخرى. جاء المسيح ليعتمد ويقدس العماد. جاء لكي يصنع عجائب ويسير على مياه البحر. فإن كان قبل ظهوره في الجسد "البحر رآه فهرب... الأردن رجـع إلى الخلف" (مز ١١٤: ٣)، أخذ المخلص جسدًا لكي يقدر البحر علي رؤياه ويستقبله الأردن بـلا خـوف. هذا سبب لمجيئه، هناك سبب آخر: وهو أنه خلال حواء العذراء سار المـوت وخـلال العـذراء تصـير الحياة. وكما أغوت الحيّة القديمة العذراء الأولى، جُعل جبرائيل البشارة الطيبة للثانية.

هجـرت البشرية الرب وتخلت عنه وسجدت لصور بشرية منحوته، عبدت صورة الإنسان باطلاً على أنه الله، فصار الله إنسانًا حقيقيًا حتى ينزع الزيف بعيدًا.

استخدام إبليس الجسد كسلاح ضدنا، وقد عرف بولس ذلك فقال: "أرى ناموسًا آخر فـي أعضـائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني..." (رو ٧: ٢٣)، وبنفس الأسلحة التي أراد إبليس أن يهزمنا بها خلّصنا الرب. أخذ الرب شبهنا حتى يخلص البشر. أخذ مالنا حتى يهبنا نعمة أعظم تنقصنا، فتصير البشرية الآثمة مشاركة "فحيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جدًا" (رو ٥: ٢٠). لاق بالـرب أن يتألم لأجلنا، لكن لو عرفه إبليس لما تجاسر أن يقترب إليه. "لأنهـم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد" (١ كو ٢: ٨). لذلك صار جسده طُعمًا للموت، وإذ صـار موضع أمل للوحش أن يقبض على المخلص، قبض المخلص عليه. لأنه "يَبْلَعُ الموت إلى الأبد، ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه" (إش ٢٥: ٨).

هل تأنس الله بلا سبب؟

١٦. هــل معتقداتــنا مجرد عبارات منمقة وادعاءات بشرية؟ أليس الكتاب المقدس ونــبوات الأنبياء هي لخلاصنا؟ لهذا اطلب إليك أن تحفظ هذه الوديعة بغير عيب ولا يثنيك أحد عنها. آمن أن الله صار إنسانًا.

إن كــان مــن الســهل إمكانية أن يصير الله إنسانًا، إلاّ أن اليهود لا يزالون غير مؤمنــين. لهــذا نسوق لهم هذا القول: أي غرابة في القول إن الرب تأنس وأنتم تقولون أن إبــراهيم اســتقبل الرب كضيف؟ (تك ١٠: ١) أي غرابة فيما نقول إن كنتم تقولون إن يعقوب صارع مع الرب وجهًا لوجه (تك ٣٢: ٣٠)... الرب الذي أكل مع إبراهيم أكل معنا...

متى يأتي هذا النبي المنتظر؟

١٧.... يقول **موسى النبي** "نبيًا مثلي سيُقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون" (تــث ١٨: ١٥؛ أع ٧: ٣٧). لنتــرك الآن كلمة "مثلي" إلى حين لبحثها في موضعها. ولكن متى يأتي هذا النبي المنتظر؟

انظــر مــا كتــبه وابحــث بتدقيق نبوة يعقوب الموجهة إلى يهوذا: "إياك يحمدك إخــوتك". ثــم يقول: "لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون، ولــه يكــون خضوع (ويكون منتظرًا من الشعوب)" (تك ٤٩: ٨، ١٠)، لا من اليهود. بهذا **أعطــى علامــة لمجــيء المســيح هو انقطاع الحكم من اليهود**. فلو لم يكونوا تحت حكم الــرومان لمــا كان المسيح قد جاء بعد. لو كان لليهود ملك من يهوذا من نسل داود لما جاء المسيح بعد...

إنــه المنتظــر مــن جمــيع الشــعوب. وما هي علامته؟ "**رابطًا بالكرمة جحشه**" (تك ٤٩: ١١). لاحظ الجحش الذي يعلنه زكريا بصراحة.

تحديد الزمان بالسنوات

١٨. إذن نــبحث بأكثــر تدقــيق عن شهادة خاصة بزمان مجيئه، إذ يصعب إقناع الشــخص مــا لــم يُقدم له حساب دقيق للزمان بالسنوات. فما هو وقت وحال زمان مجيئه؟ إنــه فــي زمان انحلال ملوك يهوذا وسقوطهم، حيث بلغ هيرودس الأجنبي المُلك. لهذا قال الملاك الذي خاطب دانيال... "فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبناءها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعًا" (دا ٩: ٢٥). والتسعة والستون أسبوعًا

يحملـــون ٤٨٣ ســـنة (٦٩×٧). فكأنه يقول أنه بعد بناء أورشليم بـــ ٤٨٣ سنة حيث يسقط الحكام، ويأتي عوضًا عنهم ملك من جنس آخر من زمان يولد المسيح.

وقد بني داريوس المادى *Mede* (دا ٥: ٣١) المدينة في السنة السادسة من حكمه، والســـنة الأولى من الأولمبي (*Olympiad*) الـــ ٦٦ طبقًا للإغريق. والأولمبي هي كلمة إغريقية معناها احتفالات للألعاب، تقام كل ٤ سنوات، وذلك بسبب اليوم الذي فيه تؤدى دورة الشمس إلـــى ٣ ساعات إضافيا... أما هيرودس فهو الملك الذي تولى الحكم في الأولمبي الـــ ١٨٦ في السنة الرابعة منه. فمن الأولمبي الـــ ٦٦ إلى الأولمبي ١٨٦ يكون هنا ١٢٠ أولمبي أي ٤٨٠ سنة، وبإضافة ٣ سنوات ربما الفترة ما بين السنة الأولى والرابعة للأولمبي يكون عدد السنوات ٤٨٣. وبهذا يكون لديك شهادة طبقًا لقول الكتاب المقدس "إنه من خروج الأمر..."

مكان ميلاده

٢٠. لنصـــغِ الآن إلـــى **مكان الموعد**، إذ يقول ميخا: "وأما أنتِ يا بيت لحم أفراته وأنـــت صـــغيرة وأن تكونـــي بين ألوف يهوذا..." (مى ٥: ٢). وإذ أنت ساكن في أورشليم تعرف ما جاء في المزمور ١٣١: "هوذا قد سمعنا به في أفراته ووجدناه في موضع الغابة"، إذ من سنين قليلة كانت المنطقة مشجرة (غابة).

ولادته من عذراء

٢١. لنسأل أكثر من هذا: ممن يأتي؟ وبأية كيفية؟ يخبرنا إشعياء النبي بهذا "ها العذراء تحبل وتلد ابنًا ويدعون اسمه عمانوئيل" (إش ٧: ١٤). وهنا يتعثر اليهود الذين هم منذ القدم يقاومون الحق فإنهم يقولون إنه لم يكتب "عذراء" بل "فتاة". لنتمشى مع اليهود فإننا نصل إلى الحق. لنسألهم: إن أُكرهت فتاة فصرخت طالبة النجدة، هل يكون ذلك قبل الاعتداء أم بعده؟

فإنـــه يقول الكتاب المقدس في موضع آخر "الفتاة المخطوبة صرخت فلم يكن من يخلصـــها" (تـــث ٢٢: ٢٧). أم يتكلم هنا عن عذراء؟! ولكن ما يجب أن تعرفه بوضوح أن العذراء تدعى في الكتاب المقدس فتاة، إذ يتحدث عن ابيشج الشونمية "كانت الفتاة جميلة جدًا" من أجل هذا اختيرت وقد صارت موضع إعجاب داود.

بخصوص النبوة عن ولادته من عذراء

٢٢. لكـــن اليهود يقولون إن هذا قيل لآحاز مشيرًا إلى حزقيا. حسنا لنقرأ الكتاب المقـــدس، ماذا يقول؟ "اطلب من الرب إلهك آية في العمق وفي العلو" (راجع إش ٧: ١١).

والآيـــة بكل تأكيد يجب أن تكون عجيبة مثل خروج المياه من الصخرة أو انشقاق البحر أو رجوع الشمس إلى الوراء، وما أشبه ذلك، لكن ما أشير إليه بأكثر وضوح لدحض اليهود أن إشعياء هذا كان في أيام آحاز. وآحاز ملك فقط ١٦ سنة. فإن كان النبي يتنبأ خلال هذه المدة فـــإن دعوى اليهود تبطل أنه يقصد الملك الذي جاء بعده حزقيا بن آحاز، إذ كان عمرة ٢٥ عامًا يوم تولية الحكم. فإذ كانت النبوة خلال ١٦ عامًا فإنه من المفروض أن يكون حزقيا قد ولد بالغًا من العمر تسعة سنوات (على الأقل) قبل النبوة. فما الحاجة إلى النبوة عن شخص ولد فعلاً حتى قبل أن يملك أباه آحاز، فإن النبي لم يقل "حبلت" بل "ها العذراء تحبل" متحدثًا عن أمور ستحدث.

عائلة هذه العذراء

٢٣. عرفنا أن الرب يولد من عذراء، بقي لنا أن نعرف عائلة هذه العذراء. "أقسم الـــرب لداود بالحق ولن يندم، من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك". وأيضًا "وأجعل إلى الأبد نســـله وكرسيه مثل أيام السماوات". وأيضًا "حلفت بقدسي إني لا أكذب لداود. فله إلى الدهر يكون وكرسيه كالشمس والقمر أمامي" (مز ١٣٢: ١١؛ مز ٨٩: ٢٩؛ مز ٨٩: ٣٥).

هـــا أنت ترى الحديث عن المسيح لا سليمان، لأن عرش سليمان لا يبقى كالشمس. أما إن أنكر أحد قائلاً: إن المسيح لم يجلس على كرسي داود المادي، فإننا نقدم له هذا القول "علـــى كرســـي موسى جلس الكتبة والفريسيّون" (مت ٢٣: ٢)، فهم لم يجلسوا على كرسي خشـــبي، بل صارت لهم سلطة التعليم، هكذا لا تنظر إلى كرسي داود أنه كرسي خشبي، بل المُلك نفسه.

أيضـًــا خـــذوا الأطفال كشهود، إذ يصرخون: "أوصنا يا ابن داود. مبارك (الآتي) ملـــك إســـرائيل" (مـــت ٢١: ٩؛ يـــو ١٢: ١٣). كذلك الأعميان قالا: "ارحمنا يا ابن داود" (مـــت ٢٠: ٣٠). وقـــد شـــهد جبـــرائيل لمـــريم بصراحة قائلاً: "يعطيه كرسي داود أبيه" (لـــو ١: ٣٢). وأيضـًــا يقول بولس: "اذكر يسوع المسيح المقام من الأموات من نسل داود بحســـب إنجيلـــي" (٢ تي ٢: ٨). وفي بداية الرسالة إلى أهل روميه يقول: "الذي صار من نسل داود من جهة الجسد" (رو ١: ٣). اقبل المولود ابن داود آمن بالنبوة القائلة: "ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسى داود القائم يحكم الشعوب وفيه تثق الشعوب" (راجع إش ١١: ١٠؛ رو ١٥: ١٢).

العذراء من نسل داود

٢٤. لكن يضطرب اليهود كثيرًا بسبب هذه الأمور. لقد سبق إشعياء فعرفها، قائلاً: "لأنـــه يكون مأكلاً للنار، لأنه يولد لنا (وليس لهم) ولد ونعطى ابنًا" (إش ٩: ٥)، لاحظ أنه أولاً ابن الله ثم يعطى لنا. بعد هذا بقليل يقول "سلامه بلا حدود". مملكة الرومان محدودة، أمّا مملكة المسيح ابن الله فبلا حدود.

دولة فارس ومادي لها حدود، أما ابن الله فمملكته بلا حدود.

ثم يكمل قائلاً: إنه علي كرسي داود يجلس، وعلى مملكته يديرها. لذلك فإن العذراء هي من نسل داود.

يتجسد في أحشاء عروس الطهارة

٢٥. يلــيق بكلي الطهارة ومعلمها أن يتجسد في أحشاء عروس الطهارة. إن كان كاهن المسيح في الخدمة يمتنع عن المضجع، فكيف يولد المسيح من امرأة ورجل؟! إنه يقول بنفســه في المزمور "أخرجتني من الرحم" (مز ٢٢: ١)، مظهرًا أنه مولود بغير زرع رجل، إنما يحمل الجسد عن عذراء، الأمر الذي يختلف عن المولودين من زرع بشري.

أخذ مكوّن الأجساد جسدًا

٢٦. إذ أخذ الرب جسدًا لم يخجل منه إذ هو مكوّن الأجساد. لكن من الذي أخبرنا بهذا؟ يقول الرب لإرميا: "قبلما صورتك في البطن عرفتك. وقبلما خرجت من الرحم قدستك" (إر ١: ٥). فــإن كــان لم يخجل من خلقة جسد الإنسان، أفيخجل من الجسد الذي أخفي فيه لاهــوته. الــذي يخلــق الأطفال في الأحشاء كما كتب أيوب: "ألم تصبني كاللبن وخثرتني كالجــبن، كســوتني جلدًا ولحمًا فنسجتني بعظام وعصب؟!" (أي ١٠: ١٠، ١١) ليس شيء نجسًا في هيكل الإنسان بل هو يفسده بالزنى والدعارة.

الــذي خلق آدم خلق حواء أيضًا، فإن يد الله هي التي خلقت الرجل والمرأة. ليس عضو من الأعضاء التي خلقها منذ البدء نجسًا.

ليصمت جميع الهراطقة الذين يهينون أجسادهم ويغتابون صناعها. لنذكر قول بولس "أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم؟!" (١ كو ٦: ١٩)

أيضًا سبق النبي فتكلم عن شخص يسوع فقال: "جسدي مأخوذ منهم" (راجع هو ٩: ١٢ *LXX*). كتب في موضع آخر: "لذلك يسلمهم إلى حين تكون ولدت والدة" (مي ٥: ٣).

ومـــا هي العلامة؟ إنه يخبرنا بعد ذلك فيقول: "تلد ثم ترجع بقية إخوته". وماذا عن العروس القديسة العذراء؟ "أخطبك لنفسي بالأمانة فتعرفين الرب" (هو ٢: ٢٠). لذلك عندما تكلمـــت اليصــــابات مـــع مريم قالت لها "طوبى للتي آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب" (لو ١: ٤٥).

الرد على الوثنيين

٢٧. لكـــن كـــلاً من اليهود واليونانيين يزعجوننا قائلين: إنه من المستحيل أن يولد المسيح من عذراء. أما بالنسبة لليونانيين، فإننا نخرس ألسنتهم من أساطيرهم. يا من تقولون إن الحجارة صارت بشرًا، كيف تستبعدون إمكانية ولادة المسيح من العذراء.

يا من تعتقدون أن فتاة ولدت من عظام كيف لا تقدرون أن تصدقوا أن المسيح يولد من أحشاء عذراء.

يا من تعتقدون باطلاً أن ديونيسيوس ولد من فخذ زيوس كيف تستبعدون الحق.

إننـــي أعلـــم أن ما انطق به الآن هي أمور يستخف بها الحاضرون، لكنني أذكرها لكي توبخوا اليونانيين في حينه، تجيبونهم من أساطيرهم.

الرد على اليهود

٢٨. أمـــا أهل الختان فإننا نواجههم بهذا السؤال: أيهما أصعب، أن تلد عاقر وفي سن الشيخوخة أم أن تحبل صبية عذراء؟!

ســـارة كانـــت عاقـــرًا وانقطعت عن أن يكون لها كعادة النساء، لكن على خلاف الطبـــيعة ولـــدت طفـــلاً. فإن ولدت عاقر طفلاً، فليس غريبًا أن تحبل عذراء. فإمّا أن تقبل الاثنين أو ترفضهما. لأن الله ذاته الذي جعل العاقر تلد هو الذي جعل العذراء تحبل.

لا تقدر إن تقول إن الله قادر في الحالة الأولى وغير قادر في الحالة الثانية.

أيضـًـــا كـــيف يمكن لذراع إنسان أن تتحول في ساعة معينة إلى صورة أخرى ثم تشـــفى مـــرة ثانـــية؟! كيف **يمكن أن تصير يد موسى بيضاء كالثلج** ثم تعود لطبيعتها مرة أخرى؟! إنك تقول إنها إرادة الله صنعت هذا. فهل في هذه الحالة إرادة الله قادرة، وفي الحالة الأخـــرى إرادة الله بلا قوة؟! خاصة وأنه في حالة موسى كانت الآية للمصريين وحدهم، أما في حالة العذراء فهي للعالم كله.

أيهمـــا أصعب أيها اليهود، أن تلد عذراء، أم أن تصير العصا الجماد مخلوقًا حيًا؟! إنكم تقولون إن **عصا موسى صارت حيّة**، وقد هرب منها ليس خوفًا، لكن لأنها صارت حيّة.

العصـــا أخرجت عيون وأسنان كالحية، فهل إرادة الله تُخرج من العصا عينين، ولا يمكن أن يولد طفل من عذراء؟!

إننـــي لم أقل شيئًا عن **عصا هارون** التي أثمرت في ليلة، الأمر الذي ما كان يمكن أن يتم مع الشجر إلاّ خلال سنين. من لا يعرف أن الغصن متى فقد حياته لا يعود يفرخ حتى وإن زرع في مجاري الأنهار؟! لكن الله الذي لا يعتمد على طبيعة الأشجار بل هو خالق هذه الطبيعة جعل العصا الجافة التي بلا أوراق أو ثمار أن تزهر وتثمر. فإن كان الرب من أجل رئيس الكهنة أعطى ثمرًا بطريقة معجزية، أفلا يقدر من أجل رئيس الكهنة الأعظم أن يجعل العذراء تلد ابنًا؟!

من الذي ولد حواء؟

٢٩. هذه أدلة قوية، لكن اليهود يرفضونها ولا يريدون الخضوع للشهادات الخاصة بالعصا ما لم يروا **ميلاديات عجيبة وفريدة.**

اسألهم: من الذي ولد حواء؟ أي أم ولدت من هي بلا أم؟ الكتاب المقدس يقول إنها وُلــدت مـــن جنب آدم. فهل ولدت حواء بدون أم من جنب وكثير أن يُولد طفل بلا أب من أحشاء عذراء؟

لهــذا كان على جنس المرأة دين إزاء الرجل... لذا دفعت مريم هذا الدين، وردت هذا الجميل عندما حبلت ليس برجلٍ بل وحدها حين حبلت بالروح القدس بطريقة سرية بقوة الله[١].

الميلاد العذري والخلق

٣٠. لننظـــر عظمة هذا: إنه لأمر عجيب أن تولد الأجسام من أجسام أخرى. وإن كـــان هـــذا الأمر عجيبًا لكنه ممكن، لكن العجب كل العجب أن يتحول التراب إلى إنسان له عيون وعظام وهيكل ورئتان يتنفس ويتحرك ويتكلم ويملك. أيها الأغبياء كيف خُلق آدم؟ ألم يأخذ الله حفنة من التراب؟!... العجب كل العجب أن تنشأ الأنسجة والعيون الرائعة من طين لا شكل له، وأن تنتج العظام الصُلبة والرئات الرقيقة، ومختلف الأعضاء الأخرى من التراب ذاته...

---

[١] بند ٣٠ أختصر. كما حذف البندان ٣٣، ٣٤.

أيها اليهود الأغبياء، من أين أتى آدم؟ أليس الله الذي أخذ من تراب الأرض ورسم هذا الشكل العجيب؟ (تك ٢: ٧)، إن كان الطين تحوّل إلى عين، ألا تستطيع العذراء أن تلد ابنًا؟...

بمجرد الوعد صار يعقوب يطلق على راحيل "زوجته"

٣١. أخيـــرًا دعــنا نرد على القائلين إنه ولد من رجل وامرأة، من يوسف ومريم قائلين إنه ذكر في الكتاب المقدس "يوسف أخذ امرأته" (مت ١: ٢٤).

لنـــرى ماذا قال يعقوب قبل أن يستلم راحيل "أعطني زوجتي" (تك ٢٩: ٢١). لأنه حتى قبل الارتباط، لكن بمجرد الوعد صار يعقوب يطلق عليها "زوجته".

كذلك مريم إذ كانت مخطوبة دُعيت زوجة يوسف.

لاحـــظ قول الكتاب المقدس: "في الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك إلى عذراء مخطـــوبة لـــرجل اسمه يوسف" (لو ١: ٢٦). كما يقول صعد يوسف من الجليل ليكتتب مع مـــريم امـــرأته المخطوبة وهي حبلى" (لو ٢: ٥٤)، إذ حتى وهي حبلى بولد دُعيت زوجته "المخطـــوبة". وكمـــا يقول بولس الرسل: "أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة" (غل٤: ٤)، فقط وليس من رجل وامرأة.

العذراء نفسها سبقت أن تعجبت

٣٢. لا تعجب أيها الحبيب، فالعذراء سبق أن تعجبت قائلة لجبرائيل: "**لست** أعرف رجـــلاً". فقال لها الملاك: "الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظللك، ولهذا فالمولود منك يُدعى ابن الله" (لو ١: ٣٤، ٣٥).

لقـــد كانت ولادة طاهرة وبلا دنس، لأنه حيث يحل الروح القدس يزول كل دنس. ولادة ابن الله الوحيد بالجسد من عذراء ولادة بلا دنس.

إن اعترض الهراطقة على هذه الحقيقة فسيلومهم الروح القدس، وتغضب عليهم قوة العلـــيّ، ويـــثور علـــيهم جبرائيل في يوم الدين. وسيفحمهم مكان المزود الذي تقبّل الرب، وسيشـــهد ضدهم الرعاة الذين بشروا بالفرح العظيم، وأيضًا جيش الملائكة الذين سبحوا الله، قائلين: "المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة" (لو ٢: ٢٤).

سيشـــهد عليهم الهيكل الذي حُمل إليه في اليوم الأربعين، وزوجا اليمام اللذان قُرِّبا مكانه، وسمعان الذي حمله على ذراعيه، وحِنة النبية التي حضرت تلك الساعة.

شهادة الأطهار والبتوليين عنه

٣٣. إذن، ليشــهد الله، ويشــهد الروح القدس، وسيقول المسيح: "الآن تطلبون أن تقتلوني، وأنا إنسانٌ قد كلَّمكم بالحق" (يو ٨: ٤٠).

إذن، ليصمت الهراطقة الذين يعارضون في طبيعته البشرية، لأنهم يناقضون القائل: "جسُّــوني وانُظــروا، فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي" (لو ٢٤: ٣٩). فليُسجد للــرب المولود من العذراء، ولتعترف العذارى بإكليل جماعتهن، ولتعترف طغمة المتوحدين بمجد العفة، فإننا لم نُحرم من كرامة العفة.

لقــد مكث المخلص تسعة أشهر في أحشاء العذراء؛ وأصبح الرب رجلاً في الثالثة والثلاثــين مــن عمره، بحيث إنه إذا كانت العذراء تفتخر بحملها إياه تسعة شهور، فإننا قد حظينا به لسنوات كثيرة.

دعوة إلى الحياة البتولية[1]

٣٤. لنســرع جميعًا بنعمة الله إلى سباق الطهارة، شبابًا وعذارى، شيوخًا وأطفالاً (مــز ١٤٨: ١٢). لنسبح اسم المسيح بعيدين عن الشراهة، ولا ننكر مجد العفة. إنها إكليل ملائكي، وفضيلة تسمو بالإنسان.

لنوقــر أجسامنا التي يلزم أن تضيء كالشمس (مت ١٣: ٣). ولا ندنس هذا الجسم العظيم من أجل لذةٍ طفيفة؛ فالخطية زائلة تدوم لساعةٍ. أما العار فجسيم يدوم إلى الأبد. الذين يمارسون العفة هم ملائكة سالكون على الأرض. وللعذارى نصيب مع مريم العذراء.

لنبتعد عن كل تبرُّج، وكل نظرةٍ شريرة]، وكل حديثٍ باطلٍ، وكل زينةٍ وعطر مثير للأهــواء. ليقتصــر عطــرنا علــى راحة صلاتنا الذكية، وممارسة أعمال الخير، وتقديس الأجســام. حتى يتسنى للرب المولود من العذراء أن يقول عنا نحن الذين نمارس العفة، من رجــالٍ ونســاءٍ؛ "إنــي سأسكن فيهم، وأسير بينهم، وأكون لهم إلهًا، وهم يكونون لي شعبًا" (٢ كو ٦: ١٦). له المجد إلى الأبد، آمين.

---

[1] في ترجمة هذا البند استعنت بالتعريب الذي قام به الأب جورج نصور، في سلسلة النصوص الليتورجية.

المقال الثالث عشر

صلب ودفن

"من صدق خبرنا؟ ولمن أُستعلنت ذراع الرب؟...
كشاة تساق إلى الذبح" (إش ١٣: ١-٧).

الصليب أعظم أعجوبة

١. كل عمل قام به المسيح، إنما يمجد الكنيسة الجامعة. ولكن أعظم كل الأمجاد للكنيسة هو الصليب. وإذ عرف بولس ذلك قال: "وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلاّ بصليب ربنا يسوع المسيح" (غل ٦: ١٤).

عجيب أن يرى المولود الأعمى من بطن أمه النور في سلوام، لكن هذا العمى كيف يُقارن بعمى العالم كله؟!

انه أمر عظيم وخارق للطبيعة أن يقوم لعازر من الموت في اليوم الرابع، لكن النعمة شملته وحده، فكيف يُقارن بالذين ماتوا بخطاياهم في العالم كله؟!

أي معجزة هذه أن يُطعم خمسة آلاف بخمس خبزات، ولكن ماذا يكون هذا بالنسبة للذين يتضورون جوعًا في المسكونة كلها؟!

حقًا إنها لمعجزة أن تحل المربوطة بالشيطان ١٨ عامًا من قيودها هذه، لكن ماذا يكون هذا بالنسبة لنا نحن جميعًا الذين تقيدنا برباطات آثامنا؟!

لكن مجد الصليب قادر أن يبعث النور في هؤلاء العميان في جهلهم، ويحل عنهم وثاقات الإثم، ويفتدي العالم البشرية أجمع؟!

يا لعظمة إمكانية المصلوب!

٢. لا تعجب من أن العالم كله اُفتدى، لأن الذي مات من أجله لم يكن مجرد إنسان بل ابن الله الوحيد! فإذ جلب عصيان آدم الموت على العالم، لكن كما أنه "بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد. فبالأولى كثيرا الذين ينالون فيض النعمة وعطية البرّ سيملكون في الحياة بالواحد" (رو ٥: ١٧).

وإذا كان بسبب شجرة طعام قد طُردوا من الفردوس، أفلا يدخل المؤمنون الآن بأكثر سهولة إلى الفردوس **بشجرة يسوع**.

إن كـــان الإنســـان الأول المخلوق من الطين جلب الموت العام، أفلا يستطيع الذي صنعه من التراب أن يعيده إلى الحياة الأبدية، هذا الذي هو بنفسه "الحياة"؟!

وإذا كان فينحاس عندما زادت غيرته ذبح فاعل الشر فرد سخط الرب، فهل يسوع الذي لم يذبح غيره بل بذل نفسه فدية (١ تي ٢: ٦) لا يرد السخط الذي كان من جهة الجنس البشري؟!

لا تخجل من الصليب

٣. لا تخجـــل من صليب مخلصنا، بل بالأحرى افتخر به. لأن "كلمة الصليب عند اليهود عثرة، وعند الأمم جهالة، أما بالنسبة لنا فخلاص" (١ كو ١: ٢، ٣). إنه "عند الهالكين جهالة، وأمّا عندنا نحن المخلصين فهو قوة الله" (١ كو ١: ١٨، ٢٣). لأنه كما سبق أن قلت أنه لم يكن ذاك الذي مات عنا إنسانًا مجردًا، بل هو ابن الله، الله المتأنس.

بالأحـــرى إن كـــان الحمل في أيام موسى جعل المُهلك يعبر بعيدًا، أفلا ينزع عنا خطايانا ذاك الذي هو حمل الله الذي يرفع خطايا العالم؟! (يو ١: ٢٩)

دم الخراف غير الناطقة وهب خلاصنا، أليس بالأحرى دم ابن الله الوحيد يخلص؟!

مـــن ينكر قوة المصلوب، فليسأل الشياطين! من لا يؤمن بالكلام، فليؤمن بما يرى. فكثيـــرون صُـــلبوا في العالم، لكن الشياطين لم تفزع من واحدٍ منهم، لكنها متى رأت مجرد علامة صليب المسيح الذي صُلب عنا يُصعقون. لأن هؤلاء الرجال صُلبوا بسبب آثامهم، أما المسيح فصُلب بسبب آثام الآخرين... "لأنه لم يعمل ظلمًا، ولم يكن في فمه غش" (إش ٥٣: ٩؛ ١ بـــط ٢: ٢٢). لـــم ينطق بهذه العبارة وحده، وإلا لشككنا في أنه منحاز لمعلمه. ولكن إشـــعياء قالهـــا أيضًـــا، ذاك الذي لم يكن حاضرًا معه بالجسد، لكنه تنبأ بالروح عن مجيئه بالجسد.

مـــا بالـــنا نستشهد بالنبي وحده هنا؟ فها هو بيلاطس نفسه الذي حكم عليه يقول: "لا أجـــد في هذا الإنسان علّة" (لو ٢٣: ١٤). ولما أسلمه غسل يديه قائلاً: "أنا بريء من دم هذا البار".

توجد شهادة أخرى عن يسوع البار الذي بلا خطية، هي شهادة اللص أول الداخلين الفردوس، إذ بكّت زميله منتهرًا إيّاه قائلاً: "أمّا نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا، وأمّا هذا فلم يفعل شيئًا ليس في محله" (لو ٢٣: ٤١)، لأن كلينا تحت قضائه.

آلامه وصلبه حقيقة وليس خيالاً

٤. بالحقيقة تألم يسوع من أجل البشر، لأن الصليب لم يكن وهمًا، وإلا صار فداؤنا وهمًا أيضًا. لم يكن موته مجرد خيال، وإلا كان خلاصنا واهن أيضًا. فلو كان موته مجرد مظهر لكان على حق أولئك الذين قالوا "لقد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حيّ إني بعد ثلاثة أيام أقوم" (مت ٢٧:٦٣).

كانت آلامه حقيقة. لأنه بالحقيقة صُلب، ونحن لا ننكر هذا. لقد صُلب ونحن نذكره بل نفتخر به. فإنني إن أنكرته ها هي الجلجثة التي احتشدنا بالقرب منها تبكتني. خشبة الصليب التي وزّعت قطعًا مختلفة على العالم كله تُفحمني.

إنني اعترف بالصليب إذ أعرف القيامة. لأنه لو كان بعد الصليب بقى كما هو ربما لم أكن أعترف به. بل لكنت أنكره وأحاول إخفاء الصليب وإخفاء سيدي. لكن إذ تبعت القيامة الصليب، فإنني لا أخجل من إعلانه.

لم يصلب بسبب خطية!

٥. إذ كان قد صُلب بالجسد كالآخرين، لكنه لم يكن مثلهم في الخطية.

إنه لم يصلب بسبب الطمع، إذ كان معلمًا للافتقار.

لم يحكم عليه بسبب شهوة، بل بنفسه قال في وضوح: "وأمّا أنا فأقول لكم إن كل من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه" (مت ٥: ٢٨).

ولا حُكم عليه لغضب أو هياج سريع، إذ هو مدير الخد الآخر لمن يلطمه، ولا لكسر الشريعة إذ هو منفذها. ولا لسب نبي، إذ هو نفسه موضوع نبوة الأنبياء. ولا لغشه أحد في أجرته، إذ خدم مجانًا دون مكافأة. ولا لخطية ارتكبها بكلام أو عمل أو فعل، إذ "لم يفعل خطية، ولا وجد في فمه مكر، الذي إذ شُتم لم يشتم عوضًا. وإذ تألم لم يكن يهدد" (١ بط ٢: ٢٢-٢٣). الذي تألم بإرادته وليس رغمًا عنه. نعم فإنه إلى الآن متى قال له أحد "حاشاك يا رب"، يجيبه "اذهب عني يا شيطان" (مت ١٦: ٢٢-٢٣).

تألم بإرادته

٦. أتريد أن تقتنع أنه تألم بإرادته؟ آخرون لا يعلمون ماذا يحدث لهم لذلك ماتوا بغير إرادتهم، أما هو فسبق وقال: "ابن الإنسان يسلم ليُصلب" (مت ٢٦: ٢).

ألاَ تعـرف لماذا "**صديق الإنسان**" هذا لم يمنع الموت؟ لكي لا يهلك العالم كله في خطاياه. "ها نحن صاعدون إلى أورشليم، وابن الإنسان يُسلم ويصلبوه" وأيضًا: "تقدم صاعدًا إلى أورشليم" (مت ٢٠: ١٨، لو ١٩: ٢٨).

أتريد حقًا أن تعرف أن الصليب مجد يسوع؟ استمع إلى كلماته لا إلى كلماتي، فإذ كـان يهوذا خائن رب البيت على وشك القيام بالخيانة، وقد جلس على مائدته، وشرب كأس نعمته، عوض الخلاص تقدم ليسفك الدم البريء. "رجل سلامتي الذي وثقت به، آكل خبزي رفع عليّ عقبه" (مز ٤١: ٩). لم تكن يده بعد قد تركت عطية نعمته حتى أسرع ليسلمه إلى المـوت، حبًا بثمن الخيانة. وبّخه، وإذ سمع: "أنت قلت" (مت ٢٦: ٥) خرج ليسلمه. عندئذ قال يسوع: "قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان" (يو ١٢: ٢٣).

لترى يا عزيزي، كيف عرف أن الصليب هو المجد اللائق به.

إن كان إشعياء لم يخجل من نشره إلى أجزاء، أفيخجل المسيح لموته عن العالم؟!

"الآن يـتمجد ابـن الإنسان" (يو ١٣: ٣)، لا لأنه لم يكن ممجدًا من قبل، بل كان ممجـدًا بالمجد الذي له من قبل كون العالم (يو ١٧: ٥). كان ممجدًا على الدوام، إذ هو الله، والآن يتمجد حاملاً صبره.

إنه لم يسلم حياته رغمًا عنه، ولا قبل الموت قسرًا، بل بموافقته. اسمع ماذا يقول؟ "لـي سلطان أن أضعها، ولي سلطان أن آخذها أيضًا" (يو ١٠: ١٨). إنني أسلمها لأعدائي باختياري، وإلا ما كان يتم ذلك.

لقـد جاء بغرضٍ وضعه هو بنفسه أن يتألم، مسرورًا بعمله النبيل، مبتسمًا بتاجه، معتـزًا بخلاص البشرية، دون خجلٍ من الصليب، إذ هو لخلاص هذا العالم. لم يكن إنسانًا عاديًا بل الله المتأنس...

اعتراض اليهود

٧. لكـن الـيهود يعترضون على ذلك وهم على استعداد دائمًا أن يغالطوا ويرتدوا عـن الإيمـان. لهذا السبب يقول النبي إلى يومنا هذا "من صدق خبرنا؟" (إش ٥٣: ١) آمن الفارسـيون، والعبـرانيون لـم يؤمـنوا. "الذين لم يُخبروا به سيبصرون والذين لم يسمعوا سـيفهمون" (رو ١٥: ٢١، إش ٥: ١). الذين كانوا يدرسون هذه الأمور كأنهم لم يدرسوها. إنهم يتكلمون ضدنا قائلين: "أيتألم الرب؟ ماذا؟ هل ليد الإنسان سلطان على جبروته؟"

اقــرأ المراثي التي فيها يرثيك النبي... إذ رأى خرابك. لقد نظر سقوطك، فانتحب أورشليم على ما كانت عليه، وليس على ما هي عليه الآن، إذ صلبت المسيح أما الآن فتتعبد للرب.

إنـــه يقول في رثائها "مسيح الرب أُخذ في حفرهم"[1]. هل هذه وجهة نظري أنا؟ إذ يشهد النبي بالقبض على الرب يسوع. ثم ماذا يتلو ذلك؟ قل لنا أيها النبي: "الذي قلنا عنه في ظله إنّا نعيش بين الأمم"، وهو يعني أن عطية الحياة لم تعد تقطن في إسرائيل بل بين الأمم.

شهادات عن آلامه

٨. لكنـــنا إذ نجد منهم مقاومة شديدة، لذلك فإنني بصلواتكم أقدم بنعمة الله قليلاً من الشهادات عن آلامه. فإن الأمور التي تتعلق بالمسيح قد سبق أن كُتبت، ولم يترك منها دون شـــاهد، إنمـــا أعلـــن على فم الأنبياء. وكُتبت هذه الأمور بصراحة لا على لوحي حجر بل بالـــروح القدس. لذلك عندما تسمع الإنجيل **يتحدث عن يهوذا**، أما يليق أن تطلب شهادة عن ذلـــك؟ لقد سمعت أنه **طعن بالحربة في جنبه**، أما يلزم أن تعرف عما إذا كان قد كتب عنه هـــذا؟ ســـمعت أنه **بيع بثلاثين من الفضة**، ألاَ تريد أن تعلم أي نبي نطق بهذا؟! سمعت أنه **أعطـــى خـــلاً للشـــرب**... وأن **جسده ألقي في صخرة وأقيم عليها حجر**... وأنه **صلب بين لصـــوص** أمـــا تريد أن ترى هذا مكتوبًا؟! إنك سمعت أنه **دُفن** أتريد أن تعرف كل ظروف الدفن كيف سجلت بدقة؟!

لقـــد ســـمعت عنه أنه **قام** أيضًا أتريد أن تعرف إن كنا نسخر بك في هذا التعليم؟! لأن" كلامـــي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية" (١ كو ٢: ٤). فنحن لا ننشئ كلامًا سوفسطائيًا بل "نكرز بالمسيح مصلوبًا" (١ كو ١: ٢٣) الذي سبق فتكلم الأنبياء عنه...

التنبؤ بخصوص خيانة يهوذا

٩. لـــنطلب الشـــهادات الخاصة بآلام المسيح... لقد تقبلت مني الشهادات الخاصة بمجيـــئه **وبســـيره على البحر**، إذ كتب "في البحر طريقك" (مز ٧٧: ١٩). لنبدأ الآن بالألم. كان يهوذا خائنًا ووقف ضد المسيح. فمع أنه كان يحدثه بكلمات السلام كان يدبر حربًا. لهذا يقـــول المـــرتل: "أحبائي وأصحابي يقفون تجاه ضربتي" (مز ٣٨: ١١). وأيضًا: "ألين من

---

[1] مرا ٤: ٢٠. *"The breath of our countenance Christ the lord was taken in our corruptions."*

الزيت كلماته، وهي سيوف مسلولة" (مز ٥٥: ٢١). قال: "السلام يا سيدي" (مت ٢٦: ٤٩) وهـو يخـون سيده إلى الموت. إذ لم يرتدع من تحذير سيده القائل "يهوذا، أبقبلة تسلم ابن الإنسان؟!" (لو ٢٢: ٤٨)

إن ما قاله الرب له هو تأويل اسم "يهوذا" الذي يعني "اعتراف". لقد تآمرت وقبضت الثمن اعترف بسرعة.

"يـا إلـه تسبيحي لا تسكت. لأنه قد انفتح عليّ فم شرير، وفم الغش. تكلموا معي بلسـان كـذب. بكلام بُغض أحاطوا بي، وقاتلوني بلا سبب" (مز ١٠٩: ١-٣). كان بعض رؤسـاء الكهنة حاضرين، وقد تم القبض عليه عند أبواب المدينة، وبهذا تحقق قول المزمور "يعودون عند المساء، يهرون مثل الكلاب ويدورون في المدينة" (مز ٥٩: ٦).

ثمن الخيانة وحقل الفخاري

١٠. لتسـمع أيضـًا بخصوص الثلاثين من الفضة. "فقلت لهم أن حسُن في أعينكم فأعطونـي أجرتـي وإلا فامتنعوا" (زك ١١: ١٢). انظر كيف تنبأ الكتاب المقدس عن هذه الأمـور، فقـال: "فوَزنوا أجرتي **ثلاثين من الفضة**". يا لدقة النبوة! يا لحكمة الروح القدس العظيمة الذي لا يخطئ! لأنه لم يقل عشرة أو عشرين ولكنه حدد بالضبط ثلاثين.

اخبـرنا أيضـًا مـاذا يـتم بهذا الثمن أيها النبي؟ هل يحتفظ بها من استلمها؟ أم يردها؟... يقول "فأخذت الثلاثين من الفضة، وألقيتها إلى الفخاري في بيت الرب" (زك ١١: ١٣). قـارن قول الإنجيل بهذه النبوة! "لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم... فطرح الفضة في الهيكل وانصرف"[1]...

١٢. محاكمة الرب

قيدوا يسوع وأحضروه إلى دار رئيس الكهنة، أتريد أن تعرف كيف سبق أن كتب هـذا أيضـًا؟ يقول إشعياء "ويل لنفوسهم لأنهم يصنعون لنفسهم شرًا قائلين: لنقيد البار لأنه مغلـق لـنا" (راجع إش ٣: ٩-١٠) نعم ويل لنفوسهم. لترى كيف هذا فإن إشعياء نُشر إلى أجزاء، وبعد ذلك شُفي الشعب. إرميا طُرح في جب من طين، لكن جرح اليهود شفي، إذ أن آثـامهم كانـت قليلة لأنها موجهة ضد إنسان. لكن عندما أخطأ اليهود إلى الله المتأنس "ويل لنفوسهم... لنقيد البار!"

---

[1] مت ٢٧: ٣-٥ البند ١١ يتحدث في نفس الأمر.

ألـم يكـن قـادرًا علـى إطلاق سراح نفسه؟! قد يقول قائل: الذي حل لعازر من رباطـات الموت في رابع يوم، وأطلق سراح بولس من قيود السجن الحديدية، أما كان قادرًا على إطلاق سراح نفسه؟ لقد وقفت الملائكة مستعدة تقول "لنقطع قيودهم" (مز ٢: ٣)، لكنهم أحجموا لأن سيدهم شاء أن يقبل هذا.

اقتيد إلى المحكمة أمام الشيوخ. وهذه شهادة عن ذلك "الرب يدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم" (إش ٣: ١٤).

المحاكمة

١٣. لكـن إذ سـأله رئيس الكهنة وسمع الحق أظهر خسة. فضربه موظفوه (عبد رئيس الكهنة)... وأتى آخرون وبصقوا على وجهه هذا الذي ببصاقه شفي المولود أعمى.

"ألرب تكافئون بهذا يا شعبًا غبيًاوغير حكيم؟" (تث ٣٢: ٦) لهذا يتعجب النبي جدًا فـيقول: "مـن صـدق خبرنا"؟! (إش ٥٠: ٦)، لأن الذي لا يُنطق به، ابن الله، ذراع الرب (١ تس ٥٣: ١) يحتمل هذا! أمّا الذين يؤمنون، فإنهم يخلصون، إذ سبق فكتب الروح القدس فـي شخص المسيح قائلاً: "بذلت ظهري للسياط، وخديّ للناتفين، وجهي لم أستر عن العار والبصـق" (إش ٥٣: ١)... كأن يسوع يقول: بالرغم من إنني أعرف مقدمًا أنهم يلطمونني لكننـي لـم أدر عـنهم خدي. لأنه كيف أخاف من الموت أنا الذي أعلم تلاميذي ألاّ يخافوا من الموت من أجل الحق؟! فلو أحببت حياتي كيف أعلم بما لا أُمارسه؟! لهذا وهو الله أحب أن يحـتمل مـن الأيـدي البشرية حتى لا نخجل نحن إذا تألمنا من أجله مثل هذه الآلام من البشر...

في محاكمته صالحَ المتخاصمين

١٤. وإذ ربـط (يسوع)، أُرسل من قيافا إلى بيلاطس. هل كتب هذا أيضًا؟ نعم "إذ قيد اُقتيد كهدية إلى الملك باريم *Jarim* " (هو ١٠: ٦). لكن قد يعترض سامع حاذق فيقول: لـم يكـن بيلاطس ملكًا، (لكن نترك هذا الاعتراض إلى حين) فإنه **كيف اُقتيد كهدية لملك؟** يقـول الإنجـيل "فلمـا سـمع بيلاطس ذِكْر الجليل سأل: هل الرجل جليلي؟... أرسله إلى هيرودس (لو ٢٣: ٦) "لأن هيرودس كان ملكًا، وكان في أورشليم في ذلك الوقت.

لاحـظ دقة النبي: **لأنه يقول أرسل كهدية**. لقد "صار بيلاطس وهيرودس صديقين مع بعضهما البعض في ذلك اليوم، لأنهما كانا من قبل في عداوة بينهما" (لو ٢٣: ١٢).

نعم الذي صار صلحًا بين السمائيين والأرضيين صالح أيضًا المتخاصمين ضده، إذ كان الرب نفسه بينهما هذا "الذي يصالح قلوب رؤساء شعب الأرض" (راجع أي ٢: ٢٤).

لاحظ دقة الأنبياء وصدق شهادتهم.

على من تفغرون الفم؟

١٥. تطلع باهتمام إلى الرب وهو يحاكم، فقد سمح لنفسه أن يقوده الجنود. بيلاطس جلس في الحكم؛ والذي يجلس عن يمين الآب يقف ليُحاكم! الشعب الذي حرره من أرض مصر... يصرخ: "خذه أصلبه" (يو ١٩: ١٥). لماذا أيها اليهود؟ هل لأنه شفى عميانكم؟ أم لأنه جعل العرج منكم يمشون؟ ووهب البركات للآخرين؟! يدهش النبي فيقول: "على من تفغرون الفم وتدلعون اللسان؟" (إش ٥٧: ٤) ويقول الرب نفسه في الأنبياء: "صار لي ميراثي كأسد في الوعر. نطق عليّ بصوته. من أجل ذلك أبغضته" (إر ١٢: ٨). لم أرفضهم لكنهم رفضوني، لهذا أقول: "قد تركت بيتي" (إر ١٢: ٧).

صمته في المحاكمة

١٦. في أثناء محاكمته أعلن سلامه إلى حد قال فيه بيلاطس: "أما تسمع كم يشهدون عليك؟" (مت ٢٧: ١٣).

يقول المرنم: "وأكون مثل إنسان لا يسمع وليس في فمه حجة" (مز ١٠٩: ٢٥).

وأيضًا "كأصم لا يسمع وكأبكم لا يفتح فاه" (مز ٣٨: ١٣)...

سخرية الجنود به

١٧. لكن الجنود الذين تجمهروا حوله كانوا يسخرون به. **صار أضحوكة لهم.** "ينظرون إليّ، وينغضون رؤوسهم" (مز ٣٨: ١٤). كانت تظهر ملوكيته حتى في سخريتهم له حيث كانوا يركعون قدامه.

وقبل الصلب ألبسه الجنود ثوبًا من الأرجوان ووضعوا على رأسه إكليلاً. لماذا ألبسوه تاجًا ولو أنه من الشوك؟ لأن كل ملك يظهر مُلكه بواسطة جنوده. فيسوع كملك تُوِّج رمزيًا خلال الجنود. لهذا يقول الكتاب في نشيد الأناشيد: "أخرجن يا بنات أورشليم، وأنظرن الملك سليمان بالتاج الذي توجته به أمه" (نش ٣: ١١). وقد كان التاج سريًا إذ هو غفران الخطايا ومزيل اللعنة.

بالشوك أزال اللعنة

١٨. تلقى آدم هذا الحكم: "ملعونة الأرض بسببك. شوكًا وحسكًا تنبت لك" (تك ٣: ١٧، ١٨). لهذا السبب كان يليق بيسوع أن يقبل الشوك حتى يزيل هذا الحكم. ولهذا السبب دُفن يسوع في الأرض حتى تقبل الأرض التي لُعنت البركة عوض اللعنة.

في زمن الخطية ارتديا (آدم وحواء) أوراق التين، لهذا جعل يسوع شجرة التين آخر علاماته (قبل الصلب). فقبل آلامه لعن شجرة التين، ليس كل شجر التين، بل شجرة واحدة لكي تكون رمزًا. قال: "لا يأكل أحد منك ثمر بعد" (مر ١١: ١٤). وإذ كانا قبلاً قد سُترا بأوراق الشجرة، جاء يسوع في وقت لا تعطي فيه شجرة التين ثمرًا. من لا يعرف أن شجر التين لا يحمل ثمرًا في فصل الشتاء؟! هل كان يسوع جاهلاً بهذا الأمر الذي يعرفه الجميع؟! لا، لكن مع معرفته بذلك جاء كمن يبحث عن ثمر لهذه الشجرة، ليس جهلاً، ظانًا أنه يجد فيها ثمرًا، بل لكي يظهر اللعنة الظاهرية التي تلحق بالأوراق...

بين الفردوس والبستان

١٩. مادمنا قد لمسنا موضوعات تتعلق بالفردوس، فإنني أعجب من حقيقة المقارنات... في الفردوس كان السقوط، وفي البستان كان خلاصنا. من الشجرة جاء اثمنا، وإلى مجيء الشجرة انتهت آثامنا. في المساء إذ كان الرب يتمشى في الجنة اختبأ (آدم وحواء) (تك ٣: ٨)، وفي المساء قبل يسوع اللص في الفردوس...

الحيّة النحاسية كرمز للصليب

٢٠. هذا هو الرمز الأصلي، الحيّة التي رفعها موسى على صليب، لكي يشفي كل من لدغته حية، فبالنظر إلى الحيّة النحاسية يُشفى بالإيمان (عد ٢١: ٩؛ يو ٣: ١٤).

فهل الحيّة النحاسية تشفي بصلبها، وابن الله المتجسد المصلوب لا يُخلص؟!

على أي الأحوال كانت الحياة تأتي من وسائط خشبية، ففي زمان نوح كانت الحياة تُحفظ خلال فلك خشبي. وفي أيام موسى كان عبور البحر بواسطة عصا موسى الخشبية التي ضرب بها البحر.

هل لعصا موسى قوة وصليب المخلص بلا قوة؟!

بالخشبة في أيام موسى صار الماء حلوًا، أمّا مع يسوع فقد تدفقت على خشبة الصليب المياه "من جنبه".

الماء والدم

٢١. المـــاء والـــدم هما بداية الرموز عند موسى، وهما آخر علامة تركها يسوع. فأولاً حوّل موسى النهر إلى دمٍ، وآخر ما قدمه المسيح ماءً ودمًا من جبنه. وكأنهما يشيران إلـــى اثنين من المتحدثين: الذي حاكم (الرب) والذين صرخوا ضده، إذ هما رمزًا للمؤمنين وغيـــر المؤمنين، **بيلاطس غسل يديه بالماء** قائلاً: "إني بريء"، **والشعب صرخ "دمه علينا"** (مت ٢٧: ٢٤، ٢٥). لهذا تدفق الاثنان من جبنه.

ويمكننا أن نفهم هذا الأمر بصورة أخرى: الدم لليهود والماء للمسيحيين. لأن على هؤلاء الذين هم يُدانون من الدم (الذي سفكوه)، أما لك يا من تؤمن حديثًا فتنال الخلاص بالماء.

لـــم يحـــدث شـــيء بغير معنى، وقد أورد آباؤنا سببًا آخرًا لذلك. قالوا إنه حسب الإنجيل تتم نعمة المعمودية بطريقتين: أحدهما بالماء للاستنارة، والثانية للشهداء القديسين في الاضـــطهاد خـــلال ســـفك دمائهم. لهذا خرج من جنب المخلص دم وماء، حتى يؤكد نعمة الاعتراف بالمسيح، إما بالعماد أو الاستشهاد في أيام الاضطهاد.

يوجد معنى آخر وهو أن المرأة التي خرجت من جنب الرجل جلبت الخطية، لذلك طُعن المسيح في جنبه من أجل المرأة حتى يغفر الإثم، مانحًا الغفران للرجل والمرأة على السواء.

صلبه على الجلجثة

٢٢. مـــن يبحث يجد أسبابًا أخرى كثيرة لكنني أظن أن ما قلته فيه الكفاية من أجل ضيق الوقت، حتى لا يقلق السامعون. وإن كان لا يتعبنا قط الاستماع بخصوص تتويج الرب ونحن على هذه الجلجثة المقدسة للغاية. فإن غيرنا يسمعون فقط، أما نحن فنرى ونلمس.

لا يقلـــق أحد. احمل سلاحك[1] ضد الأعداء بالصليب ذاته. احمل الإيمان بالصليب كنصرة على المقاومين. فعندما تذهب لمجادلة غير المؤمنين بخصوص صليب المسيح، ارسم بيدك علامة صليب المسيح فيصمتون. لا تخجل من الاعتراف بالصليب. فالملائكة تمجده، إذ تقول: "نحن نعلم من تطلبان: يسوع المصلوب!" (مت ٢٨: ٥)

لماذا لم تقل أيها الملاك: "نحن نعلم من تطلبان: سيدنا!" لكن في شجاعة قلت: "نحن نعلم... يسوع المصلوب"، لأن الصليب تاج لا عار!

---

[1] السلاح هنا الصليب ذاته التي يقاومه اليهود.

لا تهرب من الصليب وقت الضيق!

٢٣. ...لا تعـرض عـنه وقت الاضطهاد. لا تفرح بالصليب وقت السلم فقط، بل تمسك بذات الإيمان وقت الاضطهاد أيضًا.

لا تكـن صـديقًا ليسوع وقت السلم، وعدوه وقت الحروب. إنك تتقبل منه غفران خطاياك وغنى مواهب الملك الروحية، فإذا جاء وقت الحرب حارب[1] بنبل من أجل ملكك.

يسوع الذي بلا خطية صُلب من أجلك، ألاّ تصلب من أجله!؟

ليس لك فضل في هذا، فقد سبق هو وابتدأ، إنما أنت ترد له الجميل، ترد له الدين الذي عليك، لأنه صلب من أجلك على الجلجثة.

"الجلجـثة" تترجم "موضع الجمجمة". إذ هكذا دُعيت بروح نبوية، لأن المسيح هو الـرأس **الحقيقـي** قد احتمل الصليب هناك. وكما يقول الرسول: "الذي هو صورة الله غير المـنظور" (كـو ١: ١٥، ١٨). وبعـد ذلك بقليل يقول: "وهو **رأس** جسد الكنيسة". وأيضًا "**رأس** كـل رجـل هو المسيح" (١ كو ١١: ٣). وأيضًا "الذي هو **فوق كل رياسة** وسلطان" (كو ٢: ١٠).

تألمت الرأس في "موضع الجمجمة". يا للظهور النبوي العجيب!

كـأن هذا المكان يذكرك قائلاً: لا تظن أن الذي صُلب هنا مجرد إنسان، لكنه رأس كل رياسة، رأسه الآب؛ لأن رأس الإنسان المسيح، ورأس المسيح الله (١ كو ١١: ٣).

الظلمة في الظهيرة

٢٤. إذن صـلب المسـيح من أجلك، إذ حُوكم في ليلة باردة، لهذا أُوقدت النيران (يـو ١٨: ١٨) صُـلب فـي الساعة الثالثة "ومن الساعة السادسة كان ظلام حتى التاسعة" (مت ٢٧: ٤٥). ومن الساعة التاسعة كان نور مرة أخرى.

هـل سبق أن كتبت هذه الأمور؟ تعال نسأل النبي زكريا إذ يقول "ويكون في ذلك اليوم أنه لا يكون نور... وأنه معروف للرب" (زك ١: ٦، ٧).

مـاذا؟ ألاّ يعرف الرب بقية الأيام أيضًا؟ نعم لكن الأيام كثيرة، لكن هذا يوم صبر الرب الذي صنعه... إنه "**لا نهار ولا ليل**" (زك ١٤: ٦، ٧).

---

[1] أي الحرب الروحية: احتمال الصليب والضيق والآم بشكر.

أي ظـــلام يقصده النبي؟ إنه ذلك اليوم الذي "لا نهار ولا ليل"، فبماذا نسمّيه إذن؟ يفسر لنا الإنجيل هذا حيث يروى لنا هذا الأمر. إنه لم يكن نهارًا، لأن الشمس لم تشرق فيه مـــن بدايته إلى وقت الغروب، بل انكسفت من السادسة حتى التاسعة، كان هناك عارض في منتصـــف النهار. لكن الرب دعا الظلام ليلاً (تك ١: ٥)، لهذا لم يكن نهارًا ولا ليلاً. لأنه لم يكـــن كلـــه نـــور حتى يُحسب نهارًا، ولا كله ظلامًا فيحسب ليلاً. لأنه بعد الساعة التاسعة ظهـــرت الشـــمس مـــرة أخرى. وهذا أيضًا ما سجله النبي لأنه بعدما قال "لا نهار ولا ليل" أضـــاف "بل يحدث أنه في وقت المساء يكون نور" ها أنت ترى دقة النبوة. إنك ترى حقيقة الأمور التي كتبت مقدمًا.

أُغيب الشمس في الظهر

٢٥. هـــل تسأل عن الساعة التي أظلمت فيها الشمس بالضبط؟ هل كان في الساعة الخامسة أم الثامنة أم العاشرة؟

قل أيها النبي لليهود غير الراغبين في الاستماع عن موعد غروب الشمس تمامًا!

يجـــيب عاموس قائلاً: "ويكون في ذلك اليوم، يقول السيد الرب، إني أُغيب الشمس في الظهر (إذ كانت الظلمة في السادسة) وأُقتم الأرض في يوم نور" (عا ٨: ٩).

أي فصـــل أو موســـم وأي يوم أيها النبي؟ يقول "وأحوّل أعيادكم نوحًا"، وقد تحقق ذلـــك في أيام الفطير وفي عيد الفصح. إنه يقول بعد ذلك: "وأجعلها كمناحة الوحيد، وآخرها يـــوم مـــر". وفعلاً تحقق هذا حين بكت نساء أورشليم، وكان ذلك في أيام الفطير وفي عيد الفصح، واختبأ التلاميذ أنفسهم وكانوا في مرّ. يا لها من نبوة عجيبة!

اقتسام ثيابه

٢٦. قـــد يقول آخر: أعطني علامة أخرى تحققت بدقة. يسوع صلب، ولم يكن له سوى لباس واحد. الثوب اقتسمه العسكر فيما بينهم إلى أربعة أجزاء، أما اللباس فلم يُقسم إذ كان يفقد نفعه لو اقتسم، فطرحوا قرعة علية كقطعة واحدة... يقول المزمور:"اقتسموا ثيابي وعلى لباسي ألقوا قرعة" (مز ٢٢: ١٨؛ يو ١٩:).

ألبسوه ثوبًا أرجوانيًا

٢٧. فـــي محاكمـــته أمـــام بـــيلاطس كـــان يرتدي ثوبًا أحمر، إذ ألبسوه ثوبًا من الأرجوان. هل كُتب هذا أيضًا؟ يقول إشعياء: "من ذا الآتي من آدوم بثياب حمر من بصره؟"

(أي من هو هذا الذي يلبس ثوبًا أرجوانيًا في عارٍ، لأن بصره *Bosor* في العبرية تحمل هذا المعنى) "ما بال لباسك حمر، وثيابك كدائس المعصرة؟!" (إش ٦٣: ١-٢) لكنه يجيب قائلاً: "بسطت يدي طول النهار إلى شعب متمرد سائر في طريق غير صالح" (إش ٦٥: ٢).

فاعل الخلاص في وسط الأرض

٢٨. لقـد بسط يديه على الصليب **حتى يعانق العالم أجمع**، إذ الجلجثة هي مركز العالم. هذا ليس من عندي بل يقول النبي: "فاعل الخلاص **في وسط الأرض**" (مز ٧٤: ١٢). بسط يديه البشريتين هذا الذي بيديه الروحيتين أوجد السماء. وسُمرتا بالمسامير، حاملاً آثام البشـر، حتـى إذ سمر في خشبة مات، فيموت الإثم لنقوم في برّ. "لأنه بإنسانٍ واحدٍ دخل المـوت، وهكـذا بإنسان واحد تكون الحياة" (رو ٥: ١٢، ١٧)، بإنسان واحد - المخلص - مـات بإرادتـه. لعلـك تذكـر ما قاله: "لي سلطان أن أضع نفسي ولي سلطان أن آخذها" (يو ١٠: ١٨).

أنا عطشان

٢٩. بالـرغم مـن احـتمال كل هذه الآلام إذ جاء لخلاص الجميع إلاّ أن الشعب (الـيهودي) جـازاه مجازاة شريرة. قال يسوع "أنا عطشان". هذا الذي أخرج لهم الماء من الصـخرة الصـماء، يطلـب ثمر كرمته التي زرعها، فماذا فعلت كرمته؟ هذه الكرمة التي بحسـب الطبـيعة هـي من الآباء القديسين، لكنها بحسب قلبها مثل سدوم. "لأن جفنة سدوم جفنـتهم، ومن كروم عمورة" (تث ٣٢: ٣٢). قدمت هذه الكرمة لسيدها إسفنجًا مغموسًا خل فوق قصبة. "ويجعلون في طعامي علقمًا، وفي عطشي يسقونني خلاً" (مز ٦٩: ٢١).

هـا أنـت ترى وضوح النبوة وصفاءها! لكن أي نوع من العلقم وضعوا في فمه؟ "أعطوه خمرًا ممزوجًا بمرّ" هذا المر طعمه كالعلقم شديد المرارة.

أبهـذا تجازي الرب أيتها الكرمة؟! أهذه تقدمتك له؟! بالحقيقة قال إشعياء في القديم مولـولاً علـيك: "كـان لحبيبـي كرم على أكمة خصبة. فنقبّه ونقّىّ حجارته وغرسه كرم سورق... فانتظر أن يصنع عنبًا (إذ عطش طالبًا عنبًا) فصنع شوكًا" (راجع إش ٥: ١-٢).

هـل رأيت الإكليل التي تزينت به؟! لكن ماذا أفعل؟ "سأوْصي السحب أن لا تمطر علـيه مطرًا" (راجع إش ٥٠: ٦). لأن السحب هي الأنبياء الذين نُزعوا من بينهم وصاروا للكنيسة...

صلبه بين لصين

٣٠. وفــيما يتعلق باللصين اللذين صُلبا مع يسوع، فقد كُتب عنهما: "**أحصيَ مع أثمه**" (إش ٢٣: ١٢). كلاهمــا كانا أثيمين، لكن أحدهما لم يظل هكذا، فواحد منهما بقي أثيمًا إلى الــنهاية رافضًا الخلاص. فبالرغم من أن يديه موثقتان فقد أطلق لسانه بالتجديف. فكانا يسبه مــع الــيهود الذين كانوا يعبرون ويهزون رؤوسهم ساخرين بالمصلوب، محققين المكتوب: "ينظرون إليّ، وينغضون رؤوسهم" (مز ١٠٩: ٢٥).

انتهره الثاني مؤنبًا إياه. وبهذا ختم حياته الأثيمة وبدأ حياة الإصلاح.

كانــت نفسه أول من اشتركت في الخلاص، إذ بعدما وبخ رفيقه التفت إلى يسوع وقال "اذكرني يا رب" لأكون معك. لا تبالِ يا رب بعيني فهم هذا الإنسان إذ هي عمياء، لكن اذكرني. لست أقول اذكر أعمالي، لأنني من جهتها أنا خائف. لكن كما أن لكل إنسان مشاعر تجــاه رفــيق سفره، هكذا مسافر معك نحو الموت، **اذكرنــي يا رفيق سفري**. إنني لا أقول اذكرني الآن، بل "إذا جئتَ في ملكوتك".

أيّة قوة قادتك إلى النور أيها اللص؟

٣١. من علمك أن تمجد رفيقك المصلوب معك؟ النور الأبدي الذي يضيء لمن هم في الظلمة!

ســمع اللص هذه الكلمات: "تهلل". ليست أعمالك حسنة، لكن هنا يوجد ملك يوزع هبات. سؤالك جاء في وقته. النعمة معك تلحقك سريعًا جدًا. "الحق أقول لك: اليوم تكون معي في الفردوس". "لأنك اليوم سمعت صوتي، ولم تقسِ قلبك" (مز ٩٥: ٧-٨). فبسرعة أنا حكمت علــى آدم، وبسرعة عفوت عنك. فاليوم يكون خلاصك. آدم بالشجرة سقط، وأنت بالشجرة دخلت الفردوس. لا تخف من الحية، فإنها لن تطردك إذ سقطت من السماء (لو ١٠: ٨).

إنني لم أقل لك اليوم ترحل، بل قلت "**اليوم تكون معي**". تشجع فلن تُطرد خارجًا.

لا تخف من السيف المسلول لحراسة الجنة (تك ٣: ٢٤).

يا لقدرة عطيتك غير الموصوفة يا رب! إبراهيم المؤمن لم يدخل بعد واللص دخل!

موسى والأنبياء لم يدخلوا بعد واللص كاسر الناموس دخل!

بــولس أيضًا يتعجب من جهتك، فيقول: "حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جدًا" (رو ٥: ٢٠).

الذين احتملوا حر النهار لم يدخلوا، وصاحب الساعة الحادية عشر دخل! لا يتذمر أحدكم على رب البيت الصالح، فإنه يقول: "يا صاحب ما ظلمتك، أو ما يحل لي أن أفعل ما أريـد بمالي؟!" (مت ٢٠: ١٢) كان للّص إرادة لعمل البرّ، لكن الموت منعه، فلا أنتظر منه عملاً (إذ مات) إنما أقبل أيضًا إيمانه.

إنني جئت كراعٍ بين السوسن (نش ٦: ٣). جئت لأطعمهم في الحدائق. لقد وجدت الخـروف الضـال (لو ١٥: ٥، ٦). وأنا أضعه على منكبي، لأنه يؤمن. لهذا قيل: "ضللت كمـثل شـاةٍ ضالة. أُطلب عبدك لأنني لم أنس وصاياك" (مز ١١٩: ١٧٦). نعم "اذكرني يا رب إذا جئت في ملكوتك" (لو ٢٣: ٤٢).

الدخول إلى الأقداس بدم يسوع

٣٢. في هذا الفردوس غنيت لعروسي في نشيد الأناشيد: "قد دخلت جنتي يا أختي العروس" (إش ٥: ١)، (فقد كان مكان الصلب بستانًا) (يو ١٩: ٤١).

مـاذا أخـذت مـن هناك؟ "قطفت مري مع طيبي"، إذ شرب المر مع الخل، وبعد ذلـك قـال: "قـد أُكمـل". لأن السرّ تم، والمكتوب تحقق، والآثام غُفرت. لأن المسيح وهو قـد جـاء رئـيس كهـنة للخيرات العتيدة. فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد. أي الـذي لـيس مـن هـذه الخلـيقة، وليس بدم تيوس وعجول، ولكن بدم نفسه دخل مرة واحـدة إلـى الأقـداس، فـوجد فـداءًا أبديًا: لأنه إن كان بدم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشـوش علـى المنجسـين يقـدس إلى طهارة الجسد، فكم بالأحرى يكون دم المسيح؟!" (عب ٩: ١١-١٤)

وأيضًـا فإذ لنا أيها الإخوة "ثقة في الدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طريقًا كرسه لنا حديـثا حـيًا بالحجـاب أي جسده" (عب ١٠: ١٩، ٢٠). ولأن جسده - هذا الحجاب - غير ممجـد، لـذلك شق حجاب الهيكل كما هو مكتوب: "وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فـوق إلـى أسفل" (مت ٢٧: ٥١)، ولم يترك فيه شيء. لأن يسوع قال: "هوذا يترك بيتكم خرابًا" (مت ٢٣: ٣٨). لقد خرب البيت كله!

عاملاً الصلح بدم صليبه

٣٣. احـتمل المخلـص هذا كله، "عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما على الأرض أم في السماوات" (كو ١: ٢٠). لأننا كنا أعداء الله خلال الخطية وحكم الله على

الخاطـئ هـو المـوت. لهذا كان لابد من تحقيق أحد أمرين: إما أن الله في عدله يبيد كل البشرية، أو في محبته المترفقة يزيل الحكم!

أنظـر حكمـة الله، فقـد حفـظ الحكـم، وفي نفس الوقت حقق محبته! لقد حمل المسـيح آثامنا في جسده على الخشبة لكي "نموت عن الخطايا فنحيا للبرّ" (١ بط ٢: ٢٤). إنـه لـم يكـن بالهـيّن ذاك الذي مات عنا، فليس هو مجرد حمل حرفي ولا إنسان عادي، بـل أعظـم مـن مـلاك، أنه الإله المتأنس، لم تكن خطايا البشر أعظم من برّ الذي مات بسببها.

لم تكن هذه الآثام كثيرة بالنسبة لبرّ من بإرادته وضع نفسه وبإرادته أخذها.

لقد صرخ إلى الآب: "في يدك استودع روحي"، استودعها لكي أخذها مرة أخرى. وإذ قال هذا أسلم الروح، لكن ليس لزمانٍ طويلٍ، إذ سرعان ما قام من الأموات.

الظروف التي صاحبت الصلب

٣٤. لقـد **أظلمـت الشـمس** (لـو ٢٣: ٤٥) من أجل "شمس البرّ" (مل ٤: ٢٢). **والصخور تشققت** من أجل الصخرة الروحية (١ كو ١٠: ٤). **القبور تفتحت والموتى قاموا** بسبب هذا الذي هو "حر بين الأموات" (مز ٨٨: ٥). إذ حرر أسراه من الحفرة التي بلا ماء (زك ٩: ١١).

تشـجع ولا تخجـل من الصليب، بل بشجاعة قل: "أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمّلها وبحُبـره شفينا" (إش ٥٣: ٤، ٥). لا نكن جاحدي المعروف، إذ هو "ضُرِب، من أجل ذنب شـعبي، وجعل مع الأشرار قبره، ومع غنى عند موته" (إش ٥٣: ٨، ٩). لهذا يقول بولس بوضـوح "المسـيح مات لأجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دفن وقام في اليوم الثالث حسب الكتب" (١ كو ١٥: ٣، ٤).

دفن المسيح

٣٥. لنـبحث حتـى نعرف بتدقيق أين دُفن؟ وهل صُنعت مقبرته بأيادٍ؟ وهل هي مُقامه فوق الأرض مثل مقابر الملوك أم منحوتة بحجارة؟ وماذا وضع عليها؟

أخبرونا بالحقيقة أيها الأنبياء فيما يتعلق بمقبرته! أين وضع؟ وأين نبحث عنه؟ إنهم يقولـون "انظروا إلى الصخر الذي منه قطعتم" (إش ٥١: ١). وفي الأناجيل قيل: "ووضعوه في قبره الجديد الذي كان قد نحته في الصخر" (مت ٢٧: ٦٠)...

أيضًـا يقـول النبي "قرضوا في الجب حياتي" (راجع مرا ٣: ٥٣؛ إر ٣٧: ١٦). وألقـوا علـيّ حجارة. أنا حجر الزاوية المختار الكريم (١ بط ٢: ٦-١٠) أوضع في حجر إلـى حين. أنا هو حجر العثرة لليهود وحجر خلاص للمؤمنين. لقد زُرعت أنا شجرة الحياة (تك ٢: ٩، ٣: ٢٢) في الأرض، حتى تتمتع الأرض التي لُعنت بالبركة، وينطلق أمواتها.

رشم علامة الصليب

٣٦. إذن ليتنا لا نخجل بالاعتراف بالمصلوب.

لنرسم علامة الصليب ختمنا بشجاعة، بأصابعنا على جباهنا وعلى كل شيء: على الخبـز الـذي نأكله وعلى الكأس التي نشربها، في دخولنا وفي خروجنا، قبل النوم وعندما نركض وعندما نستيقظ، في الطريق وحيثما حللنا.

عظيم هو هذا الفعّال. هو مجانًا من أجل الفقراء، يتم بغير عناء من أجل المرضى. إنـه علامـة المؤمنـين، ورعب الشياطين، إذ غلبهم ظافرا بهم جهارًا (كو ٢: ١٥). لأنهم إذ يـرون الصـليب يتذكـرون المصـلوب، فيرتعبون من ذاك الذي كسر رؤوس التنانين (مز ٧٤: ١٣).

لا تحتقر الختم من أجل مجانية العطية، بل بالأحرى كرموا صاحب الفضل[1]...

إن قـال أحد أما الصليب فاعرض عنه. اترك القائلين إن المسيح صلب خيالاً فقط. لأنـه لو كان الأمر هكذا، لكان الخلاص الذي هو من الصليب أيضًا خيالاً. لو كان الصلب خيالاً، لكانت القيامة هكذا، وإن كان المسيح لم يقم فنحن بعد تحت خطايانا (١ كو ١٥: ٧).

إن كان الصليب خيالاً، يكون الصعود خيالاً... فهل مجيئه الثاني أيضًا خيالٌ وبهذا يصير كل شيء غير قائم؟!

٣٨. إذن خذ الصليب كأساس متين يُبنى عليه كل بقية بنود الإيمان.

لا تنكر المصلوب، لأنك إن أنكرته فإن أمورًا كثيرة توبخك[2]...

---

[1] تحدث عن الرد على اليهود من الأنبياء واليونانيين من كتاباتهم.

[2] ذكـر أحداث الصلب كلها من خيانة يهوذا... كشاهد على حقيقة الصلب. في البند ٣٩ ذكر النجوم وكسوف الشمس والمـر والقصبة والإسفنجة والمر والجنود والنسوة والحربة وحجاب الهيكل المنشق والتلاميذ... كل هذه تشهد ضد منكري حقيقة صلب المسيح...

عمل الصليب

٤٠. لـــديك الإثـــنا عشـــر رسولاً شهود للصليب، وكل الأرض وعالم البشر الذين يؤمـــنون بالمصلوب عليه. ليقنعك وجودك نفسه هنا الآن بقوة الصليب. لأنه من الذي قادك إلى هذا الاجتماع؟ أي جنود؟ أية سلاسل ألزمتك؟ أي حكم من أحكام القضاء قادتك إلى هنا؟ إنه بالحري شعار حضرة الخلاص، أي صليب يسوع، الذي جمعكم كلكم هنا. هو الذي قهر الفـــرس ولجَّـــم السكِّيثيين، ووهب المصريين معرفة الله عوض القطط والكلاب، وأضاليلهم العديدة. إنه إلى اليوم يشفي الأمراض، ويطرد الشياطين ويفسد مفعول السموم والسحر.

راية الصليب

٤١. ستظهر (هذه العلامة) في السماء مع يسوع (مت ٢٤: ٣٠)، لأن الراية تسير دائمًـــا قـــدام الملـــك. فيندم اليهود ويحزنون عندما ينظرون إلى الذي طعنوه (يو ١٩: ٣٧؛ زك ١٢: ١٠؛ رؤ ١: ٧)... ســـيندمون ويـــنوحون ولكن لا مجال للتوبة، أما نحن فسنتمجد ونفتخر بالصليب ونسجد للرب الذي جاء وصُلب لأجلنا، ونسجد أيضًا لله أبيه الذي أرسله مع الروح القدس، الذي له المجد إلى أبد الأبد. آمين.

المقال الرابع عشر[1]

وقام من الأموات

في اليوم الثالث وصعد إلى السماوات وجلس عن يمين الآب

"وأعرفكم أيها الاخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به...

وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب".

(اكو ١٥: ١-٤)

ليمتلئ فمنا فرحًا وتهليلاً به

١. افرحي يا أورشليم. اصنعوا عيدًا عظيمًا يا جميع محبي يسوع لأنه قام.

افـرحوا يـا من نُحتم من قبل، حين رأيتم جسارة اليهود وشرّهم، لأنه قد قام ذاك الذي حنقوا عليه.

وإذ كـان المقـال عن الصليب محزنًا، فليفرح السامعون بأخبار القيامة المبهجة. ليـتحول الحـزن إلى فرحٍ، والنوح إلى سرورٍ، وليمتلئ فمنا فرحًا وتهليلاً به، إذ قال بعد قيامته "افرحوا"[2].

وإذ أعلم حزن أصدقاء المسيح في هذه الأيام الماضية، إذ توقف مقالنا (السابق) عند صلبه ودفنه دون أن نذكر أخبار القيامة السارة، لهذا تعلقت أذهانكم لكي تسمعوا ما تشتاقون إليه. الآن قد قام الميت الذي كان **"حرًا بين الأموات"** وهو مخلص الأموات. ذاك الذي أُهين محتملاً بصبر إكليل الشوك. لقد قام مُتوّجًا بإكليل النصرة على الموت.

شهادة الكتاب المقدس عن قيامته

٢. وكمـا تحدثـنا قـبلاً عن الشهادات الخاصة بصليبه، فلنتحقق الآن من الأدلة الخاصـة بقيامته، مادام الرسول سبق فأكد: **"أنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب"** (١ كو ١٥: ٤). فإذ يرجعنا الرسول إلى شهادات الكتب، جيد لنا أن نعرف كل شيء يخص رجـاء خلاصنا، وأن نتعلم أولاً ما تخبرنا عنه الأسفار المقدسة بخصوص قيامته، إن كانت

---

[1] المقالات ١٤، ١٥، ١٦ ترجمة الدكتور شوكت شفيق.

[2] مت ٢٨: ٩ "سلام لكم" التحية المعتادة باليونانية "*Xaipete*" أي افرحوا.

في الصيف أو الخريف أو بعد الشتاء، وفي أي موضع قام المخلص، وما أعلنه الأنبياء العجيبون بخصـــوص اسم مكان قيامته، وعن فرحة النسوة اللواتي بحثن عنه ولم يجدنه، وحين وجدنه تهللن، حتى إذ ما قرأنا البشائر لا نأخذ هذه القصص على أنها تلفيقات أو مجرد حكايات.

بخصوص دفن المخلص

٣. فبخصـــوص دفـــن المخلص، سمعتم في المقال السابق بوضوح ما قاله إشعياء "دفـــنه فـــي ســـلام"[١]. إذ في دفنه صنع سلامًا بين السمائيين والأرضيين، مقدمًا الخطاة في حضرة الله، و"من وجه الشر يُضم الصديق" (إش ٥٧: ١)...

جـــاءت أيضًا نبوة يعقوب في الكتاب المقدس تقول "جثا وربض كأسد وكلبؤة، من ينهضـــه؟!" (تك ٤٩: ٩) وجاء أيضًا في سفر العدد نفس القول: "جثم كأسد ربض كلبؤة من يقـيمه؟!" (عـــد ٢٤: ٩) وأيضًـــا المزمور الذي تسمعونه كثيرًا يقول: "وإلى تراب الموت تضـــعني" (مز ٢٢: ١٥). وقد درسنا هذا الموضوع بالأكثر حين اقتبسنا القول "انظروا إلى الصخر الذي منه قُطعتم" (إش ٥١: ١).

أما الآن فلنحمل في طريقنا البراهين الخاصة بالقيامة.

البراهين الخاصة بالقيامة

٤. أولاً يقول **المزمور الحادي عشر**: "من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين الآن أقوم يقول الرب" (مز ١٢: ٥). لكن هذه العبارة لا زال يشك البعض في تفسيرها إذ غالبًا ما يقوم الرب أيضًا في الغضب لينتقم من أعدائه[٢].

تعالـــوا إذن إلـــى **المزمور الخامس عشر** الذي يقول: "احفظني يا الله، لأني عليك تـــوكلت" (مز ١٥). وبعد هذا يقول "لا أجمع مجامعهم من الدماء، ولا أذكر أسماءهم بشفتيّ" إذ رفضـــوني طالبين قيصر ملكًا لهم". وأيضًا ما جاء بعد ذلك: "تقدمت فرأيت الرب أمامي فـــي كل حين، لأنه عن يميني كي لا أتزعزع"، وما جاء: "وأيضًا إلى الليل أدبتني كليتاي". عندئذ يتكلم بوضوح جدًا **"لأنك لا تترك نفسي في الجحيم، ولا تدع قدوسك يرى فسادًا"**. إنه لم يقل "لا تدع قدوسك يرى موتًا"، وإلا ما كان قد مات، لكنه يقول: "فسادًا" أي لا يرى فسادًا

---

[١] إش ٥٧: ٤. الترجمة البيروتية "يدخل السلام".

[٢] مز ٧: ٦ "قم يا رب بغضبك".

ولا يبقى في الموت. ثم يكمّل "قد عرّفتني سُبل الحياة"... تأملوا أنه يكرز بوضوح عن الحياة بعد الموت!

تعالوا معي أيضًا إلى **المزمور التاسع والعشرين**: "أعظمك يا رب، لأنك احتضنتني ولـم تشـمت بي أعدائي" (مز ٢٩). ما الذي حدث هل أُنقذت من أعداء أم نجوت مما كنت تضـرب به؟ لقد أعلن بوضوح: **"يا رب أصعدت من الجحيم نفسي"**. (في المزمور السابق) يـنطق متنـبأ: "لا تتـرك نفسـي في الجحيم"، أما هنا فيتحدث عما يتم كأنه قد حدث فعلاً "أصـعدت... خلصـتني من الهابطين في الجب". متى حدث هذا؟ "في العشاء يحل البكاء، وبالغداة السرور"، لأنه في المساء حزن التلاميذ، وفي الصباح فرحوا بالقيامة.

أتريد أيضًا أن تعرف المكان؟

٥. يعـود فيقول في نشيد الأناشيد "نزلت إلى جنة الجوز" (نش ٦: ١١)، إذ صُلب السيد في البستان (يو ١٩: ٤١). فإنه وإن كان الموضع الآن مزينًا بالهبات الملكية، لكنه كان قبلاً بستانًا، ولا تزال العلامات والآثار قائمة.

إنه "جنة مغلقة، وينبوع مختوم" (نش ٤: ١٢). هؤلاء الذين قالوا: "تذكّرنا أن ذلك المضـل قـال وهـو حيّ إني بعد ثلاثة أيام أقوم، فمرْ أن يُضبط القبر" وعلى هذا "مضوا وضـبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر" (مت ٢٧: ٦٣، ٦٥). ويخبر واحد عن هذا بدقة قائلاً: "وفي النهاية تدينهم"[1]. من هو هذا الينبوع المختوم الذي يعني "ينبوع الماء الحيّ"؟! إنه المخلص نفسه الذي قيل عنه: "لأن ينبوع الحياة عندك" (مز ٣٦: ٩).

شهادة صفنيا عن القيامة

٦. ولكـن مـاذا يقول صفنيا في شخص المسيح للتلاميذ؟ "تهيأوا، **استيقظوا عند الفجـر**. كل بقاياهم محطمة"[2]. إنه لم يبقَ لليهود عنقود واحد ولا تُرك لهم بقايا للخلاص، إذ قُطعت كرمتهم.

انظر كيف يقول للتلاميذ "تهيأوا، استيقظوا عند الفجر"، في الفجر انتظروا القيامة.

---

[1] أي ١٨: ٧ التـرجمة السـبعينية أما البيروتية فهي "وكل لحظة تمتحنه" وقد ترجمت الترجمة السبعينية كلمة "*Wink*" أنها "في النهاية" وليس "لحظة" .

[2] صف ٣: ٧ الترجمة السبعينية "بكروا وافسدوا جميع أعمالهم".

يقـول أيضـًا فـي نفـس السفر: "**لذلك فانتظروني يقول الرب إلى يوم أقوم في الشـهادة**"[1]. هـا أنت ترى أن النبي سبق فرأى مكان القيامة أيضًا، فدعاه "الشهادة". لأن ما السـبب في أن مكان الجلجثة والقيامة لم يدعَ كنيسة كباقي الكنائس بل بـ "الشهادة" إلاّ لأن النبي قال: "إلى يوم أقوم في الشهادة؟!"[2]

صفنيا يقدم علامة عن القيامة

٧. من هو هذا إذن؟ وما هي علامة الذي يقوم؟

يقول النبي بوضوح فيما بعد: "لأني حينئذ أقدم للشعوب لغة"[3]. إذ بعد القيامة أُرسل الـروح القـدس، وأعطيت موهبة الألسن "ليعبدوه بكتف (نير) واحد". لذلك تنبأ النبي نفسه قائلاً: "ليعبدوه بكتفٍ واحد، ومن عبر أنهار كوش يقدمون تقدمتي" (صف ٣: ١٠).

إنكم تعلمون ما جاء في سفر الأعمال حينما جاء الخصي الحبشي عبر أنهار أثيوبيا "كوش".

فـإذ تُخبـركم الكـتب عن وقت قيامته وطبيعة مكانها والعلامة التي تبعتها فليتقوَ إيمانكم في القيامة، ولا يزحزحكم أحد عن الاعتراف بأن "المسيح قام من بين الأموات".

صرت حرًا بين الأموات

٨. خـذوا لكـم شهادة أخرى، **المزمور السابع والثمانين**[4]، حيث يتكلم المسيح في الأنبـياء (هذا الذي بعدما تكلم هكذا حلّ بيننا)، "يا رب إلهي بالنهار والليل صرخت أمامك". ثم أكمل بعد قليل: "صرت مثل إنسان ليس له معين، صرت حرًا بين الأموات".

لـم يقل "صرت إنسانًا ليس له معين"، بل قال: "صرت مثل إنسانٍ ليس له معين". لأنه بالحق لم يُصلب عن ضعف بل صلب بإرادته، وما كان موته عن ضعف لا إرادي.

"حسـبت مـثل الهابطين في الجب". وما هي العلامة؟ "أبعدت عني معارفي". ثم يتحدث بعد قليل قائلاً: "صرخت إليك يا رب. بالغداة أقف أمامك". انظروا كيف يتحدث بدقة عن الوقت وعن الآلام القاسية وعن القيامة!

---

[1] صف ٣: ٨ كلمة الشهادة تشبه كلمة "السلب" في العبرية.

[2] قبل إلقاء هذه المقالات بعشرة سنوات تحدث يوسابيوس عن اكتشاف القبر المقدس (حياة قسطنطين ٣: ٢٨)، فدعاه "شهادة قيامة المخلص أعلى من أي صوت آخر".

[3] صف ٣: ٩ الترجمة السبعينية: "لأني حينئذ أحوال الشعوب إلى شفة نقية".

[4] الطبعة البيروتية مز ٨٨.

تحديد مكان القيامة (كهف الصخرة)

٩. ومن أين قام المخلص؟ يقول في **نشيد الأناشيد** "قم يا قريبي وتعال"[1]، وبعد ذلك "في كهف الصخرة"[2]. إنه يدعو ذلك الكهف الذي كان قبلاً أمام باب قبر المخلص وقد نُحت في الصخرة نفسها، كما كانت العادة هنا قبلاً...

ولكن أين هي الصخرة التي كان فيها الكهف؟ هل هي في وسط المدينة أم ملحقة بالأسوار والحدود؟! هل هي بداخل الأسوار القديمة، أم داخل الأسوار الخارجية التي بنيت فيما بعد؟! يقول في النشيد "في كهف الصخرة قريبًا من السور الخارجي"[3].

تحديد فصل السنة

١٠. في أي فصل قام المسيح؟ هل في فصل الصيف أم في فصل آخر؟! جاء في نشيد الأناشيد قبل الكلمات السابق اقتباسها "لأن الشتاء قد مضى، والمطر مرّ وزال، الزهور ظهرت في الأرض، بلغ أوان القضب" (نش ٢: ١١، ١٢). أليست الأرض ملآنة بالزهور الآن؟ أما تُحصد الكروم الآن؟ ألا ترون أن الشتاء قد مضى لأنه متى حل شهر نيسان *Xanthicus*[4] حيث يكون الربيع. هذا هو الفصل أو الشهر الأول عند العبرانيين الذي فيه تم العبور كرمز للعبور الحقيقي...

في هذا الفصل قال الله: "نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (تك ١: ٢٦)، فأخذ الإنسان الصورة، وبالعصيان أفسد الشبه. وفي ذات الفصل استرد الإنسان الشبه ثانية.

في نفس الموسم الذي فيه طُرد الإنسان المخلوق من الفردوس بسبب عصيانه، رجع إليه الإنسان المؤمن خلال طاعته. فخلاصنا حدث في نفس الوقت الذي فيه كان سقوطنا، إن "الزهور ظهرت وبلغ أوان القضب".

تحديد مكان القيامة (في البستان)

١١. في بستان كان دفنه، حيث زُرعت هناك كرمة، إذ قال عن نفسه: "أنا هو الكرمة" (يو ١٥: ١). لقد زُرع في الأرض لكي يقتلع اللعنة التي حلّت بسبب آدم، حيث

---

[1] نش ٢: ١٠ "قومي يا حبيبتي يا جميلتي وتعالي".

[2] نش ٢: ١٤ "في محاجئ الصخر".

[3] نش ٢: ١٤ "في محاجئ الصخر في ستر العاقل".

[4] الشهر السادس من التقويم المكدوني ويقابل نيسان تقريبًا في التقويم اليهودي.

سُـلِّمت الأرض للشـوك والحسـك. لقد طلعت الكرمة من الأرض، ليتم القول: "الحق من الأرض أشرقن والعدل من السماء اطلع" (مز ٨٤: ١٠).

وماذا يقول ذاك المدفون في البستان؟ "قطفتُ مرّي مع طيبي" (نش ٥: ١). وأيضًا "مـرٌ وعـود مـع كل أنفس الأطياب" (نش ٤: ١٤). وهذه هي علامات للدفن، إذ جاء في الأناجـيل "أتـين (النسوة) إلى القبر حاملاً الحنوط الذي أعددنه" (لو ٢٤: ١). "وأحضر نـيقوديموس أيضًـا خليطًا من مرّ وعود" (يو ١٩: ٣٩)، ومكتوب أيضًا: "أكلت خبزي مع عسلي"[1]. إذ أكل المر قبل الصليب والعسل بعد القيامة.

بعـد القـيامة دخـل والأبواب مغلقة، وإذ لم يصدقوا أنه هو إذ ظنوا أنهم رأوا روحًا (لـو ٢٤: ٣٧)، قـال لهم "جسّوني وانظروا" (لو ٢٤: ٣٩). ضعوا إصبعكم في آثار المسامير كطلـب توما "وبينما هم غير مصدقين من الفرح متعجبون، قال لهم: "أعندكم ههنا طعام؟! فناولوه جزء من سمك مشوي وشيئًا من **شهد عسل** فأخذ وأكل قدامهم" (لو ٢٤:٤١، ٤٢).

انظروا كيف تحقق القول "أكلت خبزي مع عسلي"!

بحث مريم عن القائم من الأموات

١٢. لكـن قـبل أن يدخل والأبواب مغلقة، بحثت النسوة النبيلات الشجاعات عن عريس النفوس وطبيبها. لقد أتت هؤلاء المباركات إلى القبر، وبحثن عن الذي قام ودموعهن تسيل من أعينهن مع أنه كان يجب عليهن بالأولى أن يرقصن فرحًا من أجل الذي قام.

بحسـب ما جاء في الإنجيل جاءت مريم تحدثه فلم تجده. لقد سمعت الملائكة أولاً وبعـد ذلـك رأت المسيح... هل هذه الأمور سبق أن كُتب عنها؟ يقول نشيد الأناشيد "على فراشـي طلبت من تحبه نفسي". في أي وقت؟ "في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي" (نش ٣: ١). وقد قيل: "جاءت مريم والظلام باقٍ" (يو ١٠: ١)، "في الليل على فراشي طلبت مـن تحبه نفسي، طلبته فما وجدته". وفي الأناجيل تقول مريم "أخذوا سيدي ولست أعلم أين وضعوه؟!" (يو ٢٠: ١٣)

وإذ كـان الملائكـان موجودان لمعالجة نقصها في المعرفة، قالا لها "لماذا تطلبين الحيّ بين الأموات؟!" (لو ٢٤: ٥) إنه ليس فقط قام بل وأقام معه موتى (مت ٢٧: ٥٢). أما هـي فلـم تفهم ذلك. ويقول سفر نشيد الأناشيد في شخصها متحدثة مع الملائكة: "**أرأيتم من**

---

[1] نش ٥: ١ "أكلت شهدي مع عسلي".

تحبه نفسي؟! فما جاوزتهم إلاّ قليلاً حتى وجدت من تحبه نفسي، فأمسكته ولم أُرخِه" (نش ٣: ٣، ٤).

فرح النسوة بالقائم من الأموات

١٣. بعد رؤية الملائكة جاء يسوع كوعد ملاكه، وتقول الأناجيل: "إذا يسوع لاقاهما، وقال: سلام لكما، فتقدمتا وأمسكتا بقدميه" (مت ٢٨: ٩). أمسكتا به حتى يتم القول: "فأمسكته ولم أُرخه". فمع أن المرأة كانت ضعيفة حسب الجسد، لكن روحها كانت مملوءة رجولة. "مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة، والسيول لا تغمرها" (نش ٨: ٧). لقد كانت تبحث عن من كان ميتًا، لكن رجاء القيامة لم ينطفئ.

يقول لهن الملاك ثانية: "لا تخفن أنتن"، لكنني لا أقول للجنود "لا تخافوا" بل لكُن لا تخفن. فهم يليق بهم أن يخافوا، فيتعلموا مختبرين شاهدين قائلين: "بالحقيقة كان هذا ابن الله" (مت ٢٧: ٥٤). أما أنتن فلا تخفن "لأن المحبة الكاملة تطرد الخوف إلى خارج" (١ يو ٤: ١٨).

"اذهبا سريعًا قولا لتلاميذه أنه قد قام... فخرجتا... بخوف وفرح عظيم" (مت ٢٨: ٧). هل هذا أيضًا مكتوب؟ نعم فإن **المزمور الثاني** الذي يتكلم عن آلام المسيح يقول "اعبدوا الرب بخشية، وهللوا (افرحوا) له برعدة" (مز ٢: ٧). افرحوا للإله القائم، لكن برعدة من أجل الزلزلة والملاك الذي ظهر مضيئًا!

عرف الأنبياء ضعف إيمان رؤساء الكهنة

١٤. ومع أن رؤساء الكهنة والفريسيين ختموا القبر عن طريق بيلاطس، لكن النسوة تطلعن إلى ذاك الذي يقوم. وقد عرف إشعياء ضعف إيمان رؤساء الكهنة وقوة إيمان النسوة، فقال: "أيتها النسوة الآتيات، انظرن هنا لأن ليس شعبًا ذا فهم"[1]. هوذا رؤساء الكهنة يحتاجون إلى الفهم، بينما صارت النسوة شاهدات عيان.

وعندما أتى الجنود إلى المدينة وأخبروهم بكل ما حدث، قالوا لهم: "قولوا أنتم إن تلاميذه جاءوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام" (مت ٢٨: ١٣). هل سبق إشعياء فتنبأ عن هذا؟ إنه يقول "أخبرونا وانسبوا لنا خديعة أخرى"[2].

---

[1] إش ٢٧: ١١ "فتأتي النسوة وتوقدها. لأنه ليس شعبًا ذا فهم".

[2] إش ٣٠: ١٠ "كلمونا بالناعمات، انظروا مخادعات".

الـــذي قـــام من الأموات مرتفع، لكن بالنقود خدعوهم. إنما لا يقدرون أن يخدعوا ملوك أيامنا هذه. لقد باع الجنود الحق بالفضة، لكن ملوكنا الصالحين بنوا كنيسة قيامة الرب ومخلصـــنا المقدسة مرصعة بالفضة والذهب، هذه التي نجتمع نحن فيها، وقد تزينت بكنوز الفضة والذهب والأحجار الكريمة.

"وإذا سُمع ذلك عند الوالي فنحن نستعطفه" (مت ٢٨: ١٤). حقًا لقد أقنعتم الجنود، لكـــنكم لن تقنعوا العالم، لأنه لماذا لم يُحاكم الحراس الذين حرسوا يسوع المسيح، بينما دين حراس بطرس حين هرب من السجن؟ حراس بطرس عاقبهم هيرودس لجهلهم، إذ ليس لهم مـــا يدافعـــون به، أما حراس القبر الذين رأوا الحقيقة وأخفوها بالمال، فقد احتموا برؤساء الكهـــنة. ومـــع أن قليلاً من اليهود اقتنعوا بذلك، لكن العالم كله أطاع (الحق). الذين أخفوا الحقـــيقة اختفوا، أما الذين قبلوها فقد ظهروا بقوة المخلص الذي قام من الأموات، بل وأقام الموتـــى بنفســـه. هؤلاء الذين يقول على لسانهم هوشع النبي: "يُحيينا بعد يومين، في اليوم الثالث يقيمنا فنحيا أمامه" (هو ٦: ٢).

كيف ينكر اليهود العصاة قيامة مخلصنا؟!

١٥. لكن مادام اليهود العصاة لا يقتنعون بالأسفار المقدسة، بل ينسون كل المكتوب وينكـــرون قـــيامة يسوع، فجيد أن نسألهم هكذا: على أي أساس تقولون إن إليشع وإيليا أقاما موتى، بينما تنكرون قيامة مخلصنا؟! أليس لدينا شهادات حيّة من هذا الجيل لما نقول؟ حسنًا وأنتم تقدمون شهادة التاريخ عن ذلك الوقت.

إن كـــان مكـــتوبًا عمّا تقولونه فإنه مكتوب أيضًا عن هذا (قيامة المخلص)، فلماذا تقـــبلون شـــهادة دون الأخـــرى؟ إن الـــذين كتـــبوا التاريخ هم عِبرانيون، والرسل جميعهم عبرانيون، فلماذا لا تصدقونهم؟

متـــى كـــتب الإنجيل بالعبرية، وبولس المبشر كان عبرانيًا، والاثنى عشر جميعهم عبـــرانيون، والخمســـة عشـــر أسقفًا لأورشليم الذين رسموا بالتتابع كانوا عِبرانيين[1]. فلماذا تقبلون ما هو لكم، وترفضون ما هو لنا الذي كتبه عبرانيون منكم؟!

---

[1] هـــذه العبارة ربما أخذها عن يوسابيوس (التاريخ الكنسي ٤: ٥) أو "السجلات المكتوبة" حيث نعلم أنه إلى حصار اليهود الذي تم في حكم أدريان كان هناك ١٥ أسقفًا بالتتابع من أصل عبراني.

القيامة ممكنة

١٦. قد يقول قائل: يستحيل أن يكون ميتًا!

لقد أقام إليشع ميتًا مرتين، مرة وهو حيّ، وأخرى وهو ميت. فهل تصدق أن إليشع وهو ميت أقام الميت الذي ألقي عليه ولمسه ولا تصدق أن المسيح قام؟!

لكن في تلك الحالة حين لمس الميت إليشع قام بينما بقيَ إليشع ميتًا... وأمّا هنا فقد قام الميت الذي نتحدث عنه، وأقام معه كثيرين من الموتى دون أن يلمسوه. لأنه "قام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة (واضح أنها ذات المدينة التي نحن فيها الآن) وظهروا لكثيرين" (مت ٢٧: ٥٢، ٥٤).

لقد أقام إليشع ميتًا، لكنه لم يهزم العالم.

لقد أقام إيليا ميتًا، لكن الشياطين لا تخرج باسم إيليا.

إننا لا نقول شرًا في الأنبياء، لكننا نعظم سيدهم بالأكثر جدًا، فإننا لا نكرم عجائبنا بامتهاننا عجائبهم، بل نحن نكسب ثقة أكثر بما حدث معهم.

يونان في الحوت كرمزٍ للقيامة

١٧. لكنهم قد يقولون أيضًا: جثة ميتة في الحال يقيمها حي، لكن أرنا كيف يمكن لميت أن يقوم بعد ثلاثة أيام، بعدما يدفن يقوم بعد ثلاثة أيام؟ إن كنا نطلب شهادة من الكتاب لإثبات هذه الحقيقة، فقد سبق الرب يسوع المسيح نفسه فأمدّنا بها في الأناجيل قائلاً: "**لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال**، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال" (مت ١٢: ٤٠). وإذ نفحص قصة يونان نجد شبهًا عظيمًا. فقد أرسل يسوع ليكرز بالتوبة، وهكذا كان يونان. لكن الواحد هرب غير عالم بما آتٍ عليه، والآخر بإرادته جاء ليعطي توبة للخلاص.

يونان كان نائمًا في السفينة، غارقًا في النوم وسط البحر العاصف، بينما نام يسوع أيضًا، وبدأ البحر – بعنايته وتدبيره – يرتفع ليعلن قدرة ذاك النائم.

قيل للواحد: "ما لك نائمًا؟! قم اصرخ إلى إلهك عسى أن يفتكر الإله فينا فلا نهلك!" (يونان ١: ٦) أما الثاني فقالوا له: "يا رب نجنا" (مت ٨: ٢٥، ٢٩).

هناك يقول "اصرخ لإلهك" وهنا يقولون: "نجنا أنت".

الـواحد يقول: "خذوني واطرحوني في البحر فيسكن البحر عنكم" (يونان ١: ١٢)، أما الآخر فبنفسه "انتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم" (مت ٨: ٢٥، ٢٦).

أُلقي الواحد إلى بطن الحوت، والآخر بإرادته نزل هناك حيث يوجد وحش الموت غيـر المـنظور، نـزل بإرادته لكي يطرد الموت خارجًا عن أولئك الذين ابتلعهم، كما هو مكتوب: "من قوة القبر أفديهم، من يد الملاك أخلصهم"[1].

بقاء يونان حيًا في بطن الحوت والقيامة

١٨. فـي هـذه الـنقطة من مقالنا، دعونا نتأمل أيهما أصعب أن يقوم إنسان من الأرض بعـد ثلاثـة أيام من دفنه، أم ينجو من الهلاك من دخل في بطن الحوت في الهياج العظـيم الـذي لهـذا المخلوق الحيّ، لأنه من لا يعرف أن هياج أحشاء عظيمة كهذه كفيلة بتحطيم العظام التي تُبتلع؟!...

لكـن يجـيب اليهود قائلين إن قوة الله نزلت مع يونان حين ألقي في الجحيم. فهل يعطي الله حياة لعبده بمساندته بقوته، ولا يعطيها لنفسه أيضًا؟!...

إنني أرى أن كليهما جديران بالتصديق، أنا أصدق أن يونان قد حُفظ لأن "عند الله كـل شيء مستطاع" (مت ١٩: ٢٦). أؤمن كذلك أن المسيح قام من الأموات، إذ لنا شهادات كثيرة من الكتب الإلهية، ومن القوة العملية في اليوم الذي قام فيه ذاك الذي نزل إلى الجحيم وصعد بصحبته كثيرون، إذ نزل إلى الموت وخلاله "قام كثير من أجساد القديسين الراقدين".

المسيح ينزل الجحيم

١٩. لقـد صـُـدم الموت برعدة، إذ رأى زائرًا جديدًا ينزل الجحيم دون أن يرتبط بسلاسله. ما لكم يا حراس الجحيم ارتعبتم عند رؤيته؟! ما هو هذا الخوف غير المعتاد الذي تملككم؟! الموت هرب وبهروبه انكشف جبنه.

لقد جرى إليه الأنبياء القديسون وموسى مستلم الشريعة، وإبراهيم، وإسحق، ويعقوب، وأيضـًـا داود وصموئيل وإشعياء ويوحنا المعمدان الذي شهد له حين سُئل: أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟ لقد أفتدى كل الصالحين الذين ابتلعهم الموت. إنه يليق بالملك أن يخلص مرسليه النبلاء، فيقول كل منهم: أين غلبتك يا موت؟! أين شوكتك يا قبر؟! لأن الغالب قد خلصنا.

---

[1] هو ١٣: ٤ "من يد الهاوية أفديهم، من الموت أخلصهم".

يونان مثال السيد المسيح في الجحيم

٢٠. كـــان النبي يونان في هذا مثالاً لمخلصنا **عندما صلى في بطن الحوت**، وقال: "دعــوت من ضيقي"، وأيضًا: "صرخت من **جوف الجحيم**" (يونان ٢: ٢). ومع أنه كان في داخــل الحوت، لكنه يقول إنه في الجحيم، لأنه كان مثالاً لمخلصنا الذي كان لزامًا أن ينزل إلى الجحيم.

وبعد قليل يتحدث في شخص المسيح بوضوح جدًا، قائلاً: " نزلت (رأسي) إلى أسافل الجبال" (يونان ٢: ٦). لقد كان في بطن الحوت، فأي جبال تحيط بك؟ إنه يقول إنني أعلم أنني مثال لذاك الذي يُدفن في قبرٍ منحوتٍ في الصخر. ومع أنه كان في البحر يقول يونان إنه نزل إلى الأرض، إذ كان مثالاً للمسيح الذي نزل في قلب الأرض.

كمـــا يتنبأ يونان عن أعمال اليهود الذين أقنعوا الجنود أن يكذبوا قائلين لهم: "قولوا إنهـــم ســـرقوه"، إذ يقـــول النبـــي "الذين يراعون أباطيل كاذبة يتركون رحمتهم (نعمتهم)" (يـــونان ٢: ٨)، لأن الذي كان رحيمًا معهم جاء وصلب وقام ثانية، واهبًا دمه الغالي لليهود والأمم، أما هم فقالوا: "قولوا إنهم سرقوه" مستخدمين أباطيل كاذبة.

أمـــا عـــن قيامته، فيقول إشعياء أيضًا: "هو الذي أقام من الأرض راعي الخراف العظيم"[١]. لقد أضاف كلمة "العظيم" حتى لا يظن أنه في مستوى الرعاة الذين سبقوه.

شهود قيامة السيد المسيح

٢١. فـــإذ لـــنا النـــبوات، فليثبت معنا الإيمان. يسقط غير المؤمنين ماداموا يريدون هكذا، أما أنتم فلتثبتوا على صخرة الإيمان بالقيامة. لا تتركوا هرطوقي يتكلم بشرٍ عن القـــيامة، لأنـــه حتى هذا اليوم يقول المانيّون إن قيامة المخلص كانت كخيالٍ وليست حقيقة، غير منتبهـــين إلى قول بولس: "الذي صار من نسل داود من جهة الجسد... بقيامة ربنا يسوع المسيح مـــن الأمـــوات" (راجـــع رو ١: ٣، ٤)، كذلك يقصدهم قائلاً: "لا تقل في قلبك من يصعد إلى السماء؟! أو من يهبط إلى العمق، أي ليُصعِد المسيح من الأموات" (رو ١٠: ٦، ٧).

وبـــنفس الطـــريقة يحذر في موضع آخر: "اذكر يسوع المسيح المُقام من الأموات" (٢ تـــى ٢: ٨). وأيضًا: "وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطلة كرازتنا، وباطل أيضًا إيمانكم،

---

[١] إش ٦٣: ١١ "أين الذي أصعدهم من البحر مع راعي غنمه؟!"

ونـوجد نحـن أيضًا شهود زور لله، لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح وهو لم يقمه" (١ كـو ١٥: ١٤-١٥). ويكمـل بعـد ذلك: "ولك الآن قد قام المسيح من الأموات، وصار باكـورة الـراقدين" (١ كو ١٥: ٢٠)، "وظهر لصفا ثم للاثنى عشر" (١ كو ١٥: ٥)، حتى إن لـم تصـدقوا شـهادة واحد فلكم اثنا عشر شاهدًا. "وبعد ذلك ظهر ليعقوب" أخيه أسقف أورشليم الأول.

فـإن عـرفت أن هـذا الأسقف رأى المسيح يسوع حين قام فلا تشك أنت تلميذه. لكـنكم تقولـون إن أخاه يعقوب لم يشهد بوضوح. يقول الرسول: "وآخر الكل ظهر لي أنا" (١ كو ١٥: ٨) بولس عدوه. وأية شهادة لا تُصدق إن كان العدو يشهد بها؟! "أنا الذي كنت قبلاً مضطهدًا" (١ تي ١: ١٣)، أكرز الآن بأخبار القيامة المفرحة.

شهادة الأمور المادية لقيامة المخلص

٢٢. يـوجد أيضـًا شهود كثيرون يشهدون بقيامة المخلص: الليل مع ضوء القمر السـاطع (إذ كانـت في الليلة السادسة عشرة)[1] ، صخرة القبر الذي تقبله، فستقف الصخرة شاهدة ضد اليهود... الحجر الذي دحرج يحمل شهادة عن قيامة المخلص، وهو لا يزال إلى يومنا هذا. ملائكة الله الذين شهدوا بقيامة الابن الوحيد، بطرس ويوحنا وتوما وبقية الرسل، بعضـهم جـرى إلـى القبـر ورأى الأكفان التي كان ملفوفًا بها باقية كما هي بعد القيامة، وآخـرون لمسـوا يديه ورجليه وتحسسوا آثار المسامير. والكل تمتع بنفخة المخلص هذه، وتأهلوا أن يغفروا الخطايا بقوة الروح القدس. النسوة أيضًا كن شاهدات، فقد أمسكن بقدميه وأحسسـن بزلـزلة قوية، بهاء الملاك الذي وقف بهن شاهدًا بالقيامة، الملابس الكتانية الذي كـان ملفـوفًا بها وقد تُركت حين قام، الحراس والنقود التي أُعطيت لهم، هذا المكان الذي تـرونه، وهذه الكنيسة المقدسة التي تذكرها الإمبراطور قسطنطين في محبته، فبناها وزينها كما ترون.

طابيثا تشهد لقيامة المخلص

٢٣. يـوجد أيضًا دليل على قيامة يسوع هو **طابيثا** التي باسمه قامت من الأموات (أع ٩: ٤٠). كيف لا يُصدق أن المسيح قام من الأموات، إن كان حتى اسمه أقام الموتى؟!

---

[1] كان الصليب في ١٤ نيسان فتكون ليلة القيامة ١٦ نيسان.

البحـــر أيضًـــا يشـــهد بقيامة المسيح كما سمعتم قبلاً، والسمك المُصطاد والحجر والســمك الموضوع هناك وبطرس الذي أنكره ثلاث مرات ثم اعترف به أيضًا ثلاث مرات بعد قيامته فأوصاه أن يرعى غنمه الروحي.

إلـــى يومنا هذا يقف جبل الزيتون أمام أعين المؤمنين جميعًا شاهدًا للذي صعد إلى السماء من هناك، من المكان الذي بدأ فيه آلامه بين الناس وانتهى بتتويجه بينهم.

هـــا هي شهادات كثيرة: مكان القيامة ذاته، موضع الصعود نحو المشرق، الملائكة الذين شهدوا أيضًا، السحابة التي صعد عليها، الرسل الذين كانوا هناك.

صعود المُخلِّص يشهد لقيامته

٢٤. قادنـــا الحـــديث في تعليمنا عن قانون الإيمان إلى الحديث عن **الصعود**. وقد دبـــرت نعمة الله أن تسمعوا بالأمس في يوم الرب عنه بأكثر توسع حسب ضعفنا... وما قد قيل وُجه إلى الجميع، إلى المؤمنين المجتمعين جميعهم، لكنه كان بالأكثر يخصكم أنتم.

والسؤال هو: هل انتبهتم إلى ما قيل؟ إذ كلمات قانون الإيمان تعلمكم "الذي قام من الأموات في اليوم الثالث، وصعد إلى السماوات وجلس عن يمين الآب".

أظـــن أنكـــم تذكرون التفسير، لكنني استرجع أذهانكم إلى ما قيل. تذكروا ما قاله المـــزمور بوضوح: "صعد الله بهتاف" (مز ٤٧: ٥). تذكروا أيضًا ما جاء في المزمور من حديث القوات الإلهية مع بعضها البعض "ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم" (مز ٢٤: ٧). تذكروا أيضًـــا المـــزمور القائل: "صعد إلى العلا وسبى سبيًا" (مز ٦٨: ١٨). تذكروا النبي القائل: "الذي يبنى صعوده نحو السماء..."[١]. وغير ذلك من الأمور التي سبق ذكرها بسبب مغالطات اليهود.

الصعود ورموزه

٢٥. فـــإذ يتكلمون ضد صعود المخلص كأمر مستحيل، فليذكروا كيف حمل ملاك حبقوق من شعر رأسه[٢]، فبالأحرى جدًا يستطيع إله الملائكة والأنبياء أن يصعد على سحابة من جبل الزيتون بقوته الخاصة.

---

[١] عا ٩: ٦ "الذي بني في السماء علالية".

[٢] جاء في حزقيال ٨: ٣ "ومد شبه يد وأخذني بناصية رأسي ورفعني روح بين الأرض والسماء فأتى بي في رؤى الله".

يمكـــنكم أن تتذكـــروا عجائـــب كهذه لكن لتعط المكانة الأولى لله صانع العجائب. فهؤلاء رُفعوا أما هو فرافع كل الأشياء.

تذكروا أن أخنوخ نقُل أما يسوع فصعد.

تذكـــروا مـــا قيل بالأمس عن إيليا أنه أُصعد في مركبة نارية (٢مل ٢: ١١)، أما مركبات المسيح فربوات ألوف (مز ٦٨: ١٧).

إيليا أخذ ناحية شرق الأردن، أما المسيح فصعد شرق وادي قدرون.

إيليا ذهب كما إلى السماء، أما المسيح ففي السماوات.

إيليا قال أن يُعطى لتلميذه الطوباوي نصيب مضاعف من الروح القدس، أما المسيح فمنح رسله نعمة الروح القدس هكذا حتى أنهم لم يأخذوه لأنفسهم وحدهم بل وهبهم أن يمنحوا المؤمنين أن يشتركوا معهم فيه بوضوح الأيدي.

الرسل ليسوا بأقل من الأنبياء

٢٦. ولكـــن حيـــنما تناضـــلون مع اليهود هكذا، وحينما تجاوبونهم بأمثلة متشابهة يلـــزمكم بالأحرى أن تُظهروا عظمة مجد المخلص، إذ هؤلاء خدام أما هو فابن الله. وهكذا يمكنكم أن تذكروا سموه بالتفكير في أن خادم المسيح قد بلغ السماء الثالثة. فإن كان إيليا قد بلغ السماء الأولى فإن بولس بلغ الثالثة، فحصل على كرامة أعظم.

لا تخجلـــوا من رسلكم! أنهم ليسوا أقل من موسى، ولا يأتون بعد الأنبياء. إنما هم نـــبلاء بـــين نبلاء، نعم بل وأكثر نبلاً. لأنه حقًا أُخذ إيليا إلى السماء، ووُهب بطرس مفاتيح ملكـــوت الســـماوات. إذ سمع هذه الكلمات "ما تحلّه على الأرض يكون محلولاً في السماء" (مت ١٦: ١٩).

إيلـــيا أُخذ إلى السماء أما بولس فإلى السماء والفردوس (٢ كو ١٢: ٢، ٤)، (إذ يليق أن يكـــون لتلامـــيذ المسيح نعمة مضاعفة)، "وسمع كلمات لا يُنطق بها، ولا يسوغ لإنسانٍ أن يتكلم بها". لكن بولس نزل ثانية من فوق ليس لعدم استحقاقه أن يبقى هناك، إنما لكي ما بعد أن تمتع بالأمور التي تعلو على الإنسان يعود ويكرز بالمسيح ويموت لأجله فيأخذ إكليل الشهادة...

الجلوس عن يمين الآب

٢٧. تذكـــروا أيضـــا ما كنت أتحدث عنه كثيرًا بخصوص **جلوس الابن عن يمين الآب**، حيث جاء في قانون الإيمان: "وصعد إلى السماوات، وجلس عن يمين الآب".

ليتـــنا لا نتطفل في معرفة معنى "العرش"، لأنه غير مدرك. لكننا لا نقبل أبدًا القائلين كـــذبًا أن الابـــن جلس عن يمين أبيه بعد صلبه وقيامته وصعوده إلى السماوات، لأن الابن لم يتمتع بالعرش بالتقدم (أي ترقى إليه)، بل هو دومًا على العرش حيث كائن. وقد عرف إشعياء النبـــي هـــذا العرش قبل مجيء المخلص في الجسد فيقول "رأيت السيد جالسًا على عرش عالٍ ومرتفع" (إش ٦: ١). وقد قيل أن الآب لم يره أحد قط (يو ١: ١٨)، فكأن النبي رأى الابن.

يقـــول أيضًا المرتل: "كرسيك مثبت منذ القدم، منذ الأزل أنت" (مز ٩٣: ٢). وإذ توجد أدلة كثيرة على هذا لكن لسبب تأخر الوقت اكتفي بما قلته.

قال الرب لربي اجلس عن يميني

٢٨. لكـــن الآن يجـــب أن أذكركم بقليل من كثير مما يُقال بخصوص جلوس الابن عن يمين الأب، فالمزمور المائة والتاسع يقول: "قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعـــداءك موطئ قدميك" (مز ١٠٩: ١). ويؤكد المخلص هذا في الأناجيل، ذاكرًا أن داود لم يـــنطق بهذا من نفسه بل بوحي الروح القدس قائلاً: "كيف يدعوه داود بالروح ربًا قائلاً: قال الـــرب لربي أجلس عن يميني؟!" (مت ٢٢: ٤٣)، وقد استخدم بطرس والأحد عشر رسولاً هذا الدليل بنفس كلمات المزمور المائة والتاسع في سفر الأعمال في يوم البنطقسطي (حلول الروح القدس) عندما وقف ووعظ الإسرائيليين.

شهادات أخرى خاصة بجلوس الابن عن يمين الآب

٢٩. لكن يليق بنا أن نذكركم بشهادات أخرى خاصة بجلوس الابن عن يمين الآب.

جـــاء في إنجيل متى: "وأيضًا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوة..." (مت ٢٦: ٦٤). وتبعًا لهذا يكتب الرسول بطرس قائلاً: "بقيامة يسوع المسيح الذي هو في يمين، الله إذ قد مضى إلى السماء" (١ بط ٣: ٢١، ٢٢).

ويكـــتب الرســـول بولس إلى أهل رومية: "المسيح هو الذي مات، بل بالأحرى قام أيضًا، الذي هو أيضًا عن يمين الله" (رو ٨: ٣٤).

وإلـــى أهـــل أفســـس: "حســـب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه..." (أف ١: ١٩، ٢٠).

كمـــا علّـــم أهل كولوسي بهذا: "إن كنتم قد قمتم مع المسيح، فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله" (كو ٣: ١).

وفـــي الرسالة إلى العبرانيين يقول: "بعدما صنع بنفسه تطهيرًا لخطايانا جلس في يمين العظمة في الأعالي" (عب ١: ٣).

ثـــم أيضًا: "لمن من الملائكة قال قط: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك؟!" (عب ١: ١٣)

ثـــم أيضـًــا: "أما هذا فبعدما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله، منتظرًا بعد ذلك حتى يُوضع أعداؤه موطئًا لقدميه" (عب ١٠: ١٢).

وأيضًا "ناظرين إلى رئيس إيماننا ومكمله يسوع، الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهينًا بالخزي، فجلس في يمين عرش الله" (عب ١٢: ٢).

ربنا يسوع المسيح يملك العرش عن يمين الآب قبل كل الدهور

٣٠. بالـــرغم من أنه توجد نصوص أخرى كثيرة بخصوص جلوس الابن الوحيد عن يمين الله، إلاّ أننا نكتفي بهذه الآن، مكررًا ملاحظتي أن الابن لم يحصل على كرامة هذا المكـــان بعد مجيئه بالجسد بل الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح قبل كل الدهور يملك العرش عن يمين الآب على الدوام...

إذًا اثبتوا غير متزعزعين في رجائكم في الذي قام.

قوموا معه جميعًا من خطاياكم المميتة إلى عطيته السمائية.

احســـبوا أنفسكم أهلاً للاختطـــاف في السحب لملاقاة الرب في الهواء" (١ تس ٤: ١٧)، في حينه، حين يأتي وقت ظهوره الثاني المجيد.

اكتـــبوا أســـماءكم جميعًا في سفر الحياة ولا تمسحوها أيضًا (لأن أسماء الكثيرين تُمحى بسقوطهم).

ليهـــبكم جميعًا أن تؤمنوا بالذي قام، وتتطلعوا إلى الذي صعد وسيأتي (ولكن ليس مـــن الأرض، إذ يلزمك أن تحترسوا من الكذابين الذين سيأتون)، إنما يأتي ذاك الذي يجلس فـــي العلا وهو معنا جميعًا، "ناظرًا ترتيبكم ومتانة إيمانكم" (كو ٢: ٥). فلا تظنوا أنه بغيابه بالجســـد غائـــب عـــنا بالروح، بل هو موجود في وسطنا، يسمع ما يُقال عنه، متطلعًا إلى أفكـــاركم الداخلية، فاحصًا القلوب والكلى (مز٧:٩)، الذي هو الآن مستعد أن يحضر الآتين إلـــى العمـــاد، بـــل ويحضركم جميعًا في الروح القدس للآب، قائلاً: "ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله" (عب ٢: ١٣، إش ٨: ١٨). هذا الذي له المجد إلى الأبد. آمين.

المقال الخامس عشر

سيأتي في مجده

ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء

"كـنت أرى أنه وضعت عروش، وجلس القديم الأيـام"، ثـم "كنت أرى في رؤى الليل، وإذ مع سحب السماء مثل ابن إنسان آتي".

(دا ٧: ٩-١٤)

١. المجيئان

لسـنا نكرز بمجيء واحد للمسيح بل وبمجيء آخر فيه يكون ممجد جدًا أعظم من الأول. المجيء الأول أظهر صبره، والثاني فيحضر معه إكليل مملكته الإلهية. لأن تقريبًا كل شيء في ربنا يسوع المسيح يحمل جانبين: فله نسب مزدوج، مولود من الله قبل كل الدهور، ومولود من العذراء في ملء الدهر.

ونـزوله مزدوج، واحد يأتي فيه مختفيًا، "مثل المطر على الجزاز" (مز ٧٢: ٦)، والآخر مجيء واحد مُنتظر.

في مجيئه الأول كان ملفوفًا بقماطات في المذود، وفي ظهوره الثاني يظهر "اللابس النور كثوب" (مز ١٠٤: ١٠٤).

فـي مجيـئه الأول "احتمل الصليب مستهينًا بالخزي" (عب ١٢: ٢)، وفي الثاني تحوطه جيوش الملائكة ممجدًا[1].

فنحن لا نستند على مجيئه الأول فحسب، وإنما ننتظر مجيئه الثاني أيضًا. وكما قلنا فـي مجيئه الأول: "مبارك الآتي باسم الرب" (مت ٢١: ٩؛ ٢٣: ٣٩). سنردد أيضًا هذا في مجيئه الثاني، فإذ نتقابل مع سيدنا وملائكته، نتعبد له قائلين: "مبارك الآتي باسم الرب".

سـيأتي لا ليُحكم عليه، بل ليدين من حاكموه. ذاك الذي صمت أثناء محاكمته يقول للأشرار الذي فعلوا معه هذه الجسارة: "هذه الأشياء صنعتم وسكت" (مز ٥٠: ٢١).

---

[1] ربمـا اقتبس القديس كيرلس المقارنة بين المجيئين عن الشهيد يوستينوس (دفاعه ١: ٥٢؛ مع تريفو ١١٠). أنظر أيضًا ترتليان (ضد اليهود ١٤) وهيبوليتس (ضد المسيح ٤٤).

إذن، قـد جـاء بتدبير إلهي معلمًا الناس بالإقناع، أما هذه المرة بالضرورة يقبلونه ملكًا حتى الذين لا يريدون!

شهادة الكتاب المقدس

٢. بخصوص هذين المجيئين يقول ملاخي النبي: "ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلـبونه"، هذا هو المجيء الأول. أما عن مجيئه الثاني، فيقول: "وملاك العهد الذي تسرون بـه هـوذا يأتي قال (الرب القادر على كل شيء). ومن يحتمل يوم مجيئه؟! ومن يثبت عند ظهوره؟! لأنه يأتي مثل نار الممحص، ومثل أشنان القصار، وسيجلس ممحصًا ومنقيًا". بعد هـذا يقـول المخلص نفسه: "واقترب إليكم للحكم، وأكون شاهدًا سريعًا على السحرة وعلى الفاسقين وعلى الحالفين باسمي زورًا..." (مل ٣: ٥)

لهـذا السـبب يحـذرنا بولس قائلاً: "إن كان أحد يبني على هذا ذهبًا فضة حجارة كريمة خشبًا عشبًا قشًا، فعمل كل واحدٍ سيصير ظاهرًا، لأن اليوم سيبينه، لأنه بنار يُستعلن" (١ كو ٣: ١٢، ١٣).

عـرف بـولس المجيئـين حين كتب إلى تيطس قائلاً: "ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس، معلمة إيانا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية، ونعيش بالتعقل والبرّ والتقوى فـي العـالم الحاضـر منتظرين الرجاء المبارك، وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح" (تي ٢: ١١-١٤). ها أنتم ترون كيف يتحدث عن المجيء الأول الذي من أجله يقدم تشكرات، وعن الثاني الذي نطلبه وننتظره. هكذا أعلن بولس نفس الإيمان الذي نعلنه، فنحن نؤمن بالذي صعد إلى السماوات وجلس عن يمين الآب، وأيضًا يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات الذي ليس لملكه انقضاء.

سماء جديدة وأرض جديدة

٣. هكـذا سيأتي ربنا يسوع المسيح من السماء، وسيأتي بمجد في نهاية هذا العالم، فـي الـيوم الأخير. لأن هذا العالم له نهاية، ويتجدد عالم جديد[1]. لأنه حيث الفساد "والسرقة والفسق" (هو ٤: ٢). وكل أنواع الشرور حلت بالأرض ولحقت الدماء بدماء، فلا يعود بعد يبقى هذا المسكن العجيب المملوء شرًا، بل يمضي هذا العالم ليظهر العالم الأفضل.

---

[1] إننا ننتظر سماءً جديدة وأرضًا جديدة ليست من المادة التي نراها، لكنها تليق بالجسد الروحاني الذي نلبسه والخلود مع الله بلا شمس ولا كواكب ولا مزروعات الخ، بل حياة سماوية، مجازًا نسميها أرضًا جديدة.

أتريد شاهدًا على هذا من الكتاب المقدس؟

اسمع إشعياء النبي يقول: "تلتف السماوات كدرج، وتسقط كل النجوم كأوراق من كرمة، وكأوراق تتساقط من شجرة تين"[1]. يقول الإنجيل أيضًا: "تظلم الشمس، والقمر لا يعطي ضوءه، وتتساقط نجوم السماء" (مت ٢٤: ٢٩).

إذًا لا نحزن كأننا وحدنا نموت لأن النجوم أيضًا تزول... وسيلف الله السماوات لا لكي يفنيها، بل ليرفعها ثانية في أجمل مما هي عليه.

اسمعوا داود النبي يقول: "أنت يا الله في البدء أسست الأرض والسماوات هي عمل يديك. هي تبيد وأنت تبقى" (مز ١٠٢: ٢٥). اسمعوا بأي معنى يقول "هي تبيد"؟ إنه يكمل "كلها كثوبٍ تذوب قِدَمًا، وكرداء تطويها فتتغير" (مز ١٠٢: ٢٦)، إنها كالإنسان الذي يُقال عنه إنه "يُباد". إذ مكتوب عنه: "باد الصديق وليس أحد يضع ذلك في قلبه" (إش ٦٢: ١). هذا بالرغم من انتظار القيامة. هكذا انتظر كما لو أن هناك قيامة للسماوات.

"ستظلم الشمس، والقمر يتحول إلى دمٍ" (يوئيل ٢: ٣١). فليتعلم أولئك الذين انحرفوا إلى المانيّة ولا يجعلوا من هذه الكواكب آلهة لهم، ولا يظنوا أن هذه الشمس التي تظلم هي المسيح، إذ يقول الرب: "السماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول" (مت ٢٤: ٣٥)، لأن ليس للخليقة كرامة كلمات الرب!

علامات المنتهى

٤. إذن ستزول الأشياء المنظورة وتأتي الأمور المقبلة التي هي أفضل. أما عن الزمن فليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه" (أع ١: ٧). فلا تتجاسروا في إعلان زمان حدوث هذه الأمور، وفي نفس الوقت لا تخافوا وتتهاونوا، إذ قيل: "اسهروا إذًا لأنكم في ساعة لا تتوقعونها يأتي ابن الإنسان" (راجع مت ٢٤: ٤٢، ٤٤). ولكن إن كان لزامًا أن نعرف علامات المنتهى إذ ننتظر المسيح، فلا نموت مخدوعين ونضل بواسطة ضد المسيح الكذاب، فإن التلاميذ مدفوعين بإرادة إلهية وحسب ترتيب العناية الربانية قالوا للمعلم الحقيقي: "قل لنا متى يكون هذا؟ وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟" (مت ٢٤: ٣) إننا نتطلع إليك وأنت آتٍ ثانية، لكن "الشيطان يغيّر نفسه إلى شبه ملاك نور" فاعطنا حرصًا حتى لا نعبد آخر غيرك. فتح السيد فمه الإلهي المبارك قائلاً: "انظروا

[1] إش ٣٤: ٤ "تلتف السماوات كدرج وكل جندها ينتثر كانتثار الورق من الكرمة والساقط من التين".

لا يضلكم أحد". وهذه العبارة تنذركم جميعًا أن تحذروا وتهتموا لما يُقال، لأنه لم يتحقق بعد بـل يتنـبأ عن أمور مقبلة حادثة بالتأكيد. إنه ليس لنا أن نتنبأ لأننا غير مستحقين لهذا، إنما نضع أمامكم الأمور المكتوبة، ونوضح لكم العلامات، لاحظوا أنتم ما قد تحقق منها فعلاً وما لم يتحقق بعد، وكونوا في أمان.

علامات المنتهى

٥. "انظـروا لا يضـلكم أحد"، فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين: أنا هو المسيح ويضـلون كثيرون. لقد تحقق هذا جزئيًا فإن "سيمون الساحر" قال هذا، كذلك *Menander*[١] وآخـرون من قادة الهرطقات قالوا بهذا. وسيقوم في أيامنا وفي الأيام المقبلة أيضًا من يقول بهذا.

علامة الحروب

٦. العلامة الثانية: "تسمعون عن حروب وأخبار حروب"[٢]. ألا توجد في أيامنا هذه حرب بين الفرس والرومان لأجل العراق؟ ألا تقوم أمة على أمة، ومملكة على مملكة؟!

"وتكون زلازل عظيمة في أماكن ومجاعات وأوبئة". هذه الأشياء حدثت فعلاً.

ثم أيضًا "وتكون مخاوف وعلامات عظيمة من السماء"[٣].

إنه يقول "اسهروا إذن لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم" (مت ٢٤: ٤٢).

علامة فتور المحبة

٧. لكننا نـبحث عـن علاماتنا نحن الكنسيّين لمجيئه، التي تتناسب مع الكنيسة. يقـول المخلـص "وحينـئذ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضًا ويبغضون بعضهم بعضًا" (مت ٢٤: ١٠). إن سمعتم عن أساقفة يضادون أساقفة، وإكليروس ضد إكليروس، وعلمانيين ضد علمانيين حتى الدم[٤]، فلا تضطربوا لأنه سبق أن كُتب عن هذا.

---

[١] مقال ٦: ١٤، ١٦.

[٢] ٢٤: ٦. الحـرب مـع سـابور الثانـي ملـك الفرس التي اشتعلت بعد موت قسطنطين مباشرة، واستمرت طوال حكم قسطنطيوس... وقد قامت معركة ستغارا العظيمة سنة ٣٤٨م.

[٣] لـو ٢١: ١١ يذكر جيروم في *Chronicon* حدوث زلزلة سنة ٣٤٦م على أثرها خربت *Dyrrachium* وروما ومدن كثيرة في إيطاليا أصابها ضرر.

[٤] عاصر القديس كيرلس الحروب التي أثارها الأريوسيون داخل الكنيسة... ومما سببوه من انقسامات ومشاحنات ومتاعب.

لا تلتفتوا إلى ما يحدث الآن بل تأملوا ما قد سبق أن كُتب، حينئذ حتى إن هلكت أنا نفسي الذي أعلمكم لا تهلكوا أنتم أيضًا معي. كلاّ، بل قد يصير السامع أفضل من معلمه، والآخر يكون أولاً مادام السيد يقبل حتى أصحاب الساعة الحادية عشرة.

إن كان قد وجد بين الرسل خيانة، فهل تتعجبون إن وُجد بين الأساقفة كراهية؟!

هذه العلامة لا تكون بين القادة، فحسب بل وبين الشعب أيضًا، إذ يقول "**لكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين**" (مت ٢٤: ١٢)...

الكرازة ببشارة الملكوت في كل المسكونة

٨. لكم هذه العلامة أيضًا: "ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم، ثم يأتي المنتهى" (مت ٢٤: ١٤).

وكما نرى أن العالم قد امتلأ كله تقريبًا ببشارة المسيح.

ظهور ضد المسيح

٩. ثم ماذا يحدث بعد ذلك؟ يقول: "فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دنيال النبي قائمة في المكان المقدس. ليفهم القارئ" (مت ٢٤: ١٥). وأيضًا "**حينئذ إن قال لكم أحد هوذا المسيح هنا أو هناك، فلا تصدقوا**" (مت ٢٤: ٢٣). إن كراهية الإخوة تفسح الطريق لمجيء ضد المسيح، لأن الشيطان يصنع الانقسام بين الناس حتى يقبلوا المزمع أن يأتي. لكن الله منع أي خادم من خدام المسيح أن يذهب إلى هنا أو هناك نحو العدو.

وإذ يكتب الرسول بولس في هذا الأمر يعطي علامة واضحة إذ يقول: "لأنه لا يأتي (هذا اليوم) إن لم يأتِ الارتداد أولاً ويُستعلن إنسان الخطية ابن الهلاك، المقاوم والمرتفع على كل ما يُدعى إلهًا أو معبودًا، حتى إنه يجلس في هيكل الله كإله، مظهرًا نفسه أنه إله. أما تذكرون أني وأنا بعد عندكم كنت أقول لكم هذا، والآن تعلمون ما يحجز إلى النهاية حتى يُستعلن في وقته، لأن سرّ الإثم الآن يعمل فقط إلى أن يُرفع من الوسط الذي يحجز الآن، وحينئذ سيُستعلن الأثيم الذي الرب يبيده بنفخة فمه، ويبطله بظهور مجيئه. الذي مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة وبكل خديعة الإثم في الهالكين" (٢ تس ٢: ٣-١٠).

هكذا كتب بولس، وقد تم الارتداد، إذ ارتد الناس عن الإيمان المستقيم، فالبعض يتجاسر ويقول إن المسيح أُوجد من العدم. من قبل كان الهراطقة ظاهرين، أما الآن فالكنيسة مملوءة هراطقة مستترين، إذ ضل الناس عن الحق، وصموا آذانهم (٢ تي ٤: ٣).

هل يوجد مقال مملوء بالمظاهر الكاذبة؟! الكل ينصت إليه بفرح!

هل توجد كلمة للإصلاح؟ الكل يتحول عنها!

تحـول الغالبية عن الكلمات الصحيحة، واختاروا بالأحرى الكلمة الشريرة بدلاً من الصالحة. هذا هو الارتداد، والعدو يتطلع إليه. فقد أرسل جزئيًا رواده حتى يأتي فينقض على الفريسة.

اهـتم بنفسـك يا إنسان، ولتكن نفسك في أمان. الكنيسة تُحملك المسئولية أمام الله الحـي، فهـي تخبرك عما يخص بضد المسيح قبل أن يأتي. وإننا لا نعلم إن كان يأتي في أيامكم أو بعدكم، لكن يليق بكم إذ تعرفون هذه الأمور أن تحترسوا.

سيأتي ابن الإنسان على سحاب السماء

١٠. المسـيح الحقيقـي، ابـن الله الوحيد، لن يأتي بعد من الأرض، فإن جاء أحد صـانعًا أعمـالاً مـزيفة في البرية لا تذهبوا وراءه. إن قيل "هوذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا". لا تعودوا تنظروا بعد إلى أسفل إلى الأرض، لأن الرب يأتي من السماوات، ليس وحده كما حدث من قبل، لكنه يأتي محاطًا بربوات الملائكة ليس سرًا "كالمطر على الجزاز" (مـز ٧٢: ٦). لكـن يأتي بلمعان مثل البرق، إذ قال بنفسه: "لأنه كما أن البرق يخرج من المشـارق ويظهـر إلى المغارب، هكذا أيضًا يكون مجيء ابن الإنسان". وأيضًا "يبصرون ابـن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوةٍ ومجدٍ كثيرٍ، فيرسل ملائكته ببوقٍ عظيم الصوت" (مت ٢٤: ٣٠).

خداعُ الشيطان والإعداد لظهور ضد المسيح

١١. ولكـن كمـا أنه كان يليق به أن يأخذ الناسوت وكان منتظرًا أن يولد الله من عـذراء. فقـد خلق الشيطان خداعًا بإيجاد روايات عن آلهة كذبة تلد وتولد من النساء، لكي بوجود الأكاذيب لا يُصدق الحق. وهكذا أيضًا إذ يأتي المسيح مرة أخرى، فإن المقاوم يستغل فرصـة انـتظار البسطاء، خاصة الذين من أهل الختان، فيأتي رجل ساحر متفنن في فنون السـحر والعرافة مخادع بمكر، ويأخذ لنفسه سلطان إمبراطور روما، ويُنصب نفسه مسيحًا كـذابًا، وتحـت اسم المسيح يخدع اليهود المنتظرين مجيء المسيح، ويغوى الأمم بأضاليله السحرية.

مُلك ضد المسيح ونهايته

١٢. هــذا المســيح الكذاب السابق ذكره يأتي بعد انتهاء أزمنة إمبراطورية روما عندما تقترب نهاية العالم. سيقوم عشرة ملوك لروما ضد بعضهم، ربما يحكمون في مناطق مخـتلفة، لكــنهم يقومــون في زمنٍ واحدٍ، بعد هذا يأتي الحادي عشر أي ضد المسيح الذي بخداعــه الســحري يغتصب القوة الرومانية، ومن هؤلاء العشرة ملوك الذين كانوا يحكمون ســابقًا "يــذل ثلاثة ملوك" (دا ٧: ٢٤)، والسبعة يخضعهم لسطوته. في البداية يلبس مظهر اللطــف الحقيقــي والــتعقل والحنو، وبالعلامات الكاذبة والعجائب السحرية المخادعة يخدع الــيهود، كما لو كان المسيح المنتظر، بعد هذا يظهر كل أنواع الجرائم الوحشية والشرور، فــيفوق كل الأشرار والملحدين الذين سبقوه، مستخدمًا روح قتال قاسي جدًا ضد كل البشرية خاصة المسيحيين، فيكون بلا رحمة مملوء غشًا.

وبعــد ثلاثة سنوات وستة أشهر فقط تتحطم هذه الجرائم بالظهور المجيد لابن الله الوحيد ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الحقيقي من السماء، حيث يسحق ضد المسيح بفمه ويلقيه في نار جهنم.

١٣. لســنا نُعلم بهذا من اختراعنا، بل تُخبرنا به الأسفار المقدسة الإلهية التي في الكنيســة، خاصــة مــا جاء في نبوة دانيال التي قُرأت منذ قليل، كما فسرها رئيس الملائكة جبــرائيل قــائلاً: "الحــيوان الرابع فتكون مملكة رابعة على الأرض تفوق سائر الممالك"[1]. ومعروف في تقليد مفسري الكنيسة أنها مملكة الرومان. فكما كانت المملكة الأولى التي ذاع صــيتها هي مملكة الأشوريين، والثانية هي مملكة المديانيين والفرس معًا، وبعد هذا المملكة الثالثة هي المقدونيين، والرابعة هي مملكة الرومان.

ثــم يســتمر جبرائيل في التفسير قائلاً: "قرونه العشرة هم عشرة ملوك سيقومون ويقوم بعدهم آخر الذي يفوق الشر كل سابقيه" (ليس فقط يفوق العشرة، بل كل سابقيه) ويذل ثلاثة ملوك" (راجع دا ٧: ٢٤). واضح أنه من العشرة ملوك السابقين. وإذ يذل الثلاثة يصير هــو الثامن "ويتكلم بكلام ضد العليّ" (دا ٧: ٢٥). إنه يكون مجدفًا وشريرًا، لا يأخذ المملكة عن آبائه، بل يغتصبها بالسحر.

---

[1] دا ٧: ٢٣ "مخالفة لسائر الممالك"

استخدام آيات وعجائب كاذبة

١٤. مـن هو هذا؟ وما هو نوع عمله؟ فسر لنا يا بولس. يقول: "الذي مجيئه بعمل الشيطان، بل بقوة وبآيات وعجائب كاذبة" (٢ تس ٢: ٩)، مظهرًا أن الشيطان يستخدمه كأداة عـاملاً في شخصه وخلاله. فإذ يعلم أن دينونته لن تتأخر بعد كثيرًا، يصنع حربًا ليس خلال وكلائـه كعادته، بل يصنعها علنًا من ذلك الحين فصاعدًا، مستخدمًا "آيات وعجائب كاذبة". لأن أب الكـذب يعمـل أعمال الكذب، حتى يظن الناس أنهم يرون الميت يقوم وهو لم يقم، والعرج يمشون، والعمى يبصرون مع أنهم لم يشفوا حقيقة.

يجلس في هيكل الله

١٥. يقـول أيضًـا "المقاوم والمرتفع على كل ما يُدعى إلهًا أو معبودًا... حتى إنه **يجلـس في هيكل الله". أي هيكل هذا؟** إنه يقصد هيكل اليهود[1]. حاشا لله أن يُقصد به هيكل مما نحن فيه.

لمـاذا نقول هذا؟ لئلا يُظن أننا نفضل أنفسنا، فإنه متى جاء لليهود على أنه المسيح راغبًا في أن يكون موضع عبادتهم، يعطي اهتمامًا عظيمًا للهيكل لكي يخدعهم تمامًا، مدعيًا أنـه من نسل داود، وأنه سيبني الهيكل الذي شيده سليمان هذا الذي متى جاء ضد المسيح لن يجد فيه حجر على حجر كما حكم بذلك مخلصنا...

إنـه سـيأتي "بآيات وعجائب كاذبة"، رافعًا نفسه على كل الأصنام، فيتظاهر أولاً بمحـبة الإحسان، لكنه يعود فيُظهر طبعه الذي لا يعرف الرحمة، خاصة ضد قديسي الله، إذ قـيل: "وكـنت أنظر وإذا هذا القرن يحارب القديسين" (دا ٧: ٢١). وفي موضع آخر قيل: "ويكـون زمـان ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الوقت" (دا ١٢: ١). مرعب هو هذا الوحش، تنين عظيم لا يهزمه إنسان، مستعد للافتراس. لنا أن نتكلم عن هذا الكثير مما ورد في الكتب الإلهية، لكننا نكتفي الآن بهذا حتى لا نتعدى حدود المقال.

مدة حكمه

١٦. وإذ يعلم الرب شدة الضيق الذي يبثه المقاوم ضد الأبرار قال: "حينئذ ليهرب الـذين فـي اليهودية إلى الجبال" (مت ٢٤: ١٦). أما إذا كان أحد متأكدًا أنه قوي في مقاتلة

---

[1] لا يعني هذا أن هيكل اليهود حتمًا سيُبنى، لكن المسيح الكذاب يخدعهم ويثير اليهود الأشرار لبناء الهيكل القديم ليتربع فيه كإله يتعبدون له... إنما سيأتي ويكون الهيكل خرابًا كما أعلن السيد المسيح بخرابه.

الشيطان، فليقف وليقل: "من سيفصلنا عن محبة المسيح؟!" (رو ٨: ٣٥) ليعمل الخائفون على سلامتهم (بالهروب)، أما الذين لهم شجاعة حسنة، فليصمدوا "لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون" (مت ٢٤: ٢١).

شكرًا لله الذي حدّ من عظمة هذه الضيقة في أيام قليلة إذ يقول: "ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام" (مت ٢٤: ٢٢). سيحكم ضد المسيح لمدة ثلاثة سنين ونصف فقط. إننا لا ننطق بهذا من كتب غير قانونية بل يقول دانيال: "ويسلمون ليده إلى زمان وزمانين ونصف زمان" (دا ٧: ٢٥). الزمان هو السنة التي يكون فيها مجيئه يتزايد، والزمانان هي سنتا الشر الباقيتان، فيكون المجموع هو ثلاث سنوات، والنصف زمان هو الستة أشهر.

إذ يقول دانيال نفس الشيء في موضع آخر: "وحلف بالحيّ إلى الأبد أنه إلى زمان وزمانين ونصف زمان" (دا ١٢: ٧). والبعض يرجع هذا إلى ما جاء بعد ذلك "ألف ومئتان وتسعون يومًا" (دا ١٢: ١١). لهذا فلنختفِ ولنهرب، لأنه ربما "لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان" (مت ١٠: ٢٣).

شهداء عصر ضد المسيح

١٧. من هو الإنسان المطوب الذي يشهد للمسيح بغيرة في ذلك الوقت؟ لأني أقول إن شهداء ذلك الوقت يفوقون كل الشهداء. لأن هؤلاء يصارعون ضد أناس فقط، أما أولئك الذي في وقت ضد المسيح فسيناضلون الشيطان في شخصه هو.

الملوك المضطهدون السابقون كانوا يسلمون الشهداء للموت فقط، لكنهم لم يدعوا أنهم يقيمون الموتى، ولا صنعوا آيات كاذبة وعجائب، أما في ذلك الوقت فسيكون الإغراء الشرير بواسطة التهديد كما بالخداع "حتى يضلوا لو أمكن المختارين (جدًا) أيضًا" (مت ٢٤: ٢٤).

لا يدخل في قلب أي إنسان حيّ هذا القول: "وماذا فعل المسيح أكثر من هذا؟" لأنه بأية قوة يعمل هذا الرجل هذه الأعمال لو لم تكن هي إرادة الله لما سمح له.

يحذركم الرسول قائلاً مقدمًا: "لأجل هذا سيُرسل إليهم الله عمل الضلال (أي يسمح لهم بذلك)، لكي يجدوا عذرًا، ولكن "لكي يدانوا" (٢ تس ٢: ١١، ١٢) ولماذا؟ يقول "الذين لم يصدقوا الحق"، أي المسيح الحقيقي، "بل سروا بالإثم"، أي بضد المسيح. لكن كما في أثناء الاضطهادات التي تحدث من حين إلى حين هكذا يسمح الله بهذه الأمور ليس لأنه محتاج إلى

قوة لكي يحميهم، بل ليتوج أبطاله خلال الصبر، كما صنع أنبياؤه ورسله الذين جاهدوا لقليل حتـى الـنهاية فيرثون ملكوت السماوات الأبدي، وكما يقول دانيال: "وفي ذلك الوقت ينجّي شـعبك كـل من يوجد مكتوبًا في السفر (أي سفر الحياة)، وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي. والفاهمون يضيئون كالجلد والذين ردوا كثيرين إلى البرّ كالكواكب إلى أبد الدهور" (دا ١٢: ١-٤).

احذر ضد المسيح

١٨. حـافظ علـى نفسك يا إنسان، فإنه يقدم لك علامات ضد المسيح. فتذكرها لا لنفسك فحسب، بل قدمها بوضوح للجميع. إن كان لك ابن حسب الجسد انذره بهذا الآن، وإن كـنت قـد ولدت إنسانًا حسب الإيمان (الوعظ) فأجعله أن يحترس لئلا يقبل الكذاب على أنه الحقيقي، "لأن سر الإثم الآن يعمل" (٢ تس ٢: ٧).

إنني أخشى حروب الأمم هذه. إنني أخاف الانشقاقات التي في الكنيسة. إني أخشى كراهية الإخوة المنتشرة.لكن يكفي في هذا الموضوع أن يمنع الله حدوث هذا في أيامنا. لكن لنكن محترسين. وهكذا يكفي جدًا بخصوص الحديث عن ضد المسيح.

مجيء المسيح على السحاب

١٩. لننتطلع إلى مجيء الرب من السماء على السحاب ونترقبه، ستصوت الأبواق الملائكـية، حينئذ "الأموات في المسيح سيقومون أولاً" (١ تس ٤: ١٦). وسيُختطف الأبرار الصـالحون إلى السماء لينالوا جزاء أعمالهم الصالحة أفضل من الكرامة البشرية. ولقد كتب الرسـول بـولس: "لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله ينزل من السماء والأمـوات فـي المسـيح سيقومون أولاً، ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعًا معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء، وهكذا نكون كل حين مع الرب" (١ تس ٤: ١٦، ١٧).

سفر الجامعة يحذرنا

٢٠. كـان مجيء الرب هذا ونهاية العالم معروفين للمبشر الذي يقول: "افرح أيها الشاب في حداثتك... فأنزع الغم من قلبك، وأبعد الشر عن جسدك... اذكر خالقك... قبل أن تأتي أيام الشر... قبل أن تظلم الشمس والنور والقمر والنجوم... وتظلم النواظر من الشبابيك (مظهـرًا سـهولة النظـر)... قبل ما ينفصم حبل الفضة (قاصدًا تجمعات النجوم التي تشبه الفضـة فـي منظرها)، أو تنسحق زهرة الذهب (هذا الحجاب يشير إلى الشمس الذهبية لأن

نـبات البابونج Camomèle المعروف له أوراق كثيرة مثل الأشعة تخرج منه وتحيط به) ويستيقظون على صوت العصفور، نعم وسينظرون بعيدًا من المكان العالي وستكون مخاوف في الطريق" (راجع جا ١١: ٩، ١٠؛ ١٢: ٤، ٥).

مـــاذا يريدون؟ "حينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيًا على سحاب السماء"، وتنوح قبيلة فقبيلة (مت ٢٤: ٣٠؛ زك ١٢: ٢).

ومـــاذا يحـــدث عـــند مجيء الرب؟ "ستزهر شجر اللوز، وسينمو الجندب بكثرة، وتتكاثـــر بـــراعم التوت جدًا" (راجع جا ١٢: ٥). وكما يقول المفسرون اللوزة المثمرة تدل على رحيل الشتاء، وستثمر أجسادنا بعد الشتاء بزهور سمائية "وسينمو الجندب[1] بكثرة" (وهذا يعنـــي الروح المجنح اللابس الجسد)، وتتكاثر براعم التوت جدًا، (إذ يكون الأثمة الذين هم كالشوك قد اندثروا).

مجيء الرب من خلال الكتاب المقدس

٢١. هـــا أنـــت تـــرى كـــيف تنبأ جميعهم عن مجيء الرب، كيف يُعرف صوت العصفور؟ لتعرف أي صوت من الأصوات هو هذا؟ "لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس الملائكـــة وبوق الله سوف ينزل من السماء" (١ تس ٤: ١٦). سيعلن رئيس الملائكة قائلاً: للجميع: "قوموا للقاء العريس".

مخـــيف هو مجيء مخلصنا، إذ يقول داود: "يأتي إلهنا ولا يصمت، نار قدامه تأكل وحوله عاصف جدًا" (مز ٥٠: ٣ لآساف). يأتي ابن الإنسان للآب كما يقول الكتاب الذي قُرأ "علـــى ســـحب الســـماء" وبالقرب منه "نهر نار" (دا ٧: ١٠)، لاختبار أعمال كل أحد. فإن وُجدت ذهبًا تلمع، وإن كانت قشًا تحترق بالنار.

وســـيجلس الآب بلباس أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقي (دا ٧: ٩). لكن هـــذا الحديث بلغة بشرية. لماذا قيل هذا عنه؟ لأنه يملك على الذين لم يتنجسوا بالخطية، إذ يقـــول: "أجعـــل خطايـــاكم بيضاء كالثلج وكالصوف" (إش ١: ١٨) إشارة إلى الصفح عن الخطايا أو عدم السقوط في الخطية.

لكـــن الذي يأتي على السحاب هو نفسه الذي صعد على السحاب، إذ يقول بنفسه: "ويبصرون ابن الإنسان آتيًا على سحاب السماء بقوة ومجدٍ عظيمٍ" (مت ٢٤: ٣٠).

---

[1] نوع من الجراد.

علامة الصليب في السماء

٢٢. لكن ما هي علامة مجيئه؟ لئلا تجرؤ أية قوة مقاومة على التضليل، يقول: "حينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء" (مت ٢٤: ٣٠). علامة المسيح الحقيقي هي الصليب. فيتقدم الملك علامة الصليب المضيئة، معلنة بوضوح ذاك الذي صُلب. حتى إذ يرى اليهود الذين طعنوه وتآمروا عليه هذه العلامة ينوحون قبيلة فقبيلة (زك ١٢: ١٢)، قائلين: هذا هو الذي ضُرب ولُكم. هذا هو الذي بُصق على وجهه. هذا هو الذي قُيِّد بالسلاسل. هذا هو الذي صُلب ولم يُبالى به.

سيقولون: أين نهرب من وجه غضبك؟ لكن جيوش الملائكة تحضرهم، فلا يستطيعون الهروب إلى أي موضع. ستكون علامة الصليب رعبًا لأعدائه وفرحًا لأصدقائه الذين آمنوا به أو كرزوا به أو تألموا من أجله. فمن هو هذا المغبوط الذي يكون صديقًا للمسيح.

ومع أن الملك عظيم وممجد جدًا، ترافقه الملائكة الحراس، شريك الآب (واحد معه) في العرش، إلاّ أنه لن يزدري بخدامه الأخصاء. ولكي لا يختلط مختاروه مع أعدائه، "يرسل ملائكته ببوقٍ عظيم الصوت، فيجمعون مختاريه من الأربع رياح" (مت ٢٥: ٣٤).

إنه لم يزدرِ بلوط الذي كان وحيدًا، فكيف يزدري بأبرار كثيرين؟! إنه يقول للذين يركبون معه مركبات السحاب وتجمعهم الملائكة: "تعالوا يا مباركي أبي!"

الديان لا يحابي الوجوه

٢٣. لكن قد يقول أحد الحاضرين: أنا إنسان مسكين، أو قد أكون في ذلك الوقت مريضًا على الفراش، "أنا امرأة، وأُخذت إلى الطاحونة، فهل أُرفض؟!" تشجع يا إنسان، فإن الديان لا يحابي الوجوه. "لا يقضي بحسب منظر الشخص، ولا حسب كلامه" (راجع إش ١١: ٣). لن يكرم المتعلمين فوق البسطاء، ولا الأغنياء أكثر من المحتاجين. إن كنتم في حقل تأخذكم الملائكة. لا تظنوا أنه يأخذ أصحاب الأراضي، ويترك الحارثين. حتى وإن كنت عبدًا أو فقيرًا لا تتضايق. لقد أخذ شكل العبد (في ٢: ٧)، فهل يرفض العبيد؟ حتى وإن كنت راقدًا على الفراش، إذ مكتوب: "يكون اثنان على فراش واحد، فيؤخذ الواحد ويُترك الآخر" (لو ١٧: ٣٤). حتى وإن كنت مظلومًا تحت إلزام، رجلاً كنت أو امرأة، مكبلاً أو جالسًا بجوار طاحونة، فإن الذي بسلطانه أن يحلّ المقيدين لن يتجاوزك. الذي عتق

يوسف من العبودية وأخرجه من السجن إلى المملكة، يفديك من ضيقتك إلى ملكوت السماوات.

يليق بك أن تفرح فرحًا حسنًا، وتعمل وتجاهد بغيرة، فإنك لن تفقد شيئًا من جهادك. كل صلاة هي لك. كل مزمور تتغنى به يُسجل لك. العفة من أجل الله تُحسب لك.

توهب الأكاليل الأولى للبتولية والطهارة فتضيء كالملاك.

وكما سمعتم بفرح عن الأمور الصالحة، اسمعوا أيضًا بغير تبرمٍ عن العكس. كل طمعٍ يُسجل عليكم، كل زنى، كل قسمٍ كاذبٍ، كل تجديفٍ وشعوذةٍ وسرقةٍ وقتلٍ، هذه جميعها تُسجل من الآن عليكم، إن فعلتم إياها بعد العماد كما كنتم قبله، لأن الخطايا السابقة قد مُحيت.

ستُدان أمام كل البشرية

٢٤. يقول "متى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه". يا إنسان، أمام كم من الجموع تُدان. سيحضر كل أجناس البشرية. أحص عدد أفراد الأمة الرومانية، والقبائل البربرية الموجودة اليوم، والذين انتقلوا من مئات السنين الماضية من آدم إلى يومنا هذا. حقًا إنه لجمع عظيم، إلا أنهم قليلون إن قورنوا بالملائكة الذين هم أكثر بكثير، إذ هم التسعة والتسعون خروفًا والبشرية هي الخروف الواحد (لو ١٥: ٤؛ مت ١٨: ١٢)... مكتوب: "ألوف ألوف تخدمه، وربوات وقوف قدامه" (دا ٧: ١٠) ليس لأنه هكذا هي عظمة العدد بل لم يستطع أن يعبر أكثر من هذا. هكذا سيكون حاضرًا في يوم الدينونة الله أب الجميع، ويسوع المسيح جالسًا معه، والروح القدس حالاً، وسيجمعنا كلنا بوق ملائكي لنحضر أعمالنا معنا.

أما يليق بنا الآن أن نهتم بالأمر... لا تظنه أمرًا هينًا يا إنسان في العقاب أن يكون الحكم أمام جمع عظيم هكذا. أما تختار الموت دفعات كثيرة أفضل من أن تُحاكم في حضرة الأصدقاء؟!

ضمائركم تدينكم

٢٥. لنرتع يا إخوة لئلا يديننا الله الذي لا يحتاج إلى فحصٍ ولا إلى أدلةٍ في المحاكمة. لا تقل إنني صنعت الفسق أو أعمال السحر أو شيئًا آخر في الليل ولم يكن معي أحد. فإن ضمائركم تدينكم، "وأفكاركم فيما بينها مشتكية أو محتجة في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس" (رو ٢: ١٥، ١٦).

إن منظـــر الـــديان الرهيب يدفعكم أن تنطقوا بالحق، وإن لم تتكلموا، فإن أعمالكم نفسها تستذنبكم، إذ تقومون وأنتم لابسين أعمالكم الشريرة أو الصالحة.

وهذه يعلنها الديان نفسه، إذ المسيح هو الذي يدين. "لأن الآب لا يدين أحدًا، بل قد أعطـــى كـــل الدينونة للابن" (يو ٥: ٢٢)، دون أن يتجرد الآب من سلطانه، بل يدين خلال الابن. فالابن يدين بإرادة الآب، إذ إرادة الآب والابن واحدة بذاتها ليس فيها اختلاف.

إذن مـــاذا يقـــول الـــديان بخصوص أعمالك؟ "ويجتمع أمامه كل الشعوب لأنه في حضـــرة المســـيح، "تجـــثو كـــل ركبة مما في السماء وما على الأرض وما تحت الأرض" (في ٢: ١٠). فيميز بعضهم من بعض "كما يميز الراعي الخراف من الجداء" (مت ٢٥: ٢٢). هل يقوم الراعي بالتميز بينهما؟ هل يفحص من هو خروف ومن هو جدي من كتاب؟ أو هل يميزهم بعلامات خاصة؟

ألـــيس الصوف يظهر الخروف بينما الجلد الخشن المشعر يظهر الجدي؟! هكذا إذا تطهـــرتم من خطاياكم الآن تكون أعمالكم كالصوف النقي، ويبقى ثوبكم بلا دنس، وتقولون إلـــى الأبـــد: "خلعت ثوبي فكيف ألبسه؟!"[1] من منظركم تُعرفون أنكم خراف. أما إن وجدتم كعيسو لكم شعر خشن وعقل شرير، الذي خسر بكوريته بأكلة، وباع امتيازه، حينئذ تكونون مـــن الذين عن اليسار. ليحفظ الله كل الحاضرين هنا من أن يُلقى أحدنا بعيدًا عن النعمة أو يوجد بين صفوف الأشرار الذين عن اليسار بسبب شرهم.

مخيفة هي الدينونة

٢٦. بالحق مخيفة هي الدينونة ومرعبة هي تلك الأمور المعلنة! ملكوت السماوات موضوع أمامنا والنار الأبدية معدة! قد يقول قائل: كيف أهرب من النار؟ كيف أدخل ملكوت الســـماوات؟ يقول (الرب) "جعت فأطعمتموني". من هنا نتعلم الطريق. هنا لا توجد استعارة بـــل لتتمم ما قيل: "جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريبًا فآويتموني، عريانًا فكســـوتموني، مريضًـــا فزرتمونـــي، محبوسًـــا فأتيتم إليّ" (مت ٢٥: ٣٥). هذه الأمور إن فعلتموها تدينون معه، وإن لم تفعلوها تُدانون.

---

[1] نـــش ٥: ٣ كثيـــرًا ما يستخدم القديس كيرلس هذه العبارة في هذا المعنى... خلع ثوب الدنس، وهذه بغير ما جاءت في الكتاب المقدس كما نلاحظ ذلك بقراءة الأصحاح كله.

ابدأ فورًا بعملها، ولتثبت في الإيمان، لئلا تكون مثل العذارى الجاهلات اللواتي إذ أبطأن في شراء الزيت أُغلق عليهن. لا تطمئن لمجرد امتلاكك المصباح، بل ليكن المصباح مشتعلاً، ليضيء نور أعمالكم الصالحة أمام الناس (مت ٥: ١٦). لا تجعلوا اسم المسيح يُجدف عليه بسببكم. البسوا ثوب عدم الفساد المتألق بالأعمال الصالحة.

ما يوكِّلك الله عليه تاجر فيه بربح! هل استؤمنت على ثروات؟ وزعها حسناً!

هل استؤمنت على كلمة تعليم؟ كن وكيلاً صالحًا.

هل تستطيع أن تصل إلى أرواح السامعين؟ اصنع هذا باجتهاد.

توجد أبواب كثيرة للوكالة الصالحة. ليته لا يُدان أحد منا ويطرد خارجًا حتى نستطيع أن نقابل المسيح الملك الأبدي بدالة، هذا الذي يحكم إلى الأبد، هذا الذي يدين الأحياء والأموات، إذ مات من أجل الأحياء والأموات. وكما يقول بولس: "لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش، لكي يسود على الأحياء والأموات" (رو ١٤: ٩).

ابغضوا الهراطقة المزدرين بالمسيح

٢٧. يلزمكم ألاّ تنصتوا لمن يقول إن ملكوت السماوات له نهاية. ابغضوا الهرطقة. إنه رأس جديد للتنين ظهر أخيرًا في غلاطية. لقد تجاسر واحد أن يقول إنه بعد نهاية هذا العالم لن يحكم المسيح بعد. لقد تجرأ فقال إن الكلمة الذي من الآب يرجع إلى الآب مرة أخرى ولا يكون بعد.

إنه ينطق بهذه التجاديف لهلاكه، إذ لم يسمع للرب القائل: "الابن يبقى إلى الأبد" (راجع يو ٨: ٢٥). ولا سمع لجبرائيل القائل: "ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية" (لو ١: ٣٣). تأملوا هذه العبارة، فإن هراطقة هذه الأيام يعلمون مزدرين بالمسيح، بينما رئيس الملائكة جبرائيل يعلمنا سرمدية المخلص، فمن منهما يليق بنا أن نصدق؟!

اسمعوا شهادة دانيال في العبارة: "كنتُ أرى في رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء مثل ابن الإنسان آتى وجاء إلى قديم الأيام... فأُعطي سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبدي، لن يزول، وملكوته لا ينقرض" (دا ٧: ١٣، ١٤).

تمسكوا بهذه الأمور. صدقوها واطرحوا عنكم كلمات الهراطقة، لأنكم سمعتم بأكثر وضوح عن مملكة المسيح اللانهائية.

الكتاب المقدس يعلن عن أبدية ملكوت المسيح

٢٨. هـذا التعلـيم نجـده أيضًا في تفسير "الحجر الذي قُطع من جبل بغير يدين" (دا ٢٠: ٤٥)، الذي هو "المسيح حسب الجسد" (رو ٩: ٥). "ولا تترك مملكته لشعب آخر". ويقـول داود أيضًا "كرسيك يا الله إلى دهر الدهور" (مز ١٤: ٦). وفي موضع آخر يقول: "أنت يا الله في البدء أسست الأرض... هي تبيد وأنت تبقى... وأنت هو وسُنوك لن تنتهي". هذه الكلمات التي فسرها بولس أنها عن الابن.

يملك حتى بعد أن يضع جميع الأعداء تحت قدميه

٢٩. أتـريد أن تعـرف كيف أسرع الذين يعلّمون تعليمًا مناقضًا إلى جنون كهذا؟! إنهم يقرأون خطأ كلمة الرسول الحسنة: "لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه" (١ كو ١٥: ٢٥)، فيقولون إنه حين يُوضع أعداؤه تحت قدميه حينئذ يكف عن الحكم. هـذا الادعـاء خاطـئ ومملـوء حماقة، لأنه إن كان يملك قبل أن يخضع له أعداؤه فكيف بالأحرى يكون ملكًا بعدما يتسلط عليهم؟!

خضوعه بالحب للآب

٣٠. لقـد تجاسروا أيضًا فقالوا إن الكتاب المقدس في قوله "ومتى أُخضع له الكل فحينـئذ الابـن نفسه أيضًا سيَخضع للذي أُخضع له الكل" (١ كو ١٥: ٢٨). يقصد أن الابن ينتهي ويُمتص في الآب. هل أنتم تبقون يا من أنتم خليقة المسيح، يا من أنتم أشد الناس كفرًا، بينما يفنى المسيح خالقكم وصانع كل الخليقة؟ إنه تجديف، إذ كيف تخضع له الخليقة، أبفنائها أم بقائهـا؟ هـل تخضع له الأشياء الأخرى ببقائها وإذ يخضع هو للآب يفنى ويزول؟! إنه سيخضـع لـه لا لكي يبتدئ يصنع إرادة الآب (إذ هو منذ الأزل يعمل الأعمال التي تسره) (يـو ٨: ٢٩)، ولكـنه كمـا كان أيضًا يطيع الآب ليس كرهًا بل طوعًا، إذ أنه ليس خادمًا يخضع بالقوة، بل ابن يطيع باختياره الحر بالحب الطبيعي!

معنى "حتى"

٣١. لنفحص ما معنى "حتى" (في العبارة السابقة). فبهذه الكلمة عينها اقترب إليهم وأظهـر خطأهم، إذ تجاسروا قائلين إن العبارة "**حتى** يضع أعداءه تحت قدميه" تُعلن أنه هو نفسه له نهاية. لنفترض أن ملكوت المسيح الأبدي له حدود وسلطانه غير المنتهى له نهاية، تعالـوا إذن لنقـرأ العبارات المماثلة في كتابات الرسول: "لكن قد ملك الموت من آدم حتى

موســـى" (رو ٥: ١٤). هل معنى هذا أن الناس كانوا يموتون قبل ذلك، ولكن بعد موسى لم يمـــت أحد البتة؟! أو هل لا يكون موت بعد الناموس؟! حسنًا، هل أنت ترى أن كلمة "حتى" هنا لا تحدد الوقت...

معنى "حتى" (يتبع)

٣٢. خـــذ أيضًا عبارة مشابهة. "لأنه **حتى** اليوم ذلك البرقع نفسه عند قراءة العهد العتـــيق باق" (٢ كو ٢: ١٤، ١٥). فهل عبارة "**حتى اليوم**" تعني أنه إلى أيام بولس الرسول (فقـــط)؟ ألا تعني أنها إلى يومنا هذا، بل وتبقى إلى النهاية. وإذ قال بولس لأهل كورنثوس: "إذ قد وصلنا **حتى** إليكم أيضًا في إنجيل المسيح، راجين إذا نما إيمانكم لنبشر إلى ما وراءكم" (٢ كو ١٠: ١٤، ١٥، ١٦) فإنه من الواضح أن كلمة "**حتى**" لا تعني النهاية بل الاستمرار.

إذًا بأي معنى تفهم العبارة "حتى يضع كل أعدائه تحت قدميه"؟ إنه كما يقول بولس فـــي موضع آخر "عظوا أنفسكم كل يوم **مادام** الوقت يدعى اليوم" (عب ٢: ١٣)، فإنه يعني الاستمرار...

خاتمة

٣٣. وبالرغم من وجود شهادات كثيرة في الكتاب المقدس تعلن أن ملكوت المسيح أبـــدي لا نهايـــة لـــه، إلاّ أنني اكتفى الآن بما سبق ذكره، إذ قد تأخر النهار. أما أنت أيها المســـتمع فأعبده هو فقط كملكٍ لك، واهرب من أخطاء الهراطقة. وإذا سمحت لي نعمة ربنا فسأفسر لك بقية عبارات قانون الإيمان في فسَحة من الوقت.

لـــيحفظكم جميعًا إله كل العالم في أمان، متذكرين علامات المنتهى، غير خاضعين لضـــد المسيح. لقد عرفتم كل علامات المُخادع المزمع أن يأتي. لقد عرفتم علامات المسيح الحقيقي الذي يأتي بوضوح من السماء. فاهربوا من الأول الكذاب، وانتظروا الآخر الحقيقي.

لقد تعلمتم الطريق حتى تكونوا من أصحاب اليمين في الدينونة.

احفظوا الوديعة التي للمسيح. كونوا صاحين في الأعمال الصالحة حتى يمكنكم أن تقفـــوا بيقينٍ حسن أمام الديان – وترثوا ملكوت السماوات – الذي خلاله وله المجد مع الآب والروح القدس إلى أبد الأبد. آمين.

المقال السادس عشر

الروح القدس الواحد

المعزي، الذي تحدث في الأنبياء

"وأمـــا مـــن جهة المواهب الروحية أيها الاخوة، فلست أريد أن تجهلوا... فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح الواحد" (١ كو ١٢: ١، ٤).

الحديث عن الروح القدس أمر مخيف

١. بالحقيقة إننا نحتاج إلى **نعمة الروحانية** لكي نتحدث عن الروح القدس، لا لكي نفي الموضوع حقه، فإن هذا مستحيل، بل حتى إذا ما تحدثنا بكلمات الكتاب المقدس نكمل مقالنا بغير خطرٍ. لأنه بالحقيقة أمر مخيف ما جاء في الأناجيل أن المخلص تحدث بوضوح قائلاً: "من قال كلمة على الروح القدس، فلن يُغفر له، لا في هذا العالم ولا في الآتي" (مت ١٢: ٣٢).

يســود الخوف من أن يسقط أحد تحت هذا الحكم، إن تحدث بما لا يليق بخصوص الــروح عن جهل أو وقار مزعوم. إن ديان الأحياء والأموات - يسوع المسيح - قد أوضح أنه ليس عنده غفران، لذلك فمن يخطئ أي رجاء يكون له؟!

حاجتنا إلى نعمة يسوع المسيح نفسه

٢. إذن يلــيق بنا أن تعمل فينا نعمة يسوع المسيح نفسه حتى لا ننطق بعيب. كما يجب عليكم أن تسمعوا بتمييز، لأن التمييز لازم ليس فقط للمتكلين، بل وللسامعين أيضًا، لئلا يسمعوا شيئًا ويفهمون شيئًا آخر خطأ.

إنــنا لا نــتكلم عن الروح القدس إلاّ بما هو مكتوب، وأما ما هو غير مكتوب فلا ننشــغل بــه. الــروح القــدس نفسه تكلم في الكتب. وقد تكلم عن نفسه قدر مسرته أو قدر استطاعتنا في الأخذ. لنتكلم بما قالته الكتب، أما ما لم تقله، فلا نجسر أن نقوله.

روح قدس واحد

٣. يــوجد روح قــدس واحد وحيد، المعزي. وكما يوجد الله الآب واحد وليس أب آخــر، وكمــا يوجد ابن واحد وحيد كلمة الله الذي ليس له أخ، هكذا يوجد روح قدس واحد وليس هناك ثان مساوٍ له في الكرامة.

الــروح القدس قوة غاية القدرة، (أقنوم)[1] إلهي لا يُستقصى، فهو حيّ عاقل. مقدس كــل مــا خلقــه الله خلال الابن. إنه ينير أرواح الأبرار. كان في الأنبياء وفي رسل العهد الجديد. ممقوتون هم الذين يفصلون عمل الروح القدس (في العهدين)!

إنه يوجد الله واحد، الآب رب العهد القديم والجديد، ورب واحد يسوع المسيح الذي تنبأ عنه العهد القديم، وجاء في العهد الجديد، وروح قدس واحد كرز بالمسيح خلال الأنبياء، وحينما جاء المسيح نزل وأعلنه!

كنيسة الجلجثة أفضل للتحدث عن الروح القدس

٤. ليته لا يفصل أحد بين العهد القديم والعهد الجديد. لا تسمحوا لأحد أن يقول أن الــروح القــدس فــي الماضي شيء، وفي الحاضر شيء آخر، لأنه بهذا يخطئ إلى الروح القدس ذاته، الذي يُكرَّم مع الآب والابن، ويُذكر كأحد الثالوث القدوس عند العماد المقدس. إذ قــال ابــن الله الوحــيد للرسل بوضوح: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن، والروح القدس" (مت ٢٨: ١٩). رجاؤنا هو في الآب والابن والروح القدس.

نحن لا نكرز بثلاثة آلهة.

ليبكم أتباع مرقيون، فإننا نكرز بالروح القدس خلال ابن وحيد، نكرز بالله الواحد.

الإيمــان غيــر منقســم، والعــبادة غير منفصلة. نحن لا نفصل الثالوث القدوس كالبعض، ولا نعمل مثل سابيليوس تشويشاً، لكننا بحسب التقوى نعرف أبًا واحدًا أرسل ابنه ليخلصــنا. نعرف ابنًا واحدًا وعد أن يرسل لنا المعزي من عند الآب. نعرف الروح القدس تكلم في الأنبياء، وحلّ على الرسل في يوم البنطقستي على شكل ألسنة نار، هنا في أورشليم في كنيسة الرسل العليا، إذ لنا في كل شيءٍ امتيازات عظمى مختارة.

هنا جاء المسيح من السماء، وهنا حلّ الروح القدس على الرسل، وبالحق كان لائقًا جدًا أن نعظ هنا عن المسيح والجلجثة في الجلجثة، وكان يليق أن نتحدث عن الروح القدس في الكنيسة العليا (التي حلّ فيها الروح على التلاميذ).

ومــع ذلك فإذ يشترك الذي حلّ هناك، فيمجد ذاك الذي صلب هنا. فإننا هنا أيضًا (في كنيسة الجلجثة) نتحدث عن ذاك الذي حلّ هناك، لأن عبادتهما غير منفصلة.

---

[1] الترجمة الإنجليزية "كائن".

البدع ضد الروح القدس

٥. نــتكلم الآن عــن بعض الأمور الخاصة بالروح القدس، لا لنوضح طبيعته كما هــي، هــذا مستحيل، وإنما نتحدث عن أخطاء البعض بخصوصه، حتى لا نسقط فيها عن جهــلٍ، ولكــي نغلق طريق الخطأ، فنسير في الطريق الملوكي. فإن كررنا بعض عبارات الهــراطقة بقصد الحذر، فإن أقوالهم ترتد على رؤوسهم، ولا نكون نحن الذين نتكلم أو أنتم الذين تسمعون مخطئين.

سيمون الساحر والغنوصيون

٦. لأن الهــراطقة، الذين هم أنجس من كل شيء قد سنوا ألسنتهم (مز ١٤٠: ٣) ضد الروح القدس أيضًا، إذ تجاسروا ونطقوا بأشياء مملوءة نفاقًا كما كتب إيريناؤس المفسر فــي توصــياته ضد الهراطقة. إذ تجاسر البعض فادعوا أنهم هم أنفسهم الروح القدس. من هؤلاء سيمون الساحر المذكور في سفر الأعمال، لأنه حين طُرد أخذ ينادي بهذه التعاليم.

وأيضًا الغنوصيون أناس منافقون تكلموا بأشياء أخرى على الروح، وأتباع فالنتيان الأشــرار يقولــون بأشياء أخرى، وأيضًا ماني النجس تجرأ وقال إنه البارقليط المرسل من المسيح.

آخرون ادعوا أن الروح في الأنبياء يختلف عنه في العهد الجديد. حقًا إن خطأهم أو تجديفهم عظيم. لذلك أمقتوا هؤلاء، واهربوا من المجدفين على الروح القدس، الذين ليس لهم غفــران. لأنــه أيــة صــداقة تكون لكم مع من لا رجاء فيهم، يا من ستتعمدون من الروح القــدس؟! إن كــان من يلتصق بلصٍ ويوافقه يتعرض للعقوبة، فأي رجاء لمن يخطئ ضد الروح القدس؟!

أتباع مرقيون

٧. لتمقتوا أيضًا أتباع مرقيون الذين يفصلون بين أقوال العهد القديم والعهد الجديد، لأن مــرقيون أعظــم المنافقــين زعم أولاً وجود ثلاثة آلهة، وإذ عرف أن في العهد الجديد شــهادات الأنبــياء عــن المسيح ترك الشهادات المأخوذة من العهد القديم حتى ترك الملك (المســيح) بغير شهادة. امقتوا الغنوصيين السابق ذكرهم، الذين يدعون العلم وهم مملوؤون جهلاً، إذ تجاسروا وقالوا أشياء كهذه ضد الروح القدس لا أجسر أن أكررها.

أتباع فيريجيان مونتانيوس

٨. لتبغضوا الكاتفرجيانس[١] ورئيس عصابتهم في الشر "**مونتانيوس**" وابنتيه المزعومتين ماكسيمالا وبرلسكيلا. لأن مونتانيوس هذا الذي فقد عقله كان مجنونًا بحق... إذ تجاسر وادعى أنه هو نفسه الروح القدس. ذاك الرجل البائس، المملوء من كل نجاسة ودعارة، لأنه يكفي التلميح إلى هذا من أجل النسوة الحاضرات (إذ لا يليق ذكر فضائحه أمامهن). فإذ امتلك ببيوزا Pepuza القرية الصغيرة جدًا في فريجيا دعاها كذبًا بـ"أورشليم"، وكان يقطع حناجر الأطفال الصغار البائسين ويقدمها كطعامٍ دنسٍ لما يسمونه "أسرار"... ومع كل هذا تجرأ ودعا نفسه الروح القدس، هذا الذي كان مملوء نفاقًا وقسوة بلا إنسانية وهو مدان بحكمٍ لا يُنقض.

ماني

٩. وكما سبق أن قلنا إنه قد تلاه "**ماني**" الكافر، هذا الذي جمع كل شرور الهرطقات. هذا الذي يمثل هوة الدمار الدنيئة، جامعًا مبادئ كل الهراطقة، وعمل وعلّم بأخطاء جديدة، وقد تجاسر ودعا نفسه "المعزي" الذي وعد المسيح أن يرسله. لكن المسيح حين وعد الرسل قال لهم: "فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالي" (لو ٢٤: ٤٩). هل يتجاسر أحد فيقول إنهم لم يمتلئوا على الفور من الروح القدس؟ بل أكثر من هذا مكتوب "حينئذ وضعا الأيادي عليهم، فقبلوا الروح القدس" (أع ٨: ١٧). ألم يكن هذا قبل مجيء "ماني"؟ نعم قبله بمئات السنين حين نزل الروح القدس في يوم البنطقستي!

سيمون الساحر

١٠. لماذا دُين **سيمون الساحر**؟ أليس لأنه أتى للرسل قائلاً: "أعطياني أنا أيضًا هذا السلطان حتى أي من وضعت عليه يديّ يقبل الروح القدس؟!" (أع ٨: ١٩) لأنه لم يقل "أعطياني أنا أيضًا شركة الروح القدس" بل "هذا السلطان" هل يمكن بيع ما لا يمكن بيعه... لقد قدم مالاً لمن ليس لهم مقتنيات، مع أنه رأى الناس يقدمون ثمن الأشياء المباعة، ويضعونها عند أرجل الرسل، إذ لم يأخذ في اعتباره أن هؤلاء الذين وطأوا تحت أقدامهم الثروة المقدمة لإعالة الفقراء ما كان محتملاً أن يعطوا قوة الروح القدس بالرشوة.

---

[١] الكاتفرجيانس *Cataphrygians* أو *Phrygians* هو الاسم الذي لقب به أتباع فيريجيان مونتانيوس *Phrygian Montanus.*

لكن ماذا قالوا لسيمون؟ "لتكن فضتك معك للهلاك، لأنك ظننت أن تقتني موهبة الله بدراهم" (أع ٨: ٢٠)، لأنك صرت يهوذا الثاني، إذ ظننت أن تشتري نعمة الروح بالفضة. فإن كان سيمون يهلك لأنه رغب في أخذ القوة بثمن، فماذا يكون فجور ماني الذي ادعى أنه الروح القدس؟!

لنكره هؤلاء (الهراطقة) المستحقين للكراهية، ولنبتعد عن هؤلاء الذين يبتعد الرب عنهم، ولنقل نحن أيضًا بكل شجاعةٍ إلى الله عن الهراطقة، "ألاَ أبغض مبغضيك يا رب وأمقت مقاوميك؟!" (مز ١٣٩: ٢١) لأنه توجد عداوة حقة، إذ مكتوب "سأضع عداوة بينك وبين نسلها" (تك ٣: ١٥)، لأن الصداقة مع الحيّة تصنع عداوة مع الله وتوجد موتًا!

لنرجع إلى الأسفار المقدسة

١١. يكفينا هذا بخصوص الخارجين، ولنرجع إلى الأسفار المقدسة لنشرب مياها من أحواضنا ومن آبارنا النابعة (راجع أم ٥: ١٥). لنشرب من مياه حيَّة تنبع إلى حياة أبدية (راجع يو ٤: ١٤). إذ قال المخلص "هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه" (يو ٧: ٣٨، ٣٩). لاحظوا ماذا قال، "الذي يؤمن بي كما قال الكتاب (مرجعًا إياكم إلى العهد القديم) تجري من بطنه أنهار ماء حي". ليست أنهارًا تُلمس بالحواس، وتروي الأرض بأشواكها وأشجارها، بل أيضًا تُحضر الأرواح إلى النور.وفي موضع آخر يقول: "الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية"، نوع جديد من الماء، ماء حيّ، ينبع للمستحقين.

الماء كرمزٍ للروح القدس

١٢. ولماذا دعا نعمة الروح ماءً؟ لأن كل الأشياء تقوم على المياه. فبالماء ينبت العشب وكل حيّ. لأن مياه الأمطار تأتي من السماء، تنزل مادة واحدة، لكنها تصير في أشكالٍ كثيرةٍ. عين واحدة تروي كل الفردوس، ومطر واحد ينزل على العالم كله، لكنه يصير أبيض في السوسن، وأحمر في الورود، وأرجوانيًا في الزهور... ويتعدد في أنواع مختلفة... ومع ذلك فطبيعته واحدة، غير مختلفٍ في ذاته، إذ لا يتغير، فيسقط تارة في شكلٍ، ومرة أخرى في مادة أخرى، إنما هو يشكل نفسه حسب تركيب الشيء الذي يستقبله، فيصبح لكل شيء حسبما يتلاءم معه. هكذا الروح القدس هو واحد، طبيعته واحدة لا تتغير لكنه يقسم لكل واحد نعمته كما يريد!

وكمـــا أن الشجرة الجافة بعدما ترتوي بالماء تصنع فروعًا، هكذا أيضًا النفس في الخطـــية إذ بالـــتوبة تتأهل للروح القدس تنبت عناقيد البرّ. ومع أنه واحد في طبيعته، لكن الفضـــائل التي تنشأ بإرادة الله في اسم المسيح عديدة، فيؤهل لسان إنسان للحكمة، ويضيء نفـــس آخـــر بالتنـــبؤ، ويعطي آخر سلطانًا لإخراج الشيطان، وآخر يهبه أن يفسر الأسفار المقدســـة. ويقـــوي ضبط النفس في إنسانٍ، ويعلم آخر طريق تقديم الصدقات، وآخر يعلمه الصـــوم وقمـــع نفسه، وآخر يعلمه احتقار الجسديات، ويهيئ آخر للاستشهاد. إنه متعدد في أنـــاسٍ مختلفين، أما هو فلن يتغير. وكما هو مكتوب: "ولكن لكل واحدٍ يعطى إظهار الروح للمنفعة. فإنه لواحدٍ يعطي بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر إيمان بالروح الواحد، ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد، ولآخر عمل قوات، ولآخر نبوة، ولآخـــر تمييـــز الأرواح، ولآخر أنواع ألسنة، ولآخر ترجمة ألسنة، ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه، قاسمًا لكل واحدٍ بمفرده كما يشاء" (١ كو ١٢: ٧-١١).

كلمة "روح" في الكتاب المقدس

١٣. وإذ جـــاءت كلمـــة "روح" عامة في الكتاب المقدس تحمل معان كثيرة، فهناك خـــوف من أن يسقط أحد في تشويش عن جهل، غير مدركٍ، أي روح هو المقصود به. من أجل هذا يليق بنا الآن أن نحدد لكم كيف يوضح الكتاب المقدس "الروح القدس".

لأنـــه كمـــا أن هرون يدعى مسيحًا، وهكذا داود وشاول وآخرون، ومع ذلك يوجد مسيح حقيقي واحد، هكذا كما أن اسم" الروح" يدعى به أشياء كثيرة، فبالحق يلزمنا أن نعرف أي منها يدعى على وجه التحديد "الروح القدس".

فهـــناك أشـــياء كثيـــرة تدعى أرواح: فالملاك يدعى روحًا، والنفس تدعى روحًا، والريح الذي يهب يدعى روحًا، والفضيلة العظيمة تدعى روحًا، والعادة النجسة تدعى روحًا، والشـــيطان مقاومـــنا يدعى روحًا. لهذا كونوا حذرين عند سماعكم هذه الكلمات لئلا يختلط معنى في الآخر، لأن أسماءهم جميعًا مشتركة.

فبخصـــوص نفوسنا يقول الكتاب: "تخرج روحه فيعود إلى ترابه" (مز ١٤٦: ٤). ويقول ثانية عن نفس الروح: "وجابل روح الإنسان في داخله" (زك ١٢: ١). **وعن الملائكة** يقـــول فـــي سفر المزامير: "الصانع ملائكته رياحًا وخدامه لهيب نار" (مز ١٠٤: ٤). **وعن الـــرياح** يقول: "وروح عاصف بها تكسر سفن ترشيش" (مز ٤٨: ٧)، وأيضًا "النار والبرد

والضباب والروح العاصف" (إش ١٢: ٢). **وعن التعليم الصالح** يقول الرب نفسه: "الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة" (يو ٦: ٦٣) بدلاً من أن يقول "هو روحي". أما **الروح القدس** فلا ينطق به اللسان، إنما هو روح حيّ يهب الحكمة في الكلام متحدثًا وواعظًا بنفسه.

الروح القدس يتكلم ويقود ويرسل بسلطان

١٤. أتريد أن تعرف كيف يعظ الروح القدس ويتكلم؟ لقد نزل فيلبس بإعلان من الملاك إلى الطريق المؤدي إلى غزة حيث كان الخصيّ آتيًا، فقال الروح لفيلبس: "تقدم ورافق المركبة" (أع ٨: ٢٩). انظروا هنا إلى الروح فإنه يكلم واحدًا فيسمعه! أيضًا يقول حزقيال: "**وحل على روح الرب** وقال لي هكذا قال الرب" (حز ١١: ٥). وأيضًا "قال الروح القدس" للرسل الذين في أنطاكية: "افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه" (أع ١٣: ٢). انظر كيف أنه الروح الحي يفرز ويدعو ويرسل بسلطان!

بولس أيضًا قال: "غير أن الروح القدس يشهد في كل مدينة قائلاً: إن وثقًا وشدائد تنتظرني" (أع ٢٠: ٢٣). فإنه **مقدس الكنيسة ومعينها**، معلمها الروح القدس المعزي، الذي قال عنه المخلص: "سيعلمكم كل شيء" (ولم يقل فقط "سيعلمكم كل شيء" بل قال: "وسيذكركم بكل ما قلته لكم"، لأن تعاليم المخلص هي تعاليم الروح القدس بذاتها).

أقول إنه شهد لبولس مقدمًا عما سيصيبه حتى يتقوى قلبه أكثر.

أما الآن فقد كلمتكم بهذه الأمور بسبب العبارة "الكلام الذي أكلمكم به هو روح" حتى يمكنكم أن تفهموا هذا لا بكلام الشفتين، بل تفهموا التعاليم الصالحة التي لهذه العبارة.

الروح بمعنى مضاد

١٥. **ولكن الخطية أيضًا تسمى روحًا**، كما قلت، إنما بمعنى آخر مضاد. فمثلاً يُقال "روح الزنى أضلهم" (هو ٤: ١٢). **كذلك اسم "روح" يطلق على الروح النجس** "الشيطان" بإضافة كلمة "النجس". إذا يليق بالاسم ما يميزه ويحدد طبيعته. فحينما يتكلم الكتاب عن روح الإنسان يضيف كلمة "الإنسان" إلى "روح". وإذ قصد الرياح يقول "روح عاصف". وإذا قصد الخطية يقول "روح الزنى". وإذا قصد الشيطان يقول "الروح النجس". وبهذا تعرف الروح الذي يتكلم عنه، وحتى لا تظنوا أنه يتكلم عن الروح القدس. حاشا لأن اسم "روح مشترك" في أمور كثيرة.

علـــى أي الأحـــوال كـــل شيءٍ ليس له جسم يدعى على وجه العموم "روحًا". فإذ لا تحمل الشياطين ذلك الجسم تُدعى أرواحًا. لكن هناك اختلاف عظيم، لأنه حين يدخل روح نجـس إنســـانًا (لـــيحفظ الله السامعين وغير الحاضرين أيضًا)، فإنه يأتي كذئبٍ يهجم على خروف، متعطشًا إلى الدماء، ومتأهبًا للإهلاك. مجيئه قاس للغاية، أحاسيسه عنيفة جدًا، يظلم الـــذهن، هجـــومهم مملوء ظلمًا، يغتصب ممتلكات الغير، ويستغل بالقوة جسم شخص آخر وإمكانـــياته كمـــا لـــو كانـــت له، فيسقط القائمين (إذ هو منتسب للذين سقطوا من السماء) (لو ١٠: ١٨)، ويملأ الإنسان ظلامًا فتكون عينا الإنسان مفتوحتين ولكنه لا يرى. يدفع بهذا الإنسان إلى حافة الموت. حقًا إن الشياطين أعداء للناس إذ يستخدمونهم بحماقة بغير رحمة.

الروح القدس والروح النجس

١٦. مثل هذا ليس الروح القدس، حاشا! إذ أعماله عكس ذلك، فهو يعمل كل شيءٍ للخير وللخلاص. مجيئه لطيف، وحمله خفيف، يضيء عند قدومه أشعة نور المعرفة.

يأتـــي بأحشـــاء حـــب حقيقي، إذ يأتي ليخلص ويشفي ويعلم وينذر ويقويّ ويحذر ويضيء العقل. يضيء أولاً العقل الذي يقبله، ثم بعد ذلك عقول الآخرين خلاله.

وكمـــا أن الـــرجل الـــذي يكون في ظلام ثم ينظر الشمس فجأة تستضيء بصيرته الجســـدية ويرى بوضوح أمورًا لم يكن يراها من قبل، هكذا أيضًا من يُمنح له الروح القدس تستضـــيء روحـــه ويـــرى أمورًا فوق مرأى الإنسان، لم يكن يعرفها بجسده على الأرض، لكـــن تنظر روحه إلى السماوات. يرى مثل إشعياء "السيد جالسًا على كرسي عالٍ ومرتفع" (إش ٦: ١). ومـــثل حـــزقيال يرى "الذي على رأس الكاروبيم" (حز ١٠: ١)، ومثل دانيال يرى "ربوات ربوات وألوف ألوف" (دا ١٢: ١٠).

والإنسان الذي هو صغير جدًا يرى بداية العالم ويعرف نهاية العالم والأوقات التي بينهما، ويرى تسلسل الملوك، أمور لم يتعلمها قط، إنما المنير الحقيقي حاضر معه.

يكـــون فـــي داخـــل أسوار بيته، لكن قوة معرفته تصل إلى بعيد، فيرى ما يصنعه الآخرون.

أمثلة

١٧. لـــم يكـــن **بطرس** حاضرًا مع حنانيا وسفيرة حين باعا ممتلكاتهما، لكنه كان حاضرًا بالروح، إذ يقول: "لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس؟" (أع ٥: ٣) لم

يكـن بينهما، ولا شاهدهما، لكنه عرف ما قد حدث. "أليس وهو باقٍ كان يبقى لك. ولما بيع ألم يكن في سلطانك. فما بالك وضعت في قلبك هذا الأمر؟!" (أع ٥: ٤) بطرس عديم العلم (أع ٤: ١٣) عرف خلال نعمة الروح القدس ما لم يعرفه حكماء اليونان.

كـذلك أيضًا **أليشع** حين شفى برص نعمان مجانًا أخذ جيحزي المكافأة، أخذ مكافأة عمـل آخـر. أخذ المال من نعمان، وأخفاه في الظلام، لكن الظلام غير مخفيٍ عن القديسين (مـز ١٣٩: ١٢). فلمـا أتى سأله أليشع، وقال له كما قال بطرس: "قولي لي أبهذا المقدار بعـتما الحقـل"؟! هكذا تساءل أليشع: من أين أتيت يا جحيزي؟ لم يسأله عن جهل، لكنه في أسفٍ يسأله: "من أين أتيت" (٢ مل ٥: ٢٥)، من الظلام أتيت، وإلى الظلام تذهب. لقد بعت شفاء الأبرص، يكون البرص ميراثك. كأن أليشع يقول إنني نفذت أمر القائل: "مجانًا أخذتم، مجانًـا أعطوا" (مت ١٠: ٨)، لكن أنت بعت هذه النعمة (المجانية). يقول أليشع: "ألم يذهب قلبي معك؟" (٢ مل ٥: ٢٦) لقد كنت هنا محصورًا بالجسد، لكن الروح الذي أعطاني الرب رأى الأمور البعيدة، وكشف لي بوضوح ما كان يحدث في موضع آخر.

انظروا كيف أن الروح القدس ليس فقط ينزع الجهل، بل ويهب المعرفة؟! انظروا كيف ينير أرواح الناس؟!

مثال آخر

١٨. عـاش **إشـعياء** مـنذ حوالي ألف عام ورأى "صهيون مثل مظلة". لقد كانت المدينة قائمة جميلة، بأماكنها العامة، متسربلة بالجلال، ومع ذلك... يتنبأ عمّا يحدث الآن في أيامنا هذه. لاحظوا دقة النبوة، إذ قال: "فبقيت ابنة صهيون كمظلةٍ في كرم، كخيمةٍ في حقل خيار"[1]. وها هو الآن يمتلئ المكان بزراعة المقثاة.

انظروا كيف يضيء الروح القدس للقديسين. فلا تضلوا إذن إلى أمورٍ أخرى بسبب اشتراك الاسم (أي "الروح")، بل تمسكوا بالمعنى الدقيق.

قوة الروح القدس في التعليم

١٩. فإذا خطر على ذهنكم وأنتم جالسون هنا فكر عن الطهارة والبتولية، فإن هذا من تعليمه. ألم يحدث أن هربت عذراء وهي على عتبة الزواج؟ ألم يحدث أن رجلاً مشهورًا

---

[1] إش ١: ٨ "كخيمة في مقثاة".

فـــي البلاط الملكي احتقر الثروة والجاه، بسبب تعليم الروح القدس؟ أما حدث أن شابًا أغلق عينه أمام الجمال وهرب من المنظر، تاركًا النجاسة (حيث عرضت عليه الخطية)؟!

قد تسألون: كيف حدث هذا؟ الروح القدس هو علمّ نفس الشاب.

العـــالم يعـــرض طرقًا كثيرة للطمع، والمسيحيون يرفضون حب الامتلاك. لماذا؟ بسبب تعليم الروح القدس!

بالحقيقة مستحق الروح القدس الصالح كل كرامة!

بالحقيقة نحن معمدون باسم الآب والابن والروح القدس. فيصارع الإنسان وهو في الجسد شياطين قاسية جدًا. والشيطان الذي لا يخضعه رجال كثيرون بعصًا من حديد يخضعه الإنســـان بكلمات الصلاة بقوة الروح القدس الساكن فيه، بل يصير نفس هذا الإنسان المتكل على الروح القدس كنارٍ يحرق العدو غير المنظور.

لقد أعطانا الله حليفًا وحارسًا قديرًا، ومعلمًا عظيمًا للكنيسة، وبطلا قويًا لإعانتنا. فلا تخف إذن من الأبالسة، ولا من الشيطان، لأن الذي يحارب عنا أقوى منهم.

لنفتح له أبوابنا، إذ يبحث عمن يستحقونه ويفتش عمن يستطيع أن يهبهم مواهبه.

٢٠. الروح القدس المعزي

إنه يدعى المعزي، لأنه يعزينا ويشجعنا ويعين ضعفنا. "إذ لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي، لكن الروح نفسه يشفع فينا بأنّات لا يُنطق بها" (رو ٨: ١٨)، أي يشفع أمام الله.

كثيـــرًا مـــا يُزدرى بالإنسان ويُهان ظلمًا من أجل المسيح، ويقترب الاستشهاد منه وتحيط به الآلام من كل جانب، من نارٍ وسيفٍ ووحوشٍ مفترسة وجب، ولكن الروح القدس يهمس له بلطف: "انتظر الرب" (مز ٢٧: ١٤؛ ٣٧: ٣٤). يا إنسان ما يصيبك الآن قليل، أما المكافـــأة فعظيمة. احتمل إلى وقتٍ قليلٍ، فتكون مع الملائكة إلى الأبد. "آلام الزمان الحاضر لا تُقـــاس بالمجـــد العتـــيد أن يُستعلن فينا" (رو ٨: ١٨). إنه يصوّر له ملكوت السماوات، ويعطـــيه لمحـــة عن فردوس النعيم. والشهداء الذين بالضرورة تتجه أنظارهم الجسدية تجاه القضاة، إلاّ أنهم بالروح يتجهون نحو الفردوس، فيحتقرون المتاعب المنظورة.

الروح القدس يسند المتألمين

٢١. أتـــريد أن تـــتأكد أن الشـــهداء يحملـــون شهادتهم بقوة الروح القدس؟! يقول المخلـــص لتلامـــيذه: "ومتى قدموكم إلى المجامع والرؤساء والسلاطين فلا تهتموا كيف أو

بمـــا تحـــتجون أو ما تقولون، لأن الروح القدس يعلمكم في تلك الساعة ما يجب أن تقولوه" (لـــو ١٢: ١١، ١٢). يستحيل أن يشهد إنسان كشهيدٍ من أجل المسيح، إلاّ إن شهد الروح القدس؛ لأنـــه إن كان "لا يستطيع أحد أن يقول عن المسيح رب إلاّ بالروح القدس" (١ كو ١٢: ٣)، فكيف يستطيع أحد أن يبذل حياته من أجل يسوع المسيح إلاّ بالروح القدس؟

يعمل في كل أحد حسب حاجته

٢٢. بالحقيقة عظيم وكلي القوة في مواهبه وعجيب هو الروح القدس!

انظروا كم عدد الجالسين هنا الآن؟! كم نفس حاضرة منا؟! إنه يعمل كما يلائم كل واحـــد، إذ هو حاضر في الوسط، ينظر إلى طبيعة الكل وإلى عقله وضميره وحديثه وفكره وعقيدته!

بالحقـــيقة قد أطلت الحديث ومع ذلك فهو قليل إذ أسألكم أن تفكروا بعقلٍ مستضيء كم مسيحي يوجد في هذه الأسقفية، وكم عددهم في ولاية فلسطين كلها، ثم انتقلوا بعقولكم إلى الإمبراطورية الرومانية، وبعد هذا فكروا في كل العالم...

أســـألكم أن تأخذوا في اعتباركم كل أمة، والأساقفة والكهنة والشمامسة والمتوحدين والبتوليين والعلمانيين أيضًا. انظروا إلى حارسهم العظيم، وإلى موزع المواهب عليهم. كيف يهـــب فـــي كل العالم لواحد عفة، ولآخر بتولية دائمة، ولآخر عطاء، ولآخر فقر اختياري، ولآخر قوة إخراج الأرواح المقاومة؟!

وكمـــا أن النور بلمسة من إشعاعاته يهب ضياء لكل الأشياء، هكذا يضيء الروح القـــدس لمن لهم أعين. أما إذا لم يكن أحد قد أخذ نعمة بسبب عماه، فلا يلم الروح، بل يلوم عدم إيمانه هو.

الروح القدس المدبر الإلهي للسمائيين

٢٣. لقـــد رأيـــتم قدرته في كل العالم. لا تمكثوا بعد على الأرض بل اصعدوا إلى العـــلا. أقول اصعدوا متأملين حتى في السماء الأولى، وانظروا هناك ربوات كثيرة جدًا من ملائكـــة لا تُحصى. ارتفعوا بأفكاركم إلى العلو قدر ما تستطيعون وانظروا رؤساء الملائكة. انظروا الأرواح أيضًا، فكروا في الفضائل[1]، تأملوا الرؤساء والقوات والعروش والسلاطين. إن المعزي هو المدبر الإلهي لهذه كلها، وهو المعلم والمقدس لها.

---

[1] يضع القديس كيرلس "الأرواح، الفضائل" كطغمتين سمائيتين لهما هذان الاسمان.

يحتاج إليه إيليا وأليشع وإشعياء بين البشر، كما يحتاج إليه ميخائيل وجبرائيل بين الملائكــة! لــيس في الخليقة من يساويه في الكرامة. لأن كل الطغمات الملائكية وجنودهم مجتمعــين معًــا ليس لهم كرامة الروح القدس. إن قوة المعزي كلي العظمة تظللهم جميعًا. جمــيعهم مرســلون للخدمة، أما هو فيفحص حتى أعماق الله. إذ يقول الرسول: "لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله، لأن مَنْ مِنَ الناس يعرف أمور الإنسان إلاّ روح الإنسان الذي فيه، هكذا أيضًا أمور الله لا يعرفها أحد إلاّ روح الله" (١ كو ٢: ١٠، ١١).

الروح القدس غير منفصل عن الآب والابن

٢٤. لقد كرز بالمسيح في الأنبياء، وهو الذي عمل في الرسل، وإلى يومنا هذا يختم الأرواح فــي العماد. حقًا إن الآب يعطي الابن، والابن يشترك مع الروح القدس. لأنه ليس من عندي هذا، بل يسوع نفسه يقول: "كل شيء دُفع إليّ من أبي" (مت ١١: ٢٧). كما يقول عــن الــروح القــدس: "وأمــا متى جاء ذاك روح الحق... ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم" (يو ١٦: ١٣، ١٤).

الآب معطي كل نعمة خلال الابن مع الروح القدس. مواهب الآب ليست إلا مواهب الابــن ومــواهب الروح القدس. لأنه يوجد خلاص واحد، قوة واحدة، إيمان واحد، إله واحد الآب، ورب واحد ابنه الوحيد، وروح قدس واحد المعزي.

يكفي لنا أن نعرف هذا، وليس لكم أن تسألوا بشغفٍ عن طبيعته أو جوهره. لأنه لو كُتب عن هذا لتحدثنا عنه، أما وأنه لم يُكتب عنه، فليس لنا أن نخاطر فيه. إنه يكفي لخلاصنا أن نعرف أنه يوجد آب وابن وروح قدس.

الروح القدس في العهد القديم

٢٥. لقد نزل الروح القدس على السبعين شيخًا في أيام موسى... وأنا أقول لكم هذا لكي أثبت لكم أنه يعرف كل شيء، ويعمل ما يريد (١ كو ١٢: ١١).

لقد اُختير السبعون شيخًا، "فنزل الرب في سحابة وأخذ من الروح الذي على (موسى) وجعــل على السبعين رجلاً الشيوخ" (عد ١١: ٢٥)، ليس بمعنى أن الروح القدس قد انقسم إنمــا وزّع نعمته حسب الأوعية وسعة القابلين. لقد كان حاضرًا ثمانية وستون شيخًا فتنبأوا، أما إلداد وميداد فلم يكونا حاضرين، من هنا يظهر أنه ليس موسى واهب العطية، بل الروح هو الذي عمل، إذ ألداد وميداد اللذين دُعيا مع عدم حضورهما في ذلك الوقت تنبآ أيضًا.

الروح القدس يوهب للجميع

٢٦. انــدهش يشوع بن نون الذي خلف موسى، فأتى إليه وسأل "ألم تسمع أن ألداد ومــيداد يتنــبآن؟! لقــد دُعــيا ولم يأتيا يا سيدي موسى اردعهما" (عد ١١: ٢٨). أجاب: لا أســتطيع أن أردعهما، لأن هذه النعمة من السماء كلا! حاشا لي أن أمنعهما، بل أشكر الله علــى ذلــك. إنني لست أظن أنك قلت هذا عن حسدٍ. هل أنت تغار لي. لأنهما يتنبآن وأنت لا تتنــبأ إلى الآن؟! انتظر الوقت المناسب. يا ليت كل شعب الرب يكونون أنبياء حين يجعل الرب روحه عليهم! (عد ١١: ٢٩)

لقد نطق بهذا متنبأ "حين يجعل الرب روحه عليهم". العبارة تقول: "إذ يجعل الرب" أي يجعلــه يحــل على الكل... إنه سيعطى بسخاء. لقد لمح في السرّ إلى ما كان مزمعًا أن يحدث بيننا في يوم البنطيقستي، لأن الروح القدس بنفسه حلّ بيننا.

الروح القدس يملأ أصحاب القلوب الحكيمة

٢٧. لقد حلّ أيضًا على كل الأبرار والأنبياء: أخنوخ ونوح وآخرين، إبراهيم وإسحق ويعقوب. أما بالنسبة ليوسف فحتى فرعون نفسه شعر أن " فيه روح الله" (تك ٤١: ٣٨). أما عن موسى والأعمال العجيبة التي عملت بالروح في أيامه فقد سمعتم أكثرها.

هــذا الــروح كان لدى أيوب، هذا الذي كان أكثر الناس احتمالاً للآلام، وهكذا كل القديسين دون أن نكرر أسماءهم.

أيضًا أُرسل حين كانت خيمة الاجتماع تُقام، وهو الذي ملأ أصحاب القلوب الحكيمة الذين كانوا مع بصلئيل بالحكمة (خر ٣١: ١-٦).

الروح القدس عمل في القضاة والأنبياء والملوك

٢٨. بقــوة هذا الروح حكم عثنئيل، كما نقرأ في سفر القضاة (قض ٣: ١٠). وبه ازداد جدعون قوة، وانتصر يفتاح (قض ٦: ٣٤، ١١: ٢٩)، وقامت دبورة المرأة بالحرب، وصنع شمشون أعمالاً تفوق قدرة البشر، حين كان يعمل بالبرّ، ولم يحزن الروح.

أمــا عــن صــموئيل وداود فنقــرأ عنهم ما جاء في أسفار الملوك بوضوح كيف تنبأوا بالروح القدس وكانوا قادة الأنبياء. فكان صموئيل يدعى بـــ "الرائي" (١ صم ٩: ٩). ويقــول داود بوضوح "روح الرب تكلم بي" (٢ صم ٢٣: ٢). وفي المزامير يقول "وروحك القــدوس لا تنــزعه منــي" (مز ٥١: ١١). وأيضًا "روحك الصالح يهديني في أرض البرّ (مستوية) (مز ١٤٣: ١٠).

وكمـــا نقرأ في سفر أخبار الأيام الثاني أن عزيا أخذ الروح القدس في زمان الملك آسا (٢ أي ١٥: ١)، ويحزئيل في أيام يهوشفاط (٢ أي ٢٠: ١٤)، وزكريا آخر الذي رجم (٢ أي ٢٤: ٢٠، ٢١).

ويقول عزرا "وأعطيتهم روحك الصالح لتعليمهم" (نح ٩: ٢٠).

أمـــا عن إيليا الذي اختطف وأليشع، فهذان الملهمان صانعي العجائب، من الواضح أنهما كانا مملوئين من الروح القدس، دون أن نقول عنهما هذا.

الأنبياء يشهدون عن عطية الروح القدس

٢٩. هكـــذا إذا اطلـــع أحـــد على جميع كتب الأنبياء الاثنى عشر وغيرهم فسيجد شهادات كثيرة بخصوص الروح القدس.

فيقول **ميخا** في شخص الله: "سأصنع قوة بواسطة روح الرب"[1].

ويوئيل يصرخ: "ويكون بعد ذلك - يقول الرب - إني أسكب روحي على كل بشر (جسد)" (يوئيل ٢: ٢٨)...

ويقـــول حجـــى: "لأنـــي معكـــم يقـــول رب الجنود"، "وروحي قائم في وسطكم" (حجى ٢: ٤، ٥).

كذلك زكريا: "لكن اقبلوا كلامي وفرائضي التي أوصيت بها عبيدي الأنبياء بروحي" (زك ١: ٦)، وعبارات أخرى.

الأنبياء يشهدون عن عطية الروح القدس (يتبع)

٣٠. **ويقـــول إشـــعياء** بصـــوته العظـــيم: "ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهـــم روح المشـــورة والقوة، روح المعرفة والقوة (التقوى)، ويملأه روح مخـــافة الرب" (إش ١١: ٢). مظهرًا أن الروح واحد غير منقسم لكن أنواعه متنوعة.

وأيضًا يقول: "يعقوب عبدي... وضعت روحي عليه" (إش ٤٤: ١؛ ٤٢: ١).

وأيضًا: "اسكب روحي على نسلك" (إش ٤٤: ٣).

وأيضًا: "والآن السيد الرب أرسلني وروحه (أرسلني)" (إش ٤٨: ١٦).

---

[1] مى ٣: ٨ "لكننى أنا ملآن قوة روح الرب".

وأيضًا: "أما أنا فهذا عهدي معهم قال الرب، روحي الذي عليك وكلامي الذي وضعته في فمك" (إش ٤٩: ٢١)....

وفي شكايته ضد اليهود يقول: "ولكنهم تمردوا وأحزنوا روحه القدس" (إش ٦٣: ١٠)، "أين الذي جعل في وسطهم روحه القدوس؟!" (إش ٦٣: ١١)

وحزقيال أيضًا: (إن كنتم لم تتعبوا بعد من الاستماع) فإنه يقول "وحل عليّ روح الرب وقال لي قل هكذا قال الرب" (حز ١١: ٥). لكن يجب أن تفهم الكلمات "حل عليّ" بطريقة صالحة أي تعني "بمحبة"، فكما وقع يعقوب على عنق يوسف حين وجده. هكذا أيضًا في الأناجيل حين رأى الآب المحب ابنه الذي عاد من ضلاله "تحنن وركض ووقع على عنقه وقبله" (لو ١٥: ٢٠). وجاء في حزقيال "وحملني روح وجاء بي في الرؤيا بروح الله إلى أرض الكلدانيين إلى المسبيين" (حز ١١: ٢٤).

وشواهد أخرى سبق لكم أن سمعتموها في الحديث عن العماد. "وأرش عليكم ماء طاهرًا..." (حز ٣٦: ٢٥)، "وأعطيكم قلبًا جديدًا وأجعل روحًا جديدة في داخلكم" (حز ٣٦: ٢٦). وأيضًا "كانت على يد الرب فأخرجني بروح الرب" (حز ٣٧: ١).

الروح الذي يقدس كل الخليقة العاقلة

٣١. لقد اكتست روح دانيال بالحكمة، فأصبح هذا الصغير قاضيًا للشيوخ.

لقد دينت سوسنة العفيفة كزانية، ولم يكن من يدافع عنها، لأنه من يقدر أن يخلصها من الحكام (قاضيي إسرائيل الشريرين)؟! لقد سيقت إلى الموت، وتُركت للجلادين، لكن المعزي معينها كان حاضرًا. الروح الذي يقدس كل الخليقة العاقلة.

يقول الروح لدانيال اقترب إلى هنا، فمع أنك صغير، لكنك تدين الشيوخ الملوثين بخطايا الشباب، لأنه مكتوب: "أشرق الله الروح القدس على فتى صغير" (سوسنة ٤٥).

ومع ذلك (إذ نعبر سريعًا فنقول) أُنقذت السيدة العفيفة بعبارة دانيال.

إننا نقدم هذه الشهادة إذ لا يوجد وقت للشرح.

نبوخذ نصر أيضًا عرف أن الروح القدس في دانيال، إذ يقول له: "يا بلشاصر كبير المجوس (السحرة)، من حيث إنني أعلم أن فيك روح الله القدوس" (دا ٤: ٩). لقد نطق بالحق ولم يكذب، لأن بالحق كان معه الروح القدس، ولم يكن كبير سحرة بل لم يكن ساحرًا، بل بالروح القدس كان حكيمًا، إذ فسّر له رؤيا التمثال التي لم يعرفها الذي

رآهـــا نفســـه، إذ يقــول له: أخبرني بالرؤيا التي لا أعرفها أنا الذي رأيتها (إذ رأيتها ولم أذكرها).

إنكم ترون قوة الروح القدس، فإن الأمر الذي لم يعرفه من رآه، عرفه بالروح من لم يره، وفسره.

ختام

٣٢. بالحقــيقة يســـهل جدًا عليّ أن أجمع شهادات كثيرة جدًا من العهد القديم عن الروح القدس، وألقيها عليكم بتوسع أكثر، لكن لضيق الوقت، إذ هو محدد نكتفي بما أوردته من العهد القديم، وحسب مسرة الله نستمر في المقال عينه بخصوص الشهادات التي من العهد الجديد.

ليحســـبكم إله السلام جميعًا مستحقين لعطاياه السمائية الروحية بربنا يسوع المسيح ومحبة الروح، الذي له المجد والقوة إلى أبد الأبد. آمين.

المقال السابع عشر

(تبع) الروح القدس

"فإنه لواحد يُعطى بالروح كلام حكمة"
(١ كو ١٢: ٨).

الروح القدس في العهد الجديد

١. في المقال السابق قدمت لكم يا أحبائي المستمعين قدر ما استطعت نصيبًا قليلاً من الشهادات الخاصة بالروح القدس. وفي هذه الفرصة أواصل بمسرة الله معالجة الشهادات الباقية من العهد الجديد قدر ما أستطيع. وإذ التزمت بالحدود اللازمة لانتباهكم، قامعًا اشتياقنا في المقال السابق، فإنني الآن أيضًا ألتزم بالحديث عن نصيبٍ قليلٍ فقط مما تبقى (لأنه لا يشبع الإنسان من الحديث عن الروح القدس).

إنني أعترف الآن كما سابقًا أيضًا بأنني أُبتلع من كثرة الأمور المكتوبة. والآن أيضًا لن أستخدم حذاقة إنسانية، لأن هذا غير مفيد، إنما اعتمد على ما ورد في الأسفار المقدسة، إذ هذه أكثر الطرق أمانًا. وكما يقول المطوّب الرسول بولس: "التي نتكلم بها أيضًا، لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية، بل بما يعلمه الروح القدس، قارنين الروحيات بالروحيات" (١ كو ٢: ١٣). فإننا أشبه بالمسافرين أو المُبحرين، الذين لهم هدف واحد لرحلة طويلة جدًا، فمع أنهم يتعجلون مشتاقين للوصول، لكنهم بسبب الضعف البشري محتاجون إلى الاستراحة في الطريق في مدن وموانى مختلفة.

الروح القدس هو واحد

٢. لذلك فبالرغم من أن مقالاتنا عن الروح القدس منفصلة، لكن هو غير منقسم بل واحد بنفسه لا غير. فكما تكلمنا عن الآب وعلمنا مرة أنه العلة الوحيدة، ومرة أخرى أنه يدعى "الآب" أو القادر على كل شيء، ومرة أخرى أنه خالق العالم، لكن انقسام المقالات لا يصنع انقسامًا في الإيمان بموضوع تعبدنا، بل هو واحد وما زال واحدًا. كذلك عندما تعلمنا في الوعظ أن ابن الله الوحيد من جهة لاهوته، وتارة على ناسوته، مقسمين التعاليم الخاصة بمخلصنا يسوع المسيح في محاضرات كثيرة، ومع ذلك فنحن نكرز بإيمان واحد غير منقسم من جهته. هكذا الآن فمع أن المقالات عن الروح القدس منفصلة لكننا نكرز

بإيمان واحد غير منقسم من جهته، لأنه هو الروح الواحد بعينه الذي "يقسم مواهبه لكل واحد بمفرده كما يشاء"، ويبقى هو غير منقسم. لأن "المعزي" ليس غير الروح القدس بل هو واحد بنفسه مدعو بأسماء متعددة، الذي يعيش ويبقى ويتكلم ويعمل، وأيضًا هو مقدّس كل الطبائع العاقلة التي خلقها الله خلال المسيح، أي الملائكة والناس.

نؤمن بالروح القدس الواحد

٣. ولكن لئلا يظن أحد عن جهل أن هذه الأسماء العديدة للروح القدس تعني أرواحًا عديدة وليس روحًا واحدًا بذاته، الكائن وحده، لذلك فإن الكنيسة الجامعة بصرّتكم من قبل وسلمت إليكم في قانون الإيمان أنه "نؤمن بالروح القدس الواحد المعزي، الناطق في الأنبياء"، حتى يمكنكم أن تعرفوا أنه مع كثرة أسمائه لكنه الروح القدس الواحد وحده، وسنعيد على مسامعكم بعض هذه الأسماء العديدة.

أسماء الروح القدس

٤. إنه يدعى "**الروح**" حسبما قُرأ عليكم حالاً من الكتاب المقدس: "لأنه لواحد يُعطى بالروح كلام حكمة" (١ كو ١٢: ٢٨). ويُدعى "**روح الحق**" كقول المخلص: "وأما متى جاء ذاك روح الحق" (يو ١٦: ١٣). ويُدعى أيضًا "**المعزي**" كقوله: "لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي" (يو ١٦: ٧). أما كونه واحدًا لا غير بالرغم من دعوته بألقاب كثيرة فهذا يظهر من الآتي:

إن **الروح القدس والمعزي** هما واحد كما تعلن العبارة: "وأمّا المعزي الروح القدس" (يو ١٤: ٢٦). وأن **المعزي** هو نفسه **روح الحق** كما يظهر من القول: "فيعطيكم معزيًا آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق" (يو ١٤: ٢٦، ٢٧)... إنه يُدعى **روح الله** كما كُتب: "ورأيت روح الله نازلاً" (يو ١: ٣٢). وأيضًا: "لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله" (رو ٨: ١٤). أيضًا يُدعى **روح الآب** كما يقول المخلص: "لستم أنتم المتكلمين، بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم" (مت ١٠: ٢٠). وأيضًا يقول بولس: "بسبب هذا أحني ركبتيّ للآب... لكي يعطيكم أن تتأيدوا بالقوة بروحه" (أف ٣: ١٤-١٦). يدعى أيضًا **روح الرب** كقول بطرس: "ما بالكما اتفقتما على تجربة روح الرب؟!" (أع ٥: ٩) يُدعى **روح الله والمسيح** كما يكتب بولس: "وأمّا أنتم فلستم في الجسد بل في الروح، إن كان روح الله ساكنًا فيكم. ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح، فذلك ليس له" (رو ٨: ٩). يُدعى **روح**

ابـن الله كما هو مكتوب "بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه" (غل ٤: ٦). يُدعى أيضًا **روح المسـيح** كمـا هـو مكتوب: "أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح فيهم" (١ بط ١: ١١). وأيضًا: "بطلبتكم ومؤازرة روح يسوع المسيح" (في ١: ١٩).

ألقاب أخرى للروح القدس

٥. إنك تجد ألقابًا أخرى كثيرة للروح القدس بجانب هذه. فهو يُدعى "**روح القداسة**" كمـا هو مكتوب: "حسب روح القداسة" (رو ١: ٤). ويُدعى "**روح التبنّي**" كما يقول بولس: "إذ لـم تأخذوا روح العبودية أيضًا للخوف، بل أخذتم روح التبنّي الذي به نصرخ أيها الآب أبـا" (رو٨: ١٥). ويُدعـى "**روح الموعد**" كما يقول بولس: "الذي فيه أيضًا إذ آمنتم ختمتم بـروح الموعد القدوس" (أف ١: ١٣). ويُدعى "**روح الإعلان**" كما هو مكتوب: "كي يعطيكم روح الحكمـة والإعـلان في معرفته" (أف ١: ١٧). ويُدعى "**روح النعمة**" كما يقول أيضًا: "ازدرى بروح النعمة" (عب ١٠: ٢٩).

لقد دُعيَ بألقاب كثيرة على هذا النمط. وقد سمعت في المقال السابق أنه يُدعى في المزاميـر بـ "**الروح الصالح**"[1]، وفي مرة أخرى "**روح الرئاسة**" (مز ١١٠: ١٢ *LXX*). وفـي إشـعياء "روح الحكمـة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب" (إش ١١: ٢). من خلال عبارات الكتاب المقدس السابق ورودها أو التي نقتبسها الآن يظهر أنه وإن كانت ألقاب الروح القدس متنوعة لكنه واحد، حيّ كائن ودائمًا حال مع الآب والابن...

إننـي أطلب إليكم أن تتذكروا ما أخبرتكم به أخيرًا، وأن تعرفوا بوضوح أنه ليس هناك روح في الشريعة والأنبياء وآخر غيره في الأناجيل والرسل، بل هو روح واحد بعينه هو الروح القدس الذي في العهد القديم والجديد ينطق بالأسفار الإلهية"[2].

الروح القدس وتجسد الكلمة

٦. إنـه الـروح القـدس الذي حلّ على العذراء القديسة مريم، لأنه حيث أن من حُـبل بـه هو المسيح الابن الوحيد، لذلك فإن قوة العليّ تظللها، والروح القدس يحل عليها (لو ١: ٣٥) ويقدسها، حتى تقدر أن تحمل ذاك الذي به كان كل شيء (يو ١: ٣).

---

[1] مقال ١٦: ٢٨؛ مز ١٤٣: ١٠.

[2] مقال ٤: ١٦؛ ١٦: ٤.

إنني لست محتاجًا إلى كلمات كثيرة لأعلمك أن الميلاد كان بغير دنس أو فساد، إذ قد سبق أن تعلمت هذا. إنه جبرائيل الذي قال لها: "أنا (مجرد) رسول لما يحدث، لكن ليس لي نصيب في العمل. فمع كوني رئيس ملائكة لكنني أعرف مكاني، ومع إنني بفرحٍ أعطيكِ السلام قوة العلي تظللك، لذلك المولود منك القدوس يُدعى ابن الله" (لو ١: ٣٥).

الروح القدس يعمل في أليصابات

٧. عمل الروح القدس في أليصابات، فإنه لا يعرف فقط العذارى بل والمتزوجات إذ يجعل زواجهن شرعيًا. "وامتلأت أليصابات من الروح القدس" (لو ١: ٤٣) وتنبأت، فقالت الأم النبيلة عن ربها: "فمن أين لي أن تأتي أم ربي إليّ"؟! (لو ١: ٤٣)، إذ حسبت أليصابات نفسها مطوّبة. وإذ امتلأ زكريا والد يوحنا من الروح القدس تنبأ (لو ١: ٦٧) محدثًا عن أمورٍ صالحةٍ يفعلها الابن الوحيد، وأن يكون يوحنا سابقًا نذيرًا له (لو ١: ٧٦) خلال العماد.

بالروح القدس أيضًا أُعلن لسمعان البار أن لا يرى الموت قبل أن يعاين الرب المسيح (لو ٢: ٢٦-٣٥)، وحمله على ذراعيه وشهد له بوضوح في الهيكل.

الروح القدس في يوحنا المعمدان

٨. وأيضًا يوحنا المعمدان امتلأ من الروح القدس وهو في أحشاء أمه[1]، لكي يتقدس، فيعمد الرب، لا أن يهب الروح، بل لكي يكرز بالبشارة المفرحة التي للرب واهب الروح القدس. إذ يقول: "أنا عمدتكم بالماء للتوبة. وأمّا الذي يأتي بعدي فهو يعمدكم بالروح القدس ونار" (مت ٣: ١١).

لماذا يعمد بالنار؟ لأن الروح القدس كان في ألسنة نارية، هذا الذي قال عنه الرب بفرحٍ: "جئت لأُلقي نارًا على الأرض، فماذا أريد لو اضطرمت؟!" (لو ١٢: ٤٩)

الروح القدس وعماد الرب

٩. نزل الروح القدس هذا عندما تعمد الرب حتى لا تختفي كرامة الذي يعتمد، وكما قال يوحنا: "الذي أرسلني لأعمد بالماء، ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلاً ومستقرًا عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس" (يو ١: ٣٣).

---

[1] مقال ٣: ٦.

لكـن انظروا ماذا يقول الإنجيل؟ "السماوات انفتحت". انفتحت من أجل كرامة الذي نـزل. إذ يقـول: "السماوات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتيًا (مضيئًا) علـيه" (مت ٣: ١٦)... إنه كان لائقًا – كما فسر الرب – أن يكون أول ثمار وبكور الروح القدس من جهة الوعد بالعماد أن يتحقق أولاً في شخص المخلص واهب النعمة ذاتها.

وربمـا نـزل علـى شـكل حمامة – كما يقول البعض – لكي يعلن أنه على مثل الحمامـة مـن جهـة أنها نقية وبريئة وطاهرة، كما أنها تعين صغرها الذين تلدهم... كذلك تحمـل بطـريقة رمزية ما سبق أن أخبرت به، وهو أن المسيح يُظهر في منظر عينيه، إذ تصـرخ (الـنفس) في نشيد الأناشيد بخصوص العريس قائلة: "عيناه كالحمام على مجاري المياه" (نش ٥: ١٢).

حمامة نوح رمز لهذه الحمامة

١٠. هـذه الحمامة كانت لها حمامة نوح رمزًا من جانبٍ معينٍ. لأنه كما في عهده جاء الخلاص وبداية عهد جديد بواسطة الخشب والماء، وعادت إليه الحمامة بغصن الزيتون، هكـذا يقولون إن الروح القدس نزل على نوح الحقيقي واهب الميلاد الجديد الذي يجمع بين جـدران الأمم وحدة واحدة، إذ كانت أنواع الحيوانات المختلفة التي كانت بالفلك رمزًا. هذا الـذي بمجيئه صارت الذئاب الروحية ترعى مع الحملان، وفي كنيسته الثور والأسد والذئب يقـتادون فـي مرعـى واحد كما نرى في أيامنا هذه، حيث اقتاد رجال الكنيسة حكام العالم وعلّموهم.

لذلك، كما يفسر البعض جاءت الحمامة الروحية في وقت عماده لكي يظهر أنه هو الذي يخلص المؤمنين بواسطة خشبة الصليب في الماء، واهبًا خلاصًا خلال موته.

حديث المسيح عن الروح القدس

١١. هذه الأمور قد نعود فنوضحها فيما بعد، لكنه يلزمنا الآن أن نستمع إلى كلمات المخلـص نفسه بخصوص الروح القدس. إنه يقول: "إن كان أحد لا يُولد من الماء والروح لا يقـدر أن يـدخل ملكوت الله" (يو ٣: ٥). **هذه النعمة هي من الآب**، كما يظهر من قوله: "فكم بالأحرى الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه؟!" (لو ١١: ١٣)

يلـزمنا أن نعـبد الله فـي الـروح، إذ يقول: "لكن تأتي الساعة وهي الآن حين الساجدون (الحقيقيون) يسجدون للآب بالروح والحق. لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين

لـــه. الله روح، والـــذين يســـجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا" (يو ٤: ٢٣-٢٤). وأيضـــا: "إن كـــنتُ أنا بروح الله أُخرج الشياطين" (مت ١٢: ٢٨). وبعد ذلك يقول للحال: "لـــذلك أقول لكم كل خطية وتجديف يُغفر للناس. وأمّا التجديف على الروح فلن يُغفر للناس. ومن قال كلمة على ابن الإنسان يُغفر له، وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي" (مت ١٢: ٣١، ٣٢). وأيضًا يقول: "وأنا أطلب من الآب فسيعطيكم معـــزيًا آخر يمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعـــرفه. وأمّا أنتم فتعرفونه، لأنه ماكث معكم ويكون فيكم" (يو ١٤: ١٦). ويقول: "بهذا كلمـــتكم وأنـــا عندكم، وأمّا المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم" (يو ١٤: ٢٥). ويقول: "ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي" (يو ١٥: ٢٦).

ويقول المخلص أيضًا: "لأنه إن لم انطلق لا يأتيكم المعزي" (يو ١٦: ٧)... ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى برّ وعلى دينونة" (يو ١٦: ٨). وبعد ذلك يقول: "إن لـــي أمـــورًا كثيرة لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمـــور آتية، ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم. كل ما للآب فهو لي. لهذا قلت يأخذ مما لي ويخبركم" (يو ١٦: ١٢-١٥).

الآب واهب الروح

١٢. منح الرب تلاميذه شركة الروح إذ مكتوب: "ولما قال هذا نفخ وقال لهم: اقبلوا الروح القدس، من غفرتم خطاياه تغفر له. ومن أمسكتم خطاياه أمسكت" (يو ٢٠: ١٣).

هـــذه هي المرة الثانية التي فيها نفخ على الإنسان... ليتم الكتاب: "وصعد نافخًا في وجهـــك، ومخلصًا إيّاك من الحزن" (نا ٢: ١ *LXX*). لكن متى صعد؟ إنه صعد من الجحيم كمـــا يروى لنا الإنجيل، أنه بعد قيامته نفخ فيهم، و بالرغم من أنه وهب لهم في ذلك الوقت نعمـــته، لكنه يهب بسخاء بأكثر غزارة (فيما بعد)، إذ قال لهم: أنا مستعد أن أعطيها لكم من الآن، لكـــن الإنـــاء لا يقـــدر أن يمسك بها. لكن بعد حين تتقبلون نعمة عظيمة هكذا، حيث يمكنكم أن تحتملوها. انظروا إلى قدام قليلاً. "أقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالي" (لو ٢٤: ٣٩).

الآن اقـبلوها جـزئيًا (لـيس لأنهـا تُجزأ، لكن بسبب ضعفكم) بعد ذلك تلبسونها فـي كمالهـا. لأن من يقبل شيئًا، غالبًا ما يملك العطية جزئيًا، أما من يلبس فيلتحف بثوبه تمامًا.

إنه يقول: لا تخافوا أسلحة إبليس وسهامه، فإنكم تحملون قوة الروح القدس.

لكـن تذكـر مـا قد قيل أخيرًا إن الروح القدس لا ينقسم، لكن النعمة التي تُعطى بواسطته (تكون جزئية قدر احتمالنا).

حلول الروح القدس في يوم البنطقستي

١٣. لذلك صعد يسوع إلى السماوات وتمم الوعد، إذ قال لهم: "وأنا أطلب من الآب فيعطـيكم معزيًا آخر" (يو ١٤: ١٦). لهذا كانوا جالسين متطلعين إلى مجيء الروح القدس، وإذ حل يوم البنطقستي أيضًا في مدينة أورشليم هذه... نزل الروح القدس من السماء، الذي هو **حارس الكنيسة ومقدسها، ومدبر الأرواح، ضابط العواصف الثائرة، الذي يرد الضالين إلى الحق ويحكم المقاتلين ويكلل المنتصرين.**

عمل الروح القدس الناري في النفس

١٤. نـزل لكي يُلبس الرسل بالقوة ويعمدهم، إذ يقول: "ستتعمدون بالروح القدس لـيس بعد هذه الأيام بقليل" (أع ١: ٥). هذه النعمة لم تكن جزئية، بل هي قوته في كمالها، لأنـه كمـا أن الذي يغطس في المياه ويعتمد تغمره المياه من كل جانب، هكذا هم اعتمدوا بالروح القدس بالكمال...

ولماذا تتعجب؟! خذ مثالاً واقعيًا وإن كان فقيرًا وعامًا، لكنه نافع للبسطاء. إن كانت النار تعبر خلال قطعة حديد، فتجعلها كلها نارًا، هكذا من كان باردًا صار محترقًا، ومن كان أسود صار لامعًا، فإن كانت النار التي هي جسم هكذا تخترق الحديد وتعمل فيه بغير عائق وهو جسم أيضًا، فلماذا تتعجب من الروح القدس أن يخترق أعماق النفس الداخلية؟!

حلول الروح القدس كما من هبوب ريح عاصفة

١٥. ولئلا يجهل الناس عظمة العطية القديرة النازلة عليهم، لذلك كان الصوت مثل أبواق سمائية، إذ "صار بغتة من السماء كما من هبوب **ريح عاصفة**" (أع ٢: ٢)، مشيرًا إلى حلـول ذاك الـذي يهب قوة للبشر ليتمتعوا بملكوت الله بقوة، فترى أعينهم الألسنة النارية، وتسـمع آذانهـم الصـوت. "**وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين**"، إذ صار البيت إناءً للماء

الروحي وجلس التلاميذ فيه، امتلأ البيت كله. وبهذا اعتمدوا تمامًا حسب الوعد ولبست النفس والجسد ثوب الخلاص الإلهي.

"وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نارٍ، واستقرت على كل واحد منهم. وامتلأ الجميع من الروح القدس". لقد اشتركوا في النار، لا للاحتراق بل النار المخلصة، النار التي تحـــرق أشواك الخطية بل تهب بهاءً للنفس. هذه تحل عليكم الآن وتنزع خطاياكم وتحرقها كالشوك، فتضيء نفوسكم الثمينة، وتنالون نعمة... لقد استقرت على الرسل مثل ألسنة نارية حتـــى تـــتوجهم بتيجان روحية جديدة على رؤوسهم. **في القديم كان هناك سيف ناري على أبواب الفردوس، والآن لسان ناري جالب الخلاص يرد العطية.**

يتكلمون بألسنة الأمم الحقيقية

١٦. "وابـــتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا" (أع ٢: ٤).

بطرس الجليلي أو أندراوس تكلم بالفارسية أو المديانية. يوحنا وبقية الرسل تكلموا بكل ألسنة هؤلاء الأمميين الأصل. لأنه ليس فقط في أيامنا نحن بدأت هذه الجماعات الغريبة أن تجتمع، بـــل منذ ذلك الحين كانوا يجتمعون هنا من كل الكون. أي معلم يمكن أن يكون هكذا عظيمًا حتى يعلم البشر جميعًا في وقت واحد أمورًا قد لم يكونوا قد تعلموها؟!

يحـــتاج الإنســـان إلى سنوات كثيرة ليتعلم أصول النحو وفنون اللغة حتى يتحدث اليونانـــية وحـــدها حسنًا، لكنهم **تعلموا جميعًا اللغات الحسنة**. قد ينجح الخطيب في التحدث حســـنًا، لكـــن رجل النحو أحيانًا لا يقدر أن يتحدث حسنًا، وصاحب النحو الماهر قد يتحدث أحـــيانًا لكـــنه يجهل مواضيع الفلسفة. أما الروح القدس فعلمهم عدة لغات في وقت واحد لم يعرفوها قط طيلة حياتهم. إنها حكمة واسعة. إنها قوة إلهية!

يـــا للتـــناقض بـــين جهلهم الشديد في الماضي وما حدث لهم فجأة، إذ مارسوا هذه اللغات بصورة كاملة ومتنوعة لم يعتادوا عليها.

وسيلة السقوط صارت وسيلة الشفاء

١٧. إن جماهيـــر المســـتمعين قـــد ارتـــبكت. وهـــذه هي المرة الثانية للارتباك. الأول حـــدث كأمـــر شـــرير فـــي بابل، إذ كان ارتباك اللغة بقصد الانقسام بسبب أفكارهم المعاديـــة لله، أمـــا هنا فقد انصلحت الأذهان واتحدت بقصد صالح. وسيلة السقوط صارت وسيلة الشفاء!

لمـــاذا تتعجبون قائلين "**كيف نسمعهم يتكلمون بألسنتنا؟**" (أع ٢: ٨) لا تتعجب إن كـــنت جاهلاً ذلك، فإنه حتى نيقوديموس كان جاهلاً عن مجيء الروح، وقد قيل له: "الريح تهـــب حيث تشاء وتسمع صوتها، لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب" (يو ٣: ٨). فإنك وإن سمعت صوته لا تعرف من أين يأتي، فكيف نوضحه هو نفسه في جوهره؟!

خمر جديدة هي نعمة العهد الجديد!

١٨. لكن آخرين سخروا قائلين "**إنهم سكارى**" (أع ٢: ١٣). في استهزائهم تكلموا بالحق، لأنهم في الحقيقة كانت الخمر جديدة هي نعمة العهد الجديد. هذا الخمر الجديد هو من الكـــرمة الروحية... كانت قبلاً تحمل هذا الثمر في الأنبياء، والآن قد أنبتت برعمًا في العهد الجديد.

فإنه حتى في الأمور الحسّية نجد الكرمة تبقى كما هي، لكنها تحمل ثمارًا جديدة في مواســمها، هكــذا الـــروح هو بنفسه يستمر كما عمل في الأنبياء والآن يعمل أعمالاً جديدة وعجيبة. فبالرغم من أن نعمته قد تقدمت للآباء أيضًا، لكن هنا تأتي بغزارة، لأنه كان للناس فقط (نصيب) شركة من الروح القدس، أما الآن فاعتمدوا فيه تمامًا.

إنهم سكارى، لكن ليس كما تظنون

١٩. لكن بطرس الذي له الروح القدس عرف ما قد ناله فيقول (موبخًا): يا رجال إسرائيل أنتم الذين يبشركم يوئيل لكنكم لا تعرفون الأمور المكتوبة "**لأن هؤلاء ليسوا سكارى كمـــا أنتم تظنون**" (أع ٢: ١٥). إنهم سكارى، لكن ليس كما تظنون، بل حسبما هو مكتوب: "يســـكرون بدســـم بيـــتك، ويشربون بملذاتك" (مز ٣٦: ٨). إنهم سكارى بمسكرٍ سام مميت للخطـــية وواهـــب حياة للقلب. مسكر مضاد للسُكر الخاص بالجسد. لأن هذا الأخير يسبب نســـيان حتـــى بالنسبة لما كان الإنسان يعرفه، أما هذا فيمنح معرفة حتى لما لم يكن يعرفه الإنسان.

إنهم سكارى لأنهم شربوا خمر الكرمة الروحية القائلة: "أنا الكرمة وأنتم الأغصان" (يـــو ١٥: ٥). لكن إن كنتم لا تقتنعون، افهموا ما أخبركم به من ذات الوقت الذي نحن فيه، إنها الساعة الثالثة من النهار (أع ٢: ٢٥، ١٥).

فكمـــا يروي لنا مرقس قد صُلب في الساعة الثالثة، والآن الساعة الثالثة يرسل لنا فيها نعمته. لأن نعمته ليست شيئًا بخلاف نعمة الروح. إنما ذاك الذي صُلب وقتئذ هو أيضًا

يهب الموعد... وإن أردتم شهادة بذلك أصغوا إلى ما قيل بيوئيل النبي: "يقول الله ويكون في الأيام الأخيرة إني أسكب من روحي" (أع ٢: ١٨)، (كلمة "أسكب" تحمل غنى العطية، إذ لا يُعطي الله روحه بمقياس...) "أسكب من روحي على كل بشر، فيتنبأ بنوكم وبناتكم"، وبعد ذلك يقول: "وعلى عبيدي أيضًا وإمائي أسكب من روحي في تلك الأيام، فيتنبأون" (أع ٢: ١٩).

لا يبالـــي الروح القدس بالأشخاص إذ لا يطلب كرامات بل تقوى الروح. لا ينتفخ الأغنياء ولا ينخذل الفقراء، بل ليستعد كل واحد لتقبل النعمة السماوية.

الروح القدس في العهد الجديد

٢٠. لقــد تكلمنا اليوم كثيرًا، ولعلكم قد قلقتم من الاستماع، لكن بقي أن أقول شيئًا. حقًــا أن التعليم بخصوص الروح القدس يحتاج إلى مقال ثالث، بل إلى مقالات أخرى، لكن يليق بنا أن يكون لنا معرفة بكل النقط.

وإذ اقتــرب عــيد الفصح المقدس لهذا نطيل مقالنا اليوم، وإن كان لا يكفي المجال لسرد كل شهادات العهد الجديد كما ينبغي... إنما نجمع القليل منها كما تجمع زهور قليلة من مروج واسعة على سبيل المماثلة.

الروح القدس يعمل في جميع الرسل معًا

٢١. لأنــه في قوة الروح القدس بإرادة الآب والابن وقف بطرس مع الإحد عشر ورفعوا أصواتهم... وأسَروا في الشبكة الروحية لكلماته حوالي ٣٠٠٠ نسمة.

عظيمة هكذا هذه النعمة التي كانت تعمل في جميع الرسل معًا، حتى أنه من اليهود صــالبي المسيح، آمن هذا العدد العظيم، واعتمدوا باسم المسيح "وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والصلوات" (أع ٢: ٤٢).

وأيضًا بنفس القوة التي للروح القدس "صعد بطرس ويوحنا معًا إلى الهيكل في ساعة الصلاة التاسعة" (أع ٣: ١)، وباسم يسوع المسيح شفيا الرجل الذي عند باب الجميل الأعرج من بطن أمه منذ أربعين عامًا، فتحقق ما قيل: "حينئذ يقفز الأعرج كالأيل" (إش ٣٥: ٦).

وهكذا إذ أسَرا في شبكة تعليمهما الروحية خمسة آلاف مؤمنًا في وقت واحد، وقفا ضــد رئــيس الكهــنة وقــادة الشعب الضالين ليس بحكمتهما الخاصة إذ "أنهما عديما العلم وعامــيان" (أع ٤: ١٣)، بل بقدرة الروح القدس القدير، إذ مكتوب **حينئــذ امتلأ بطرس من الروح القدس** (أع ٤: ٨).

هكذا أيضًا عظيمة هي نعمة الروح القدس التي عملت بواسطة الإثنى عشر رسولاً فـي الـذين آمنوا حتى أنهم كانوا "بقلبٍ واحدٍ ونفسٍ واحدةٍ" (أع ٤: ٣٢)، وكان كل ما لهم مشتركًا، وأصحاب المقتنيات يبيعونها ويقدمون أثمانها، ولم يكن أحد محتاجًا إلى شيءٍ، بينما حاول حنانيا وسفيرا أن يكذبا على الروح فسقطا تحت العقاب المناسب لهما.

عجائب بقوة الروح القدس

٢٢. "وجــرت علــى أيدي الرسل آيات وعجائب كثيرة في الشعب" (أع ٥: ١٢). هكــذا عظيمة هي النعمة الروحية التي ظللت الرسل، حتى وهم ودعاء كانوا مُرعِبين. "وأمّا الآخــرون فلم يكن أحد منهم يجسر أن يلتصق بهم، لكن كان الشعب يعظمهم. وكان مؤمنون ينضمون للرب، جماهير من رجال ونساء" (أع ٥: ١٣-١٤). وامتلأ الطريق بالمرضى على أسرّتهم وفراشهم، "حتى إذا جاء بطرس يخيم ولو ظلّه على أحدٍ منهم، واجتمع جمهور المدن المحــيطة إلــى أورشليم"، هذه المدينة المقدسة، "حاملين مرضى ومعذبين من أرواح نجسة وكانوا يبرأون جميعهم" (أع ٥: ١٥، ١٦) بقوة الروح القدس.

الروح القدس يعضد الرسل أمام الحكام

٢٣. وأيضًــا سجن الاثنا عشر رسولاً بأمر رئيس الكهنة بسبب التبشير بالمسيح، وبأعجوبة خلصوا منه في الليل بواسطة ملاك، فأُستُدعوا من الهيكل في المجمع للحكم. وفي خــوف انتهروهم بسبب حديثهم عن المسيح، فأجابوا أن الله يعطيهم روحه لطاعته. وعندما جلدوهم ذهبوا فرحين، ولم يكفوا عن التعليم والتبشير بيسوع أنه المسيح (أع ٥: ١٢).

الروح القدس يعمل في الشمامسة

٢٤. ولــم تكن نعمة الروح القدس عاملة في الاثني عشر رسولاً فحسب، بل وفي بكر أبناء الكنيســة... أقصد السبعة شمامسة الذين أُختيروا. وكما هو مكتوب أنهم كانوا "مملوءين من الــروح القدس وحكمة" (أع ٦: ٣). هؤلاء الذين كان منهم استفانوس الذي بحق دُعي هكذا، أول الشهداء، إنسان "كان مملوءًا إيمانا وقوة (من الروح القدس)، كان يصنع عجائب وآيات عظــيمة فــي الشعب" (أع ٦: ٨)، ويفحم المجادلين له. إنهم "لم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والــروح الذي كان يتكلم به" (أع ٦: ١٠). وعندما اتهموه بمكرٍ، وأتوا به إلى المجمع كان متلألئًا بضياء ملائكي، ورأوا وجهه كأنه وجه ملاك... وإذ بحكمته دافع مفحمًا اليهود الذين هم "قساة القلب وغير المختونين بالقلوب والآذان، دائمًا يقاومون الروح القدس" (أع ٧: ٥١).

"تنظـــر الســـماوات مفتوحة وابن الإنسان قائمًا عن يمين الله" (أع ٧: ٥٦). لقد رآه لا بقوته الذاتـــية، بل كما يقول الكتاب المقدس: "وهو ممتلئ من الروح القدس فرأى مجد الله ويسوع قائمًا عن يمين الله" (أع ٧: ٥٥).

الروح القدس يعمل في فيلبس

٢٥. فـــي قـــوة الروح القدس **أيضًا فيلبس** في وقت ما في اسم المسيح كان يُخرج الأرواح النجســـة، التي كانت تخرج صارخة بصوت عظيم، وشفى المفلوجين والعرج وآمن جمع كثير بالمسيح (راجع أع ٨)...

ثـــم إن ملاك الرب **دعى فيلبس في الطريق** من أجل الإثيوبي الخصي التقي جدًا، إذ ســـمع بوضوح الروح يقول له "تقدم ورافق هذه المركبة" (أع ٨: ٢٩). لقد علَّم الخصي، وعمّـــده، فـــذهب إلـــى إثيوبـــيـــا كرســـول المسيح، كما هو مكتوب: "إثيوبيا تبسط يدها" (مز ٣١:٦٨). واختطف الملاك فيلبس فصار يبشر بالإنجيل في المدن بالتتابع.

الروح القدس يعمل في بولس

٢٦. أيضًا بهذا الروح القدس **امتلأ بولس** بعدما دعاه ربنا يسوع المسيح. وها هو حنانيا البار يشهد لما نقول، إذ في دمشق قال له: "قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت فيه لكي تبصر وتمتلئ من الروح القدس" (أع ٩: ١٧). وللوقت تحوّل عمى بولس إلى حدة نظر بعمل الروح القدير، إذ نال نعمة ختمه في نفسه، جعلته إناءً مختارًا لحمل اسم الرب... فارتد المضطهد السابق إلى سفيرٍ وخادمٍ صالحٍ، "حتى أنه من أورشليم وما حولها إلـــى الليريكون قد أكمل التبشير بالإنجيل" (راجع رو ١٥: ١٩). وعلَّم في روما الإمبريالية، وحمل غيرة تبشيره إلى أسبانيا محتملاً معارك (روحية) بلا حصر وصانعًا آيات وعجائب...

الروح القدس يعمل في بطرس

٢٧. بنفس قوة الروح أيضًا **بطرس** شفى إينياس المفلوج باسم المسيح في لدة التي هـــي الآن ذيوســـبلس *Diospolis*. وفي يافا أقام طابيثا من الموت. وهو على السطح رأى الســـماء مفتوحة، وبواسطة الإناء النازل عليه مثل ملاءة مملوءة من حيوانات من كل شكل ونوع، تعلم بوضوح ألاّ يدعو أحدًا نجسًا أو دنسًا، حتى وإن كان يونانيًا (أع ١٠: ١١-١٦) أممـــياً أو وثنياً. وعندما أُرسل إلى كرنيليوس سمع بوضوح الروح القدس نفسه يقول: "هوذا

(ثلاثة) رجال يطلبونك، قم وأنزل وأذهب معهم ،غير مرتابٍ في شيءٍ، لأني أنا قد أرسلتهم" (أع ١٠: ١٩، ٢٠).

ولكن يظهر بوضوح أن الذين من الأمم يؤمنون أيضًا، وتعاد لهم شركة نعمة الروح القدس، لذلك عندما ذهب بطرس إلى قيصرية وكان يعلم بالأمور المختصة بالمسيح يقول الكتاب عن كرنيليوس والذين معه: "فبينما بطرس يتكلم بهذه الأمور حلَ الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة. فاندهش المؤمنون الذين من أهل الختان، كل من جاء مع بطرس، بأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضًا" (أع ١٠: ٤٤، ٤٥).

الروح القدس وهب المؤمنين اسم "مسيحيين"

٢٨. وفي أنطاكية أيضًا، المدينة المشهورة جدًا في سوريا، عندما كان التبشير منتشرًا، أرسل **برنابا** إلى هناك ليساعد في العمل إذ "كان رجلاً صالحًا وممتلئًا من الروح القدس والإيمان" (أع ١١: ٢٤)، وإذ كان محصول المؤمنين بالمسيح كبيرًا أحضروا بولس من طرطوس إلى أنطاكية ليعينه في جهاده. وإذ تعلم جمع غفير بواسطتهما إذ اجتمعا في الكنيسة "ودعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً" (أع ١١: ٢٦).يبدو لي أن الروح القدس إذ وهب المؤمنين الاسم الجديد... وإذ سكب الله روحه بغزارة في أنطاكية نجد هناك أنبياء ومعلمين من بينهم "واحد منهم اسمه أغابوس" (أع ١١: ٢٨).

"وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه" (أع ١٣: ٢)، وبعدما وضعوا الأيدي عليهما أُرسلا بواسطة الروح القدس.

من الواضح إذن الروح الذي يتكلم ويرسل هو روح حي، كائن عامل كما قلنا.

أقام الروح القدس عهدًا جديدًا في الكنيسة

٢٩. هذا الروح القدس في وحدة مع الآب والابن **أقام عهدًا جديدًا في الكنيسة الجامعة، محررًا إيّانا من أثقال الناموس...** اقصد ما هو دنس وما هو ليس دنسًا، واللحوم والسبوت والشهور الجديدة، والختان والنضحات والذبائح (الدموية). الأمور التي تُعطي إلى زمان، وهي ظل للأمور العتيدة (عب ١٠: ١)، لكن متى جاء الحق نُزعت هذه بحق.

لأنه عندما أرسل بولس وبرنابا بسبب السؤال الذي ثار في أنطاكية بواسطة القائلين بضرورة اختتانهم وحفظ عوائد موسى، فإن الرسل الذين كانوا هنا في أورشليم حَرَّروا كل

العالم من كل الملاحظات الرمزية والناموسية بأمر كتابي، لكنهم لم ينسبوا الحق إلى أنفسهم فـــي أمرٍ عظيمٍ كهذا، بل أرسلوا أمرًا مكتوبًا، جاء فيه "لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضـــع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة، أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام، وعن الدم والمخنوق والزنا" (أع ١٥: ٢٨-٢٩)، مظهرين بوضوح بما كتبوه أنه بالرغم من أن الكتابة كانت بأيدي الرسل البشريين، لكن القانون صادر من الروح القدس، هذا الذي أخذ به بولس وبرنابا ثبتاه في العالم كله.

الروح القدس يقود بولس

٣٠. والآن إذ بلغـــت هذا الحد في مقالي أطلب من محبتكم الاهتمام، أو بالأحرى أطلـــب من الروح الساكن في بولس بسبب عجزي عن سرد كل شيء على مسامعكم بسبب ضـــعفي أو قلق المستمعين. لأنه بأية عبارات لائقة أتحدث عن الأعمال العجيبة التي حدثت بواسطة الروح القدس في اسم المسيح؟ هذه الأعمال التي تمت في قبرص... وسيليكية وفريجية وغلاطية وميسيا ومكدونية؟! أو ما حدث في فيلبي... وتسالونيكي، أو الخطاب الذي ألقي في أريوباغوس وسط الأثينيين، أو التعاليم التي سردت في كورنثوس وفي كل آسيا؟!...

عظيمة هي النعمة الروحية التي كانت عليهم (أهل أفسس) حتى أن الأمراض كانت تُشـــفى والأرواح الشـــريرة تخرج، ليس فقط بلمسة، بل بأخذ العصائب والمناديل التي على جسده (أع ١٩: ١٢). وأخيرًا أولئك الذين مارسوا فنون السحر، إذ أحضروا كتبهم وأحرقوها أمام كل الناس (أع ١٩: ١٩).

الروح القدس يقود بولس (يتبع)

٣١. إننـــي أعبر على الأعمال التي حدثت في ترواس لأفتيخوس الذي غلبه النوم فسقط من الدور الثالث، وحُمل ميتًا، فأعاده إلى الحياة (أع ٢٠: ٩-١٢).

إننـــي أعبـــر أيضًـــا على النبوات التي أعلنها لقسوس أفسس الذين دعاهم إليه في ميليـــتس، محـــدثًا إيّـــاهم بصراحة قائلاً: "غير أن الروح القدس يشهد في كل مدينة قائلاً: (أع ٢٠: ٢٣)... فبقوله "كل مدينة" يعلن بولس الرسول أن العجائب التي تمت على يديه[١] في كل مدينة هي من عمل قوة الروح القدس بإرادة الله في اسم المسيح الذي يتكلم فيه.

---

[١] كان الحديث عن الآلام والأتعاب التي يلاقيها الرسول في كل مدينة.

بقوة هذا الروح القدس كان الرسول نفسه يسرع إلى هذه المدينة المقدسة أورشليم. وبالـــرغم من أن أغابوس أنبأ له بالروح بما سيحل به، لكنه في ثقة تكلم مع الشعب، معلمًا بالأمور المختصة بالمسيح.

وعـــندما أُحضر إلى قيصرية ووُجد بين محاكمات، تارة أمام فيلكس، وأخرى أمام فيستوس الوالي والملك أغريباس، تلقى بولس الرسول من الروح القدس قوة عظيمة، وهكذا غلب في حكمة، حتى أن أغريباس نفسه ملك اليهود قال: "غالبًا ما تقنعني أن أصير مسيحيًا"[1].

وفـــي جزيرة مالطة وهبه الروح القدس ألاّ يصيبه ضرر عندما لدغته أفعى، مقدمًا شفاءات للمرضى.

هـــذا الروح القدس قاد المُضطهِد القديم كرسول للمسيح حتى إلى روما الإمبريالية، وهناك أقنع يهودًا كثيرين ليؤمنوا بالمسيح، وكان يحاججهم قائلاً بوضوح: "حسنًا كلّم الروح القدس آباءنا بإشعياء النبي (عنكم) قائلاً..." (أع ٢٨: ٢٥)

بولس يشهد لعمل الروح القدس

٣٢. أمـــا كون بولس مملوءً من الروح القدس هو وكل رفقائه الرسل والذين آمنوا بالآب والابن والروح القدس فاسمع منه بنفسه، إذ يكتب بوضوح في رسائله قائلاً: "وكلامي وكرازتـــي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل **ببرهان الروح** والقوة" (١ كو ٢: ٤). وأيضًا: "الذي ختمنا أيضًا **وأعطى عربون (غيرة) الروح**" (٢ كو ١: ٢٢). وأيضًا "الذي أقام المســـيح مـــن الأمـــوات سيحيي أجسادكم المائتة أيضًا **بروحه الساكن فيكم**" (رو ٨: ١١). ويكتب إلى تيموثاوس قائلاً: "احفظ الوديعة الصالحة بالروح القدس المعطى لنا"[2].

الروح القدس ينبئ للرسل

٣٣. أما عن كون الروح القدس قائمًا ويحيا ويتكلم وينبئ، فهذا سبق أن تحدثت عنه قبلاً. يكتب بولس إلى تيوثاوس بوضوح: "ولكن الروح **يقول صريحًا** إن في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان. الارتداد الذي نراه ليس في الأيام السابقة، بل وفي أيامنا نحن إذ كثيرة ومتنوعة هي أخطاء الهراطقة.

---

[1] أع ٢٦: ٢٨ "بقليل تقنعني أن أكون مسيحياً".

[2] ٢ تي ١: ٤ "الروح القدس الساكن فينا".

مــرة أخرى يقول بولس "الذي في أجيال أُخر لم يُعرف به بنو البشر، كما قد **أعلن الآن** لرسله القديسين وأنبيائه **في الروح**" (أف ٣: ٥).

وأيضًا: "لذلك كما **يقول الروح**" (عب ٣: ٧).

وأيضًا: "**ويشهد لنا الروح القدس أيضًا**" (عب ١٠: ١٥).

وأيضًا: "وخذوا خوذة الخلاص **وسيف الروح الذي كلمة الله**" (أف ٦: ١٧).

وأيضًـــا: "لا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل **امتلئوا بالروح مكلمين** بعضكم بعضًا بمزامير وتسابيح وأغاني روحية" (أف ٥: ١٨، ١٩).

وأيضًـــا: "نعمـــة الـــرب يســـوع ومحـــبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم" (٢ كو ١٣: ١٤).

أقنوم الروح القدس

٣٤. بكل هذه البراهين التي قدمتها وأكثر منها يُمكن أن نفهم أقنومية الروح القدس وتقديســـه وقوته العاملة. لأن الوقت لا يسعفني في مقالي لو رغبت في اقتباس ما تبقى من العـــبارات الخاصـــة بالروح القدس في الأربع عشرة رسالة التي لبولس حيث يعلم فيها بكل كمال ووقار... وإنني استمد الغفران من قوة الروح القدس نفسه لما حذفناه بسبب قلة الأيام. أمـــا أنتم أيها السامعون، فيليق بكم أن تهتموا بأكثر كمال أن تعرفوا ما تبقى خلال القراءات المختلفة في الكتاب المقدس، إذ تجتهدون لفهم هذه الأمور.

مـــن خلال المقالات الحالية أو السابق عرضها عليكم يمكننا أن نتمسك بأكثر ثبات بالإيمان أننا "نؤمن بالله الواحد، الآب القدير، وربنا يسوع المسيح ابنه الوحيد، والروح القدس المعزي".

وبالرغم من أن الكلمة نفسها واللقب "روح" تنطبق على (الثالوث) عامة في الكتاب المقـــدس، إذ قـــيل عـــن الآب: "الله روح" (يو ٤: ٢٤)، كما جاء في إنجيل يوحنا وقيل عن الابن: "روح أمام وجهنا المسيح الرب" كقول إرميا النبي (راجع مرا ٤: ٢٠). وعن الروح القدس قيل: "المعزي الروح القدس" (يو ١٤: ٢٥)...

اقبلوا الروح القدس بغير رياء!

٣٥. أحـــذروا لئلا تكونوا مثل سيمون فتأتوا إلى مدبري العماد في رياء فلا تكون قلوبكم طالبة الحق. عملنا نحن أن نمنع هذا، وعملكم أنتم أن تحفظوا نفوسكم. إن كنتم ثابتين

في الإيمان، فمباركون أنتم. وإن كنتم ساقطين في عدم الإيمان فاطرحوا عنكم كفركم واقبلوا إيمانًا كاملاً.

ففي فصل العماد، عندما تأتوا في حضرة الأساقفة أو الكهنة أو الشمامسة... اقتربوا إلى خادم العماد، ولا تفكروا في الوجه المنظور، بل تذكروا الروح القدس هذا الذي نتكلم عنه الآن. لأنه حال، ليختم نفوسكم. إنه سيهبكم ذلك الختم الذي ترتعب منه الأرواح الشريرة، ختمًا سماويًا مقدسًا كما هو مكتوب: "الذي فيه أيضًا أنتم إذ آمنتم، خُتمتم بروح الموعد القدوس" (أف ١: ١٣).

يا لخطورة من يتقدم للعماد في خداع!

٣٦. لكنه هو يمتحن النفس. إنه لا يلقي لآلئه قدام الخنزير. فإن جئت برياءٍ فإنه حتى وإن عمدك الناس لا يعمدك الروح القدس. وإن تزكّيت بإيمان، فإن الناس يخدمون (السرّ) فيما هو منظور والروح القدس يهب ما هو غير منظور.

إنك تأتي إلى تجربة عظيمة، إلى ضيقة شديدة، فإنه في ساعة واحدة تُطرد وتكون كارثتك مرعبة. أما إن كنت مستحقًا للنعمة، فتستنير نفسك وتتقبل قوة لم تكن لك من قبل، تتقبل أسلحة مرعبة ضد الأرواح الشريرة. فإن لم تلقِ عنك أسلحتك محتفظًا بالختم على نفسك لا يقدر أي روح شرير أن يقترب إليك بل يهرب، لأن بروح الله تخرج الأرواح الشريرة.

لا تحزن روح الله القدوس

٣٧. إن كنت تؤمن، فإنه ليس فقط تنال غفران الخطايا بل وتصنع أمورًا فوق الطاقة الإنسانية. ربما تتأهل لنعمة النبوة أيضًا. إنك تتقبل نعمة حسب قياس طاقتك لا حسب كلماتي. لأنني ربما أتكلم عن أمورٍ قليلةٍ وأنت تُوهب أمورًا أعظم، لأن للإيمان عمل عظيم للغاية.

في كل حياتك يسكن معك حارسك المعزي يعتني بك كجندي لك في خروجك ودخولك وضد أعدائك (الروحيين).

إنه يهبك عطايا النعمة من كل نوع إن كنت لا تحزنه بالخطية، إذ مكتوب "لا تحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء" (أف ٤: ٣).

ماذا إذن ألا تحتفظ أيها الحبيب بالنعمة؟ تهيأ لتقبلها، ومتى تقبلتها لا تطردها عنك.

ختام

٣٨. لـيت إله الكل ذاته الذي تكلم بالروح القدس خلال الأنبياء، والذي أُرسل على رسـله في يوم البنطقستي في هذا المكان، هو نفسه يرسله عليكم في هذا الوقت، وبواسطته يحفظـنا نحن أيضًا لكي نتمتع ببركاته نحن جميعًا، حتى نرد إليه ثمار الروح القدس "محبة، فـرح، سـلام، طـول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف" (غل ٥: ٢٢، ٢٣)، في المسـيح يسـوع ربنا الذي له وبه ومع الروح القدس المجد للآب الآن والي الأبد وإلى أبد الأبد. آمين.

المقال الثامن عشر[1]

كنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية

"كانـــت علـــى يد الرب فأخرجني بروح الرب
وأنزلنـــي فـــي وسط البقعة وهي ملآنة عظامًا"
(حزقيال ٣٧).

الرجاء في القيامة أصل كل عمل صالح

١. رجـــاء القـــيامة أصـــل كل عملٍ صالحٍ، فانتظار المكافأة يقوي النفس للأعمال الصالحة. فكل عاملٍ مستعد أن يتحمل الآلام إذا رأى أن مكافأته قريبة. لكن إن أجهد الناس أنفسهم للاشيء، تخور قلبهم كأجسادهم أيضًا. فالجندي الذي ينتظر غنيمة مستعد للحرب، لكن لا يقدم أحد نفسه للموت من أجل ملكٍ لا يبالي بالذين يخدمونه، ولا يمنح كدهم أيّة كرامة.

هكذا كل نفس تؤمن بالقيامة تحرص بطبيعة الحال على نفسها. لكن في عدم إيمانها بالقيامة تترك نفسها للدمار. فمن يؤمن أن جسده سيبقى ليقوم ثانية يكون حريصًا على ثوبه، لا يدنســـه بالـــزنا، لكن من لا يؤمن بذلك يسلم نفسه للزنا، ويسيء استعمال جسده، كأنه لا يخصــــه. فالإيمان بقيامة الأموات وصية عظيمة والتعليم بـــ" الكنيسة المقدسة الجامعة" تعليم عظـــيم وضروري، ولو ناقضه كثيرون. فهو مع ذلك بالتأكيد أمر حق! يعارضه اليونانيون، ولا يؤمن به السامريّون، ويقاومه الهراطقة، فالنفاق بينهم مختلف، لكن الحق واحد!

مجادلات الهراطقة

٢. يجادل اليونانيون والسامريون قائلين: الميت سقط، وتحول إلى ديدان، والديدان ماتت أيضًا، هكذا يصيب الجسد التلف والهلاك، فكيف يقوم ثانية؟!

السفينة الغارقة يلتهم السمك من في داخلها ويبيدهم، والسمك أيضًا يُباد! من يقاتلون الحـــيوانات المتوحشـــة تُســـحق عظامهم ذاتها، ويستهلكها الأسود والدببة! النسور والغربان تتغذى بجثث الأموات الذين لم يدفنوا، ثم يطيرون مشتّتين، فمن أين إذن يُجمع الجسم ثانية؟ الـــدجاج الـــذي الـــتهمه، بعض منها في الهند والبعض في بلاد فارس والبعض الآخر في

---

[1] ترجمة السيدة يان جرجس فيلوثاؤس.

جاســان! أيضـًــا أناس آخرون تلتهمهم النيران ورمادهم ينثره المطر والرياح، فمن أين إذن يُجمع الإنسان؟

العالم كله في يده

٣. أيهـــا الـــرجال المساكين والضعفاء، تتراءى لكم الهند بعيدة عن أرض جاسان، لكـــن الله الذي يمسك العالم كله في قبضة يده، كل الأشياء قريبة لديه. لا تُعزِي إذن الضعف إلـــى الله بســبب ضـــعفك أنت، لكن الأفضل أن تتكل على قوته. أليست الشمس وهي عمل صغير من أعمال الله بومضة صغيرة من شعاعها تعطي الدفء للعالم كله؟! أليس الجو الذي عمله الله يكتنف كل شيء في العالم؟ فهل الله خالق الاثنين "الشمس والجو" بعيد عن الاثنين؟

تصـــور خليطًا من بذور النباتات المختلفة في قبضة يدك، فهل يصعب عليك وأنت إنسان أن تعزل هذه البذور التي في يدك عن بعضها البعض وتجمعها حسب أنواعها؟ أفأنت تقـــدر علـــى عزل الأشياء التي في يدك، ولا يقدر الله على عزل الأشياء التي تحتويها يده؟ ويرجعها إلى وضعها الأصلي؟ لتقدِّر ما أقول، وإن كان إنكارها كفرًا!

الله عادل

٤. أرجـــوك أيضـًــا أن تصغي إلى "مبدأ العدل" وترجع إلى نفسك. تصور أن لك خـــدمًا كثيرين بعضهم طيب والآخر شرير. إنك تكرم الطيب، وتضرب الرديء، وإن كنت قاضيًا فإنك تكافئ البار بمدحه وتعاقب المخطئ. إذن... فهل توجد فيك العدالة أيها الإنسان الفاني، والله ملك الكل الذي لا يتغير، أليس عنده عدالة لمجازيه؟ لا! فإنكارها كفر!

فكِّـــر فيما أقول. إن قتلة كثيرين ماتوا في أسرتهم غير معاقبين، أين إذن عدل الله؟ فإن لم تكن هناك عدالة ومجازاة بعد هذه الدنيا فأنت تتهم الله بالإثم!

لا تستغرب لتأخير العدالة، فإنه لا يُكافأ مصارع أو يُهان حتى تنتهي المباراة، ولا يُكلـــل قائـــد المباراة الرجال أثناء كفاحهم، بل ينتظر حتى تنتهي كل المباراة، فيوزع عليهم الجوائـــز أو أكاليل الزهور. هكذا الله أيضًا: مادام النزاع باقيًا في هذا العالم يسعف العادلين ولو جزئيا، لكن بعدئذ يرجع لهم مكافأتهم كاملة.

لماذا يُعاقب منتهكي المقابر؟!

٥. لكـــن إن كـــان بحسب تفكيرك لا تُوجد قيامة للأموات، فلماذا يُحاكم لصوص المقابر؟ لأنه إذا كان الجسم يهلك ولا تكون قيامة. تأمل فيها، فلماذا يُعاقب منتهكو المقابر؟

فأنت ترى ولو أنكرت بشفتيك أنه فيك غريزة بأنه لا غنى عن القيامة!

البذور لا تعيش إن لم تمت!

٦. هل تزهر الشجرة بعد قطعها؟ وهل يزهر الإنسان بعد قطعه أيضًا؟

وهـل سيبقى القمح في جرن الدرّاس بعد بذارة وحصده؟ (دون أن تُعاد زراعته). هل سيبقى الإنسان بعد حصده من هذا العالم للدرّاس؟

هـل ترجع أعضاء الكرمة الصغيرة بعد قطعها وشتلها في الحياة، وتعطي ثمارًا؟! وهل الإنسان الذي لأجله تعيش كل هذه (مرة أخرى) يقع في الأرض ولا يقوم ثانية؟

أيهما أصعب، صبّ تمثال لم يوجد من قبل، أم إعادة صوغ الذي سقط بنفس شكله؟

إذن هـل الله الذي خلقنا من العدم غير قادر أن يقيم هؤلاء الذين عاشوا وسقطوا؟ لكنك وأنت يوناني لا تصدق الأشياء التي كُتبت عن القيامة. إذن تأمل من الطبيعة ذاتها في هذه الأمور وافهمها مما تراه اليوم.

فمثلا يُبذر القمح أو أي نوع آخر من البذور، وإذ تسقط البذرة تموت وتتعفن وحينئذ لا تكـون صـالحة للأكل، لكن ما تعفّن يطلع في اخضرار، ولو كان صغيرًا عند نبتته لكنه يخـرج أكثر جمالاً. لكن القمح وجد من أجلنا، لأن القمح وجميع الحبوب لم تُخلق لنفسها بل لفائدتنا. إذن هل تدب الحياة في الأشياء التي عُملت من أجلنا عند موتها ونحن الذين صُنعت من أجلنا لا نقوم ثانية بعد موتنا؟!

أمثلة من عالم النبات وعالم الحيوان

٧. فـي فصل شتاء كما ترى، تقف الأشجار كأنها مائتة. أين أوراق شجرة التين؟! أين عناقيد الكرمة؟! هذه تموت في الشتاء، لكنها تخضر في الربيع! وعندما يأتي إليها الأوان يرجع إليها دبيب الحياة كأنه من حالة موت.

فـإذ يعلم الله عدم إيمانك يصنع قيامة سنة وراء أخرى في هذه الأشياء المنظورة، فإذ تلاحظ الأشياء غير الحيّة ولا العاقلة تؤمن بما يختص بالخليقة الحيّة العاقلة...

أنـواع أخرى من الفيران الحيّة النوامة. بعد بقائها بدون حركة أثناء الشتاء ترجع في الصيف...

هـل الـذي يهب المخلوقات الدنيئة غير العاقلة حياة خارقة للطبيعة، أما يقدر أن يمنحنا إيّاها ذاك الذي صنعها لأجلنا؟!

القيامة والعنقاء[1] عند اليونانيين!

٨. لكـن اليونانيـين يطلـبون قيامة أموات ظاهرة – ويقولون حتى لو قامت هذه المخلوقات فهي لم تتحلل تمامًا – ويطلبون رؤية أي مخلوق يقوم ثانية بعد إضمحلال كامل.

لقـد علـم الله جحـود الناس، فهيأ لهذا الغرض طائرًا يدعى العنقاء، وهذا الطائر كما يكتب إكليمنضس وكما يروي كثيرون غيره... أنه يصل إلى أرض المصريين في دورة كـل خمسـمائة سـنة، ممـثلاً القيامة لا في الأماكن المهجورة لئلا يبقى حدوث السرّ غير معروف، لكن خلافًا لذلك يظهر في مدينة شهيرة حتى يلمس الناس ما هو غير مُصَدّق. فإنه يعمـل لنفسه كفنًا من اللبان والمرّ والتوابل الأخرى، ويدخل في هذه بعد نهاية عمره ويموت تمامًـا ويضمحلّ. ثم من لحم الطائر الفاسد تولد دودة، وبعد أن تكبر هذه الدودة تتحول إلى طائر.

لا تُكـذّب هـذا، لأنك ترى ميلاد النحل أيضًا على هذا الأسلوب يتولد من الديدان ومن البيضات التي هي عبارة عن سائل. أرأيت الأجنحة والعظام وقوة نشأة الطيور.

بعـد ذلـك تطير العنقاء المذكورة محلقة عاليًا في الهواء بعد أن تكون قد أصبحت طائرًا كبيرًا كامل النمو كالعنقاء السابقة.

إذن أتعطـى قـيامة من الموت لهذا المخلوق غير العاقل الذي لا يعرف صانعه، ونحن الذين نمجد الله ونحفظ وصاياه لا توهب لنا قيامة؟

لننظر إلى خلقتنا ذاتها

٩. حيث أن العنقاء بعيدة وغير حقيقية، ويُكذب الناس قيامتنا، فإنني أقدم لك دليلاً على القيامة مما تراه كل يوم. منذ مائة سنة (كلنا نحن المتكلمون والسامعون) أين كنا؟!

ألا نعلم أساس مادة أجسادنا؟ ألا نعرف كيف وُلدنا من عناصر ضعيفة لا شكل لها، وبسـيطة، وكـيف كُـوّن الإنسان الحي من شيء ضعيف وبسيط؟! وكيف أن هذا العنصر الضـعيف وقـد صـنع جسدًا تغيّر إلى ذي بأس قوي، وعيون لامعة وآذان سامعة، وأنف حساس، ولسان متكلم، وقلب نابض، وأيادٍ عاملة، وأقدامٍ سريعة، وأعضاءٍ من كل نوع؟!

---

[1] العـنقاء طائر خيالي يؤمن به اليونانيون وبعض الوثنيين. ولقد كان الآباء الأولون يستخدمون مع الوثنيين بعض الأفكار اليونانـية لأجل إقناعهم بسهولة الحقائق المسيحية، ليس بمعنى أننا نقبل هذه الأفكار، وإنما لمناسبتها لأفكار الموعوظين الآتين من الوثنية.

كـيف أن هـذا العنصـر الذي كان ضعيفًا في وقتٍ ما يصير صانع سفن، وبناء، ومهندسًا معماريًا، وصاحب حرف وفنون مختلفة، وجنديًا، وحاكمًا، وشارع قوانين، وملكًا؟! ألا يقدر الله إذن – الذي صنعنا من مواد ناقصة – أن يقيمنا بعد أن سقطنا في الاضمحلال؟! فالذي يشكل الجسد من شيء حقير ألا يقدر أن يقيم الجسم الساقط أيضًا ثانية؟! والذي يُشكل ما لا يشكل ألا يقيم الكائن الذي سقط؟!...

الرد على السامريين[1]

١١. لننـتقل إلى السامريين الذين قبلوا الشريعة فقط ولا يميزون الأنبياء. فالفصل الذي قرئ من حزقيال يبدو لهم بلا قوة، لأنهم كما قلت لا يعترفون بالأنبياء. كيف إذن نقنع السـامريين أيضًا؟ لنذهب إلى كلمات الشريعة! يقول الله لموسى: "أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب"، فهو إذن إله من لا وجود لهم.

ومتى يقول ملك: أنا ملك جنود غير موجودين؟! أو من يتظاهر بثروة لا يملكها؟! لذلك إبراهيم وإسحق ويعقوب لابد أنهم عائشون حتى أن الله يكون إله من لهم وجود. لأنه لم يقل: "كنت إلههم" بل "أنا إلههم".

إنه توجد دينونة، ويظهر ذلك إبراهيم في قوله للرب: "أديّان الأرض كلها لا يصنع عدلاً؟" (تك ١٨: ٢٥)

أمثلة من أسفار الناموس

١٢. لكـن يعترض السامريون على هذا أيضًا ويقولون إن نفوس إبراهيم وإسحق ويعقـوب مُمكن بقاؤها لكن أجسادهم لا يمكن قيامتها ثانية. فهل كان ممكنًا أن تتحول عصا موسى التقي إلى حيَّة، وغير ممكن أن تحيا أجساد الأتقياء وتقوم ثانيةً؟ وهل عمل هذا خلافًا للطبيعة، وهل لا يعودون هم ثانية بحسب الطبيعة؟!

كذلك عصا هرون ولو أنها قُطفت، لكنها ازدهرت بدون رائحة الماء (أي ١٤: ٩). ولو أنها تحت سقف أزهرت أزهارًا كما لو كانت في الحقول، ولو أنها وضعت في مواضع جافة وحملت في ليلة الزهور وأثمر النبات الذي يُسقى سنينًا عديدة، فهل قامت عصا هرون من الموت، وهرون نفسه لا يقوم؟! هل يعمل الله معجزات في الخشب ليضمن له الكهنوت، ولا يتعطف بقيامة هرون نفسه؟

---

[1] لا يقبل السامريون من الكتاب المقدس إلا الأسفار الخمسة لموسى. وتمتزج عبادتهم بالعبادة الوثنية.

تحولت امرأة إلى ملح على خلاف الطبيعة، وتحول جسدها إلى ملح، أفلا يرجع اللحم إلى لحم؟! هل تحولت امرأة لوط إلى عمود ملح وامرأة إبراهيم ألا تقوم ثانية؟!

بأية قوة تغيرت **يد موسى النبي** التي في ساعة صارت كالثلج وعادت ثانية بأمر الله؟! فهل كان أمره يحمل قوة والآن بلا قوة؟!

الخلق أم القيامة

١٣. أيها السامريون المجاهدون، في البدء خرج الإنسان إلى الوجود. ارجعوا إلى أول سفر في الكتاب المقدس الذي تسلمتموه. "وخلق الله الإنسان من تراب الأرض". هل يتحول إلى تراب ولا يرجع إلى لحم ثانية؟!

يلزمك أن تسأل أيضًا: متى وُجدت السماء والأرض والبحر والشمس والقمر والنجوم؟ وكيف صُنعت الخليقة التي تطير وتسبح في الماء؟! وكيف خرج من التراب كل ما هو حي؟! هل خرجت من العدم إلى الوجود ونحن البشر الذين على صورة الله ومثاله لا نقوم؟!

حقًا هذا الحديث مملوء كفرًا ويدين عديمي الإيمان.

لقد صاحب إبراهيم الرب كديان الأرض كلها بينما متعلمو الشريعة لا يصدقون! إن الإنسان وُجد من التراب، والقارئون لا يصدقون!

لا يقوم الأشرار في يوم الدين

١٤. هذه الأسئلة موجهة إليهم، أما كلمات الأنبياء فهي لنا نحن المؤمنون. لكن مادام البعض الذين يعلمون بالأنبياء ولا يؤمنون بما هو مكتوب ويجادلون ضدنا، مسيئين فهم ما كُتب بحق: "لذلك لا يقوم الأشرار في الدين" (مز ١: ٥).

حسنًا يليق بنا أن نقابلهم بطريقة سطحية بقدر الإمكان، لأنه إذ قيل إن "الأشرار لا يقومون في يوم الدين". فهذا يظهر أنهم سيقومون في يوم الدين، لأن الله لا يحتاج إلى إمعان نظر طويل إليهم، بل بعد قيام الأشرار في الحال يذهبون إلى عقابهم.

إذا قيل "ليس الأموات يسبحونك يا رب" (مز ١١٥: ١٧). فهذا يُظهر أن هذه الحياة فقط هي الوقت المعين للندم والمغفرة. **"والذي يهبط إلى الهاوية ولا يصعد" (أي ٧: ٩).** الذين يُسرون بهذه الحياة هم الذين سيُسبحون الله. أما الذين ماتوا في الخطايا فلا يبقى لهم وقت أن يسبحوا بعد الموت كالمتمتعين بالبركات. إنما ينوحون على أنفسهم، لأن التسبيح لمن

يشـــكر، والنحـــيب لمـــن هو تحت العقاب. لذلك يقوم الأتقياء بالتسبيح، أما الذين ماتوا في الخطايا، فليس لهم وقت للاعتراف (الحمد) بعد ذلك.

أيوب والأنبياء يشهدون للقيامة

١٥. وبخصـــوص العبارة: "هكذا الذي ينزل إلى الجحيم ولا يصعد". لاحظ ما جاء بعـــد ذلـــك. "لا يـــرجع بعد إلى بيته" (أي ٧: ١٠). ولما كان العالم كله سينتهي، وكل بيت سيخرب، كيف يرجع ثانية إلى بيته عندما تكون أرضًا جديدة مغايرة؟

لكن كان يجب أن يسمعوا أيوب يقول: "لأن للشجرة رجاء، إن قطعت تُخلِف أيضًا ولا تعدم خراعيبها – ولو قدم في الأرض أصلها ومات في التراب جذعها، فمن رائحة الماء تفـــرخ، وتنبت فروعًا كالغرس – أما الرجل فيموت ويبلى، الإنسان يسلم الروح فأين هو؟" (أي ١٤: ٧-١٠ *LXX*). إنه يتكلم بعتاب ولوم!

يقول: إذا كانت الشجرة تقع ثم تحيا ثانية، ألا يحيا الإنسان مرة ثانية الذي من أجله وُجد الشجر كله؟ ولكي لا تتصور أنه أقحم الكلمات، اقرأ ما يتبع ذلك. يقول: "إن مات رجل فيحيا" (أي ١٤: ١٤)، وحالاً يضيف: "سأنتظر إلى أن أقوم". وفي موضع آخر: "بعد أن يفنى جلدي هذا وبدون جسدي أرى الله" (أي ١٩: ٢٦).

وفي إشعياء: "تحيا أمواتك، تقوم الجثث" (إش ٢٦: ١٩.

وفي حزقيال: "ها أنذا افتح قبوركم، وأصعدكم من قبوركم" (حز ٣٧: ١٢).

وفي دانيال: "وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار والازدراء الأبدي" (دا ١٢: ٢).

أمثلة عملية على قيامة الأموات في العهدين

١٦. أناجيل كثيرة تشهد بقيامة الأموات، إذ توجد شهادات كثيرة في هذا الأمر. لكن الآن لمجـــرد التذكـــر نقدم تنويهًا عابرًا عن قيامة لعازر في اليوم الرابع، ونلمح فقط لضيق الوقت عن قيامة ابن الأرملة.

ولكـــي أُذكركم فقط، دعوني أذكر ابنة رئيس المجمع، وتشقق الصخور وقيام كثير من أجساد القديسين الذين رقدوا (مت ٢٧: ٥٢) فقد "فُتحت قبورهم".

لكن بالأحرى كونوا ذاكرين "أن المسيح قام من الأموات" (١ كو ١٥: ٢٠).

أتكلم عن إيليا وعن ابن الأرملة الذي أقامه، وعن إليشع الذي أقام ميتًا مرتين: مرة في حياته وأخرى بعد موته.

لأنـــه فـــي حياته أتم القيامة بنفسه *his soul* (٢ مل ٤: ٣٤). لكن لكي تُكرم ليس فقط نفوس الأتقياء، بل ولكي يُصدق أنه في أجساد الأتقياء تكمن قوة، فالجثة التي ألقيت في قبـــر إليشع عندما لمست جسد النبي قامت. فصنع جسد النبي الميت فعل النفس. الذي مات ودُفـــن أعاد الحياة للميت، ولو أن الذي أعطى حياة استمر وسط الأموات. لماذا؟ لئلا إن قام إليشـــع مـــرة أخرى فالعمل يُعزى لـــ "نفسه" فقط، وإنما **ليظهر أنه حتى في غياب "النفس" تســكن فضــيلة فــي أجســاد القديســين بســبب النفس التقية التي سكنت به عدة سنين واستعملتها لخدمتها.**

فـــلا تدعـــونا نكـــذب بجهـــل كـــأن هذه الأشياء لم تحدث. لأنه إن كانت المناديل والعصـــائب التي من الخارج تلمس أجساد المرضى فيشفون، فما بالك بجسد النبي نفسه يقيم الموتى؟

شهادة الكتاب المقدس عن القيامة

١٧. يمكنـــنا أن نقـــول الكثير عن هذه الأمثال، موضحين الظروف الفائقة للطبيعة لكـــل حادثة، لكن لما كنتم مُتعبين من صوم (الاستعداد) المفروض، وبالسهر، فنعتبر ما قيل عنهم كافيًا.

هذه الكلمات بُذرت بضعف حتى أنكم كأرض جيدة قبلت البذور. فيمكن تقديم البذور وإكـــثارها، ولكن اذكروا أن التلاميذ أيضًا أقاموا موتى. فبطرس أقام طابيثا في يافا، وبولس أقـــام أفتيخس في ترواس (أع ٢٠: ٩)، وهكذا فعل كل التلاميذ الآخرين، ولو أن المعجزات التي صنعها كل واحدٍ لم تكتب جميعها.

بعـــد ذلـــك تذكـــروا كل الأقوال في رسالة معلمنا بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنـــثوس التي كتبها ضدهم، فقـــال: "كيف يقام الأموات؟ وبأي جسم يأتون؟" (١ كو ١٥: ٣٥) "لأنه إذا كان الموتى لا يقومون، فالمسيح إذن لم يقم" (١ كو ١٥: ١٦)، وكيف أن الذين لم يؤمنوا دعاهم أغبياء، تذكروا كل تعليمه هناك، وما يتعلق بقيامة الأموات، وكيف كتب إلى أهـــل تسالونيكي (١ تس ١٦: ٤-١٣). "ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة الراقدين لكـــي لا تحـــزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم"، لكن الأهم هو من جهة "الراقدين في المسيح سيقومون أولاً".

سمات الجسد المُقام

١٨. لقــد دّون هذا خصيصًا، كيف يقول بولس بصراحة: "لأن هذا الفاسد لابد أن يلــبس عــدم فساد، وهذا المائت يلبس عدم موت" (١ كو ١٥: ٥٣). إذن هذا الجسد سيقوم ويلــبس عــدم الفساد وبشكلٍ جديدٍ. وكما يمتزج الحديد بالنار ويصبح نارًا، أو الأفضل كما يعرف الرب الذي يقيمنا: هذا الجسد سيقوم، لكنه لن يمكث كما هو الآن.

إنه جسم أبدي. لا يحتاج تغذية لحياته كما هو عليه الآن، ولا إلى درجات لصعوده، لأنه سيكون روحيًا. إنه لأمر عجيب لسنا جديرين بالكلام عنه، إذ قيل في إنجيل القديس متى البشــير: "حينــئذ يضـــيء الأبــرار كالشمس في ملكوت أبيهم" (مت ١٣: ٤٣). "وكالقمر، وكضياء الجلد" (دا ١٢: ٣).

فـــالله العالم بعدم إيمان الناس، أعطى الديدان الصغيرة أن تُخرج من جسمها أشعة من نور حتى أنه مما نرى نصدق ما نتوقعه. لأن الله الذي يعطى الجزء قادر أن يعطى الكل أيضًا. والذي جعل الدودة متألقة بالنور، يجعل بالأحرى الإنسان النقي يضيء.

يشترك الجسد في العمل كما في المكافأة

١٩. سنقوم إذ ذاك كلنا بأجسادنا الأبدية، لكن ليس الكل بأجسادٍ متشابة، فالإنسان النقـــي يأخـــذ جسدًا سماويًا، حتى يتأهل للتحدث مع الملائكة، وأمّا الشرير فيأخذ جسدًا أبديًا مناسبًا يتحمل عقوبة الذنوب، فيحترق إلي الأبد في النار ولا يبيد.

بحق يسمح الله بهذا النصيب للطرفين، لأننا لا نعمل شيئًا بدون الجسد. فنحن نجدف بـــالفم، وبـــالفم نصـــلي. بالجســـد نرتكب الزنى، وبه نحفظ العفة. باليد نسرق وباليد نمنح صـــداقات، وهكـــذا.الجســـد الـــذي كان خادمًا لنا في كل شيءٍ سيشاركنا في المستقبل ثمار الماضي.

لنعتنِ بأجسادنا إذ هو يخصنا

٢٠. لـــذلك أيهـــا الإخوة لنعتنِ بأجسادنا، فلا نسيء استعمالها كأنها ليست لنا. فلا نقول كالهراطقة إن هذا الثوب من الجسد لا يخصنا. لكن لنعتني به إذ هو يخصنا. يجب أن نقـــدم حسابًا لله عن كل الأشياء التي يصنعها الجسد. لا تقل لا يراني أحد. لا تفكر أنه يوجد شـــاهد علـــى الفعل، وغالبًا لا يكون هناك شاهد بشري، لكن الله الذي خلقنا شاهد لا يخطئ "والشاهد في السماء أمين" (مز ٨٩: ٣٧)، يراقب ما نعمله.

دنس الخطية يبقى في الجسد، وآثار جروحه تبقى في الكل، ولا تُزال إلا من الذين قبلوا حميم العماد.

الجــروح الســابقة للنفس والجسد يشفيها الله بالعماد. لنحترس لأنفسنا من الخطايا المســتقبلة حتى نحفظ الجسد طاهرًا. فليس من أجل الزنى والانهماك في الشهوات الجنسية الأخرى لوقتٍ قصيرٍ نضيع خلاص السماوات، لكن نُوهب ميراث ملكوت الله الأبدي، الذي نطلب من الله أن يحسبكم جميعًا مستحقين إياه بنعمته.

حفظ قانون الإيمان

٢١. وهكــذا تــوجد براهين كثيرة على قيامة الأموات. والآن دعوني أتلو عليكم قانون الإيمان، وأنتم تنطقونه بكل اجتهاد بينما أتكلم...

كنيسة جامعة

٢٢. قانــون الإيمــان الذي نردده يقول: "وبمعمودية واحدة للتوبة لمغفرة الخطايا، وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة. وبقيامة الأموات وحياة الدهر الآتي".

تكلمــت عن العماد والتوبة في المقالات السابقة وفي المقالة الحاضرة تحدثت عن قيامة الجسد، والآن أُكمل ما قد تبقى "**وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة**" سنتكلم عنها باختصار، ولو أنه يمكن أن تقال أشياء كثيرة عنها.

جامعة

٢٣. لأنهــا تمــتد فــي كل العالم... من أقاصي الأرض إلى أقاصيها، ولأنها تعلم تعلــيمًا شــاملاً كــاملاً فــتقدم كل التعاليم التي يجب أن يعرفها الإنسان بخصوص الأمور المــنظورة وغيــر المنظورة، السماوية والأرضية. ويخضع لها كل جنس الرعاة والرعية، المــتعلمون وغيــر المتعلمــين، ولأنها عمومًا تعالج وتشفي كل أنواع الخطايا التي اُرتكبت بالروح أو الجسد، وتملك فيها كل ما يُسمى تكوين للفضيلة والأعمال والأقوال، وكل نوع من المواهب الروحية.

إكليسيّا" أو جماعة

٢٤. بحــق دعــيت "**إكليسيّا**" لأنها تدعو كل الناس، وتجمعهم مع بعضهم البعض. كقــول الــرب في لاويين: "**واجمع كل الجماعة** إلى باب خيمة الاجتماع" (لا ٨: ٣). وليكن معلــومًا أن كلمـــة "**اجمع**" استعملت لأول مرة في الكتاب المقدس هنا في الوقت الذي وُضع

هـــارون فـــي رئاســـة الكهنة، وفي سفر التثنية أيضًا قال الرب لموسى: "اجمع لي الشعب، فأُسمعهم كلامي لكي يتعلموا أن يخافوني" (تث ٤: ١٠).

ويُذكـــر اســـم الكنيسة عندما يتكلم عن لوحيّ الشريعة، وعليهما كتبت كل الكلمات التـــي تكلـــم بها الرب على الجبل. كأنه يقول بأكثر صراحة: "في اليوم الذي دُعيتم فيه من الله واجتمعـــتم". يقـــول المرتل داود: "أحمدك في **الجماعة الكثيرة**. في شعب عظيم أسبحك" (مز ٣٥: ١٨).

رفض اليهود ونشأة الكنيسة

٢٥. ومن القديم يرنم صاحب المزامير: "**في الجماعات** باركوا الله الرب" (مز ٦٨: ٢٦). لكـــن بعد أن أُستبعد اليهود من نعمته (بسبب المؤامرات التي فعلوها ضد المسيح) بنى المخلـــص من الأمم كنيسة ثانية مقدسة، كنيستنا نحن المسيحيين، إذ قال لبطرس: "على هذه الصخرة ابني كنيستي، وأبواب الجحيم لم تقوى عليها" (مت ١٦: ١٨).

وتنـــبأ داود عـــن الاثنـــين، فقال في صراحة عن الأولى: "أبغضت جماعة الأثمة" (مـــز ٢٦: ٥). وأمّا عن الثانية التي بُنيت فيقول "يا رب أحببت محل مسكنك" (مز ٢٦: ٨) وبعدها رأسًا يقول: "في الجماعات أبارك الرب" (مز ٢٦: ١٢).

ولمـــا كانـــت الكنائس في اليهودية قد نُبذت، زادت كنائس المسيح في العالم كله. وعنها يُقال في سفر ملاخي: "ليست لي مسرة بكم، قال رب الجنود، لأنه من مشارق الشمس إلـــى مغاربهـــا اسمي عظيم بين الأمم" (مل ١: ١٠، ١١). بخصوص هذه الكنيسة المقدسة يكـــتب بـــولس لتيموثاوس في رسالته الأولي "فكيف يجب أن تتصرف في بيت الله الذي هو كنيسة الله الحي، عمود الحق وقاعدته" (١ تي ٣: ١٥).

تجنب اجتماعات الهراطقة

٢٦. ولمـــا كانت الكلمة "**إكليسيّا**" أي الكنيسة قد استعملت بمعانٍ مختلفة (كما كتبت عن الحشد في مسرح الأفسسيين) "ولما قال هذا صرف الجمع" (١ تي ٣: ١٥)، ولئلا يقول أحد بالحق إن هناك كنيسة أشرار، أعني اجتماع الهراطقة المانيين وأتباع مرقيون وغيرهم. لهـــذا السبب أسلم لك في أمان القول "**بكنيسة واحدة مقدسة جامعة**" حتى تتجنب اجتماعاتهم التعسة، وتستمر على الدوام مع الكنيسة المقدسة الجامعة التي وُلدت فيها. وإن حللت في مدن لا تســـأل ببساطة أين "بيت الرب" (لأن طوائف الملحدين يحاولون أيضًا أن يُسمّوا أوكارهم

بيوت الرب)، ولا تسأل فقط "أين الكنيسة"، بل "**أين الكنيسة الجامعة**". لأن هذا هو الاسم الخاص لهذه الكنيسة المقدسة أمنا جميعًا. عروس السيد المسيح ابن الله الوحيد. لأنه مكتوب: "وكما أحبّ المسيح الكنيسة وأُسلم نفسه لأجلها" (أف ٥: ٢٥). وهي صورة ونسخة من أورشليم السمائية التي هي "أمنا جميعًا، وهي حرة" (غل ٤: ٢٦). التي كانت من قبل عاقرًا وأصبح لها أولاد كثيرون الآن.

غنى الكنيسة الجامعة

٢٧. لما طُردت الكنيسة الأولى (اليهودية)، ففي الثانية أقام الله بنفسه الكنيسة الجامعة ما قاله بولس "أولاً: رسلاً، ثانيًا: أنبياء، ثالثًا: معلمين ثم قوات، وبعد ذلك مواهب شفاء. أعوانًا، تدابير، وأنواع ألسنة" (١ كو ١٢: ٢٨). وفيها كل أنواع الفضائل، أعني الحكمة والفهم، والاعتدال والعدل والرحمة والمحبة المترفقة، والصبر الذي لا يُقهر في الاضطهادات. إنها "بسلاح البرّ لليمين ولليسار، بمجدٍ وهوانٍ" (٢ كو ٨: ٦-٧).

في الأيام السالفة وسط الاضطهادات والمحن توّج الشهداء القديسون بأكاليل الصبر المزهرة المختلفة. والآن في وقت السلام بنعمة الله قبلت كجسدها الجدير بها من الملوك والذين هم في منصب (١ تي ٢: ٢)، ومن كل نوع وقرابة من الناس. وبينما انتهى سلطان ملوك الأمم في الكنيسة المقدسة الجامعة وحدها، تمتد قوتها (الروحية) بلا حدود في كل العالم، لأن الله – كما هو مكتوب – جعلها ملجأ سلام.

إن أردت أن أتكلم عن كل الأشياء المتعلقة بها احتاج لساعاتٍ طويلة.

الحياة الأبدية

٢٨. في هذه الكنيسة المقدسة الجامعة نتقبل التعليم ونسلك بتقوى لننال ملكوت السماوات ونرث الحياة الأبدية، لذلك أيضًا نحتمل كل الأتعاب، حتى نكون شركاء مع الرب. لأن قصدنا ليس بالأمر التافه، إنما نسعى للحياة الأبدية. ففي قانون الإيمان بعد الحديث عن قيامة الأموات (التي تحدثنا عنها) تعلمنا أن نؤمن أيضًا بالحياة الأبدية التي نجاهد لها كمسيحيين.

مصدر الحياة الأبدية

٢٩. الآب هو الحياة الحقيقية، الذي يغدق عطاياه السماوية على الكل كأنها من ينبوعٍ خلال الابن في الروح القدس. وفي محبته للبشر **وعدنا ببركات الحياة الأبدية** بدون فشل من جانبنا. يجب ألاّ نجحد هذه الإمكانية، لكن لنا عين ترى، ليس ضعفنا، بل قوته "لأن

كـل شـيء مستطاع عند الله". ولما كان هذا ممكنًا، ويجب أن ننظر إلى الحياة الأبدية كما يوضح دانيال ذلك: "الذي ردوا كثيرين إلى البرّ كالكواكب إلى أبد الدهور" (دا ١٢: ٣). ويقول بولس: "وهكذا نكون كل حين مع الرب" (١ تس ٤: ١٧)، لأن **وجودنا دائمًا مع الرب هـو الحـياة الأبدية**. لكن الأكثر صراحة قول المخلص: "فيمضي هؤلاء إلى عذابٍ أبدي، والأبرار إلى حياة أبدية" (مت ٢٥: ٤٦).

كيف نربح الحياة الأبدية؟

٣٠. كثيـرة هـي البراهين التي تخص الحياة الأبدية. عندما نرغب في أن نربح الحياة الأبدية، يوحي لنا الإنجيل المقدس بطرق ربحها. ولكي لا يطول حديثنا نبسط أمامكم شهادات قليلة، ونترك الباقي لبحث المجتهدين. فبعض النصوص تصرح مرة أنها **بالإيمان**، إذ مكتوب: "الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية" (يو ٣: ٣٦). ويقول أيضًا: "الحق أقول لكم أن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية" (يو ٥: ٢٤). مرة أخرى تقول بشارة الإنجـيل: "والحاصـد يأخـذ أجـرة، ويجمع ثمرًا للحياة الأبدية" (لو ٤: ٣٦)، مرة أخرى **بالاستشـهاد والاعتـراف باسـم المسيح** "من يكره نفسه في هذا العالم يحفظها لحياة أبدية" (مـر ٧: ٢٥). وأيضًا **بتفضيل المسيح على المال والأقارب** "كل من ترك بيوتًا أو إخوة أو أبًا أو أمًا أو امرأة أو أولادًا أو حقولاً من أجل اسمي يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية" (مت ١٩: ٢٩). وبالأكثر يكون **بحفظ الوصايا** "لا تزنِ لا تقتل..." كما أجاب الذي أتى إليه، وقال يا معلم "ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية" (مر ١٠: ١٧). وأيضًا **بترك الأعمال الشريرة**، وهكـذا نخدم الله، إذ يقول معلمنا بولس: "الآن إن أُعتقتم من الخطية وصرتم عبيدًا لله فلكم ثمركم للقداسة والنهاية للحياة الأبدية" (رو ٦: ٢٢).

أبواب كثيرة بها ندخل الحياة الأبدية

٣١. كثيرة هي طرق الحياة الأبدية، لأن الرب في محبته المترفقة فتح لا بابًا واحدًا ولا اثنـين لكـن أبـوابًا كثيرة بها ندخل الحياة الأبدية، حتى يمكن أن يتمتع بها الكل دون عائق...

التمتع بالأسرار الكنسية

٣٢. والآن أيها الإخوة المحبوبون تعظكم كلمة الإرشاد لتُعد نفوسكم لاستقبال النعم السماوية الخاصة بالإيمان المقدس الرسولي المسلم لكم للاعتراف. فقد تكلمنا بنعمة الرب في

مقـــالات كثيرة على قدر ما أمكن في الأيام الماضية للصوم الكبير، ليس لأن هذا هو ما كان يجب أن نقوله، إذ كثيرة هي النقاط التي حُذفت، والتي في استطاعة معلّمين ممتازين تقديمها.

لكـــن عـــيد الفصح المقدس قريب، وأنت يا حبيب المسيح يجب أن تستنير "بحميم المـــيلاد"، وسنتعلم ثانيًا (إن أراد الرب) ما هو ضروري وبأية عبادة وترتيب عظيم ما يجب أن تفعلوا، عندما تستعدون بقصد إتمام أحد الأسرار المقدسة أي العماد، وبأي احترام وترتيب يجب أن تذهبوا إلى مذبح الله المقدس وتتمتعوا بأسراره الروحية السمائية، حتى إذا استنارت نفوسكم بكلمة التعليم يمكنكم أن تكتشفوا في كل شيء عظمة النعم المغدقة عيكم من الله.

الحاجة إلى عظات عن الأسرار

٣٣. وبعـــد يـــوم عيد القيامة المقدس الذي للخلاص ستأتون يومًا بالتتابع مبتدئين باســـتماع مقالات أخرى تتعلمون فيها أسباب كل شيء عُمل، وتأخذون البراهين من العهدين القديم والجديد. **أولاً**: الأشياء التي تُعمل قبل العماد مباشرة، **ثانيًا**: كيف تطهرتم من خطاياكم بالـــرب؟ "بغســـيل المـــاء بالكلمة" (أف ٥: ٢٦). وكيف صرتم شركاء في اسم المسيح مثل الكهنة، وكيف أُعطيتم ختم شركة الروح القدس؟ وبخصوص أسرار مذبح العهد الجديد التي ابتدأت من هذا المكان، ما سلّمه لنا الإنجيل المقدس، وما هي قوة هذه الأسرار؟ وكيف يجب الاقتراب منها ؟ وكيف ومتى نتناولها؟ وفي آخر الكل، كيف في الزمن الآتي يجب أن تسلكوا كمـــا يلـــيق بهـــذه النعمة من جهة الكلمات والأعمال، حتى يمكنكم كلكم أن تتمتعوا بالحياة الأبدية؟ كل هذه الأمور ستقال إن شاءت مسرة الرب.

الاستنارة بالعماد

٣٤. أخيرًا يا إخوتي افرحوا في الرب كل حين، وأقول أيضًا افرحوا لأن خلاصكم يقتـــرب، وطغمات الملائكة السماوية تنتظر خلاصكم، والآن صوت صارخ في البرية أعدوا طـــريق الرب (إش ٦٠: ٣). ويصرخ النبي: "أيها العطاش هلموا جميعًا إلى المياه". وبعدها فورًا "استمعوا لي وكلوا الطيب ولتتلذذ بالدسم أنفسكم" (إش ٥٥: ١-٢). وفي برهة قصيرة ستســـتمعون هذا الدرس الممتاز القائل: "قومي استنيري لأنه قد جاء نورك" (إش ٦٠: ١)، وعـــن أورشليم هذه قال النبي: "بعد ذلك تُدعين مدينة العدل القرية الأمينة صهيون" (إش ١: ٢٦) و"لأنـــه مـــن صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب" (إش ٢: ٣)، الكلمة التي وزعـــت بسخاء على العالم أجمع. وما يقوله النبي أيضًا بخصوصكم: "ارفعي عينيك حواليك

وانظـــري. بنوك قد اجتمعوا إليك" (إش ٤٩: ١٨)، وهي تجيب قائلة: "من هؤلاء الطائرون كالسحاب وكالحمام إلى بيوتها"؟ (إش ٦٠: ٨)، سحاب لطبيعتها الروحية، وحمام لطهارتها.

وتقول ثانية: "هل تمخض بلاد في يوم واحد، أو تولد أمة دفعة واحدة؟ فقد تمخضت صـــهيون بـــل ولدت بنيها" (إش ٦٦: ٨). وكل الأشياء تمتلئ بفرح لا ينطق به، لأن الرب قال: "هأنذا خالق أورشليم بهجة وشعبها فرحًا" (إش ٦٥: ١٨).

مبارك هو الله!

٣٥. نرجو أن تُقال هذه الكلمات أيضًا لكم: "ترنمي أيتها السماوات، وابتهجي أيتها الأرض، لأن الـــرب قد عزى شعبه وعلى بائسيه يترحم" (إش ٤٩: ١٣). وسيحدث هذا من شفقة الرب المحبة القائل لكم: "قد محوّت كغيم ذنوبك، وكسحابة خطاياك" (إش ٤٤: ٢٢).

وأنـــتم الذين حُسبتم جديرين باسم المؤمنين، الذي عنكم كُتب: "ويسمي عبيدي اسمًا جديـــدًا يتـــبارك فـــي الأرض" (إش ٦٥: ١٥). ستقولون بفرحٍ: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المســـيح الـــذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح" (أف ١: ٣). "الذي فيه الفـــداء لـــنا بدمه لغفران خطايانا التي أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة" (أف ١: ٧، ٨)... "الله الذي هو غني في الرحمة من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها. ونحن أموات بالخطايا أحيانًا مع المسيح" (أف ٢: ٤).

وفـــي مـــثل هذا تسبحون الرب على كل الأشياء الطيبة، قائلين: "ولكن حين ظهر لطـــف مخلصـــنا الله واحساناته. لا بأعمال في برٍّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغســـل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس. الذي سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا، حتى إذا تبرّرنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية" (تي ٣: ٤).

ونـــرجو الله أبـــا ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح أبو المجد "أن يعطيكم روح الحكمـــة والإعـــلان فـــي معرفته، مستنيرة عيونكم وأذهانكم" وأرجو أن يحفظكم في أعمال وأقوال وأفكار مقدسة.

الـــذي له المجد والكرامة والقوة في ربنا يسوع المسيح مع الروح القدس، من الآن وإلى دهر الدهور. آمين.

الباب الثالث

كيرلس الأورشليمي

٣

مقالاته عن الأسرار

(المعمودية. سرّ الميرون. ليتورجيا الإفخارستيا)

المقال التاسع عشر[1]

الأسرار (١)

المعمودية

مـــع درس مـــن رسالة بطرس الأولى: "تعقلوا واصحوا"... (إلى آخر الرسالة)

فاعلية عمادكم

١. كـــنت مـــن زمـــن بعـــيد أرغب أن أعظكم بخصوص هذه الأسرار السمائية والـــروحية، أيها الأولاد الحقيقيون الأعزاء، لكن حيث علمت جيدًا أن الرؤية أكثر إقناعًا من الســـمع، فقد انتظرك إلى الوقت الحاضر. فإذ أجدكم مفتوحي الذهن تتأثرون بكلماتي بسبب خبرتكم الحالية "فأقودكم" بيدكم إلى روضة الفردوس المنيرة الذكية التي أمامنا. خصوصًا وقد جُعلتم متأهلين لتناول الأسرار المقدسة بعد أن وُجدتم جديرين بالعماد المقدس المعطى للحياة. وحـــيث ينبغي أن نبسط أمامكم مائدة من أكمل التعاليم، فدعوني أعلمكم هذه الأشياء بتدقيق حتى تعلموا بفاعلية ما قد عُمل لكم مساء عمادكم.

كأنكم أمام الشيطان تجحدونه

٢. فأولاً دخلتم دهليز المعمودية، وهناك اتجهتم نحو الغرب، وأنصتّم للأمر ببسط أيـــديكم، وكـــأنكم أمام الشيطان تجحدونه. يجب أن تعلموا أن هذه الصورة وُجدت في العهد القديم. فإن فرعون ذلك الظالم القاسي المرّ مُضطهد لشعب العبرانيين الحر الأصيل، وأرسل الله موســـى ليخـــرجهم من العبودية المكروهة، حينئذ مسحوا قوائم الأبواب بدم حمل، حتى هرب المُهلك من البيوت التي عليها علامة الدم. ونجا العبرانيّون بمعجزة، فتبعهم العدو بعد نجاتهم ونظروا البحر ينشطر لهم، ومع ذلك تقدم تابعًا خطواتهم وفي الحال غرقوا في البحر الأحمر.

---

[1] ترجمة السيدة يان جرجس فيلوثاؤس.

٣. ولننتقل من القديم إلى الجديد، من الرمز إلى الحقيقة، فهناك أُرسِل موسى من الله لمصر. هنا أرسل الله ابنه الوحيد يسوع المسيح إلى العالم.

هناك يقود موسى شعبًا مضطهدًا ويخرجهم من مصر. وهنا يُخلص المسيح الذين ظُلموا في العالم بالخطية.

هناك دم حمل بمثابة التعويذة ضد المهلك. وهنا دم الحمل الذي بلا عيب يسوع المسيح يُرعب الأرواح الشريرة.

هناك كان الظالم يتبع الشعب القديم حتى إلى البحر. وهنا الروح الحاسد الشائن أصل الشر يتبعكم حتى ينابيع الخلاص. الظالم القديم غرق في البحر. وهذا الحاضر يتبعكم في مياه الخلاص ويختفي فيها.

أجحدك أيها الشيطان

٤. مع ذلك تأمرون بالقول بذراع ممدودة نحوه كأنه حاضر "**أجحدك أيها الشيطان**" أريد أن أقول إنكم تقفون مواجهين الغرب، لأنه ضروري مادام الغرب منطقة الظلام المحسوس. ولما كان هو في الظلام، فسيطرته هي في الظلام. لذلك تنظرون إلى الغرب بمعنى رمزي، تجحدون ذلك المسيطر المظلم الكئيب.

فماذا إذن؟ كل منكم وقف وقال "**أجحدك أيها الشيطان**" أيها الظالم القاسي الشرير، بمعنى إنني لا أخاف قوتك بعد الآن لأن المسيح قد قهرك، إذ شاركني في اللحم والدم، وبالموت داس الموت، حتى لا أكون تحت العبودية إلى الأبد.

"**أجحدكِ**" أيتها الحيّة الخبيثة الماكرة. "**أجحدك**" بمؤامراتك تحت قناع الصداقة، إذ اخترعتِ كل مخالفة وكل عمل مارق لأبوينا الأولين.

"أجحدك أيها الشيطان" الصانع لكل سوء والمحرض عليه.

وكل أعمالك

٥. وفي عبارة ثانية تتعلم أن تقول "**وكل أعمالك**" فكل أعمال الشيطان خطية، يجب أن تنبذها كإنسان هرب من الظالم ومن أسلحته أيضًا بالتأكيد. فكل الخطايا بجميع أنواعها تدخل في أعمال الشيطان. اعلم هذا فقط أن كل ما نقوله في هذه الساعة الرائعة يُكتب في كتب الله. فإذا صنعت شيئًا بعكس هذه المواعيد تُحاكم كمخالف. إذًا فقد نبذت أفعال الشيطان، أعني كل الأعمال والأفكار ضد التعقل.

وكل قوتك

٦. ثـم تقـول: "وكل قوتك" والآن كل قوة الشيطان هي جنون المسارح وسباق الخيل والصيد وكل أمثال هذا الباطل، الذي يطلب القديس من الله أن ينقذه منها، فيقول: "حول عيني عن النظـر إلـى الـباطل"[1]. لا تسـروا أيها الأحباء بجنون المسارح. حيث تشاهد الإشارات العابثة للاعبين، مصحوبة بالاستهزاء وبما لا يليق، ورقص الرجال المخنثين المهووس. وفي جنونهم في الصيد يعرّضون أنفسهم للحيوانات المتوحشة حتى يُشبعوا هواياتهم التعسة. والذين لكي يشبعوا بطونهم من اللحم يصبحون حقًا لحمًا لبطون الوحوش.

ولنتكلم بالعدل من أجل إلههم (بطونهم)، فيرمون حياتهم بتهورٍ في منافسات فردية. تحاشى أيضًا سباق الخيل المدمر للنفس بمنظره الجنوني. فكل هذه قوة الشيطان!

أطعمة باسم الشيطان

٧. عـلاوة علـى ذلك الأشياء المعلقة في ميدان ومهرجان الأصنام. أما اللحم أو الخبز أو الأشياء الأخرى النجسة بتلوات الأرواح النجسة تحسب في سلطان الشيطان.

لأن الخبـز والخمر للمتناولين قبل سرّ حلول الثالوث القدوس كانا خبزًا وخمرًا عاديين بيـنما بعـد الحلول يصير الخبز جسد المسيح، وهكذا في مثل هذه الأحوال. هذه الأطعمة تخص "قوة الشيطان" ولو أنها بسيطة في طبيعتها لكنها تصير دنيوية بتلوات روح الشر.

وكل خدماتك

٨. بعد هذا نقول "**وكل خدماتك**"، فخدمات الشيطان هي الصلاة في هياكل الأصنام والأشـياء التي تعمل لإكرام الأصنام التي بلا حياة: إيقاد المصابيح أو إحراق البخور بجانب الأنهـار والينابيع، أو كما يُخدع بعض الأشخاص بالأحلام أو بالأرواح الشريرة. (يتعهّدون بهذا) ظانين أنهم يجدون دواء حتى لعللهم الجسدية.

لا تـذهب وراء هذه الأشياء: مراقبة الطيور (التطّير)، أو علم الغيب، أو الفأل، أو الأحجـبة أو السـحر المكتوب على أوراق الشجر، أو التنجيم، أو أي فن شرير... الكل من خـدمات الشيطان، لذا تجنبهم. لأن بعد جحد الشيطان وشركتك مع المسيح، إن سقطت تحت تأثيـرهم، ستجد الظالم أشد مرارة. لأنه عاملك في الماضي كأنك ملكه وأراحك من عبوديته

---

[1] مز ١١٩- ٣٧ (بيروتى) في الترجمة القبطية "أرند عيني لئلا تعاين الأباطيل".

القاسية. لكنه الآن وقد آثار حنقه عليك، وهكذا تُمنع من المسيح وتجرب من الآخر. ألم تسمع بالتاريخ القديم الذي يخبرنا عن لوط وبناته؟ عندما وصل إلى الجبل بينما تحوّلت زوجته إلى عمـــود ملـــح، واقفة كالتمثال إلى الأبد تذكارًا لإرادتها الفاسدة واستدارتها للوراء. لذلك خذ حـــذرًا لنفسك، "لا تلتفت إلى ما وراء" (في ٢: ١٣) مادمت قد وضعت يدك على المحراث. لا تلـــتفت إلى الوراء لطعم الملح في أمور هذه الحياة. لكن اهرب إلى الجبل للمسيح يسوع، الحجر الذي لم يُنحت بأياد، الذي ملأ العالم.

التحول من الغرب إلى الشرق

٩. لـــذلك عندما جحدت الشيطان وكسرت كل عهودك معه. (هذا الميثاق القديم مع الهاويـــة إش ٢٨: ١٥) هناك انفتح لك باب فردوس الله الذي زرعه نحو الشرق، حيث طُرد أبـــونا الأول لـــتعدّيه. ويرمـــز لهذا بالتحول من الغرب إلى الشرق إلى مكان النور، حينئذ أُخبرت أن تقول: "**أؤمن بالآب والابن والروح القدس، وبمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا**".

خلعتم الإنسان العتيق وستحفظون اليوم المقدس

١٠. أما الآن وقد تحصنت بهذه المقالات، فتعقل "لأن إبليس خصمنا" كما قُرئ الآن "كأســـد زائر يجول ملتمسًا من يبتلعه". ولو أن الموت كان في الأزمنة الماضية قويًا ومبيدًا، ففي غسل الميلاد المقدس "يمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه" (إش ٣٥: ١٥). لأنكم لن تنوحوا بعد إذ خلعتم الإنسان العتيق وستحفظون اليوم المقدس. "قد ألبسني لباس الخلاص" حتى يسوع المسيح.

إعلان عن المقالات القادمة

١١. كـــل هذه الأمور عُملت في الحجرة الخارجية. لكن إذا أراد الله في المقالات المتتابعة عن الأسرار لما دخلنا إلى قدس الأقداس، سنتعلم معنى الأمور التي تمت هناك.

ولنقدم إلى الله الآب والابن والروح القدس المجد والعظمة إلى أبد الآبدين آمين.

المقال العشرون[1]

الأسرار (٢)

العماد

"أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح، اعـتمدنا لمـوته. لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة" (رو ٤: ٣، ١٤).

١. هـذه المقـدمات الطويلة في الأسرار والتعاليم الجديدة، التي هي إعلان الحق الجديـد نافعـة لنا، وبالأحرى لكم أنتم الذين تجدّدتم من حال قديم إلى حال جديد. لذلك فمن الضـروري أن أبسط أمامكم ملحق لمقال الأمس، حتى تتعلموا الأمور (التي عُلمت لكم في الحجرة الداخلية) وما تحمله من معانٍ.

خلع الثياب

٢. حالمـا تدخلون وتخلعون ثيابكم وهذه صورة "لخلع الإنسان العتيق مع أعماله"، خلعـتم وصـرتم عرايا. وفي هذا نتشبه بالمسيح الذي عُري على الصليب، إذ بعُريه "جَرّد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهارًا ظافرًا بهم فيه" (كو ٢: ١٥).

إذ أن القوات الشريرة سكنت في أعضائك، فلا تلبس هذا الثوب فيما بعد. لا أعني هذا الثوب المنظور، لكن "الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور".

نـرجو أن النفس التي خلعته، لا تخلعه ثانيًا أبدًا. لكن نقول مع عروس المسيح في نشيد الأناشيد "خلعت ثوبي فكيف ألبسه؟" (نش ٥: ٣)

شـيء عجـيب! هل كنتم عرايا أمام الجميع ولا تخجلوا. لأنه حقًا أشبهتم آدم أول الخليقة. الذي كان عريانًا في الفردوس ولا يخجل.

مُسحتم بالزيت المصلى عليه

٣. ثـم عـندما خلعتم ثيابكم مُسحتم بالزيت المُصلى عليه، من شعر رؤوسكم إلى أقدامكم، وصرتم شركاء في الزيتونة المقدسة بيسوع المسيح. إذ قطعتم من الزيتونة البرية،

---

[1] ترجمة السيدة يان جرجس فليوثاؤس.

وطُعِّمــتم فــي الشجرة المقدسة، وأصبحتم شركاء في دهن الزيتونة الحقيقية، فقد أصبح هذا لــتلاوة تطــرد كــل أثــر لسلطان الشرِ، كما أن نفخات القديسين واستدعاء اسم الله تحرق الشياطين كاللهب المضطرم وتطردهم.

وهكذا أيضًا هذا الزيت المقدس يأخذ قوة بالتوسل إلى الله والصلاة حتى أنه يحرق الخطية وينظف آثارها، كما يطرد كل القوات الشريرة غير المنظورة.

العماد بالتغطيس

٤. بعد هذه الأشياء اُقتُديتم للبِركَة (الجرن) المقدسة للعماد الإلهي، كما حُمل المسيح مــن الصليب إلى القبر الذي هو أمام عيونكم. لقد سُئل كل منكم هل يؤمن باسم الآب والابن والــروح القــدس وتممتم هذا الاعتراف الخلاصي. ونزلتم ثلاث مرات في الماء، وصعدتم ثانــيًا. هــنا أيضًا تشيرون برمز للثلاثة أيام التي دفن فيها المسيح. لأنه كما قضى مخلصنا ثلاثــة أيــام وثــلاث ليالٍ في قلب الأرض، هكذا أنتم أيضًا في أول صعودكم تقتدون اليوم بالمسيح في الأرض.

بنزولكم تمثلون الليل، لأنه كما في الليل لا يرى الإنسان مطلقًا، لكن من في النهار يبقــى فــي النور؛ لم تروا شيئًا. وهكذا كما في النزول كما في الليل لم تروا شيئًا. لكن في الصعود ثانية كنتم كمن بالنهار. وفي نفس اللحظة كنتم تموتون وتولدون، وأن مياه الخلاص كانت قبركم وأمكم في وقت واحد.

ومــا قاله سليمان عن الآخرين يناسبكم أيضًا، إذ قال: "للولادة وقت وللموت وقت" (جــا ٣: ٢)، لكــن بالنسبة لكم كان الأمر مختلفًا. كان الوقت لتموتوا، والوقت لتولدوا. لكن الآن يتم الأمرّان معًا في وقت واحد، إذ **سارت ولادتكم جنبًا إلى جنب مع موتكم.**

الموت مع الرب

٥. أمر عجيب لا يدركه عقل! حقًا لم تمت ولم تُدفن. لم تُصلب ولم تقم ثانيًا. لكن حــدث هــذا لنا في مثال الرب، وصار خلاصنا حقيقة. صُلب المسيح فعلاً ودُفن فعلاً. وقام حقًا، وكل هذه الأشياء انعم بها بسخاء علينا، حتى أننا نشترك في آلامه، ونربح خلاصًا في الحقيقة.

يــا للمحــبة المتــرفقة المتجاوزة كل حدٍ. أخذ المسيح مسامير في يديه الطاهرتين وقدميه وتعذب بالألم، بينما بدون ألم وتعب وبسخاء أصبغ على الخلاص بشركة آلامه.

نِعَمْ العماد

٦. فــلا يظــن أحد أن العماد لنعمة مغفرة الخطايا فقط أو بالأحرى للتبني. فعماد يوحــنا كــان يهب مغفرة الخطايا، أما نحن كما نعلم تمام العلم أن العماد كما يطهر خطايانا ويُقدم لنا موهبة الروح القدس، فهو أيضًا يحمل مشاركة في آلام المسيح. لهذا السبب يصرخ بــولس عالــيًا: "أم تجهلــون إنمــا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدفنا معه بالمعمــودية للمــوت" (رو ٦: ٣). هذه الكلمات قيلت لبعض الذين فكروا أن العماد يخدمنا لمغفرة الخطايا وللتبني فقط وليس للشركة والامتثال بآلام المسيح الحقيقية.

مشاركة في آلام المسيح

٧. لــذلك لكي نتعلم أنه مهما احتمل المسيح من أجلنا ومن أجل خلاصنا، فقد تألم حقًــا وليس خيالاً، وأننا صرنا شركاء في آلامه، صرخ بولس بكل قوته وبكل إتقان الحق: "لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضًا بقيامته" (رو ٦: ٥).

حسنًا قال: "متّحدين معه"، إذ أنه مادامت الكرمة الحقيقية قد زُرعت في هذا المكان، فنحن أيضًا بالمشاركة في عماد الموت، كنا مزروعين معه.

ثــبت عقلــك بانتباه كثير على كلمات الرسول فإنه لم يقل: "لو كنا قد زُرعنا معه بمــوته" لكــن "**بشبه موته**"، لأنه في حالة المسيح كان موتًا حقيقيًا، لأن نفسه انفصلت عن جســده. ودفــن حقًــا، لأن جسده المقدس لُف بكتان نقي، وكل شيء حدث حقًا له. لكن في حالتكم كان **شبه موت** وآلام فقط، لكن تم الخلاص لا في تشبيه بل حقيقة.

أحفظوا التعاليم في ذاكرتكم

٨. أما وقد تعلمنا بما فيه الكفاية عن هذه الأمور أحفظوها في ذاكرتكم.

ولو إنني غير مستحق أن أقول إني أحبكم، لأنكم تذكروني دائمًا وقد ثبتم في التقاليد التي سلمتها إليكم.

والله الــذي أخــرجكم مــن عداد الموتى، قادر أن يمنحكم القوة لتسيروا في تجديد الحياة...

لأن له المجد والقوة من الآن وإلى الأبد. آمين.

المقال الحادي والعشرون[1]

الأسرار (٣)

المسحة

"وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شـــيء حتـــى إذا أظهر يكون لنا ثقة ولا نخجل منه في مجيئه" (١ يو ٢: ٢٠)

قبلتم مسحة المسيح

١. إذ قـــد "اعمدتم في المسيح، ولبستم المسيح" (غل ٣: ٢٧)، أصبحتم على مثال صورة المسيح ابن الله، "لأن الله سبق فعيننا للتبني" (أف ١: ٥).

"جعلـــنا لـــنكون علـــى صورة جسد مجده" (في ٣: ٢١)، حيث أننا نصبح "شركاء المسيح" (عب ٣: ١٤).

وبحـــق دُعيتم للمسيح، وعنكم قال الله: "لا تمسوا مسحائي، ولا تسيئوا إلى أنبيائي" (مز ١٠٥: ١٥).

جُعلـــتم مســـحاء بقـــبولكم خـــتم الـــروح القدس. وكل الأشياء عُملت فيكم امتثالاً (بالمسيح)، لأنكم صورة المسيح. هو اغتسل في نهر الأردن ونشر معرفة ألوهيته في الماء، وصعد منه وأضاء عليه الروح القدس في تمام وجوده، وحلّ كذلك عليه. ولكم أنتم فشبه ذلك بعـــد أن صعدتم من بركة المياه المقدسة صار لكم دهن شبه الذي مُسحَ به المسيح. وهذا هو الروح القدس الذي قال عنه المطوّب إشعياء في نبوته عن شخص الرب: "روح السيد الرب عليّ، لأن الرب مسحني" (إش ٦١: ١).

مسحه بالروح القدس

٢. لأن المسيح لم يمسحه إنسان بزيتٍ أو دهنٍ مادي، لكن الآب عينه من قبل ليكون مخلصـــا للعالم أجمع، مسحه بالروح القدس، كما قال بطرس: "يسوع الذي من الناصرة، كيف مسحة الله بالروح القدس" (أع ١٠: ٨).

---

[1] ترجمة السيدة يان جرجس فليوثاؤس

صـــرخ داود النبـــي أيضًا قائلاً: "كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب استقامة قضـــيب ملكـــك. أحببت البرّ وأبغضت الإثم، لذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك" (مز ٤٥: ٦، ٧).

وإذ صُـــلب المســـيح ودُفـــن وقام حقًا، أنتم في العماد حُسبتم جديرين أن تُصلبوا وتُدفـــنوا وتقومـــوا معـــه على مثاله، هكذا في المسحة أيضًا. وكما مُسح بزيت مثالي "زيت الابـــتهاج"، لأنـــه منشئ الفرح الروحي، هكذا أنتم مُسحتم بدهن، إذ أصبحتم شركاء للمسيح وأتباعه.

بالدهن المنظور تُقدس نفسك بالروح القدس المحيي

٣. لكـــن احـــذروا أيضًا لئلا تظنوه دهنًا بسيطًا، لأنه كما في خبز الإفخارستيا بعد حلول الروح القدس لا يصير خبزًا عاديًا بعد، بل جسد المسيح، هكذا هذا الدهن لا يكون دهنًا بســـيطًا أو عاديًـــا بعد الصلاة، لكن هي موهبة المسيح بالنعمة وبحلول الروح القدس أصبح لائقًا لمنح طبيعته الإلهية.

بهذا الدهن مُسحت رمزيًا على جبهتك وحواسك الأخرى. وإذ يرشم جسدك بالدهن المنظور تُقدس نفسك بالروح القدس واهب الحياة.

بالمسحة السرية لبستم كل سلاح الروح القدس

٤. رُشمت **على الجبهة** كأنك تتخلص من العار الذي حمله الإنسان الأول معه في كـــل مكان، وأنه بوجه مكشوف كما في مرآة ناظرين مجد الرب" (٢ كو ٣: ١٨). ثم **على آذانك** حتى تتقبل الآذان سريعًا سماع الأسرار الإلهية التي قال عنها إشعياء النبي: "أعطاني الـــرب أذنًـــا للســـمع" (إش ٥٠: ٤). وقـــال سيدنا الرب يسوع المسيح: "من له أذنان للسمع فليســـمع" (مـــت ١١: ١٥؛ مت ١٣: ٩). ثم **على الأنف** حيث تتقبل الدهن المقدس، فيمكنك أن تقـــول: "لأنـــنا رائحـــة المسيح الذكية لله في الذين يخلصون" (٢ كو ٢: ١٥). بعد ذلك **علـــى صـــدرك** حيث "قد لبستم درع البرّ" (أف ٦: ١٤)، حتى تقدروا "أن تثبتوا ضد مكايد إبليس" (أف ٦: ١١).

لأن المســـيح بعد عماده وحلول الروح القدس ذهب وغلب الشرير، هكذا أنتم أيضًا بعـــد العمـــاد المقدس والمسحة السرية، إذ لبستم كل سلاح الروح القدس لكي تقفوا ضد قوة الشرير وتقهروه قائلين: "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني" (في ٤: ١٣).

نلتم اللقب الشريف

٥. وإذ حُسبتم جديرين لهذه المسحة المقدسة، دُعيتم مسيحيين وبميلادكم الجديد أيد شـــرعية هذا الاسم، إذ قبل أن تكونوا مستحقين هذه النعمة، لم يكن لكم حق صحيح في هذا اللقب الشريف. لكن كنتم تتقدمون في طريقكم حتى تصيروا مسيحيين.

مثال المسحة في العهد القديم

٦. علاوة علي ذلك يجب أن تعلموا أن في الكتاب المقدس يوجد رمز لهذه المسحة. لأن من وقت أن عَرّف موسى أخاه الرب وجعله كاهنًا أعظم، وبعد استحمامه ودُعي هارون مسيحًا بوضوح أو مدهونًا بالزيت الرمزي. هكذا أيضًا صنع رئيس الكهنة في تقديم سليمان للمملكة مسحه بعد استحمامه في نهر جيحون (١ ملوك ١: ٣٩).

وهكذا حدثت لهم هذه الأمور في شبه خيال لكن ليست في خيال، لكنها حقيقة. لكن مُسحتم حقًا بالروح القدس وابتدأ خلاصكم المسيح. لأنه باكورة الثمر، وأنتم العجين. فإن كان الثمر مقدسًا فواضح أن قداسته تنتقل إلى العجين كله أيضًا (رو ١١: ١٦).

احفظوا هذه المسحة خالية من العيوب

٧. احفظـــوا هـــذه المســـحة خالية من العيوب، إذ ستعلمكم كل الأشياء إذا سكنت فـــيكم، كمـــا سمعتم بوضوح من المطوّب يوحـــنا: "وأعطانا كثيرًا بخصوص هذه المسحة" (١ يو ٢: ٢٠). لأن هذه المسحة المقدسة صيانة روحية للجسد، وخلاص للنفس. وعنها يتنبأ إشـــعياء المبارك منذ قديم الزمان فيقول: "على هذا الجبل" الآن يدعو الكنيسة "الجبل". وفي موضع آخر يقول: "يكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتًا" (إش ٢: ٢). وأيضًا "ويصـــنع رب الجـــنود لجمـــيع الشعوب في هذا الجبل وليمة سمائن، وليمة خمرًا، تبشرون فرحًا، يمسحون أنفسهم بدهن" (راجع إش ٢٥: ٦).

ولكي يؤكد لكم اسمعوا ما يقول عن هذا الدهن في أنه سري "سلموا كل هذه الأمور للشعوب، لأن مشورة الرب هي لكل الشعوب".

وإذ قد دُهنتم بهذا الدهن المقدس احفظوه فيكم غير مدنس لا عيب فيه، متقدمين في الأعمال الحسنة، عالمين كل ما يرضي رئيس خلاصكم يسوع المسيح، الذي له المجد الدائم إلى دهر الدهور. آمين.

المقال الثاني والعشرون[1]

الأسرار (٤)

جسد المسيح ودمه

"لأنـــي تســـلمت من الرب ما سلمتكم أيضًا أن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزًا" (١ كو ١١: ٢٣).

جسد حقيقي ودم حقيقي

١. تعلــيم المطــوّب بــولس كافٍ ليعطيكم حتى من نفسه تأكيدًا كاملاً بخصوص "الأسرار الإلهية" التي صرتم مستحقين لها، وصرتم من نفس الجسد والدم مع المسيح. لأنكم سمعتموه الآن فقط يقول بوضوح: "إن الرب يسوع في الليلة التي أُسلم فيها أخذ خبزًا وشكر وكســر وقـــال: خذوا كلوا هذا جسدي. كذلك أخذ الكأس وشكر وقال: خذوا اشربوا هذا هو دمـــي" (١ كـــو ١١: ٢٣-٢٦). وحيث أنه بنفسه أوضح وقال عن الخبز: "هذا هو جسدي"، فمن يتجاسر ويشك بعد ذلك؟ وإذ هو بنفسه أكد وقال: "هذا هو دمي" فمن الذي يتردد ويقول إنه ليس دمه؟

٢. فـــي قانا الجليل حوّل الماء مرة إلى خمر قريب من الدم. فهل لا يمكن تصديق أنه يقدر أن يحوّل الخمر دمًا؟

صنع هذا العمل المدهش بمعجزة عندما دُعي إلى عرس دنيوي، وعندما يهب "بني العُرس" (مت ٩: ١٥) أن يتمتعوا بجسده ودمه، أفلا نعترف به بالأكثر؟

أصبحنا شركاء الطبيعة الإلهية

٣. لنشـــترك إذا بكل ثقة في جسد المسيح ودمه. لأنه في شكل الخبز يعطي جسده لك، وفـــي شكل الخمر دمه، حتى بمشاركتك جسد المسيح ودمه تتحد في نفس الجسد ونفس الدم معه، لأنـــه هكـــذا نحمـــل المسيح في داخلنا. الآن جسده ودمه وُزّعا في أعضائنا. وهكذا حسب قول المطوّب بطرس "أصبحنا شركاء الطبيعة الإلهية" (٢ بط ١: ٤).

---

[1] ترجمة السيدة يان جرجس فليوثاؤس.

غضب اليهود

٤. وعـــظ ســـيدنا المســـيح الـــيهود في مناسبة معينة، وقال: "إن لم تأكلوا جسدي وتشـــربوا دمـــي فليست لكم حياة فيكم" (يو ٦: ٥٣). وغضبوا ولم يسمعوه بطريقة روحية، ورجعوا ظانين أنه يدعوهم ليأكلوا لحمًا (ماديًا).

بين خبز التقدمة والإفخارستيا

٥. فـــي العهد القديم أيضًا كان خبز التقدمة، لكن انتهى ما يخص العهد القديم. أما فـــي العهـــد الجديـــد فيوجد خبز السماء وكأس الخلاص، مطهرين النفس والجسد، لأنه كما يمتزج الخبز بالجسد كذلك الكلمة توافق أنفسنا.

كن واثقًا دون شك أن الجسد والدم تنازلا لك

٦. تأمـــل الخبز والخمر لا في ماديتهما، لأنهما كما أوضح الرب هما جسد المسيح ودمه. لأنه حتى لو أوحت إليك الحواس بهذا، فدع الإيمان يؤسِّسك. لا تحكم على الأمر من الذوق بل من الإيمان، كن واثقًا دون شك أن الجسد والدم تنازلا لك.

رتبت قدامي مائدة

٧. وينصـــحك المطـــوّب داود بهـــذا قـــائلاً: **"تُرتب قُدّامي مائدة تجاه مضايقيَّ"** (مز ٢٣: ٥). وما يقوله يعنى هذا قبل مجيئك. رتبت الشياطين مائدة للناس، نجسة ومدنسة ومملـــوءة مـــن النفوذ الشيطاني، لكن منذ مجيئك يا رب "رتبت قدامي مائدة". وعندما يقول الإنســـان "رتـــبت قدامـــي مائدة"، فعلى ماذا يدل إلاّ على هذه المائدة السرّية الروحية التي رتـــبها الله لـــنا؟ رتـــبها ضد الأرواح الشريرة. وحقًا. لأن ذلك اختلاط بالشياطين، أما هذا فشركة مع الله.

"مَســـحت بالدهن رأسي" (مز ٢٣: ٥) بالزيت مسح رأسك على الجبهة، لأن الختم الذي أخذته هو من الله، حفر الختم قداسة لله.

"وكأســـك أســـكرتني" لأنهـــا قـــوية. نرى أن الكأس التي يتكلم عنها هنا هي التي أخـــذها المســـيح في يديه وشكر وقال "هذا هو دمي الذي يسفك عن كثيرين لمغفرة الخطايا" (مت ٢٦: ٢٨).

يجب أن تكون مكسوًا بالثياب البيضاء اللامعة الروحية

٨. لذلك يقول سليمان مشيرًا إلى هذه النعمة: "تعالوا كلوا خبزكم بفرح" (أي الخبز الروحي) تعالوا هنا (ينادي للحكمة والخلاص) اشربوا كأسكم بقلب فرح (أي الخمر الروحي) ودعوا الزيت يُسكب على رأسكم (نرى أنه يشير حتى إلى الزيت السري)، واجعلوا أثوابكم بيضاء دائمًا، لأن الرب سُر بأفعالكم. لأنه قبل مجيئكم للعماد كانت أعمالكم باطل الأباطيل، لكن الآن إذ خلعتم أثوابكم العتيقة ولبستم هذه البيضاء روحيًا، يجب أن تكون مكسوًا بثياب. بالطبع لا تعني هذا إنك يجب أن تلبس ثيابًا بيضاء، لكن يجب أن تكون مكسوًا بالثياب البيضاء اللامعة الروحية، حتى تقول مع المطوّب "فرحًا أفرح بالرب، لأنه قد ألبسني ثياب الخلاص، كساني رداء البرّ" (إش ٦١: ١٠).

٩. إذ قد تعلمنا هذه الأشياء، وتأكدنا تمامًا أن ما يبدو خبزًا ليس خبزًا، ولو أنه مساغ في الطعام لكنه جسد المسيح. وأن ما يبدو خمرًا ليس خمرًا ولو أن مذاقه كذلك لكنه دم المسيح. وعن هذا ترنم داود البار قديمًا "لإخراج خبز تفرح قلب الإنسان لإلماع وجه أكثر من الزيت" (مز ١٠٤: ١٥).

"قوِّ قلبك باشتراكك روحيًا، واجعل وجه نفسك يلمع"، ومع جعل وجهك مكشوفًا بضميرٍ طاهرٍ تعكس كمرآة مجد الرب، وتنتقل من مجدٍ إلى مجدٍ في المسيح يسوع ربنا، الذي له المجد والكرامة والقوة من الآن وإلى دهر الدهور. آمين.

المقال الثالث والعشرون[1]

الأسرار (٥)

الليتورجيا المقدسة والتناول

" فاطرحوا كل خبث وكل مكر والرياء والحسد وكل مذمة" (١ بط ٢: ١).

١. بمحبة الله وتحننه سمعتم ما فيه الكفاية بخصوص العماد والمسحة والشركة في جسد المسيح ودمه، والآن من الضروري أن ننتقل إلى ما يلي هذا في الترتيب، يعني أن تتوج البناء الروحي لثقافتك.

غسل اليدين وتطهيرنا من كل عمل خاطئ

٢. إنك ترى الشماس (الدياكون) **الذي يعطي الكاهن ليغتسل** والكهنة الواقفين حول مذبح الله. أنه لا يعطيه الماء لأجل قذارة الجسد، لأننا لا ندخل الكنيسة بأجسام قذرة، لكن غسل اليدين يشير إلى ضرورة تطهيرنا من كل عملٍ خاطئٍ غير لائقٍ، لأن اليدين رمز الحركة، فبغسلهم يتضح أننا نقدم طهارة خلقنا غير الملوم.

ألم تسمع المطوّب يفتح هذا السرّ ويقول: "أغسل يدي بالنقاوة، وأطوف بمذبحك يا رب"، إذ يرمز غسل الأيدي إلى الحصانة من الخطية.

القبلة المقدسة

٣. ثم يصرخ الشماس عاليًا قائلاً: **"قبّلوا بعضكم بعضًا"**، ولنقبل بعضنا بعضًا. لا تظنوا أن هذه القبلة عامة، التي تقوم بين الأصدقاء، ليست هكذا. بل هذه القبلة تمزج النفوس ببعضها، وتحفظ لها غفرانًا عظيمًا. والقبلة علامة على أن نفوسنا قد اختلطت ببعضها، ومحت كل تذكر للأخطاء. لهذا قال السيد المسيح: "فإن قدمت قربانك إلى المذبح، وتذكرت أن لأخيك شيئًا عليك، فأترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك، وحينئذ تعال وقدم قربانك" (مت ٥: ٢٣). فالقبلة صُلح ولهذا السبب هي مقدسة. وكما يقول المطوّب بولس: "سلّموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة" (١ كو ١٦: ٢٠). وأيضًا بطرس تحدث عن قبلة الإحسان (١ بط ٣: ١٥).

---

[1] ترجمة السيدة يان جرجس فيلوثاوؤس.

ارفعوا قلوبكم

٤. بعد هذا يصرخ الكاهن عاليًا: "**ارفعوا قلوبكم**". لأنه حقًا يجب علينا في هذه الساعة المهيبة أن تُرفع قلوبنا في الأعالي مع الله، ولا نكون في الأسفل مفكرين في الأرض والأمور الأرضية. وبذلك يأمر الكاهن الكل في هذه الساعة أن يطردوا كل اهتمامات هذه الحياة، من جهة المنزل أو القلق في أي شيء، ويجعلوا قلوبهم في السماء مع الله الرحيم. حينئذ تجيبون "**هي عند الرب**"، موافقين عليها باعترافكم. لكن، ليمتنع أي واحد من الحضور هنا من يقول بفمه: "هي عند الرب"، بينما أفكارهم مشغولة باهتمامات هذه الحياة. فالأفضل أن يكون الله في فكرنا في كل وقت. لكن إن كان هذا مستحيلاً بسبب نقصنا البشري، ففي هذه الساعة فوق كل شيء يجب أن نراعي سلوكنا بهمة.

فلنشكر الرب

٥. ثم يقول الكاهن "**فلنشكر الرب**"... فإننا حقًا ملزمون أن نقدم الشكر لأنه دعانا ونحن غير مستحقين لهذه النعمة العظيمة، إذ صالحنا عندما كنا أعداءه حتى تلطف لنا بروح التبني حينئذ نقول "**مستحق وعادل**"، لأننا عندما نقدم الشكر نصنع شيئًا باستحقاق وعدل. لأنه لم يعمل لنا الحق بل أكثر من الحق، إذ جعلنا مستحقين لهذه الفوائد العظيمة.

شركة تسبيح مع السمائيين

٦. بعد هذا نذكر السماء والأرض والبحر، الشمس والقمر والنجوم وكل الخليقة، العاقل وغير العاقل، المنظور وغير المنظور، عن الملائكة ورؤساء الملائكة الفضائل، السيادات، الزعماء والقوات، العروش، الشاروبيم ذا الوجوه الكثيرة كأنه يعيد هذا النداء لداود: "عظموا الرب معي" (مز ٣٧: ٣). نذكر السيرافيم الذي رآه إشعياء بالروح القدس واقفًا حول عرش الله، وبجناحين يغطون وجوههم، وباثنين يغطون أرجلهم، ويطيرون باثنين، صارخين قائلين: "قدوس، قدوس، قدوس رب الصباؤوت" (إش ٦: ٢-٣). إننا نردد هذا الاعتراف: الذي سُلم إلينا من السيرافيم حتى نكون مشاركين في الأعالي للقوات في ترنمهم بالتسبيح.

التحول بالروح القدس

٧. وإذ قدسنا أنفسنا بهذه الترانيم الروحية، نطلب رحمة الرب، ليرسل روحه القدوس على الهبات الموضوعة أمامه، أن يجعل الخبز جسد المسيح والخمر دم المسيح. فكلما يلمسه الروح القدس يتقدس ويتغير بالتأكيد.

ابتهالات وطلبات

٨. ثم بعد إتمام الذبيحة الروحية، تتم الخدمة غير الدموية. وخلال ذبيحة الكفارة هذه نلتمس الله السلام العام لجميع الكنائس لخير العالم. نطلب عن الملك والجند، والمربوطين والمرضى والمتضايقين. وبالاختصار نصلي عن كل من يحتاج إلى الخلاص ونقدم هذه الذبيحة.

صلاة المجمع وعن الراقدين

٩. ثم نحتفل بذكرى الذين رقدوا قبلنا. أولاً البطاركة (الآباء) والأنبياء والرسل والشهداء والمعترفين لكي بصلواتهم وشفاعتهم يقبل الله التماساتنا. ثم نطلب الآباء القديسين والأساقفة الذين رقدوا قبلنا، وعن كل من رقدوا من المؤمنين لتكون فائدة عظيمة للنفوس التي نتوسل من أجلها، خلال هذه الذبيحة المقدسة والمهيبة موضوعة.

الصلاة عن الراقدين

١٠. وأرغب في إقناعكم في هذا الصدد. فإني أعلم أن كثيرين يقولون ماذا تنتفع نفس فارقت هذه الدنيا بذنوب أو بدون ذنوب، إذا ذُكرت في الصلوات؟ فإذا رغب ملك في إبعاد أشخاص ضايقوه فصاغ أهلهم تاجًا وقدموه له مراعاة لهؤلاء الذين تحت العقاب، ألاّ يمنح عفوًا لقصاصهم؟ فبنفس الطريقة عندما نرفع له توسلاتنا لمن رقدوا ولو كانوا مذنبين. نحن لا نصنع تاجًا: بل نرفع المسيح مقدمًا لذنوبنا، متوسلين لربنا الرحيم من أجلنا ومن أجل نفوسهم.

أبانا الذي في السماوات

١١. ثم بعد هذه الأمور نقول هذه الصلاة التي سلمها المخلص لتلاميذه بضمير نقي، مخاطبين الله أبينا قائلين: "**أبانا الذي في السماوات**". يا لعظمة محبة الله المترفقة التي جاوزت كل حد على الذين عصوه وكانوا في تعاسة قصوى، أنعم عليهم بهذا الغفران الكامل لأعمالهم الشريرة، ومشاركة النعم العظيمة حتى يستطيعوا أن يدعوه "أبانا". والذين يحملون صورة السماوات، هم أيضًا سماوات حيث يسكن الله، ويمشي فيهم.

١٢. **"ليــتقدس اســمك"**. اســم الله في طبيعته مقدس إن قلنا أم لم نقل. لكن حيث يُكفــر به في بعض الأوقات بين الخطاة كما قيل: "لأن اسمي يُجدف عليه بسببكم بين الأمم" (رو ٢: ٢٤). فنصــلي أن يــتقدس اسم الله فينا. ليس لأنه يتقدس من كان ليس مقدسًا، لكن لأنه يصير مقدسًا فينا عندما نصير مقدسين ونعمل أعمالاً تليق بالقداسة.

١٣. **"لــيأت ملكوتك"** تستطيع النفس النقية أن تقول بدالة: "ليأتِ ملكوتك". لأن من ســمع بولس يقول: "إذا لا تملكنّ الخطية في جسدكم المائت"، وطهر نفسه في الفعل والفكر والقول، يقول ليأت ملكوتك.

١٤. **"لــتكن مشــيئتك، كما في السماء كذلك على الأرض"**. ملائكة الله المقدسون المــباركون يصــنعون مشــيئة الله، كما قال داود: "باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة، الفاعلــين أمره" (مز ١٠٣: ٢٤)، وعلى هذا نعني بالصلاة: "كما في الملائكة تكون مشيئتك، هكذا لتكن على الأرض فيّ يا رب".

١٥. **"خبزنا كفافنا، أعطينا اليوم"** هذا الخبز البسيط ليس خبزًا ضروريًا، لكن هذا الخبز المقدس أساسي، معين لأساس النفس، "لأن هذا الخبز لا يمضي إلى الجوف ويندفع إلى المخرج" (مت ١٥: ١٧)، لكن يوزع على جهازك كله لفائدة النفس والجسد. ويعني بــ"اليوم" كما قال بولس "مادام يدعى اليوم".

١٦. **"واغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا"** إذ لنا ذنوب كثيرة لأننا نســيء بالقــول والفكر وأشياء كثيرة جدًا نعملها نستحق عليها القصاص. "فإن قلنا ليس لنا خطية، نضل أنفسنا، وليس الحق فينا" كما قال المطوّب يوحنا (١ يو ١: ٨). فنصنع مع الله عهــدًا نستعطفه، ليغفر لنا خطايانا كما نغفر نحن لإخواننا ذنوبهم، مترجين ذلك فيما نتقبله، مســتبدلين به غفراننا للآخرين، فلا نهمل أو نتأخر في تسامح بعضنا بعضًا. فالإساءات التي تُــرتكب ضدنا خفيفة وزهيدة وتنتهي بسرعة. لكن التي تُرتكب ضد الله عظيمة وتحتاج إلى رحمة كرحمته فقط. لذلك انتبه لئلا من أجل الذنوب الزهيدة الطفيفة، تمنع عن نفسك غفرانًا من الله لخطاياك المحزنة.

١٧. **"ولا تدخلــنا فــي تجربة"**. هل هذا ما يعلمنا الرب أن نصلي لكي لا نُجرّب أبــدًا؟ فكــيف إذن يُقال في موضع آخر: "الرجل غير المُجرب، يعلم قليلاً" (سي ٣٤: ١٠، رو ٥: ٣-٤)، وأيضًــا يقــول يعقوب: "احسبوا كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة" (يع ١: ٢).

لكـــن هل يعني الوقوع في التجربة ألا يدع التجربة تغمرنا وتجرفنا؟ لأن التجربة كســيل الشــتاء يصــعب عبوره. لذا فهؤلاء الذين لا يغرقون فيها يمرّون مظهرين أنفسهم ســبّاحين ممتازين، ولم يُجرفوا في تيارها أبدًا. بينما الآخرون يدخلون فيها ويغرقون. مثلاً دخل يهوذا الإسخريوطي في تجربة حب المال، فلم يَسبح فيها بل غَرق، وشُنق نفسه بالجسد والــروح (مــت ٢٧: ٥). وبطرس دخل في تجربة الإنكار، لكنه دخل ولم يُسحق بها. لكن كرجل سبح فيها ونجا منها. أنصت ثانية في موضع آخر إلى جماعة من القديسين لم يُصابوا بضــررٍ يقدمون الشكر لنجاتهم من التجربة. جربتنا يا الله – جربتنا بالنار كتجربة الفضة – وضــعتنا فــي الشبكة، وضعت عذابات على ظهورنا. جعلت الناس يركبون على رؤوسنا. "جــزنا في النار والماء لكن أخرجتنا إلى موضع راحة" (مز ٦٥: ١٠-١٢). فخروجهم إلى موضع راحة يعني نجاتهم من التجربة.

١٨. **"لكــن نجــنا من الشرير"**. إذا كان القول **"لا تدخلنا في تجربة"** يتضمن عدم الدخــول في التجربة بالمرة، فالقول: "لكن نجنا من الشرير" فيعني أن نصلي لكي ننجو من الشرير عدونا إبليس. ثم بعد إتمام الصلاة تقول: "**آمين**" التي تعني "هكذا يكون". تضع ختمك على ابتهالاتك في الصلاة ذات التعليم الإلهي.

القدسات للقديسين

١٩. بعد هذا يقول الكاهن: "**القدسات للقديسين**". القرابين المقدمة على الهيكل هي مقدسة، بعد قبولها حلول الروح القدس عليها. كذلك أنتم قديسون لأنكم استحققتم الروح القدس. لــذلك فالأشياء المقدسة تتصل بالأشخاص المقدسين. حينئذ تقول: "**واحد هو الآب القــدوس، واحد هو الابن القدوس، واحد هو الروح القدس**". واحد هو القدوس، واحد هو الــرب يســوع المسيح، لأنه حقًا بالطبيعة قدوس. ونحن أيضًا قديسون، ليس بالطبيعة، لكن بالشركة والتكريس والصلاة.

الدعوة للتناول

٢٠. بعد هذا تسمع المرتل يدعوكم بلحنٍ مقدسٍ للتناول من الأسرار المقدسة قائلاً: "ذوقــوا وانظــروا ما أطيب الرب" (مز ٣٤: ٨). لا تسلموا الحكم للفم الجسدي، بل للإيمان الــذي لا يشــك. لكن من يؤمروا أن يذوقوا لا يذوقون خبزًا وخمرًا بل جسد المسيح ودمه اللذين يمثلانه.

الحرص في التناول

٢١. لذلك في التقدم لا تأت برسغيك ممدودتين أو أصابعك منفردة، لكن اجعل يدك اليسرى عرشًا ليدك اليمنى، كأنك تستقبل ملكًا، وقد جوّفت راحة يدك لتقبل جسد المسيح قائلاً: آمين. وهكذا بعد أن قدست عينيك بعناية بلمس الجسد المقدس اشترك فيه منتبهًا لئلا يُفقد جزء منه...

اخبرني، إن أعطاك أحد حبوبًا من ذهب ألاّ تمسكها بكل عناية حارسًا لها من الضياع والخسارة؟ أليس بالأولى إذن أن ننتبه حتى لا يسقط فُتات مما هو أغلى من الذهب والحجارة الكريمة؟

الشركة في دم المسيح

٢٢. ثم بعد أن تشترك في جسد المسيح، تقرب أيضًا إلى كأس دمه، ليس بمد يديك لكن بالانحناء بروح العبادة والإجلال قائلاً: "آمين"، مقدسًا نفسك بالمشاركة أيضًا في دم المسيح. وبينما تكون شفتاك مازالتا رطبتين ألمسهما بيديك، وقدس عينيك وجفنيك وأعضاء الحواس الأخرى. ثم انتظر نهاية الصلاة، وقدم الشكر للذي حسبك مستحقًا لهذه الأسرار العظيمة.

لا تحرموا نفوسكم عن هذه الأسرار المقدسة الروحية

٢٣. تمسكوا بهذه التقاليد بلا دنس، واحفظوا نفوسكم من المعصية، لا تحرموا تنفصلوا عن الشركة، ولا تحرموا نفوسك بدنس خطاياكم عن هذه الأسرار المقدسة الروحية. "وإله السلام يقدسكم بالتمام، ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح" (١ تس ٥: ٢٣)، الذي له المجد والكرامة والقدرة مع الآب والروح القدس الآن وكل أوان وإلى الأبد[1]. آمين".

---

[1] *The world without end*

المحتويات

الباب الثاني

مقالاته لطالبي العماد

الـزمان بالسـنوات، مكان ميلاده، ولادته من عذراء، بخصوص النبوة عن ولادته من عذراء، عائلة هذه العذراء، العذراء من نسل داود، يتجسد في أحشاء عروس الطهارة، أخـذ مكوّن الأجساد جسدًا، الرد على الوثنيين، الرد على اليهود، من الذي ولد حواء؟، الميلاد العذري والخلق، بمجرد الوعد صار يعقوب يطلق على راحيل "زوجته"، العذراء نفسها سبقت أن تعجبت، شهادة الأطهار والبتوليين عنه، دعوة إلى الحياة البتولية.

القدس، الأنبياء يشهدون عن عطية الروح القدس (يتبع)، الروح الذي يقدس كل الخليقة العاقلة، ختام.

المقال السابع عشر: الروح القدس (يتبع) ٢٤٨

الروح القدس في العهد الجديد، الروح القدس هو واحد، نؤمن بالروح القدس الواحد، أسماء الروح القدس، ألقاب أخرى للروح القدس، الروح القدس وتجسد الكلمة، الروح القدس يعمل في أليصابات، الروح القدس في يوحنا المعمدان، الروح القدس وعماد الرب، حمامة نوح رمز لهذه الحمامة، حديث المسيح عن الروح القدس، الآب واهب الروح، حلول الروح القدس في يوم البنطقستي، عمل الروح القدس الناري في النفس، حلول الروح القدس كما من هبوب ريح عاصفة، يتكلمون بألسنة الأمم الحقيقية، وسيلة السقوط صارت وسيلة الشفاء، خمر جديدة هي نعمة العهد الجديد!، إنهم سكارى، لكن ليس كما تظنون، الروح القدس في العهد الجديد، الروح القدس يعمل في جميع الرسل معًا، عجائب بقوة الروح القدس، الروح القدس يعضد الرسل أمام الحكام، الروح القدس يعمل في الشمامسة، الروح القدس يعمل في فيلبس، الروح القدس يعمل في بولس، الروح القدس يعمل في بطرس، الروح القدس وهب المؤمنين اسم "مسيحيين"، الروح القدس يقود بولس، الروح القدس يقود بولس (يتبع)، بولس يشهد لعمل الروح القدس، الروح القدس ينبئ للرسل، أقنوم الروح القدس، اقبلوا الروح القدس بغير رياء!، يا لخطورة من يتقدم للعماد في خداع!، لا تحزن روح الله القدوس، ختام.

المقال الثامن عشر: كنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية ٢٦٦

الرجاء في القيامة أصل كل عمل صالح، مجادلات الهراطقة، العالم كله في يده، الله عادل، لماذا يُعاقب منتهكي المقابر؟!، البذور لا تعيش إن لم تمت!، أمثلة من عالم النبات وعالم الحيوان، القيامة والعنقاء عند اليونانيين!، لننظر إلى خلقتنا ذاتها، الرد على السامريين، أمثلة من أسفار الناموس، الخلق أم القيامة، لا يقوم الأشرار في يوم الدين، أيوب والأنبياء يشهدون للقيامة، أمثلة عملية على قيامة الأموات في العهدين، شهادة الكتاب المقدس عن القيامة، سمات الجسد المُقام، يشترك الجسد في العمل كما في المكافأة، لنعتنِ بأجسادنا إذ هو يخصنا، حفظ قانون الإيمان، كنيسة جامعة، جامعة، إكليسيّا" أو جماعة، رفض اليهود ونشأة الكنيسة، تجنب اجتماعات الهراطقة، غنى

الباب الثالث
مقالاته عن الأسرار
(المعمودية. سرّ الميرون. ليتورجيا الإفخارستيا)

المجمـــع وعـــن الـــراقدين، الصـــلاة عن الراقدين، أبانا الذي في السماوات، القدسات للقديســين، الدعـــوة للتـــناول، الحرص في التناول، الشركة في دم المسيح، لا تحرموا نفوسكم عن هذه الأسرار المقدسة الروحية.

صدر عن هذه السلسلة

بدء الأدب المسيحي الآبائي: **الآباء الرسوليّون.**

آباء مدرسة الإسكندريّة الأوّلون.

القديس كيرلس الأورشليمي: حياته، مقالته لطالبي العماد، الأسرار.

القديس يوحنا كاسيان: حياته، كتاباته، أفكاره.

القديس يوحنا الذهبي الفم: حياته، كتاباته، أفكاره.

القديس أفراهاط الحكيم الفارسي: حياته، كتاباته، أفكاره.

القدّيس إكليمنضس الروماني.

القديس مار فيلوكسينوس أسقف منبج: سيرته – كتاباته – منهجه وأفكاره.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص: سيرته – كتاباته – منهجه وأفكاره.

حياة موسى أو "عن الكمال في الفضيلة": **القديس غريغوريوس أسقف نيصص.** ترجمة مجدي فهيم حنا.

ترفقوا بالخطاة! **للقديس أمبروسيوس.**

إسحق أو النفس **للقديس أمبروسيوس** (تفسير رمزي لسفر نشيد الأناشيد كسفر الاتحاد بين السيد المسيح مع النفس البشرية). تعريب: الدكتور جرجس كامل يوسف.

رسائل القيامة: **للبابا الأنبا أثناسيوس الرسولي.** تعريب: بالاشتراك مع آمال نجيب.

العفة: **للقديس أغسطينوس.**

التوبيخ والنعمة: **للقديس أغسطينوس.**

النعمة والإرادة الحرة: **للقديس أغسطينوس.**

التجديف على الروح القدس: **للقديس أغسطينوس.**

الموعظة على الجبل: **للقديس أغسطينوس.** (جزءان)

الصلاة الربانية: **للقديس أغسطينوس.**

عظات **القديس أغسطينوس** على فصول منتخبة من العهد الجديد. (جزءان)

حب بلا تدليل (١) رسالتين إلى ساقطين: **للقديس باسيليوس الكبير.**

العناية الإلهية **للقديس يوحنا الذهبي الفم.** تعريب: عايدة حنا بسطا.

الكنيسة تحبك الإلهية **للقديس يوحنا الذهبي الفم.**

ستعود بقوة أعظم **للقديس يوحنا الذهبي الفم.**

من يقدر أن يؤذيك؟ **للقديس يوحنا الذهبي الفم.**

تواضع الفكر **للقديس يوحنا الذهبي الفم.**

يسوع والمفلوجان **للقديس يوحنا الذهبي الفم.**

تسابيح عن الميلاد: **للقدبس مار إفرآم السرياني.**

الرعاية: **البابا غريغوريوس (الكبير)** ج ١. ترجمة مجدي فهيم حنا وجورج فهمي حنا.

الرعاية: **البابا غريغوريوس (الكبير)** ج ٢. ترجمة مجدي فهيم حنا.

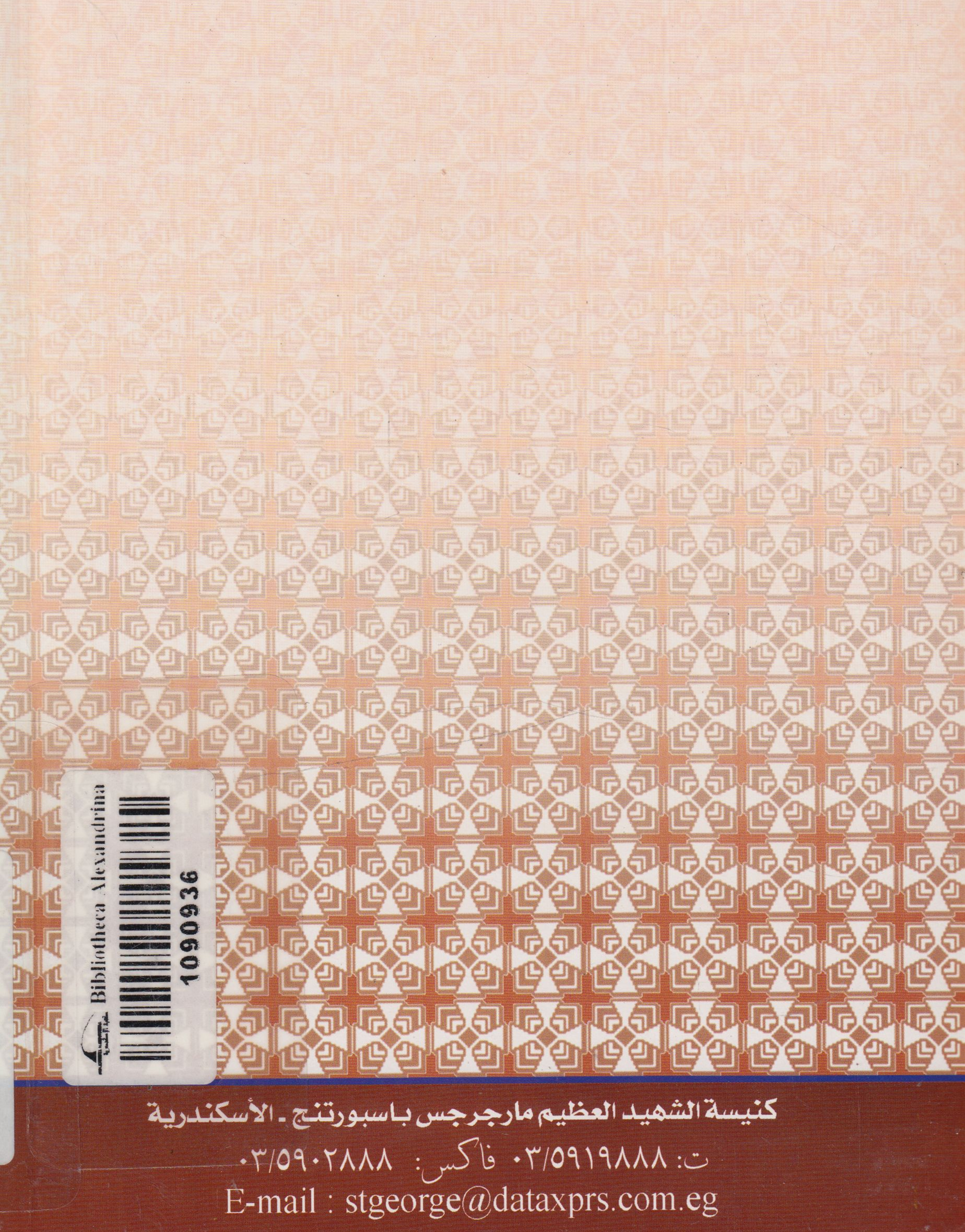
البشارة بالتجسد الإلهي: **للقديس غريغوريوس صانع العجائب.**

ميامر عن والدة الإله: **للقديس مار يعقوب السروجي.** تعريب ناهد فؤاد.

مخافة الرب عند **القديس مار فيلوكسينوس.**

الفيلوكاليا الجزء الأول.

لقاء يومي مع إلهي: خلال خبرات آباء الكنيسة الأولى، المجلد الأول.



كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس باسبورتنج - الأسكندرية

ت: ٠٣/٥٩١٩٨٨٨ فاكس: ٠٣/٥٩٠٢٨٨٨

E-mail : stgeorge@dataxprs.com.eg